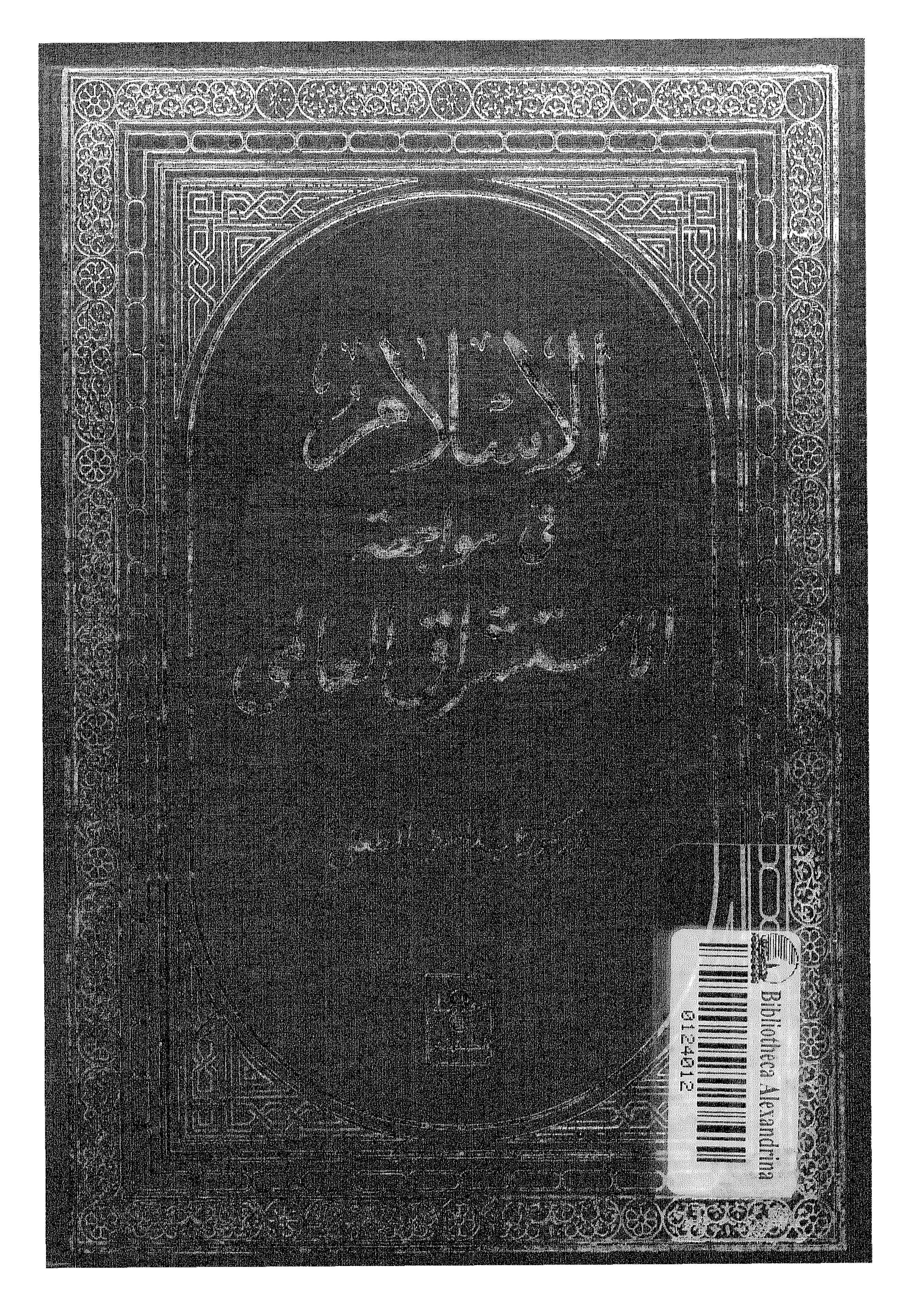

الإسلام
في مواجهة
الاستشراق العالمي






Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإسلام

في مواجهة

الاستشراق العالمي

الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م

الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م



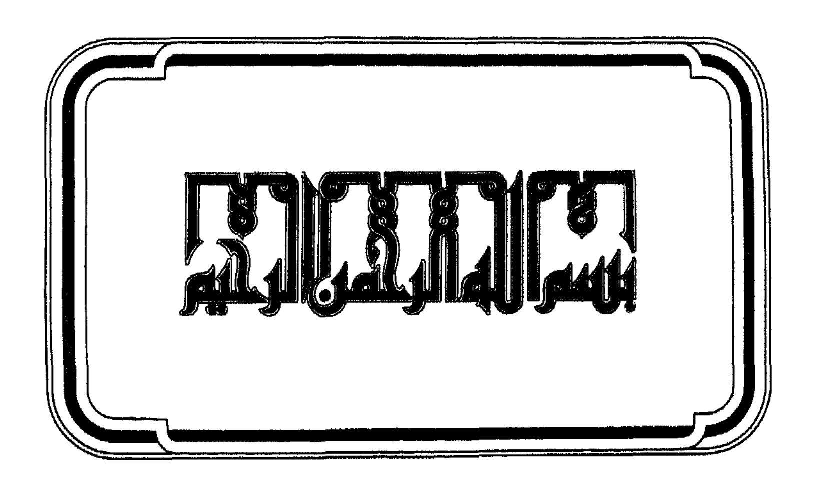
دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة . ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت . ٢٤٢٧٢١ / ٢٥٦٢٢٠ / ٢٥٦٢٣٠
المكتبة : أمام كلية الطب ت . ٢٤٧٤٢٣ ص . ب . ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي

الدكتور عبد العظيم المطعني

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة. ش.م.م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

لهذا الكتاب الماثل بين يديك الآن قصة ، أرى من الضرورة ذكرها ، ليكون القارىء على بصيرة وهو يطالع صفحات هذا الكتاب الذى أسميناه : « **الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمى** »

والقصة فى إيجاز شديد :

لقد أكرمنى الله بالذهاب إلى مكة المكرمة عام ١٣٩٩ هـ الموافق ١٩٧٩ م ، حيث أعرت من جامعة الأزهر لجامعة الملك عبد العزيز فرع مكة المكرمة ، للتدريس فى كلية الشريعة ، حيث أسند إلىّ بالإضافة إلى علوم البلاغة والنقد تدريس الإعجاز القرآنى والبيان النبوى ، وقد تطورت كلية الشريعة إلى جامعة مستقله بعد إعارتى بعام واحد ، وأطلق عليها« **جامعة أم القرى** » وفى هذه الأثناء وردت إلى إدارة الجامعة كتب وضعها المستشرقون للطعن فى الإسلام ، تلقتها رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة من بلد عربى إسلامى شقيق . وطلبت الرابطة من إدارة الجامعة تكوين لجنة من هيئة التدريس للاطلاع على تلك الكتب والرد عليها . وقد أحال مجلس الكلية كتابين منها إلى لجنة مكونة من فضيلة الشيخ محمد الغزالى وكاتب هذه السطور . ولكن الشيخ الغزالى كان قد قام بإجازة تفرغ لعمل علمى آخر لمدة عام وعاد إلى القاهرة . وتسلمت الكتابين وهما :

١ ـــ المسيح مخلص العالم .
٢ ـــ الباكورة الشهية فى الروايات الدينية .

وعزمت على قراءتهما قائلا فى نفسى :
إذا تبين أن أحدهما صعب والثانى يسير اخترت الرد على اليسير وتركت الصعب

لأستاذنا الغزالى فهو فارس لايشق له غبار فى هذا المضمار . وواصلت القراءة بلا تراخ حتى فرغت من الكتابين فى أقل من أسبوع . وكان ذلك قبيل موسم الحج عام ١٤٠٠ هـ وبعد الفراغ رأيت الآتى :

الكتاب الأول : المسيح مخلص العالم لا يستحق أن يناقش ، لأن القوم يروجون فيه لمتعقداتهم دون أن يتعرضوا للطعن فى الإسلام صراحة .

أما الكتاب الثانى : « الباكورة الشهية فى الروايات الدينية » فقد حفل بالطعن فى الإسلام صراحة . ولم يتركوا حسنة من حسنات الإسلام إلا طعنوا فيها ، وسيرى القارىء فى غضون الكتاب كيف حاولوا هدم الإسلام كله ، كتاباً ورسولاً وعقائد وتاريخا .

هذا الكتاب « **الباكورة الشهية** » كان أصعب الكتابين ، والرد على ما جاء فيه يحتاج إلى عمل شاق وطويل . ومع هذا فقد امتلأت نفسى حماسة للرد عليه ، رغم الصعوبات التى يتطلبها الرد . ورغم ماكنت أقدر قبل قراءة الكتابين وازدادت لدى الرغبة فى الرد يوما بعد يوم . وكنت قبل أن أبدأ فى العمل أسأل الله ـــ وأنا قائم أصلى فى الحرم الشريف ناظراً بعينى رأسى إلى الكعبة المشرفة ـــ أسأله أن يوفقنى للدفاع عن دينه ، وتكرر منى هذا السؤال مرات ومرات . ولكنى لم أكن بدأت العمل . وفجأة وجدتنى فى صبيحة يوم من أيام الخميس أحمل القلم وأبدأ فى الكتابة بلا توقف . وكنت قد أعددت مايلزم من المراجع . وكان لعميد الكلية الدكتور **عليان محمد الحازمى** ، ووكيل الكلية الدكتور **على عباس الحكمى** دور محمود فى إمدادى بالمصادر والمراجع . وفوق كل هذا كان توفيق الله الذى كنت أحس به طوال المدة التى قضيتها فى الكتابة والتى بلغت ثمانية أشهر لم أعرف فيها الكلل ولا الملل . وبخاصة أنى كنت أقيم بجوار بيت الله الحرام . وتحت سماء كان سفير الوحى جبريل غداءً وروحا ـــ على حد تعبير أمير الشعراء شوقى ـــ بآيات الذكر الحكيم منها .

وكتاب « **الباكورة الشهية فى الروايات الدينية** » واحد من الكتب

والنشرات التى يضعها المستشرقون والمبشرون ضد الإسلام . ولم ينسب الكتاب إلى مؤلف معين ، وإنما الموجود على غلافه العبارات الآتية :

الباكورة الشهية فى الروايات الدينية

تأليف أحد العلماء الأفاضل

طبع بعدة لغات عالمية

ويقع الكتاب فى أكثر من مائتى صفحة من القطع المتوسط وقد سلك فيه مؤلفوه مسلك الحوار بين شخصيات وهمية . ولولا أن مؤلفيه وجهوا سهامهم إلى الإسلام صراحة وبكل وضوح لما أعرناه أى اهتمام . ولأهملناه كما أهملنا كتاب : المسيح مخلص العالم . ونحن لا ننكر حق مخالفينا فى العقيدة والدين أن يروجوا لمعتقداتهم كما يشاءون . ولكن حين يكون الترويج قائما على الطعن فى عقيدتنا وديننا فإن التصدى لهم فى هذه الحالة واجب على كل من يستطيعه . إننا لا نهاجم أحداً مهما كانت عقيدته . وحين يهاجمنا ذلك « الأحد » فحقنا فى الدفاع عن عقيدتنا ينبغى ألا ينكره علينا أحد . وهذا الحق هو الذى نمارسه فى هذا الكتاب .

منهجنا فى هذا الكتاب :

الوثيقة التى نرد عليها ــ هنا ــ اشتملت على ثلاثة أقسام :

قسمان دفاعيان ، دافع فيهما مؤلفوها من المستشرقين والمبشرين العالميين عن معتقدات أهل الكتاب . فى القسم الأول كان دفاعهم عن العهد القديم ــ التوراة وملحقاتها .

وفى القسم الثانى كان دفاعهم عن العهد الجديد : الأناجيل وملحقاتها .

ثم ختموا دفاعهم بفصل قالوا فيه :

لااختلاف ولاتعارض بين العهدين القديم والجديد ، أو بعبارة أوضح : بين

اليهود والنصارى . وزعموا أن بينهما التوافق التام من كل الوجوه . وكان هدفهم من هذا أن ينسبوا الكذب للقرآن الأمين حيث أشار إشارات واضحة ومتعددة إلى تحريف أهل الكتاب من اليهود والنصارى ما أوحاه الله على رسلهم إليهم ، وأنهم فرقوا دينهم وكانوا شيعا .

وفى ردنا عليهم فى هذين القسمين واجهناهم من خلال أربعة محاور وهى :

١ ــ نصوص من الكتاب المقدس (التوراة وملحقاتها ، والأناجيل وملحقاتها) تثبت عكس ماقالوا وتفيد فى يقين لايقبل الشك أن :

أ ــ الكتاب المقدس قد حرف وبدل وضاع النص الأصيل منه .

ب ــ أن العهدين القديم والجديد مختلفان فيما بينهما ، ولا يمكن صحة الادعاء بأنهما متوافقان .

٢ ــ أما المحور الثانى الذى واجهناهم من خلاله فهى أقوال أهل الكتاب أنفسهم فيما بين أيديهم من نصوص الكتاب المقدس حيث تشككوا فى صحتها ، واعترفوا بأنها صياغات بشرية تشبه « الملاحم » فى أن لها أصلاً واقعياً هو « الواقعة أو الحادثة » ، أما الصياغة فمن صنع البشر . وهذا التشبيه كاف فى أن القوم معترفون ــ معنا ــ بالتحريف أو التبديل الذى أصاب الكتاب المقدس بعهديه : القديم والجديد ، وضياع النص الإلهى منه .

والذين قالوا هذا الكلام إما أعضاء مجامع مسكونية وإما نقاد من أساتذة الجامعات . ومنها الجامعة العبرية بالقدس ، ومنهم آباء كنسيون من الغرب ، ومنهم عسكريون ، ورجال دين ، وفلاسفة ، ومؤرخون . وقد نسبنا كل قول إلى مصدره . واستقينا هذه الأقوال كلها من مصادر أجنبية مترجمة إلى العربية . ومن مقررات المجامع الكنسية . لأننا حرصنا كل الحرص أن نواجه القوم بما قالوه هم عن أنفسهم وكتابهم ومعتقداتهم ، دون أن نواجههم فى هذين القسمين بنصوص أو حقائق إسلامية لأن ماقالوه هم كاف فى هذا المجال فى إبطال مدعياتهم . وسوف يرى القارىء هذا الكلام بكل وضوح .

٣ ـــ المحور الثالث الذى واجهناهم من خلاله هو حقائق العلم والتاريخ . . لأنهما يتنافران تماما مع الكتاب المقدس فى كثير من التصورات الواردة فيه . وهم أنفسهم تنبهوا إلى هذا الخطر وحمل الكثير منهم على التشكك فى صحة النصوص المقدسة عندهم . وبخاصة أنهم لم يجدوا فى القرآن الأمين حقيقة واحدة يخالفها العلم أو وقائع التاريخ .

٤ ـــ أما المحور الرابع فهو الاحتكام إلى « العقل » والعقل قاسم مشترك بيننا وبينهم . والعقل ـــ بدوره ـــ كان له أثر كبير عند دارسى الكتاب المقدس من اليهود والنصارى ، وكشف لهم عن جانب كبير من الزيف والتزوير الذى أصاب نصوص الوحى عندهم . وقد قال مارتن لوثر ـــ وهو من أشهر الثائرين على تحكم رجال الكنيسة فى مصائر رعاياهم فى الغرب قبيل الثورة الفرنسية على نظام الإقطاع المتمثل فى الملوك ، والنظام الكنسى المتمثل فى رجال الدين ـــ قال مارتن لوثر هذا فى عبارة ذكرها عنه ول ديوارنت فى قصة الحضارة :

« إن الكتاب المقدس والعقل لايجتمعان . فإما أن نكفر بالعقل ونؤمن بالكتاب المقدس ؟ وإما أن نؤمن بالعقل ونكفر بالكتاب المقدس » ؟!

وسيرى القارىء هذه العبارة وملابساتها فى موضعها من هذا الكتاب . وكيف احتال عليها من يروجون للكتاب المقدس ، ويزعمون أنه سالم من التحريف والتبديل . ؟!

هذه هى المحاور الأربعة التى أقمنا عليها مواجهتنا لمؤلفى كتاب « **الباكورة الشهية فى الروايات الدينية** » ، وهى ليست من عمل مؤلف واحد ، بل نرجح أن طائفة من المستشرقين والمبشرين العالميين قد تضافروا على وضعها ، وسننشر ـــ بعد قليل ـــ وثيقة رسمية تؤكد هذا القول .

أما القسم الثالث من كتاب « **الباكورة الشهية** ... » هذا فقد وقفه مؤلفوه على الطعن الصريح فى الإسلام وآثاروا فيه جملة من الشبه والأباطيل منها :

★ إن محمداً ــ ﷺ ــ ليس رسولاً وإنما هو مدعى رسالة وساعده على هذا ذكاؤه ؟!

★ إن القرآن ليس وحيا من عند الله ، بل هو من تأليف « محمد » ﷺ .؟!

★ إن « محمداً » قد اقتبس القرآن من التوراة والأناجيل وأخبار الماضين (أساطير الأولين) ؟!

★ إن القرآن ليس معجزا ، ويمكن أن يحاكى ، ويؤتى بمثله ، لأنه كلام بشر صيغ فى أعلى وأرفع الأساليب العربيه بلاغة وفصاحة ... ؟!

★ إن القرآن قد حرف وبدل وهو مليء بالمتناقضات . ؟!

★ إن الذبيح من ولدى إبراهيم عليه السلام هو إسحق وليس إسماعيل . ؟!

★ إذا صح أن محمداً ــ ﷺ ــ كان رسولاً ، فهو رسول إلى العرب وحدهم ، لايتعداهم إلى غيرهم من الأمم ؟!

هذا بعض مأأثاروه فى القسم الثالث . وقد واجهناهم فيه مواجهة موضوعية علمية هادئة ، ونهجنا نفس المنهج الذى سلكناه فى المواجهة معهم فى القسمين الأول والثانى من خلال المحاور الأربعة السابقة ، مضافا إليها محور خامس وهو الحقائق الإسلامية ، من عقائد ، ونصوص قرآنية . والذى دعانا ــ هنا ــ إلى إضافة المحور الخامس أننا رأينا القوم يذكرون آيات كثيرة من القرآن الكريم ويتخذون منها أدلة على إبطال الإسلام نفسه ؟!

وكنا قد استبعدنا مواجهتهم بالحقائق الإسلامية فى القسمين الأولين ، ولكن لما فتحوا هم هذا الباب أردنا أن نوضح لهم فى يقين أن الحقائق الإسلامية لايعارض بعضها بعضاً أبداً ، وأن هذا السلاح ــ القرآن ــ لايحسن استعماله إلا أهله ، وأنه مستحيل أن يستعمل ضد أهله ، وأنه لو استعمله غير أهله ضد أهله فلن يصيب إلا حامله ؛ لأن القرآن كله حق ، ولن يحارب الحق الحق ، وإنما يحارب الحق الباطل وأهل الباطل .

وتحدثا بنعمة الله أقول : إن هذا الكتاب لو وقع فى يد يهودى أو نصرانى يريد الحق والهداية والخير لنفسه فى الدنيا والدين ، فإنه سيأخذ بيده من أقصر طريق إلى مافيه خيره وصلاحه . وسيرى القارىء أن كل ما واجهناه من مزاعم المستشرقين والمبشرين العالميين التى أذاعوها فى كتاب « الباكورة الشهية » إنما هى وهم باطل . والكتاب بعد هذا حافل بالمفاجآت والحقائق المثيرة ، منها على سبيل المثال :

أن التوراة فيها نصوص تفيد بكل صراحة أن الولد أكبر من أبيه بعامين ؟!!!
فأين العقل الذى يؤمن بهذا .. وهل هذا وحى من الله فعلا ؟!
وكيف يقال : إن التوراة لاتحريف ولاتبديل فيها ، وهى مشتملة على كثير من مثل هذه الخرافة ؟!

وأما ما اشتمل عليه كتابنا هذا مفصلا فإنى أحيل القارىء إلى أن يطلع على موجز الموضوعات قبل أن يأخذ فى القراءة ، حتى يكون لديه تصور واف للحقائق المدروسة هنا ، والتى سعدت بكتابتها فى البلد الطيب الأمين مكة المكرمة . ، وبجوار بيت الله الحرام .

كما ألفت نظر القارىء إلى الاطلاع على إحدى الرسائل المتبادلة بين رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة ، وجامعة الملك عبد العزيز . وهى تكشف كثيرا من الحقائق المتعلقة بكتاب « الباكورة الشهية » الذى نواجهه فى هذا الكتاب والله من وراء القصد ؛؛؛

د. عبد العظيم المطعنى

(القاهرة فى ٢١ صفر ١٤٠٦ هـ الموافق ٤ / ١١ / ١٩٨٥ م)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا ﴾

رابطة العالم الإسلامى

الأمانة العامة

مكة المكرمة

إدارة مواجهة التنصير

الرقم ....

التاريخ ....

المرفقات ....

ســرى

سعادة الدكتور عليان محمد الحازمى المـوقر

عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد :ـــ

فقد تلقينا خطاب سعادتكم رقم ٢٦٨٩ / ٤ وتاريخ ٢٨ / ١١ / ١٤٠٠هـ . المتضمن إفادتكم لنا بإحالة الكتابين من الكتب التى طبعتها منظمة (مركز الشبيبة) إلى لجنة من الكلية للرد عليهما . والرابطة إذ تشكركم على مشاعركم الطيبة وتعاونكم الكريم يسرها أن تحيطكم علما بأن منظمة (مركز الشبيبة) هى منظمة سرية نصرانية برئاسة المستشرق فالترفا سرمان الألمانى الجنسية مركزها الرئيسى فى مدينة (شوون) بألمانيا الاتحادية ولها فرع فى مدينة (بازل) بسويسرا ومراكز عديدة فى عدد من الدول العربية الإسلامية وهدفها الأساسى هو محاربة الإسلام وتنصير المسلمين عن طريق توزيع الكتب

والمنشورات المشحونة بالدعايات للنصرانية وبالمغالطات لتشويه العقيدة الإسلامية وتعاليمها لتضليل المسلمين عن دينهم . وتملك هذه المنظمة محطة إذاعـة بجمهورية قبرص تبث منها برامجها باللغة العربية لنشر تعاليم الإنجيل وقد اكتشفت السلطات السودانية نشاط هذه المنظمة وضبطت فى مركزها بالخرطوم الذى يديره طبيب سويسرى مجموعة كبيرة من الكتب (مائتى ألف كتاب) وأشرطة كاسيت تحمل هجوما على الإسلام ومبادئه وعلى ضوء هذه المعلومات الواردة للزابطة قامت بإصدار تعميم إلى جميع وزراء الأوقاف والشئون الإسلامية وإلى المنظمات الإسلامية فى العالم لاتخاذ الاجراءات اللازمة لتحذير المسلمين من هذه المنشورات الهدامة ومن أنشطة تلك المنظمة النصرانية التخريبية والعمل على حظرها فى الدول الإسلامية . سائلين المولى عز وجل أن يسدد خطانا لمافيه عزة الإسلام والمسلمين .

والله يحفظكم ويرعاكم ،،،،،

الأمين العام

محمد على الحركان



القسم الأول

التوراة بين التحريف والتبديل

الفصل الأول

أصل التوراة ومولدها

نقاط البحث :

دعوى سلامة التوراة من التبديل ــ مناقشة هذه الدعوى على أسس منهجية ــ مجرد وَهْم ــ طريق قصير ــ أزمة لها عدة وجوه ــ مايحاولونه محال ــ متى وعلى يد من ولدت التوراة ؟ ــ أصل التوراة ــ مصادفتان ــ ابن القيم يتفق ويختلف مع ول ديورانت ــ رواية رابعة فى ميلاد التوراة ــ رواية خامسة ــ سفر حزقيال ــ رأى اليهود ــ آراء لباحث لاهوتى معاصر ــ تأييد من أستاذ بالجامعةالعبرية .

مسامير فى نعش التوراة

نقاط البحث :

كيفية تكوين التوراة وملحقاتها ــ الطريقة اليَهْوية ــ الطريقة اللاهوتية ــ الطريقة الكهنوتية ــ سفر تثنية الاشتراع ــ أخلاق يهوا إله بنى إسرائيل كما يصورها مقطع مقدس ؟ ــ مآخذ على طرق تكوين التوراة ــ نماذج حية من تداخل الروايات ــ جدول رمزى لبيان التداخل ــ وقفة نقدية مع هذا الجدول ــ تفريغ الرموز إلى نصوص ــ الرواية اليَهْوية فى الإصحاح السادس من سفر التكوين ــ الرواية الكهنوتية فى الإصحاح السادس من سفر التكوين ــ نصوص ليست وحياً ــ أهداف اليهود من تغيير التوراة الموحى بها إلى موسى عليه السلام .

إلى موسى عليه السلام .

الفصل الثالث

أسباب تحريف التوراة

نقاط البحث :

ثلاثة : مزاعم باطلة ـــ واجبان على اليهود ـــ أستاذ بالجامعة العبرية وتصريحات فاضحة ـــ استدلال باطل ـــ شواهد من واقع النصوص ـــ مصادر التضخم فى تراث اليهود أسطورية ـــ صلات التضخم الحالى بالهندوسية .

الفصل الرابع

دعوى وحدة النصوص فى التوراة الحالية

نقاط البحث :

منزع الأدلة ـــ موقفنا نحن المسلمين واختيارنا ـــ شهادات دامغة. من الواقع ـــ مفهوم التوراة عند البروتستانت ـــ مفهوم التوراة عند الكاثوليك ـــ مفهوم التوراة عند السامريين ـــ مواضع الاتفاق والاختلاف عند الفرق الكتابية المعاصرة ـــ شهادة النصوص ـــ الثلاثة = عشرة ـــ مغزى هذه النصوص ـــ دلالة النصوص قبل النقد ـــ دلالة النصوص بعد النقد ـــ جدول بيانى مُهم ـــ نتائج خطيرة من دراسة الجدول ـــ مؤدى هذا النقد ـــ دفاع الخصم ومايترتب عليه ـــ جولة أخرى ـــ جدول ثان مُهم ـــ نتائج دراسة الجدول ـــ الولد أكبر من أبيه بسنتين ؟ ـــ يهورام وابنه أخزيا ـــ دفاعهم عن هذا الخطأ أوقعهم فى ورطة ـــ آدم ونوح عليهما السلام ـــ نسخ التوراة التى روت هذه القصة ـــ لقاء آدم ونوح بين النفى والإثبات ـــ نقد حديث فى المسألة ـــ اختلاف آخر حول الطوفان .

الفصل الخامس

النُّبوَّات فى التوراة

نقاط البحث :

وقفة قصيرة ــ مفهوم النبوات فى التوراة ــ جهل اليهود بمعنى كلمة نبى وأصلها ــ النبوة فى التوراة تنال بالكذب والخداع ــ القصة وموضعها من الكتاب المقدس ــ يعقوب ــ عليه السلام ــ يضلل أباه فى التوراة ؟ ــ مآخذ متعددة على قصة يعقوب كما تصورها التوراة ــ النبوة فى التوراة ليست من الله ؟ ــ المعصية فى التوراة رفعت يعقوب ؟ ــ والخيانة جعلته نبياً ؟ ــ والطاعة اسقطت أخاه عيسو ؟ ــ إسحاق فى التوراة يشرب الخمور ويُخدع ؟ ــ عصمة إسحق ويعقوب أهدرتها التوراة الحالية ــ كيف كان أنبياء بنى إسرائيل يتنبأون ؟ ــ ثلاث طرق للحصول على النبوة فى التوراة ؟ ــ طريقة الخيانة والخداع ؟ ــ طريقة التعرى والانطراح على الأرض ؟ ــ طريقة المصادفة الجماعية ؟ ــ وهذا هو السبب ــ نبيات من النساء ؟ ــ أنبياء يتخاصمون ويتقاتلون ؟ .

الفصل السادس

النبوءات فى التوراة

نقاط البحث :

مطلبان لليهود والنصارى من نبوءات التوراة ــ مطلب اليهود ومواجهة الإسلام لهم فيه ــ مطلب النصارى ومواجهة الإسلام لهم فيه ــ وقفة نقدية مع هذه النبوءات ــ تفسير هذا الخلط المضحك ــ أولا : مايتعلق بتاريخ اليهود ــ ثانيا : فترة مابعد المسيح عليه السلام . تعديلات أخرى وقعت فى هذه الفترة ــ مقاطع مقدسة لها دلالات خطيرة ــ القارىء يسأل ، ونحن نجيب ــ مرحلتان بارزتان لتدوين التوراة ــ الخلاصة .

القسم الثانى

جولات نقدية داخل التوراة

الفصل الأول

نصوص مقدسة ... ودلالات سخيفة ؟!

نقاط البحث :

ثلاثة أقسام ــ نصوص التوراة ــ القسم الأول يقف من القداسة موقفاً سلبيا ــ نماذج من هذا القسم ــ القسم الثانى جوازكونة وحياً ولكن بتحفظ ــ نماذج من هذا القسم ــ القسم الثالث ينافى حقيقة القداسة ــ نماذج من هذا القسم ــ نواح راحيل ــ نشيد الإنشاد ــ تعقيبات نقدية على هذه الأقسام .

الفصل الثانى

تصورات التوراة عن الله

نقاط البحث :

قاعدة فى علو الأديان وهبوطها ــ تطبيق القاعدة على عقيدة اليهود فى الله ــ إله اليهود ــ كما تصوره التوراة ــ عدو لغير اليهود ــ شواهد من التوراة على هذا العقيدة ــ الحقيقة اللائحة ــ نصوص مقدسة وبشرية الرب الموصوف ! ــ التوراة تصف الرب بالجهل ــ التوراة تصف الرب بالخوف ؟ ــ التوراة تصف الرب بالنسيان ؟ ــ الرب فى التوراة يؤمر

ويُنهى ؟ ــ فروق لغوية أهدرتها التوراة ؟ ــ موسى ــ عليه السلام ــ يهدد الرب بالاستقالة من النبوة إذا لم يغفر لبنى إسرائيل ؟؟ ــ التوراة تصف الرب بالنوم ؟؟ ــ التوراة تصف الرب بالندم ــ منزلة « الرب » كما تصورها التوراة الحالية .

الفصل الثالث
تصور التوراة عن الملائكة

نقاط البحث :

مَنْ هم الملائكة ؟ ــ وماالذى ينبغى لهم من حرمة ؟ ــ الملائكة فى التوراة يأكلون ويشربون ؟ ــ إبراهيم عليه السلام يطعم الملائكة لحماً وخبزاً ولبنا ؟ ــ واحد من الملائكة ــ فحسب ــ لايأكل ولايشرب ؟ ــ جبريل عليه السلام يضلل الأنبياء حسب زعم التوراة ؟ ــ الله يشجع جبريل على هذا العمل ؟ ــ

الفصل الرابع
تصورات التوراة عن الأنبياء

نقاط البحث :

مجموعتان من الأنبياء فى التوراة ــ مجمل أوصاف الأنبياء فى التوراة ــ

إسحق ويعقوب ــ الخداع والغفلة واحتساء الخمور ــ نوح يسكر ويتعرى ؟ ــ وقفة مع الخمور فى التوراة ــ ولوط يسكر ويزنى بابنتيه ؟؟ ــ هارون يعبد الأصنام ويضلل بنى إسرائيل ؟؟ ــ المجرم برىء ، والبرىء مجرم ؟ ــ يهوذا بن يعقوب يزنى بأرمل ابنه ــ جدى معزى هو الأجر ــ ثلاثة من كبار الأنبياء أبوهم ولد زنى ؟! ــ النصارى يوافقون اليهود على هذا الخزى ؟! ــ دلائل قاطعة من الأناجيل ؟ ــ داود يزنى ويقتل زوج عشيقته ؟! ــ صحيفة جرائم داود فى التوراة ؟! ــ سليمان عليه السلام أمه زانية ؟! ــ سليمان يرتد ويعبد الأصنام إرضاء لزوجاته ؟! ــ ماالذى أوقع التوراة الحالية فى هذه المخازى ؟

الفصل الخامس

تصورات التوراة عن الإنسان

نقاط البحث :

حقوق الإنسان وواجباته فى شريعة الحق والعدل ــ التوراة تقسم الإنسان قسمين ــ يهود ولهم كل الفضل ــ غير يهود وهم عبيد لليهود ؟ ــ (جوى جوييم ــ أمى أممى أميين أمميين) ــ نصوص التوراة فى حقوق غير اليهود ــ أكل غير اليهود من طعام اليهود ينجس الطعام ؟! ــ زواج غير اليهودى من يهودية ينجس اليهودية ؟! ــ غير اليهود عبيد لليهود ــ أبناء اليهود يتوارثون عبيد آبائهم من غير اليهود ؟ ــ الله رب اليهود وحدهم ــ غير اليهود خبز وطعام حلال لليهود ؟ ــ الرب يأمر اليهود فى التوراة بإهدار كرامة غير اليهود ؟ ــ ليس لغير اليهود فى التوراة إلا السيف ؟ ــ بهائم اليهود مباركة مثلهم ــ قتل اليهود لغير اليهود قربة للرب المعبود ؟ ــ نساء الأجانب ملك لليهود ؟ ــ إذا أسر يهودى أجنبية(مسلمة أو نصرانية) فلا يقربها إلا بعد تطهيرها بحلق شعرها وبكائها على أبيها وأمها وزوجها شهراً كاملاً ؟! ــ غير اليهود مستحيل دخولهم فى جماعة الرب ؟! ــ المرضى لايدخلون فى جماعة

الرب ــ مال اليهودى حرام ، ومال الأجنبى حلال لليهودى ــ القرض بالربا للأجنبى حلال ، ولليهودى حرام ــ الشعب اليهودى سيد شعوب الأرض ؟ ــ رؤساء وملوك الشعوب خدم لليهود ــ وزوجاتهم مرضعات لأطفال اليهود ؟! ــ التوراة وأنبياؤها يؤكدون هذه العقيدة ؟ ــ سقوط التوراة المعاصرة فى جانب : الاعتقاد فى الله ــ وفى الملائكة ، وفى الرسل ، وفى الإنسان ــ الحياة الآخرة معدومة فى التوراة ؟! ــ الجنة فى التوراة هى منطقة جنوب لبنان ؟! ــ ماذا لو لم يكن إلا التوراة ؟!

الفصل السادس

تصورات التوارة بين الماضى والحاضر

نقاط البحث :

سؤال وجواب ــ مصادر اليهودية المعاصرة بعد التوراة ــ الجديد عن الله فى الفكر اليهودى المعاصر ــ القمر يحتج على الله فيكفر الله عن ذنبه ؟! ــ الله يتعلم التلمود مع الملائكة وملك الشياطين ؟ ــ الجديد عن الملائكة فى الفكر اليهودى المعاصر ــ الملائكة يتزوجون من بنات حواء ؟ ــ الملائكة يضرب بعضهم بعضا بالنار ؟! ــ الجديد عن الأنبياء فى الفكر اليهودى المعاصر ــ إبراهيم يصنع لنفسه سريراً من ضرسى عوج بن عنق ؟؟ ــ وجبة واحدة من طعام إبراهيم تشبع ٧٤ رجلاً ؟! ــ عيسى عليه السلام موجود ــ الآن ــ فى لجات الجحيم ؟؟ ــ أوضاع الإنسان فى الفكر اليهودى المعاصر ــ صور من عقيدة اليهود عن الإنسان المعاصر ومستقبله ــ الجديد عن الحياة الآخرة فى الفكر اليهودى المعاصر . اختلاف التبشير بين اليهود والنصارى ــ سبب هذا الاختلاف .

القسم الثالث

الأنـــاجيــل

الفصل الأول

مدخل إلى البحث

نقاط البحث :

نحن لها ــ دعوى سلامة الأناجيل من التحريف ــ الأناجيل بنات التوراة ــ اختلاف القصد والغاية بين التوارة والأناجيل ــ الأناجيل فيها مايكفى ــ إنجيل واحد لا أربعة أناجيل ــ الواقعة صحيحة والتصوير خيال ــ الأناجيل وملحمة رولان ــ هدفان يسبقان تحريف الإنجيل ــ مولد الهدفين ــ متى وعلى يد مَنْ ولدا ؟ .

الفصل الثانى

بولس هو المسئول

نقاط البحث :

موقف بولس من المسيحية ــ بولس ومسوح الكهان ــ حيلة واهية لو تصدى لها عاقل ــ بولس يتحدث عن أخلاقه ــ بولس يرسم هيكل المسيحية المستحدثة ــ عناصر التركيبة جاهزة ــ بولس وأسرار الكنيسة من عهده إلى الآن ــ من أين استقى بولس هذه الأفكار ؟ ــ بولس ناقل لا مبتكر .

الفصل الثالث

مصادر نقل بولس

نقاط البحث :

موت، ابن الإله وقيامه من القبر ؟ ــ وراثة الخطيئة وخرافة الفداء ــ التثليث

والوحدة ــ سببان وراء انتصار بولس ــ السبب السياسى ــ السبب الروحى الاجتماعى ــ سبب ثالث وسيط ولكن مهم ــ المفهوم الجديد للمسيحية فى أفكار بولس . نصوص ونقد ــ سلوك بولس وأعماله . بولس يسبق عصره ؟

الفصل الرابع

مصادر وضع الأناجيل

نقاط البحث :

رسائل بولس ــ أعمال الرسل ــ الرواية الشفوية ــ خيال الكاتب وهواه فى العقيدة والتفكير ــ موجز لما تقدم ــ الأناجيل إلهام أم وحى ؟ ــ ثلاثة آراء متضاربة ــ ضياع الوحى بين هذه الآراء ــ سقطة إلى الحضيض ــ مقارنة بين رأيين ــ رأيان آخران متضاربان ــ دلالة نصوص الأناجيل على نفى الإلهام ــ واقعة القبض على عيسى عليه السلام ــ هل الأناجيل تصوير أمين لحياة المسيح ؟ ــ المجمع المسكونى يدافع عن الباطل ــ واضعو المقدمة للترجمة الجديدة للأناجيل يعترفون ــ ثبت بجملة الآراء فى أصل الأناجيل ــ تطبيق على عبارة إنجيلية ــ اضطراب النصارى فى حقيقة كتابهم المقدس ؟ .

الفصل الخامس

الواقع النصى للأناجيل

نقاط البحث :

نسب المسيح فى إنجيلى متى ولوقا ــ نسب المسيح بعد داود عند متى ولوقا ــ وقفة نقدية مع هذا الاضطراب ــ نوع من التحايل ــ النتيجة ــ صور أخرى من التناقض ــ نصوص لايمكن الجمع بينها عند العقلاء ــ نصوص

تناقض التوراة ــ نصوص معانيها مرفوضة ــ أكل الجسد وشرب الدم ــ وقفة نقدية مع هذه النصوص ــ الواقع النصى للأناجيل . قرار مارتن لوثر حول الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد . أمل ورجاء .

الفصل السادس

دعوى تأليه المسيح

نقاط البحث :

فلسفة القوم في دعوى التأليه ــ إبطال أدلتهم فيها ــ معجزات المسيح من جنس معجزات الأنبياء ــ من معجزات الأنبياء ماهو أكثر إعجابا من معجزات المسيح ــ نوح والطوفان ــ سليمان وعرش بلقيس ــ صانع المعجزات هو الله وليس الأنبياء ــ موقف الأناجيل من دعوى التأليه ــ المسيح فى الأناجيل : إنسان ابن إنسان ــ نبى ــ مرسل ــ وليس إلاهاً . ليس فى الأناجيل نص واحد يفيد وصف المسيح بالألوهية ؟! ــ معنى كلمة « الرب » معنى ابن الله ــ ماذا قال فيها قاموس الكتاب المقدس ؟ ــ دعوى التأليه مبتوتة الصلة بنصوص الأناجيل على علاتها . ؟!

الفصل السابع

المجامع وفكرة التأليه

نقاط البحث :

المسيحية من البياض إلى السواد ــ التأليه بين بولس وقسطنطين-قسطنطين يواجه الاختلافات ــ مجمع نيقية : قراراته ، وصداها ــ مجمع صور يرفض دعوى التأليه ــ المجمع القسطنطينى الأول : أسباب انعقاده ، وقراراته ــ كنيسة الإسكندرية ومذهب نسطورس ــ مجمع أفسس الأول : أسباب انعقاده ، وقراراته ــ مجمع خليكدونية ووقائعه ــ مجامع أخرى لاحقة ــ

أحدهما متهم : إما المسيح وإما المجامع ؟ ــ ترقية المسيح إلى درجة إله جاءت متأخرة ؟! ــ الترقية منحها من لايملك لمن لا يستحق ؟! ــ العقيدة الصحيحة لاتصنع وإنما مصدرها الوحى والإخبار الصادق ــ حقيقة المسيحية المعاصرة .



القسم الرابع

رد مفترياتهم على الإسلام

الفصل الأول

طيعة البحث فى هذا القسم

نقاط البحث :

دعوى ذات أربع شعب ـــ بين الإثبات والنفى ـــ حصر الرسالة فى نسل إسحق ـــ نفى المعجزات عن رسول الإسلام ؟ ـــ دعوى اقتباس القرآن من التوراة ؟ ـــ دعوى نفى الإعجاز عن القرآن ـــ دعوى نفى البشارة برسول الإسلام ـــ استشهاد الخصم بالقرآن ومايترتب عليه .

الفصل الثانى

دعوى حصر الرسالة فى ذرية إسحق ؟

نقاط البحث :

المزعم الأول ـــ حصر النبوة والحكم والكتاب ـــ أدلتهم عليه من نصوصهم ومن القرآن ـــ مناقشة أدلتهم وبطلانها ـــ خطأ الفهم هو السبب ـــ المزعم الثانى ـــ دعوى اختصاص إسحق وذريته بالسيادة ـــ أدلتهم عليه ـــ مناقشة الأدلة وبطلان ماأرادوه منها ـــ المزعم الثالث ـــ دعوى أن الذبيح هو إسحق لا إسماعيل ـــ نقد تلك الدعوى وبطلانها ـــ عودة لبطلان سلامة الكتاب المقدس من التحريف ـــ بطلان دعاويهم بأدلة قاطعة ـــ الإثنا عشر أم الإثنان ؟ ـــ دفاع عن الآيات التى استدلوا بها ـــ صواعق فى آذانهم من شهب الحق ـــ منهج الخصوم فى استشهادهم بالقرآن ـــ السبب فى سلوك هذا المنهج ـــ عودة لدعوى الاختصاص ـــ الذبيح اسماعيل لا إسحق . الأدلة القاطعة فى هذا

المذهب ـــ منهج القرآن فى تقديم أحد الأخوين (إسماعيل ـــ إسحق) على الآخر ـــ أسرار هذا المنهج .

الفصل الثالث

دعوى نفى المعجزات عن رسول الإسلام

نقاط البحث :

أدلتهم على هذه الدعوى ـــ إن كانت هذه أدلة فعيسى لم يأت بمعجزة واحدة ؟ ـــ لوقا ... عيسى والشيطان ـــ طلب المعجزة والجيل الشرير ـــ صور من معجزات رسول الإسلام ـــ خوارق المولد والمنشأ ـــ هزيمة أصحاب الفيل ـــ قصة بحيرا الراهب ـــ خوارق البعثة ـــ استراق السمع ورجم الشياطين ـــ ظاهرة تدبر ، وظاهرة تقبل ـــ انشقاق القمر ـــ اعتراض إن ورد فهو مردود ـــ انقلاب الخشبة سيفا ـــ رد عين قتادة ـــ رد البصر على ضرير ـــ شفاء مريض بالجنون ـــ أدعية استجيبت فى الحال ـــ الماء ينبع من بين أصابعه ـــ الطعام ينمو بين يديه ـــ رفع بيت المقدس ـــ إخبار عن الغيب مايزال يتحقق .

الفصل الرابع

دعوى نفى الإعجاز عن القرآن ؟

نقاط البحث :

فروق عظيمة بين معجزات رسول الإسلام والرسل السابقين ـــ فريتان بنى عليهما الخصوم مطاعنهم فى القرآن ـــ الفرية الأولى ومواجهتها ـــ القرآن واجه هذه الفرية فى عصر النزول ـــ القرآن يتحدى ويفحم ـــ خمس خطوات فى المواجهة ـــ مواقف منكرى الدعوة بعد العجز عن المحاكاة ـــ موقف النبى وصحبه من تلك المواقف ـــ الفرية الثانية ـــ دعوى الاقتباس ـــ أدلة يقينية تنفى

اقتباس القرآن من غيره ــ الاقتباس فى القرآن مستحيل علميا وعقليا . توضيح واف لهذا ــ المذهب مقارنات بين المصادر ــ القرآن دائماً هو المنتصر ــ لو كان القرآن مقتبساً لما أتى بأى جديد ، ولما صحح أخطاء وردت فى العهدين ــ وقفة فاصلة مع دعوى الاقتباس .

الفصل الخامس

شواهد قرآنية على إعجازه المستمر

نقاط البحث :

حقائق كونية ــ ست مراحل للخلق ــ تداخل مراحل الخلق ــ قيمة هذه الإشارات ــ خلق الكون من مادة أولية متماسكة ــ تعدد الكواكب التى تشبه الأرض ــ مخلوقات وسيطة بين السماء والأرض ــ شواهد قرآنية والربط بينها وبين الحقائق العلمية المسلمة ــ تأملات فى مظاهر الكون ــ حقائق بين السماء والأرض ــ حقائق أرضيه ــ حقائق مائية ــ تكوين الماء ــ تخزين الماء ــ تصريف الماء ــ وظيفة الماء ــ حقائق عن الرياح ــ الكشوف العلمية الحديثة وإشارات القرآن الحكيم ــ اقتراح موجه إلى الخصوم .

الفصل السادس

دعوى نفي التبشير برسول الإسلام

نقاط البحث :

قيمة البشارات ــ رسول الإسلام ليس فى حاجة إليها ــ بشاراته فى التوراة ــ بشارات التوراة لا صاحب لها سوى رسول الإسلام ــ بطلان مزاعم أهل الكتاب ــ داود يتحدث عن مكة المكرمة ــ داود يصف مواسم الحج ــ ويتحدث عن الكعبة الشريفة ــ أشعيا ينهج منهج داود ــ طرق وصول الحجاج إلى مكة كما تصورها نصوص فى سفر أشعيا ــ النقل البرى ــ

النقل البحرى ــ النقل الجوى ــ حبقوق يبشر برسول الإسلام ــ دلالات هذه البشارات ــ بشاراته ﷺ فى الأناجيل ــ معنى الفارقليط هو السبب ــ إنقاذ ما يمكن إنقاذه .

الفصل السابع

اعتراف بالرسالة ــ ولكن بشرط ؟

نقاط البحث :

قوة الحق تحمل أهل الكتاب على الاعتراف برسول الإسلام ــ المكابرة والحقد يحملانهم على وضع شرط بالاعتراف ــ مواجهة الإسلام لهم من جهتين ــ الجهة الأولى : من واقع الخصوم أنفسهم ــ الجهة الثانية : من الواقع الإسلامى نفسه ــ عالمية الإسلام هى الحق نظريا وعمليا ولو كره المعاندون .





الدكتور عبد العظيم المطعني

الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي

القسم الأول

التوراة بين التحريف والتبديل



الفصل الأول

دعوى سلامة التوارة من التحريف

أصل التوراة ومولدها

قلنا فى التمهيد أن واضعى رواية **الباكورة الشهية** ، **فى الروايات الدينية** ــ وهذا هو اسم الكتاب الذى نناقشه هنا ــ قد أداروا الأمر كله على ادعاء سلامة مايسمونه بـ « **الكتاب المقدس** » من التحريف . وقد بنوا أمر تلك السلامة **المدعاة** على شبهتين حسبوهما دليلين . وقد اختلقوهما اختلاقا ــ كما سنرى ــ وهانحن أولاء نناقش مدعاهم فى الشبهة الأولى . وفيها يقول واضعو هذه الرواية الهزلية .

« ... وبعنايته تعالى ، قد حفظت ــ يعنى التوراة ــ إلى يومنا هذا[1] سالمة من التحريف والتصحيف والتغيير والتبديل ومامن عاقل يرتاب فى ذلك غب وقوفه على البينات الوطيدة (!) والبراهين السديدة ، التى لهذا الكتاب الجليل (!؟) دون بقية الكتب (!؟) وحُبًّا فى الاختصار أقتصر[2] على ذكر اثنين منها وهما :

الأولى : سلامته من أثر غايات الناس وميولهم .. ؟!

لايخفى أن هذا الكتاب الإلهى (؟!) الأقدم من كل ماكتب فى العالم موجود بأيدى العبرانيين اليهود باللغة التى أنزل فيها طبق ماهو بيد النصارى بلغات مختلفة ، إلا ماندر[3] . مما لايؤثر ألبتة فى غاية الكتاب وقصده .! وهو

---

١ ــ اليوم المشار إليه هنا هو أول أغسطس ١٨٦١ م . وهو تحديد وهمى إذ الرواية كلها وهمية لا حقيقة لها .

٢ ــ أسند الفعل هنا للمفرد والحق إسناده إلى جماعة واضعى الرواية الهزلية . فهى عمل جماعى فيما نرجح وليس فرديا .

٣ ــ هذا تسليم من واضعى هذه الرواية الهزلية بأن فى التوراة اختلافا وتحريفا . وإن كانوا يزعمون بأنه لايؤثر فى صحة الكتاب .. وهكذا تعثرت خطاهم وهم فى بداية الطريق ..؟!

مع كونه باعتبار نبواته [٤] يضاد اليهود فى إنكارهم المسيح ، وكفرهم به ، ويضاد كثيراً من فرائض وطقوس أكثر المذاهب النصرانية ، مع ذلك لم يقدم هؤلاء ولا أولئك على تغيير أو تبديل شيء من نصوصه ، بحيث يكون على نوع ما موافقا لآرائهم ، واصطلاحات عبادتهم ، فلا جرم أن ذلك من أقطع الأدلة على كونه محفوظا أبداً بيد من أنزله تعالى من التلعب فيه ، رغما عن كل مقاوميه ومضاديه » [٥] انتهى كلامهم . وذلك حسب زعمهم هو الدعوى والدليل ... !؟

مناقشة هذه الشبهة :

واضعو هذه الرواية ــ كما علمنا ــ مستشرقون مسيحيون نصارى . وبين اليهود والنصارى مابين الضب والنون كما يقال فى المثل فالضب حيوان برى صحراوى لو نزل فى الماء لمات لساعته . والنون ــ أى السمك ــ حيوان مائى إذا أخرج من الماء مات لساعته فهما لايجتمعان أبداً . فما الذى حمل واضعى الرواية الهزلية وهم من فصيلة « النون » على الدفاع عن اليهود ، وهم من فصيلة الضب وهكذا فإن « النونيين » دائما يدافعون عن « الضبيين » ولم يظفر « النونيون » قط بدفاع من « الضبيين » ولو مجاملة ومحاباة فما هو السر وراء هذا كله .. ؟

الجواب يسير ، وهو أن « النونيين » قد ضموا منذ القدم أسفار العهد القديم = التوراة وملحقاتها ــ إلى أناجيلهم وأعمال رسلهم ، وأطلقوا على الجميع اسم : الكتاب المقدس ــ فهم إذن مضطرون للدفاع عن التوراة ، وهم فى ذلك الدفاع ــ مكرهون وليسوا أبطالاً . !

لأنهم لو سلموا بفضائح العهد القديم وأراجيفه وهذياناته ، لكان ذلك موافقة ــ منهم بانهيار الأساس الذى يقوم عليه عهدهم الجديد بأناجيله

---

٤ ــ المقصود من « النبوات » هنا هو التنجيم وقراءة العيب .

٥ ــ الرواية (ص ٣ ص ٤) .

الأربعة ، وأعمال رسلهم . ولهذا فإن بعض نقاد الكتاب المقدس يرون أن « النونيين » قد ورطوا أنفسهم بضم أسفار العهد القديم إلى أناجيلهم . فكان الخير لهم فى فصل العهدين فيكون ما للضبيين للضبيين ، وما للنونيين للنونيين على حد قول إنجيلهم : دع مالقيصر لقيصر ، ومالله لله .؟

وأقول : إن هذا القول فيه حسن ظن بالعهد الجديد من قبل هؤلاء النقاد ، إذ يرون فى الفصل بين العهدين منجاة للنونيين من أوزار الضبيين ــ اليهود ــ وليس الأمر كما ظنوا .

فللنونيين فى أناجيلهم أوزار خاصة بهم ، كفيلة هى وحدها بسقوط عهدهم ، إذا وضعنا فى الاعتبار أن الهدف من كل كتاب موحى به من عند الله أن يبين للناس :

١ ــ العقيدة الصحيحة فى الله .
٢ ــ العقيدة الصحيحة فى الرسل .
٣ ــ المنهج القويم فى الخلق والسلوك العام والخاص .
٤ ــ التوجيه السديد لشئون الحياة فى كل المجالات منها ..

وهذه الأمور لاوجود لها فى عهد الضبيين ــ اليهود ــ ولا فى عهد النونيين ــ النصارى ــ فليس فى واحدٍ منها قطعاً مايُقنع من يريد أن يعرف « الله ــ حقا » وأن يعبده حقاً . وأن يعرف الرسل حقا ، وأن يسير فى حياته على هدىً لايخالجه فيه شك . فالنونيون دائما ــ فى ورطة مثل الضبيين . سواء ضموا أسفار العهد القديم إلى عهدهم أو لم يضموه . فلكل منهم « شيء يُرَدُّبه » ؟!

والقرآن الحكيم أصدق وصفا لحال النونيين مع حال الضبيين ، من هؤلاء النقاد ــ المجاملين ــ ؛ لأننا إذا استعرنا قوله تعالى :

﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ، ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ﴾ (٦)

٦ ــ النحل ٢٥ .

إذا استعرنا هذا لَكُنّا أكثر صدقا فى تصوير هذه الحال . فالذين يحملون أوزارهم كاملة يوم القيامة ، ويحملون ــ بالإضافة إلى أوزارهم ــ بعضا من أوزار الذين يضلونهم ــ بغير علم ــ هم هؤلاء المدافعون عن أسفار العهد القديم . وكتاب العهد القديم هم الذين أضلوا أصحاب العهد الجديد بغير علم .. ؟!

مجرد وهم

ونعود فنقول : إن الذى يحاول واضعو هذه الرواية الهزلية هنا ، من أن الكتاب المقدس يخلو من أثر غايات الناس وميولهم ، إنما هو مجرد وهم ، لم يَقم دليل واحد على قبوله ، أو حتى شبه دليل . وإنما قامت عشرات الأدلة القاطعة على إثبات ضد هذا المدعى ، إلى درجة اليقين ولم يقل بهذا المسلمون ــ وحدهم ــ بل صرَّح به كثيرون من رجال الدين المسيحى وآباء كنائسهم . وكثيرون من مفكريهم الموضوعيين ، قُدامى ومعاصرين . !

ومما هو أعجب من هذا أن من بين اليهود أنفسهم من صرَّح به ، وذاع أمره بين الشرق والغرب . وكذلك فإن واضعى هذه الرواية الهزلية قد أشاروا إليه فى أكثر من موضع منها ، وهم بصدد الدفاع عن كتابهم هذا الذى يدعونه مقدسا ... ؟!

وقد ظهرت هذه الحقائق ــ لدى غير المسلمين ــ حين وجه فريق ــ وهم كَثْرةٌ ــ من علماء اللاهوت ، ومفكريهم عنايتهم إلى دراسة نصوص كتابهم المقدس بعهديه القديم ــ التوراة ــ والجديد ــ الإنجيل ــ وأخضعوها لعمل نقدى جاد ، على ضوء الأسس التى يعتمدها منهج البحث الحديث . فدرسوا النصوص تحت سلطان : العقل والعلم ، والواقع ، أو تاريخ النصوص .

وبعد النتائج المذهلة التى أسفرت عنها الدراسات والنقود ، انقسم الدارسون ثلاثة أقسام لا يختلف معنا حولها منصف .

القسم الأول :

ويمثله رجال مجامعهم الكنسية . وهؤلاء لم يعبأوا بتلك النتائج ــ للأسف ــ لاصطدامها الصارخ بالعقائد الموروثة التى يتشبثون بها ، وهم القدوة فيها لأتباعهم الذين لاحول لهم ولاقوة إلا أن يقبلوا مايقال له من غث وسمين . فاستهانوا بقيم العقل والعلم والواقع ، ووضعوا بديلاً واهيا لها ، وهو : أن مسائل الإيمان إنما هى « منحة » يجب التسليم بها بلا نقاش ، وإن اختلفت مع كل الحقائق المسلم بها ... ؟!

والقسم الثانى :

ويمثله بعض آباء الكنيسة ، مضموما إليهم بعض المفكرين من غير رجال الدين . وهؤلاء احترموا تلك النتائج نصف احترام . حيث لم يهدروها جملة . فهى مسلم بها عندهم ، ولكنهم مع ذلك التسليم ظلوا على عقيدتهم الموروثة ، والتى لانكون متجاوزين حد المعقول إذا قلنا إنها ــ أى العقيدة الموروثة ــ لم تحظ عندهم بالاحترام كله ، وإنما هى تحوز لديهم النصف الآخر من الاحترام . هذا من حيث ما يظهر لنا ، أما بواطن النفوس ، فعلمها عند ربى ، هو وحده العليم بها .

أما القسم الثالث :

ولايكاد يمثله نوع موصوف بصفة معينة ، بل هو شائع بين أنماط مختلفة التكوين والثقافات فمنهم الشباب ، ومنهم رجال الأعمال ، وأصحاب الحرف . ومنهم مفكرون كبار أسهموا فى حركة الفكر الغربى وكانت لهم آراء ترددت فى كل حقل ثقافى . كل هؤلاء لم يقنعهم الكتاب المقدس بعهديه . ثم تفرقت بهم السبل بعد ذلك :

فمنهم فريق آثر الإلحاد على الإيمان ، وانتشر أمر هذه الظاهرة فى مطلع القرن الثالث عشر الميلادى وخفّت الكنيسة فى كل مكان فى فرنسا ، وألمانيا ، وفى إيطاليا ، وفى أسبانيا تواجه هذا الخطر الذى أسمته بـ « **الهرطقة** » وكانت

تعنى التحريف فى الدين والخروج على تعاليم الكتاب المقدس . ولما ضاقت ذرعاً بهذا تضافرت جهود البابوات مع جهود الملوك وأنشأوا « **محاكم التفتيش** » المشهورة ، التى كان من سلطانها الأخذ بالظنة وإحراق من يرى المحققون فيها أنه « مهرطق » وكانت أقصى صور العقاب فيها لمن يخرج على الكنيسة وتعاليم الكتاب المقدس ـــ العهد الجديد ـــ هو الإحراق بالنار وهو حى (؟!) وكان الإحراق فى أحيان كثيرة ينفذ فى جماعات هائلة على مرأى ومسمع من الشهود . وهذا بالإضافة إلى عقوبات أخرى سنعرض لها فى شىء من التفصيل فى بقية فصول هذا الكتاب .

وفى العصر الحديث فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى حملت الشكوك بعض كبار المثقفين الغربيين من أمثال فولتير وآرنست رينان وغيرهم على القول بأنّ شخصية المسيح كما يصورها العهد الجديد من الكتاب المقدس لا وجود لها . فهى ـــ عندهم ـــ أسطورية خرافيه صنعها خيال بولس المسمى بـ « بولس الرسول » وكُتَّاب الأناجيل من بعده (٧) وسوف نزيد هذا المعنى وضوحاً فيما يأتى من فصول الكتاب ، وفريق آخر اتجه نحو الإسلام بعد دراسة أقنعت هؤلاء بأن العقيدة الإسلامية هى العقيدة الوحيدة « المعقولة » التى برئت من الزيف والتحريف . وزاد فى العصر الحديث تعداد الذين يعتنقون الإسلام ، ويشرحون الأسباب ، التى دعتهم إليه . والأسباب التى حملتهم على ترك عقائدهم الموروثة . ولاغرو فإن ما يقوله حتى الضالعون فى الكنيسة من رجال اللاهوت عن كتابهم المقدس يكشف عن التردى المريع الذى صار إليه هذا الكتاب (المقدس) ففى دراسة حديثة قام بها كاتب مسيحى لاهوتى جاءت عبارة قصيرة ولكنها عميقة الدلالة إذ يقول : « وإذا مااستمر الفريسيون (٨) فى تنقيح كتاب المسيحيين المقدس ، فلن يبقى من ذلك الكتاب الجليل (!؟) سوى هيكل مهلهل جائع » (٩) .

٧ ـــ انظر قصة الحضارة لول ديورانت (جـ ١١ ص ٢٠٤) ترجمة محمد بدران .

٨ ـــ أى النقاد . وسيأتى شرح دقيق لهذه الكلمة عند الحديث عن التوراة .

٩ ـــ راجع كتاب « التوراة : تاريخها وغاياتها » (ص ١٣) ترجمة وتعليق سهيل ميخائيل ديب ـــ مطبوعات دار النفائس ـــ لبنان .

وهذا قليل من كثير مما قيل ويقال عن العهد الجديد من الكتاب المقدس . أما العهد القديم : التوارة وملحاقتها ، والتى اتخذ مؤلفو هذه الرواية الهزلية من الدفاع عنها وسيلة للتسليم بسلامة الكتاب المقدس كله من التحريف أما هذه التوراة فإن ماكتب عنها حتى الآن على يد علماء اللاهوت المسيحيين ، ومفكريهم الموضوعيين فشيء يفوق الإحاطة . ونكتفى بما فيه الدلالة منه خشية الإطالة .

وليس يغيب عن القارىء أن القضية المثارة ــ هنا ــ بالنسبة للتوراة هل هى تصور الوحى الإلهى الحق إلى موسى ــ عليه السلام ــ أم هى قد خضعت لأهواء اليهود فأدخلوا فيها ماليس بوحى ؟

واضعو الرواية الهزلية يزعمون أنها خالية من أثر غايات الناس ــ أى اليهود ــ وميولهم . فهل ــ ياترى ــ هذا الزعم صحيح . ومامدى قدرته على « الثبوت » أمام النقد الفاحص . ذلك مانعرض له الآن .

طريق قصير

والواقع أن الطريق الموصل إلى الإجابة الصحيحة على هذا التساؤل طريق قصير . وليس الذى يريد خوض هذه المعركة فى حاجة إلى سلاح يستعمله فيها غير سلاح التوراة نفسها ، وسرعان ماتأتى النتائج . فالتوراة هيكل ضخم مثل البالونة المنتفخة بهواء أكثره فاسد ، ويكفى فى تفريغها أن تثقبها بدبوس صغير فإذا هى زائلة . ولن يبقى منها إلا حجم « البالون » نفسه مع قليل من الهواء النقى ، ولكنه لايسمن ولايغنى من جوع . إنها هيكل ضخم آفته فيه . ونحن فى هذا الفرع لن نستعجل « الثقب » بالدبوس ، وإنما سنعرض لأقوال أهل الكتاب من العهدين فى شأن تلك التوراة . وهى وحدها كفيلة أن تزهد العقلاء فيها ، فضلا عن المؤمنين بها إن كان فى الوجود من يؤمن بها إيمانا كاملاً .

أزمة لها عدة وجوه ... ؟!

نصوص الكتاب المقدس ــ بعهديه ــ فى أزمة قاتلة لها عدة وجوه .

الوجه الأول : يتعلق بميلادها وتكوينها ، وعلى يد من ولدت وماهو أول ما ولد منها .... ؟

فإذا اجتزنا هذه العقبة الكؤود ، وصَعْبٌ اجتيازها واجهتنا ، أو بعبارة أدق — واجهت أصحابها مشكلة أخرى لاتقل خطورتها عن الأولى ، وهى المقاصد التى احتوت عليها تلك النصوص ، وتنافرها تنافراً شديداً مع بعضها من ناحية . ثم تنافرها مع الحقائق العقلية والعلمية ، وحقائق الإيمان الصحيح ... ؟! من ناحية أخرى .

وهاتان المشكلتان تؤديان — فيما تؤديان إليه — إلى **سؤال مهم** مشطور إلى شطرين : أ — ب .
أما الشطر الأول — أ — فموجه إلى العهد القديم : التوراة وملحقاتها .

والشطر الثانى من السؤال — ب — موجه إلى العهد الجديد : إنجيل متى ، وإنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنا .
وفحوى هذا الشطر الموجه إلى العهد الجديد : هل هذه الأناجيل تعتبر — بحق — روايات شهود عيان لأقوال المسيح وأفعاله وهذا سؤال ليس بالهين . والإجابة عليه محرجة جداً .. سواء كانت بالنفى أو الإيجاب . وسوف نوفى القول حقه فى هذا المجال فيما بعد .

أما الشطر — أ — الموجه إلى العهد القديم فمؤداه :
هل العهد القديم . أو هل أسفار موسى الخمسة المسطورة فى التوراة الآن هى — بحق — تمثل وحى الله إلى موسى عليه السلام ....

والإجابة على هذا الشطر محرجة جداً — كسابقتها — على أى وجه كانت : لا .. أم نعم
وينبغى أن يلاحظ القارىء أن هذه التساؤلات التى أشرنا إليها ، وغيرها مما لم نشر إليه ، لم يثرها المسلمون وإنما أثارها أهل الكتاب أنفسهم — وبخاصة النصارى — ولايزالون يثيرونها دون أن يصلوا إلى رأى مجمع عليه بينهم فى

معظمها ، مع أن أحدث العهدين ــ أعنى الجديد منهما ــ قد شاخ وهرم حيث بلغ من العمر ألفى عام إلا قليلاً . فما بالك بأقدمهما الذى تجاوز من العمر ثلاثة الاف عام ... ؟

وبديهى أن الخلاف قائم حول الأصول والقواعد الأم فى كلا العهدين . ولست أدرى ماهو نصيب عقيدة من الصحة والقبول تقوم على أسس متهمة . قبولها للرفض أرحب من قبولها للإثبات .

وتلك مشكلة أهل الكتابين وليست مشكلتنا نحن . وما دعانا للخوض فيها إلا بدؤهم إيانا بالهجوم ، ومحاولة بناء صروحهم المتداعية على أنقاض صروحنا . وهيهات هيهات أن يتحقق لهم شيء مما يحاولون . ؟!

مايحاولونه محال ... !

ولو أنهم تدبروا قراءة الواقع الإسلامى خلال القرنين التاسع عشر ، والعشرين الميلاديين ، لأدركوا أن الذى يحاولونه محال . فالقرن التاسع عشر بدأ وتعداد المسلمين فى العالم ثلاثمائة مليون مسلم . وانتهى وتعداد المسلمين أربعمائة مليون مسلم فى العالم . وهى بداية القرن العشرين . وسوف ينتهى القرن العشرون وتعداد المسلمين فى العالم ألف مليون مسلم كما جاء فى تصريحات العديد من المسئولين الكبار فى العالم الإسلامى وبوقفة قصيرة ندرك أن زيادة المسلمين فى القرن التاسع عشر كانت مائة مليون مسلم . أما فى نهاية القرن العشرين فإن حجم الزيادة يبلغ ، أو لعله قد بلغ ، ستمائة مليون مسلم ومعدل الزيادة بين القرنين هو ٣٣٫٣ ٪ إلى ١٥٠ ٪ ... ؟! ودلالة هذه الأرقام أن الإسلام دائما فى نمو ، ونمو مذهل ولن يعرف الانكماش مهما كانت الصعوبات التى تقف فى طريقه الآن ، ومنها مؤامرات التبشير والمبشرين .

وليس مرجع هذه الزيادة هو النمو السكانى فحسب ، بل إن عوامل أخرى منها إسلام الكثير من غير المسلمين ومنها استقلال دول كانت ترزح تحت أوزار الاستعمار الإنجليزى كالباكستان أو الهولندى كأندونسيا . وكانت هذه

الدول قبل تحررها معدومة الصفة ، مسلوبة الإرادة ، بل والدين . ! ولو أنهم رجعوا إلى قراءة « تقارير » رؤساء قوافل التبشير من أسلافهم فى مطلع القرن التاسع عشر لوجدوا أن تلك « التقارير » أجمعت على صعوبة تحويل المسلم عن عقيدته إلى عقيدة أخرى . وأنهم حين رأوا قوة تمنع المسلمين عن التخلى عن دينهم راحوا يبشرون بين النصارى بتحويلهم من مذهب نصرانى إلى مذهب نصرانى آخر[١٠] ... !؟

فإن نازعنا واضعو الرواية الهزلية في التسليم بهذه الحقائق ، فلنا عندهم — مجتمعين ومفترقين — مطلب واحد وهو أن يأتونا بإحصاء موثق لمن تنصر أو تهود من المسلمين من مطلع القرن العشرين إلى الآن (١٩٨٠ م) على أن نأتيهم نحن بإحصاء موثق لمن اعتنق الإسلام من غير المسلمين فى الفترة المشار إليها نفسها ، ثم لننظر كفة من ترجح . مع ملاحظة أننا لم ولن نحاول « تسليم » نصرانى أو يهودى كما يجهدون هم فى « تنصير » المسلمين .؟!

متى وعلى يد من ولدت التوراة ... ؟

سؤال صعب ، ونتائجه ، خطيرة جداً . وهو سؤال تردد منذ القديم ، ومايزال يتردد بصورة ملحة ، بل وعنيفة دون أن يظفر بجواب .

وقد عرض له — فيمن عرض — العالم المؤرخ الذائع الصيت ول ديوارنت المسيحى العقيدة ، والأمريكى الجنسية .

فهو متفق إلى حد كبير مع ما نقرره هنا ، وقد صاغ السؤال باختلاف يسير ، ولكنه أنهى تساؤله بعبارة عميقة الدلالة ، من أجلها — وحدها — ننقل نصه هنا ، والذى فيه يقول :

« كيف كتبت هذه الأسفار ؟ — أى التوراة — ومتى كتبت ؟
« ذلك سؤال برىء لا ضير منه (؟!) ولكنه سؤال كتب فيه خمسون ألف

---

١٠ — الإسلام فى القرن العشرين حاضره ومستقبله للأستاذ عباس محمود العقاد (ص ١١١) دار الكتاب العربى بيروت .

مجلد . ويجب أن نفرغ منه هنا فى فقرة واحدة . نتركه بعدها من غير جواب ... »[11] ؟!

وأدعو القراء أن يقفوا أمام قوله : « نتركه بعدها من غير جواب » !؟

وخطورة هذا السؤال تأتى من أن المعروف أن التوراة كتاب أنزله الله على رسوله موسى ــ عليه السلام ــ فهو كتاب « وحى » وكتب الوحى لايتعلق بها سؤال من هذا النوع ؛ لأنها معروفة المصدر والزمان والمكان وإنما يتعلق هذا السؤال بالآثار المجهولة كقطعة من النقوش القديمة ــ مثلا ــ فما وجه هذا السؤال بالنسبة للتوراة ؟ ومثلها الأناجيل كما سيأتى .

والواقع أن هناك فروقا كبيرة جداً بين التوراة المسئول عنها هنا ، وبين التوراة ــ الحق ــ التى أنزلها الله على موسى ــ عليه السلام ــ .

فهذه التوارة المسئول عنها جاء ميلادها متأخراً جداً عن العصر الذى عاش فيه كليم الله موسى ــ عليه السلام ــ فمما لاخلاف فيه أن بين عصر موسى ، وميلاد عيسى ــ عليهما السلام ــ أكثر من ألف عام .

فقد ذهب بعض المحققين المعاصرين إلى أن خروج موسى ــ عليه السلام ــ من مصر كان فى حوالى ١٢١٠ قبل ميلاد السيد المسيح وأن يوشع تلميذ موسى الذى تولى أمر بنى إسرائيل بعد وفاة موسى مات هو أيضا عام ١١٣٠ قبل الميلاد .[12]

ومن هذا التاريخ (١١٣٠ ق ــ م) ظلت التوراة التى أنزلها الله على موسى مجهولة لدى من أنزلت على رسولهم وهم بنو إسرائيل حتى عام ٤٤٤ قبل الميلاد ، أى حوالى سبعة قرون من الزمن ؟!؟ فى هذا العام فقط عرف بنو إسرائيل أن لهم كتابا . ؟!
ولكن كيف عرفوه .. ؟!

---

١١ ــ قصة الحضارة (جـ ٢ ص ٣٦٧) ترجمة محمد بدران .

١٢ ــ تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم (جـ١ ص ١٤٨) تأليف المحقق محمد عزة دروزة .

سؤال آخر عجيب ، والإجابة عليه أعجب .
فهذا ول ديورانت المتقدم ذكره يضع أمامنا طريقتين للإجابة :.

إحداهما : أن كهنة بنى إسرائيل هالهم كفر شعبهم وعبادتهم آلهة متعددة ، وانصرافهم عن عبادة « يهوه » أو « رب الجنود » إله بنى إسرائيل .
فأبلغ الكاهن « خلقيا » ملك بنى إسرائيل « يوشيا » أنه ــ أى الكاهن ــ وجد فى ملفات الهيكل ملفا عجيباً قضى فيه موسى نفسه فى جميع المشكلات التاريخية والخلقية التى كانت مثار الجدل العنيف بين الأنبياء والكهنة فدعا يوشيا كبارهم ــ أى كبار الكهنة ــ إلى الهيكل وتلا عليهم فيه « سفر الشريعة » المعثور عليه فى حضرة الآلاف من الشعب . ثم أقسم ليطيعن من هذا الوقت ماجاء فى هذا السفر[13]. ويقرر « ول » بعد ذلك أن هذا السفر المعثور عليه لايعلم أحد ماهو ... ؟!

وثانيتهما : أن اليهود بعد عودتهم إلى فلسطين من نفى بابل [كان بنو خد نصر ملك بابل قد أغار على بنى إسرائيل عام ٥٨٧ قبل الميلاد وضرب مدينة أورشليم (القدس) وأسر منهم اثنى عشر ألفا إلى بابل . وفى عام ٥٣٨ قبل الميلاد غزا قورش ملك الفرس بابل وانتصر عليهم وسمح لليهود بالعودة إلى فلسطين][14]ــ بعد تلك العودة كانوا يشعرون أنهم فى حاجة ماسة إلى نوع من الإدارة يهيىء لهم الوحدة القومية والنظام ، فشرع الكهنة فى وضع قواعد حكم دينى ، يقوم على المأثور من أقوال الكهنة القدماء وعلى أوامر الله .

فدعا عزرا وهو كاهن عالم اليهود إلى اجتماع عام خطير ، وقد أخذ يقرأ عليهم هو وسبعة من الكهان سفر شريعة موسى من مطلع النهار إلى منتصفه . ولما فرغوا من قراءته أقسم الكهان والزعماء والشعب على أن يطيعوا هذه الشرائع ويتخذوها دستوراً لهم ... إلى أبد الآبدين.[15]

---

١٣ ــ قصة الحضارة (حـ ٢ ص ٣٥٦) .
١٤ ــ انظر فقه اللغة (ص ٥٠) د. على عبد الواحد وافى .
١٥ ــ قصة الحضارة (حـ ٢ ص ٣٦٦) .

ويتساءل ول ديورانت بعد أن عرض الطريقتين هل السفر الذى قرأه عزرا وزملاؤه هو نفس السفر الذى قرأه يوشيا فى الطريقة الأولى .

ويجيب بالقطع ليس هو ؛ لأن سفر يوشيا قد صرحت الرواية أنه قرىء على الكهنة فى اليوم مرتين كاملتين . بينما سفر عزرا قرأه ثمانية كهان فى أسبوع مرة واحدة ، فسفر يوشيا ـــ إذن ـــ قصير جداً . وسغر عزرا طويل جداً قرىء فى ستة وخمسين نصف يوم (٢٨ يوماً) وسفر يوشيا قرىء فى نصف يوم واحد . أى بنسبة : ١ ـــ ٥٦ هذا هو مولد التوراة وكيفية ولادتها كما يروى ول ديورانت[١٦] الذى يقول بعد ذلك بالحرف الواحد :

« وظلت هذه الشرائع من تلك الأيام النكدة إلى يومنا هذا هى المحور الذى تدور عليه حياة اليهود »[١٧]

أصل التوراة ... مصادفتان ؟!

أجل كانت هاتان المصادفتان هما أصل التوراة المعروفة الآن على ضخامتها (٣٩ سفراً أى بابا ـــ و٩٢٩ إصحاحاً أى فصلا) ثم تولد عنها كل مالدى اليهود الآن من كتب : الجمارا ، والمشنا والمدراش ، والتلمود ، وبروتوكولات حكماء صهيون .. !

وهنا يسأل العقل الحديث عدة أسئلة :

★ كيف يظل كتاب موحى به طوال سبعة قرون مخفيا فى هيكل ثم يعثر عليه فجأة ولايرتاب العاثرون عليه فى صحته ، ولايبذلون جهداً فى التحرى عنه بل يسلمون به جملة وتفصيلا ساعة عثروا عليه .. ؟!

★ ومتى بدأ ذلك الإخفاء . أبعد عهد موسى بقليل أم بكثير .؟ وإذا كان هذا محتملا بالنسبة لأسفار موسى الخمسة فيكون الإخفاء حدث مرة واحدة . فهل ذلك يمكن بالنسبة للأنبياء الذين جاءوا بعد موسى ومنهم من كان قريباً إلى

---

١٦ ـــ ول ديورانت كاتب معاصر بدأ عمله هذا عام ١٩٣٥ م .

١٧ ـــ نفس المصدر السابق .

عهد العثور المذكور .. ؟!

* هل كان إخفاء الوحى هى الطريقة المفضلة عند بنى إسرائيل كلما جاءهم رسول بوحى أخفوا وحيه بعد وفاته .؟

* ومن الذى كان يقوم بإخفاء الوحى أهم الملوك أم الكهنة أم هم معاً.. ؟!

* وأى الروايتين نصدق ؟ أنصدق الرواية الأولى التى حدثت فى عهد يوشيا أم نصدق الثانية التى حدثت بعد العودة من النفى البابلى وكان بطلها الكاهن عزرا وزملاؤه السبعة الكرام ... ؟

إن الغموض يحيط بما يرويه ديورانت من كل جهة ولعل الرجل كان يدرك صعوبة مايرويه ولذلك فإنه احتاط لنفسه بقوله السابق .. ونتركها بعدها من غير جواب .. وفعلا فقد تركها من غير جواب . ؟ لقد ترك ديورانت كتب العهد القديم المسمى بـ « التوارة » دعوى بغير دليل ، بعيدة كل البعد عن أن تحوز أدنى ثقة من عاقل يحترم عقله وفكره .

ابن القيم يتفق ويختلف مع ديورانت :

ويروى شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ رواية عن أحد معاصريه من اليهود ، وقد وصفه ابن القيم بأنه « من علمائهم الراسخين فى العلم » روى عنه رواية فى ميلاد التوراة . يبين فيها الأسباب التى حملت اليهود على تحريفها وشحنها بما فيها من باطل ، وهذه الرواية تتفق وتختلف مع الرواية الثانية التى نقلناها عن ول ديورانت آنفا .
وفيها يقول اليهودى :

« لسنا نرى أن هذه الكفريات كانت فى التوراة المنزلة على موسى . ولانقول أيضا إن اليهود قد قصدوا تغييرها وإفسادها .. قال : ونحن نذكر حقيقة سبب تبديل التوراة . فإن علماء القوم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التى بأيديهم لايعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم أنها عين التوراة المنزلة على موسى بن عمران ألبته .... ويرجع السبب فى التحريف إلى أن موسى ــ عليه

السلام ـــ صان التوارة عن بنى إسرائيل خشية أن يحرقوها ويختلفوا فى شأنها من بعده ولهذا فقد سلم موسى التوارة إلى عشيرته أولاد لاوى ..... وكان اللاويون هم قضاة بنى إسرائيل وحكامهم . وظلت التوارة فيهم دون بنى إسرائيل . وحدث أن قتل بنوخد نصر ملك بابل أئمة اليهود اللاويين الذين كانوا يحفظون التوراة فتعرضت التوراة للضياع . فهب عزرا الوراق أو عزير لجمع التوراة من محفوظاته هو ، ومن محفوظات الكهنة ، فتكون لديهم مايعرف بالتوراة بعد ذلك الوقت ..

ثم استطرد اليهودى يقول : وهذا يدل على أن الذى جمع فصول التوراة التى بأيدى اليهود رجل جاهل بصفات الرب تعالى . وماينبغى له ، وما يمتنع فى حقه .[18]

واتفاق ابن القيم مع ديورانت من حيث أن كلا منهما قد جعل مولد التوارة بعد العودة من النفى البابلى . وأن عزيراً عند ابن القيم هو الكاهن الذى كان سببا فى جمع التوراة . بينما هو عزرا عند ديورانت ، وهما اسمان لمسمى واحد باختلاف يسير .

أما الاختلاف فبينما يذهب ابن القيم فى روايته عن اليهودى أن عزيزاً قد جمع التوارة من محفوظه ومن محفوظ غيره من الكهنة . فإن رواية ديورانت تنسب الجمع إلى سفر معثور عليه . فالجمع عند ابن القيم كان مصدره الذاكرة . وهو عند ديورانت مصدره سفر معثور عليه .. ولكنه مجهول الصفة ... ؟!

وعلى كلتا الروايتين فإن التوارة ـــ حتى الآن ـــ مختلف فى مصدرها الذى أخذت عنه . وأن ذلك الأخذ أو المولد « التوراتى » جاء متأخراً جداً عن عصر موسى ـــ عليه السلام ـــ وأن هاتين الروايتين تؤذنان من أوسع طريق بأن أسفار التوراة وإن لم تكن كلها من صنع البشر فإن أكثرها منه . وأن تلك الإضافات البشرية كانت وراءها غايات بشرية وسوف نوضح هذا قريبا بإذن الله .

---

١٨ ـــ هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى (ص ١٠٨) ومابعدها .

ويؤيد هاتين الروايتين الكاتب المسيحى اللاهوتى فى كتابه المتقدم ذكره . حيث يقول : « وعزرا هو أول الكتبة ، ومعه ابتدأت تلك الفئة من المؤلفين الذين وضعوا التوراة والشريعة الشفهية . والتى سيطرت لقرون عديدة على مقدرات اليهود وكان لهؤلاء الكتبة حزب منظم هو حزب الفريسيين وهم الذين حملوا فيما بعد اسم « الحاخاين » أى معلمو الشريعة » (١٩)

وينقل المؤلف عن الموسوعة اليهودية تفسيراً لكلمة الكتبة جاء فيه :

« كتبة هم هيئة المعلمين كانت مهمتهم تفسير الشريعة للشعب وقد ابتدأ تنظيمهم مع عزرا الذى كان رئيسهم — وهؤلاء الكتبة : كانوا أول من علم التوراة . وهم واضعو الشريعة الشفهية » . (٢٠)

وكلام الموسوعة اليهودية صريح فى نسبة ميلاد التوارة إلى عزرا وصحبه ، والكتبة هم الذين قاموا بوضع الشريعة الشفهية لليهود وقد أصبح بعد هذا اللقب « الكتبة » يحملون اسم الفريسيين. ثم صاروا فى التنظيمات اليهودية الحديثة يحملون لقب : « النورانيين » ومهمتهم — الآن — أنهم يقومون بخدمات سرية لحساب الصهيونية وهم لايكاد يخلو منهم تجمع إنسانى فكرى قط . ويعزو بعض الكتاب الغربيين فى العصر الحديث كل الاضطرابات والفتن إلى هؤلاء « النورانيين » ليمهدوا لقيام دولة إسرائيل العالمية فى كل مكان على الأرض ، حسبما تعدهم به توراتهم وكتبهم المقدسة (٢١). وقد كان لهم دور مضاد لرسالة عيسى — عليه السلام — كما تروى أناجيل العهد الجديد .

ومثل هؤلاء لا يطمأن إليهم فى صدق الرواية عن الوحى ، وسوف نرى قريبا

---

١٩ — التوراة . تاريخها وغاياتها (ص ٤٧) ترجمة سهيل ميخائيل ديب مطبوعات دار النفائس — بيروت — لبنان .

٢٠ — نفس المصدر .

٢١ — انظر فى ذلك كتاب « أحجار على رقعة الشطرنج لمؤلفه : الأدميرال جاى كار الأمريكى . ترجمة سعيد جزائرلى . وكتاب « حكومة العالم الخفية لمؤلفه : شيريب سبيريدومتش الإنجليزى ترجمة مأمون سعيد .

أن التوراة ــ الحالية ــ لايؤمن واحد من رجال العهد الجديد بأنها تمثل الوحى الحق من الله إلى أنبياء بنى إسرائيل ، وفى مقدمتهم موسى عليه السلام .

رواية رابعة فى ميلاد التوراة :

قدمنا فيما سبق ثلاث روايات فى ميلاد التوراة ، اثنتان منهما لول ديورانت . والثالثة لابن القيم نقلا عن أحد معاصريه من اليهود .
وقد رأينا التوافق بين رواية ديورانت الثانية ورواية ابن القيم ، الأمر الذى يوحى بصدق ابن القيم فى نقله عن ذلك اليهودى .

وقد أيد ماذهبا إليه (ابن القيم وول) مانقلناه عن الكاتب المسيحى اللاهوتى . ومانقله هو نفسه عن الموسوعة اليهودية حسبما تقدم .

أما الرواية الرابعة التى نحن بصدد ذكرها الآن ، فهى أكثر جرأة ، وربما ــ صوابا ــ مما سبق . فهى تعزو كتب العهد القديم إلى **التراث الشفهى** لبنى إسرائيل . وتقول الرواية : إن ذلك التراث لم يكن مصدره سوى الذاكرة ؟! وأخذ ذلك التراث ينمو شيئا فشيئا حسب الأحداث التى وقعت لبنى إسرائيل من القرن الحادى عشر قبل الميلاد . وأخذت كتب العهد القديم خاضعة للتعديلات (؟!) التى يدخلها عليها الكتبة طوال اثنى عشر قرنا ، من الحادى عشر قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادى... ؟!

نقل هذه الرواية فى شىء من التفصيل الكاتب الفرنسى المعاصر الطبيب موريس بوكاى . وقد اعتمد فى نقله على بحوث أجراها لفيف من علماء اللاهوت المسيحى الضالعين فى الدارسات اللاهوتية الذين اهتموا بدراسة نصوص الكتاب المقدس ــ بعهديه ــ وقاموا بعملية تشريح كاملة لتلك النصوص ، وتوصلوا إلى نتائج جد خطيرة فيما يتصل بنصوص العهدين .
وقد ختم الأستاذ موريس بوكاى إحدى فقرات تلك البحوث بقوله :

« لأن كتب العهد القديم لم تتخذ هيئتها الأولى إلا قبيل قرون من ميلاد

المسيح . ولم تكتسب شكلها النهائى إلا فى القرن الأول بعد المسيح كما يرى الكثيرون » .[٢٢]

ثم قال بعد ذلك مباشرة :
« وليس هنا مطلقا وجهة نظر شخصية نعطيها عن تاريخ تحرير هذه الأسفار . فالمعطيات الجوهرية لهذه اللمحة التاريخية مستقاة من مقال التوراة : Bidle بدائرة معارف أونيفر ساليس للكاتب ج . ب ساندروز J . p . sandroz الأستاذ بكليات الدومنيكان بسولشوار ولكى نفهم ماالعهد القديم يجب أن تكون هذه المعلومات حاضرة فى أذهاننا ، وهى معلومات أثبتها متخصصون على درجة عالية من الكفاءة » .[٢٣]

وينتهى الكاتب إلى أن نصوص الوحى قد اختلطت بما قد أضافه الكتبة من نصوص ليست وحيا قطعياً ؛ لأن أولئك الكتاب قد عالجوا النصوص على سجيتهم . وحسب الظروف التى عاشوها والضرورات التى كان عليهم مواجهتها ؟!

معنى هذه العبارة :

ومعنى هذه العبارة التى أنهى بها الكاتب هذا المقطع خطير جداً . فهى نص صريح تثبته الدراسات النقدية الفاحصة لواحد من عهدى الكتاب المقدس ، وخلاصة هذا المعنى :

أولا :

أن التوراة التى بيد اليهود الآن ليست هى التوراة التى أنزلها الله على موسى ــ عليه السلام ــ وليست أقوال الأنبياء التى وردت فيها ممن جاءوا بعد موسى هى نفس الأقوال الموحى بها . وهذا يتفق تماما مع نظرتنا ــ نحن المسلمين ــ للتوراة الحالية .

---

٢٢ ــ انظر كتابه العظيم الذائع الصيت « دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة » (ص ٢٠ ــ ٢٥) ط دار المعارف ــ القاهرة .
٢٣ ــ المصدر السابق نفس الموضع .

وثانيا :

أن الكتبة الذين عدَّلوا النصوص الموحى بها إلى موسى وإلى الأنبياء من بعده قبل المسيح . غيروا فيها وبدَّلوا على « هواهم » وميولهم . حسب الظروف التى كانوا يعيشون فيها ، والضرورات التى تعترضهم وهذا هو رأينا — نحن المسلمين — وبعد : أليس فى ذلك تكذيب صارخ لما ادعاه واضعو الرواية الهزلية من أن التوارة تخلو — تماما — من غايات الناس وميولهم ومَنْ منهم على صواب . ؟

أولئك المتعصبون العمون الذين ألغَوْا عقولهم مع ضمائرهم وراحوا يحتسون من كئوس الباطل ، وهم واضعو الرواية الهزلية .

أم هؤلاء الدارسون الفاحصون الذين لم يمنعهم هوى أعمى من قول الحق ولو كان مرا ...

إن هذه الملاحظات المهمة ، لو كان القائل بها هم المسلمين وحدهم . لكنا نعذر واضعى الرواية الهزلية فيما هم عليه .

ولكن كيف العذر والقائل هم علماء لاهوتيون يعتبرون أسفار العهد القديم جزءاً مهماً من كتابهم المقدس ؟ أما تكفيهم هذه الشهادات الحق من أهلهم أم أن على قلوب أقفالها .. ؟

ورواية خامسة :

وهانحن أولاء أمام رواية خامسة فى ميلاد التوارة ومأألحق بها من أسفار الأنبياء وكتب التعاليم والتى تكونُّ فى جملتها ماعرف بـ « العهد القديم » وصاحب هذه الرواية هو الكاتب المسيحى اللاهوتى الذى تقدم ذكره مرات .

وهو يقدم لنا فى روايته جانبا جديداً لم يتنبه له أحد غيره ، مع اتفاقه فى أهم الجوانب التى أشارت إليها الروايات الأربع المتقدمة .

والجانب الجديد الذى قدمه هو أول ماوضع من أسفار العهد القديم .

سفر حزقيال :

وحزقيال كما تروى أخبار اليهود هو نبى لهم عاصر عهد نفى اليهود إلى

بابل . وظل يفلسف لهم حسبما جاء فى سفره أوضاعهم وهم تحت الأسر البابلى . والناظر فى سفر حزقيال يرى أنه فى أول أنبوءته كان يصور لبنى إسرائيل غضب « الرب » عليهم ، ثم غضبه على بعض الأمم المجاورة لهم كمصر ... ثم عاد فى نهاية الأنبوءة وعقد بين « الرب » وبين بنى إسرائيل مصالحة ، أعلن فيها أن انتقام « الرب » من بنى إسرائيل وإيقاعهم فى الأسر البابلى على يد بنوخد نصر « بختنصر » ملك بابل إنما كان تطهيراً لبنى إسرائيل من « رجاساتهم » وتمردهم على أحكام « الرب » ثم خطط لهم (حزقيالهم) مشروع (بيت الرب) ويبين لهم كيف يكفرون عن « خطاياهم » تمهيداً لامتلاكهم كل شعوب الأرض ولأن الرب سيسكن بينهم إلى الأبد . هذا السفر ـ سفر حزقيال ـ هو الذى تذهب الرواية الخامسة إلى أنه أول ما وضع من أسفار العهد القديم كلها . ويعزى وضعه إلى « الكتبة » أو « الفريسيين » الذين عاشوا آلام النفى . وعلى أقوى الفروض تذهب الرواية إلى أن « حزقيال » نفسه قد وضع منه أجزاء بدائية جداً ولكن الكتبة هم الذين بنوه ــ بعد ذلك ــ وأعملوا فيه خيالهم حتى بدا فى هذه الضخامة (ثمانية وأربعون إصحاحاً = ١٨٥ صفحة من الحجم المتوسط) .... !!

ويعتمد صاحب هذه الرواية فى صحتها على عدة أمور منها .

أولا : أن سفر حزقيال يتجاهل تماما **الهكزاتوك** أى الأسفار الستة الأولى من العهد القديم وهى :

التكوين ــ الخروج ــ اللاويين ــ العدد ــ التثنية ــ يشوع .

واستنتج من هذا التجاهل أن هذه الأسفار لم تكن موجودة إبان كتابة سفر حزقيال ..! أى حتى الفترة من ٥٩٢ إلى ٥٧٠ قبل الميلاد . وهو الزمن الذى كتبت فيه أنبوءة حزقيال فى عهد النفى إلى بابل .؟

ثانيا : أنه لم يرد ذكر ــ قطعا ــ لموسى فى حزقيال مع أنه أكبر أنبياء بنى إسرائيل ، وبه يعرفون ... ؟

ثالثا : أن حزقيال قد قام وحده ــ فى سفره ــ بوضع الشريعة لبنى إسرائيل .[٢٤]
ويلتقى الكاتب الفرنسى (المسيحى) موريس بوكاى مع هذا الرأى إذ يقول بالحرف الواحد :

« أما كتاب حزقيال ، وهو آخر نبى كبير ونبى المنفى أيضاً . فإنه لم يدون فى شكله الحالى إلا بعد موته وقد دونه الكتبة ، وهم الذين أصبحوا ورثته الروحيين وقد قام هؤلاء الكتبة برواية ثالثة لسفر التكوين واسمها الرواية الكهنوتية »[٢٥]

هذان مسيحيان يقرران ماقرراه فى شأن أسفار العهد القديم ، أو إن شئت فقل يقرران إلى أى مدى حرف بنو إسرائيل التوراة وغيروا وجه الحق فيها ، متخذين من حادث النفى إلى بابل مبدأ لكل تغيير .

فما هو موقف اليهود ــ إذن ــ من هذه الحقائق ... ؟
أينكرونها أم يقررونها كغيرهم . ؟! إن موقف اليهود لذو أهمية فى هذا المجال سواء كان ذلك بالرفض والدفاع أو بالتسليم والاتباع .. ؟ فما رأيهم إذن ؟!

رأى اليهود ... !

وننقل هنا ماجاء فى الموسوعة اليهودية نفسها التى تعبر عن الرأى « الجماعى » عندهم بما توحيه كلمة « موسوعة » من معنى . ففى هذه الموسوعة جاء قولهم .

« وأصبحت الحياة اليهودية من ذلك الحين (أى النفى البابلى) منظمة حسب تعليمات الفريسيين (أى الكتبة الذين وضعوا التوراة) كما أعيد وضع كل تاريخ اليهود من وجهة نظر فريسية ، وأعطى وجه جديد للتشريعات السابقة . كما حلت سلسلة جديدة من التقاليد القديمة ، وقد

---

٢٤ ــ التوراة : تاريخها وغاياتها (ص ٢٥) ترجمة سهيل ميخائيل .
٢٥ ــ دراسة الكتب المقدسة (٣٤) ط دار المعارف القاهرة .

كيفت الفريسية طبيعة اليهود ، وكذلك حياة وتفكير اليهودى للمستقبل كله » [٢٦] .

فتأمل ـــ عزيزى القارىء ـــ هذا الاعتراف الخطير . وقف مليا أمام الدور الذى لعبه الفريسيون فى تاريخ اليهود كله بما فى ذلك كتابهم المقدس . وينبغى ـــ كذلك ـــ أن تعرف أن (الفريسى) كلمة يونانية معناها : (المنشق) أو الخارج عن المألوف . وبهذا تدرك أن شأن اليهود كله فى دينهم ودنياهم خططه لهم منذ القدم جماعة منشقون متمردون على كل شريعة وحق .. ؟!

وآراء لباحث لاهوتى حديث

وهذا ماحدا بباحث لاهوتى مسيحى معاصر ، أن يقرر بعد بحث نقدى عميق فى كتب العهد القديم (التوراة . وكتب الأنبياء وكتب التعاليم) أن أصل هذه الكتب جميعاً يرجع إلى أصل بدائى وقع فعلا . ثم تناوله الكتبة فأضافوا إليه الكثير من خيالهم حتى ضخموه على الشكل الذى نراه الآن شأنه فى ذلك شأن كل الآداب البدائية لها أصل واقعى اختلط فيما بعد بالخرافات والأساطير .

ويضرب لذلك مثلا بأنشودة رولان . وهى أنشودة روائية حربية يبرز فيها رولان قائد مؤخرة جيش الإمبراطور شارلمان عند عودته من حملة إسبانية فليست تضحية رولان حدثا اخترع لمجرد الحكاية ، ولكنها واقعة تاريخية محدد زمنها بـ ١٥ أغسطس سنة ٧٧٨ م فما حدث فعلا هو هجمة قام بها سكان الجبل الباسكيون على رولان . وليس المؤلف الأدبى ـــ هنا ـــ أسطوريا صرفا بل له قاعدة تاريخية . ولكن لضخامة ما أضافه مؤلف الأنشودة مما ليس فى الواقعة الحقيقية ، فلا يمكن للمؤرخين أن يأخذوا بها حرفيا .. ؟!
صاحب هذا الرأى هو الأب **أدموند جاكوب** الذى يصف التوراة وملحقاتها بالوثائق المتنافرة التى صنعها الخيال اليهودى جيلا عن جيل . ثم يعود فيربط بين

---

٢٦ ـــ التوراة : تاريخها وغايتها (ص ١٦٠) ترجمة سهيل ميخائيل .

ماقدمه من تجسيم الأسطورة والخرافة لملحمة رولان السابقة ، وبين تكوين أسفار العهد القديم فيقول بالحرف الواحد :

« إن الموازنة بين مولد الكتاب المقدس ، ومثل هذا الأدب الدنيوى تبدو أنها متفقة بشكل دقيق مع الواقع »[٢٧].

وتأييد من أستاذ بالجامعة العبرية

ويعزز هذا كله ماقرره الدكتور آرثر روبن أستاذ علم الاجتماع بالجامعة العبرية فى القدس . وخلاصة ماقرره بالحرف الواحد .

« أن علماء الكتاب المقدس كلهم مجمعون على أن العهد القديم (التوراة) جرى وضعه خلال وبعد النفى إلى بابل » .[٢٨]

ومما ورد فى الموسوعة اليهودية المتقدم ذكرها وهو يقطع كل خلاف حول هذا الموضوع . ويرد كل زعم :

» إن علماء اليهود يعلنون ـــ صراحة ـــ أن تاريخهم القديم ـــ التوراة ـــ أسطورى . وقد أعيد وضعه من وجهة نظر فريسية » ؟!
وآن لنا أن نتساءل :

أبعد هذه الحقائق كلها ، وهذه التصريحات التى وردت عن علماء أهل الكتاب من الملتين اليهودية والمسيحية .
أبعد هذا كله ماتزال فئة : من « الحاقدين» مثل واضعى هذه الرواية الهزلية تدعى أن الكتاب المقدس فى عهده القديم لم يحرف ولم يبدل . ؟!

ولمن تقول هذا الكلام ؟ للمسلمين طبعا طمعا فى أن يتخلى مسلم عن دينه ليرتمى فى هاوية الضلال أما يجدر بهم إن كان عندهم ـــ حق ـــ أن يواجهوا

---

٢٧ ـــ دراسة الكتب المقدسة (٢٢) .
٢٨ ـــ اليهود فى العصر الحاضر دراسة علمية احتماعية برلين ١٩٠٤ م .

به مشكلاتهم الدينية التى زرعت الشكوك لدى أتباعهم . وماتزال تلك الشكوك تنمو يوما بعد يوم ... ؟!

إننا حتى الآن لم نقدم فى الرد عليهم مايقوله علماء المسلمين ومفكروهم . ونحن لسنا فى حاجة إلى أقوال المسلمين مادمنا قد وجدنا فيما يقولونه هم يهوداً أو نصارى مايكفى فى الرد عليهم بل ومايكفى لهدم التوارة كلها رأساً على عقب إن خلاصة رأى المسلمين ، بل وعقيدتهم ، أن التوراة التى بيد اليهود الآن ليست هى التوراة الموحاة إلى موسى ـــ عليه السلام . وهاهم ، يهوداً ونصارى ، يقدمون كل يوم عشرات الأدلة على صحة ما يقوله المسلمون ، ويعتقدونه . وكفى بذلك نصراً للحق على الباطل . فإذا الباطل زاهق ..

مسامير أخرى فى نعش التوراة .. ؟!

كان الهدف من السطور المتقدمة أن نثبت من أقوال أهل الكتاب أنفسهم أن التوراة الحالية ليست وحيا كما يدعى واضعو الرواية الهزلية وأعتقد أن ماقدمناه كان كافيا فى إثبات تلك الحقيقة .

أما فى السطور الآتية فسيكون همنا محصوراً فى ثلاثة أفرع ، أو مسامير أحكم دقها فى نعش التوراة ... ؟

الفرع الأول : بيان الكيفية التى تم عن طريقها تكوين تلك الصور المتنافرة ، التى عرفت فيما بعد بالتوراة ، أو أسفار العهد القديم .

الفرع الثانى : بيان المصادر التى استقى منها واضعو التوراة وملحقاتها تلك المادة التى تكونت منها أو إن شئت فقل خطوط العرض والطول التى كونت ذلك النسيج المتهلهل المتهرىء .

الفرع الثالث : بيان الأهداف والغايات التى حملت اليهود على تحريف وتبديل وحى الله إلى أنبيائهم ، وبصفة خاصة وحى الله إلى موسى ـــ عليه السلام .

ونحن فى كل هذا سنعتمد أساساً على أقوال أهل الكتاب أنفسهم كما نهجنا فيما تقدم ؛ لأن فى هذه الطريقة إلزاما لهم ... وإلا فإن القوم يكذب بعضهم بعضا . وإذا اختلف فريقان على أمر بين الإثبات والنفى فإن أحدهما صادق لامحالة . والثانى كاذب لا محالة . ولن يخفى على ذى فهم التفرقة الدقيقة بين صادق وكاذب ، وبخاصة إذا كان العقل هو الحاكم أو كان له مدخل فى الحكم وآزره العلم .. !؟ وعلى هذا النسق نمضى والله المعين .

كيفية تكوين التوراة وملحقاتها :

لو كانت التوراة ــ الحالية ــ وحيا لم يكن لها سوى مصدر واحد فى تكوينها . وذلك المصدر ينبغى أن يكون هكذا :

١ ــ الله . إذ هو صاحب الكلام الموحى وإليه ينسب .

٢ ــ جبريل سفير الوحى . الناقل له من الله إلى الرسل .

٣ ــ موسى ــ عليه السلام ــ متلقى الوحى عن جبريل .

ثم يبلغ موسى الوحى الذى تلقاه إلى مَنْ أرسل إليهم تماما كما تلقاه بلا زيادة حرف فيه أو نقص .

وهذا مالم نظفر به لدى اليهود ولا لدى غيرهم من أهل الكتاب ، على كثرة مأأطلعنا عليه من أمهات مراجعهم الدينية .

والذى ظفرنا به لديهم ــ جميعاً ــ هو شىء آخر مختلف تماماً عن السند الواجب لكل وحى صحيح موثوق به . ونعرض ــ هنا ــ فى إيجاز مايقوله القوم فى بيان كيفية تكوين عهدهم القديم .

إن الذى أجمع عليه القوم أن أسفار العهد القديم قد تكونت عن طريق أربعة روايات جد مختلفة .

الطريقة الأولى يدعونها : **اليهْوية** .

والطريقة الثانية يسمونها : **الإلوهيمية** .

والطريقة الثالثة يطلقون عليها : **الكهنوتية** .

أما الرابعة فهى عندهم : **سفر تثنية الاشتراع** .

وإخالك الآن تسأل ؟

ما هو معنى هذه المصطلحات . وكيف تم تكوين العهد القديم على هداها .. ؟ وها أنذا أقدم لك شرحا موجزا لكل طريقة منها .

١ ــ الطريقة اليهْوية :

اليهْوية نسبة إلى « يهوه » وهو إله بنى إسرائيل القبلى ؛ لأن بنى إسرائيل (اليهود) يعتقدون أن لهم إلـهًا خاصاً بهم من دون البشر جميعاً هو اختارهم وهم اختاروه . وهم لايعبدون إلـهًا غيره وهو لايمد يده لمخلوق غيرهم . هكذا إلـهٌ مغلق على شعب مغلق وشعب مغلق على إلـهٌ مغلق . ويهوه هذا كما تصوره بعض أسفارهم هو رب الجنود الغاضب أبداً إما على أعداء بنى إسرائيل وإما على بنى إسرائيل أنفسهم إذا هم غازلوا إلـهًا غيره أو أشركوه معه فى العبادة فهو أشبه مايكون برئيس أركان حرب جيش متعطش للدماء ، إذا لم يجد عدواً يقاتله أعلن الحرب على نفسه كصقور بنى إسرائيل الحاليين .. ؟!

وترى البحوث الحديثة التى أجريت بمعرفة المتخصصين من أهل الكتاب ، وبخاصة المسيحيين ، خلال القرن التاسع عشر . ترى هذه البحوث أن الرواية اليهوية ، وهى التى يذكرون فيها اسم ربهم هكذا « يَهْوه » هى أقدم الروايات وكانت سائدة فى القرن التاسع قبل ميلاد المسيح . وقد حررت فى المملكة الجنوبية مملكة يهوذا أحد أسباط [٢٩] يعقوب .

٢ ــ الطريقة الثانية : الألوهيمية :

وضابط هذه الطريقة هى التعبير عن « الرب » بلفظ **الوهيم** . والوهيم جمع الله ؛ لأن علامة الجمع المذكر فى اللغة العبرية هى الياء والميم فيقولون فى جمع تلمود (أى تلميذ) : تلموديم أى تلاميذ . وعلى عادتهم فى تبرير

٢٩ ــ والسبب فى هذه التسمية « يهوه » كما يقولون أن موسى ــ عليه السلام ــ نهاهم عن ذكر اسم « الرب » حتى لايلوثوه فأخذوا يعبرون عنه بـ « يهوه » وتنطق بـ « ادوناى » أى : سيدى .
أما السبط فهو القبيلة . ومملكة يهوذا كانت بأورشليم القدس .

أخطائهم يفلسفون مبدأ جمع الله فى كتابهم المقدس والجمع يعنى التعدد والكثرة . يفلسفون هذا المبدأ بأنهم يريدون منه تعظيم « الله » سبحانه وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . (٣٠)

وليست هذه الطريقة مجرد اصطلاح لغوى وكفى . وإنما هى تعبر عن مرحلة هامة من مراحل تاريخ اليهود وتطور عقيدتهم . فمن المعروف أن بنى إسرائيل ــ بعد موسى عليه السلام ــ قد ارتدوا وعبدوا آلهة متعددة كبعل وعشتورت وخاصة حين اختلطوا بالبابليين . بل إن هذا الارتداد قد حدث فى عهد موسى نفسه حين عبدوا العجل بينما كان موسى يتلقى الألواح من ربه وفيها هدى ونور . فليس ببعيد أن يكون جمع الله ــ سبحانه ــ يعنى عندهم الآلهة المتعددة التى عبدوها .

ويرى الباحثون المحدثون أن هذه الطريقة تلى الطريقة « اليهْوية » أى أنها حررت بعد القرن التاسع قبل الميلاد . ويقولون : إنها حررت فى مملكة إسرائيل الشمالية ، التى كانت بقرية نابلس الحالية . وهى تقابل مملكة الجنوب المتقدم ذكرها . (٣١)

٣ ــ الطريقة الثالثة : سفر تثنية الاشتراع :

وهذا مصدر آخر من مصادر تكوين التوارة وقد تقدم الحديث عنه فى الراويتين اللتين ذكرهما ديورانت من أن الكهنة عثروا فى سجلات الهيكل على سفر قضى فيه موسى فى كل الأمور وذلك فى عهد يوشيا الملك وخلقيا الكاهن . أو أن الذى عثر عليه هو عزرا كما تقدم .

---

٣٠ ــ أكثر هذه المعلومات اللغوية تلقيناه ونحن طلبة بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ألقاها علينا مدرسو اللغة العبرية وآدابها .

٣١ ــ هكذا يذكرون أن لإسرائيل ــ قديما ــ مملكتين إحداهما شمالية بنابلس ، والأخرى حنوبية بأورشليم (القدس) والواقع أنهما مجرد تجمع لم يبلغ حد التنظيم المعترف به للنظام الملكى . وقد كانوا مهددين دائما بالغزو المتتابع من الشعوب الأخرى .. ؟!

فهذا السفر على الاختلاف حوله كان مصدراً هاماً أمد أسفار العهد القديم بالكثير من المواد التى حررت منها . ويرى أرموند جاكوب أن هذا السفر نفسه يرجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد ... ؟

٤ ــ الطريقة الرابعة : الرواية الكهنوتية :

يراد من الرواية الكهنوتية ماأضافه كهنة اليهود إلى أسفار العهد القديم من آراء وتعديلات . وهذا اعتراف صارخ وصريح بتحريف التوراة وملحقاتها .

وتشير البحوث الحديثة المتقدم ذكرها إلى أن هذه الرواية ، أو النصوص الكهنوتية المضافة إلى أسفار العهد القديم ــ حدثت فى القرن السادس قبل الميلاد . وهى نفس الفترة التى عانى فيها بنو إسرائيل أهوال النفى البابلى وأحدث فيهم ذلك النفى تحركا شديداً ؛ لإعادة تكوينهم من جديد ثقافيا ، ودينياً ، واجتماعياً . وهذا يفسر لنا فى وضوح السبب المباشر الذى حمل كهنة اليهود فى ذلك الوقت على إدخال نصوص جديدة تتفق وأوضاعهم الجديدة . ولم نر كاتبا تعرض لهذه الفترة من تاريخ اليهود ، إلا وقد نص على ماقلناه الآن . (٣٢)

أخلاق « يهوه » إله بنى إسرائيل كما يصورها مقطع مقدس !؟

أشرنا من قبل إلى أن الرواية « اليهوية » نسبة إلى « يهوه » إله بنى إسرائيل القبلى . ولمحنا إلى صورة إجمالية لأخلاق « يهوه » كما تروى نصوصهم عنه . وإلى القارىء هذا المقطع الذى يصور طرفا من أخلاقه العجيبة :

« هو ذا الرب يأتى من بعيد . غضبه مشتعل والحريق عظيم . شفتاه ممتلئتان سخطا(!) ولسانه كنار آكلة (!) ونفخته كنهر غامر يبلغ إلى

---

٣٢ ــ راجع فى شأن هذه الطرق المصادر الآتية :

(١) قصة الحضارة (حـ ٢ ص ٣٦٧) .

(٢) دراسة الكتب المقدسة (٢٨) .

(٣) التوراة : تاريخها وغاياتها (ص ١٧) ومابعدها .

الرقبة . لغربلة الأمم بغربال السوء[٣٣]؟ وعلى فكوك الشعوب رسن مضل .. ويسمع الرب جلال صوته ، ويرى نزول ذراعه ، بهيجان غضب ، ولهيب نار آكلة ، وسيل وحجارة برد ؛ لأنه من صوت الرب يرتاع آشور . بالقضيب يضرب ، ويكون كل مرور عصا القضاء التى ينزلها الرب عليه بالدفوف والعيدان ، وبحروب ثائرة يحاربه ... كومتها نار وحطب ، نفخة الرب كنهر كبريت توقدها » .[٣٤]

هذه نبذة قصيرة من أخلاق « يهوه » رب بنى إسرائيل . وهو حسب ماتصوره هذه الفقرات كائن غريب حقود مدمر بينه وبين كل أمم الأرض عداء مشتعل ، ماعدا بنى إسرائيل ــ طبعا ــ أحباؤه وأصفياؤه ... ؟!

المآخذ على طرق التكوين :

تلك هى الطريقة التى تم بها تكوين التوراة . فإلى أى مدى تسهم هذه الطريقة فى « تبعيد » التوراة الحالية عن حظيرة الوحى المنزل ... ؟
وإليك البيان

أولا : قلنا فيما تقدم أن التوراة الحالية لو كانت ــ بحق ــ وحيا لما كان لها إلا كيفية واحدة فى تكوينها على الوجه الذى شرحناه من سند الوحى الصحيح . أما والتوراة ــ كما يقول من يصفونها بأنها كتاب مقدس ، أو جزء من كتاب مقدس ــ قد تكونت من عدة طرق فهذا مؤذن ــ قطعا ــ بأنها من صنع البشر وليست وحياً .

ثانيا : إن الباحثين المعاصرين من الآباء وعلماء اللاهوت قد توصلوا إلى نتائج مذهلة من تداخل تلك الروايات فى النصوص المروية . وأبانوا أن النص الواحد

---

٣٣ ــ المراد بالأمم التى يغربلها الرب بغربال السوء الأمم غير اليهود تمهيداً لامتلاك اليهود ــ شعبه المختار ــ كل الأرض ؟ .

٣٤ ــ سفر أشعياء الإصحاح (٣٠) الفقرات من (٢٧ ــ ٣٣) .

تكون فيه فقرات من الرواية اليهوية . بجوار فقرات من الرواية الكهنوتية . بل إن ذلك التداخل حدث فى الفقرة الواحدة ، أو الآية على حسب مصطلحهم . فكيف تم ذلك الخلط ـــ إذن ـــ لو كانت التوراة الحالية ـــ فعلا ـــ هى التوراة المنزلة على موسى .. ؟ هذا مالا يصدقه عقل ، ولايقبله فكر سليم .

ثالثا : إن تدخل الرواية الكهنوتية فى الروايتين اليهوية والألوهيمية لذو دلالة جد خطيرة . فإذا علمنا أن الرواية اليهوية هى أقدم الصياغات فى أسفار التوراة وأن الرواية الكهنوتية هى أحدث صياغات التوراة لأن الكهنة قاموا بها فى القرن السادس قبل الميلاد بعد العودة إلى فلسطين من النفى البابلى ، والرواية اليهوية حدثت فى القرن التاسع قبل الميلاد ، إذا علمنا هذا ظهر لنا سر تدخل الرواية الكهنوتية فى تعديل النصوص القديمة ؛ لأن أوضاع اليهود بعد النفى البابلى تختلف تماما عن أوضاعهم قبله ، وخاصة فى زمن حدوث الرواية اليهوية .

فتدخل الرواية الكهنوتية ـــ إذن ـــ كان وراءه غاية بشرية واضحة .
وليس أدل على ذلك من أن البحوث الحديثة أثبتت أن الرواية اليهوية القديمة لاتشير من قريب أو بعيد إلى أن الله ـــ سبحانه ـــ خلق الكون فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع (يوم السبت) .

ولكن الرواية الكهنوتية أدخلت هذا التعديل على النصوص اليهوية القديمة .
وإليك نص الرواية الكهنوتية المتدخل

« .... وفرغ الله فى اليوم السابع من كل عمله الذى عمل . فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل . (؟!) وبارك الله اليوم السابع وقدسه ؛ لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقاً ...[٣٥] » ؟!

وتسأل : ماالسبب فى تدخل الرواية الكهنوتية هنا .... ؟!
وماهى الغاية والميول البشرية اليهودية منها .... ؟!
أما الإجابة فلسنا نحن الذى سيجيب . ولكن ندع الأب ديفو العالم اللاهوتى

٣٥ ـــ سفر التكوين : الإصحاح الثانى الفقرة (١ ـــ ٢) .

المسيحى ليجيب هو على هذا السؤال ، ليشهد على التوراة شاهد من أهلها .. وإليك نص الأب ديفو بالحرف :

« إن طابعها التشريعى كان جوهريا — يقصد الرواية الكهنوتية[٣٦] — وقد أعطينا لمحة عن ذلك . على حين لا يشير النص اليهوى الذى يسبق النص الكنهوتى بعدة قرون . إلى راحة الله الذى تعب من عمله طيلة الأسبوع يدخلها الكاتب الكهنوتى فى روايته ؛ إنه يقسم روايته إلى أيام بالمعنى الدقيق لأيام الأسبوع ، وهو يضع محور الرواية على راحة السبت ، التى يعللها أمام المؤمنين مؤكداً على هذا بقوله إن الله هو أول من احترمها — يقصد عطلة يوم السبت — وابتدأ من هذه الضرورة العملية — يقصد الكاتب الكهنوتى — انتقاد رواية الخلق — أى المتدخل فيها النص الكهنوتى — بمنطق دينى ظاهر . وإن كان هذا بشكل تسمح معطيات العلم بوصفه بالوهم » .[٣٧]
أفلست معى أن مايقرره الأب ديفو لذو دلالة عميقة جداً . على أنه صرح — ضمن ماصرح — أن الكهنة لم يقتصر دورهم على إدخال تعديلات فحسب بل إنهم أعادوا صياغة أسفار العهد القديم كلها من الألف إلى الياء .. ؟ وقبل أن نترك هذا الفرع نلفت نظر القارىء إلى أن البحوث الحديثة استطاعت أن تجرى تجربة ناجحة جداً على ظاهرة تداخل الرواية الكهنوتية مع الروايات الأخرى ووضعوا لذلك جدولاً لما شاع فى الإصحاحات من : ١ — ١١ من سفر التكوين من تدخل الرواية الكهنوتية فى الرواية اليهوية . وبلغت مواضع ذلك التدخل واحداً وثلاثين موضعاً .

فإذا وضعنا فى الاعتبار أن الجدول يبين مدى الاختلاط الحادث فى أحد عشر إصحاحا فقط ، فكم إذن تبلغ مواضع التدخل فى إصحاحات سفر التكوين

---

٣٦ — كل عبارة بين هاتين العلامتين — ... — فهى من إيضاحاتنا .

٣٧ — دراسة الكتب المقدسة (٤٥) .

كله البالغ عددها خمسين إصحاحاً ؟

ثم كم تبلغ مواضع التداخل فى أسفار العهد القديم كلها التى يبلغ عدد إصحاحاتها تسعمائة وتسعة وثلاثين إصحاحاً ؟! . إن العلم لله وحده . هو الذى يعلم المصلح من المفسد وهو أعلم بمن ضل عن سبيله . وهو أعلم بالمهتدين .

نماذج حية من تداخل الصياغات .

الجدول المتقدم ذكره اكتفى فيه واضعوه بالرموز[38] ولم يحولوه إلى نصوص حية ، ولهم عذرهم ، وهانحن أولاء نقوم بتفريغ بعض تلك الرموز فى نصوص حية ناطقة ليكون فى ذلك إيضاح لما أجملوه .

ومن المفيد أن نثبت الجدول أولاً بشكله الرمزى ثم نقوم بنماذج التفريغ .
والجدول يبدأ هكذا :

من الإصحاح	الآية	إلى الإصحاح	الآية	المصدر[39]
١	(١)	٢	(٤ أ)	ك
٢	(٤ ب)	٤	(٢٦)	ى
٥	(١)	٥	(٣٢)	ك
٦	(١)	٦	(٨)	ى
٦	(٩)	٦	(٢٢)	ك
٧	(١)	٧	(٥)	ى
٧	(٦)	—	—	ك
٧	(٧)	٧	(١٠)	ى معدل

---

٣٨ ــ انظر كتاب « دراسة الكتب المقدسة » (ص ٣١ / ٣٣) .
وانظر معه : قصة الحضارة (جـ ٢ ص ٣٦٧) ففيها إضافات لم ترد فى الجدول الرمزى هذا . ولم تقتصر على سفر التكوين مثلما فى هذا الجدول المشار إليه .

٣٩ ــ إن كان المصدر يهوى رمز له بالحرف (ى) والكهنوتى رمزه (ك) .

٧	(١١)	–	–	ك
٧	(١٢)	—	–	ى
٧	(١٣)	٧	(١٦ أ)	ك
٧	(١٦ ب)	٧	(١٧)	ى
٧	(١٨)	٧	(٢١)	ك
٧	(٢٢)	٧	(٢٣)	ى
٧	(٢٤)	٨	(٢ أ)	ك
٨	(٢ ب)	–	—	ى
٨	(٣)	٨	(٥)	ك
٨	(٦)	٨	(١٢)	ى
٨	(١٣ أ)	–	–	ك
٨	(١٣ ب)	–	—	ى
٨	(١٤)	٨	(١٩)	ك
٨	(٢٠)	٨	(٢٢)	ى
٩	(١)	٩	(١٧)	ك
٩	(١٨)	٩	(٢٧)	ى
٩	(٢٨)	١٠	(٧)	ك
١٠	(٨)	١٠	(١٩)	ى
١٠	(٢٠)	١٠	(٢٣)	ك
١٠	(٢٤)	١٠	(٣٠)	ى
١٠	(٣١)	١٠	(٣٢)	ك
١١	(١)	١١	(٩)	ى
١١	(١٠)	١١	(٣٢)	ك

وقفة مع هذا الجدول :

هذا هو الجدول فى رموزه الرياضية ، فحرف الكاف (ك) هكذا رمزاً للرواية الكهنوتية ، وحرف الياء هكذا (ى) رمزاً للرواية اليهوية . وأنت تلحظ

مع قليل من النظر أن الرواية لم تترك إصحاحاً واحداً من الإصحاحات الأحد عشر الأولى من سفر التكوين إلا وقد تدخلت فيه تدخلا مباشرا .

وفي بعض الأسفار مثل السفر الخامس تستبد الرواية الكهنوتية به كله تقريباً . حيث كان نصيبها من السفر الخامس من الآية رقم واحد ، إلى الآية رقم اثنين وثلاثين كما هو ظاهر من رموز الجدول .

ولهذا فإن الأستاذ موريس بوكاى الكاتب الفرنسي المسيحي يقول بعد فراغه من تحرير الجدول : (٤٠)

« أي تصوير أوضح من هذا يمكن أن نعطيه لتعديل الناس لكتب التوراة » ؟!

وهي كلمة عميقة الدلالة كما ترى ... ؟!

ومع هذا كله يحلو لواضعي الرواية الهزلية أن يقولوا :

إن التوراة حفظت بيد من أنزلها من التحريف ومن التبديل ؟ وإنها تخلو تماماً من أثر غايات الناس وميولهم ... ؟! يا للسخرية ... !

نماذج التفريغ :

يقول رمز السطر الرابع من الجدول :

إن الآيات من (١) إلى (٨) من الإصحاح السادس روايتها « يهوية » ثم من الآية (٩) إلى (٢٢) من نفس الإصحاح روايتها « كهنوتية »

ومعنى هذا أن الكهنة استبدوا بثلاثة أرباع هذا الإصحاح بنسبة ٢٢ : ٨ وهاك البيان :

الرواية اليهوية في الإصحاح السادس من سفر التكوين :

« وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات (١) أن أبناء الله (؟) رأوا بنات الناس أنهن حسنات . فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل مااختاروا (٢) فقال الرب لايدين روحي في الإنسان إلي الأبد ، لزيغانه هو بشر ،

---

٤٠ ـــ دراسة الكتب المقدسة (ص ٣٣) .

وتكون أيامه مئة وعشرين سنة .(٣) كان فى الأرض طغاة فى تلك الأيام وبعد ذلك أيضا إذ دخل أبناء الله على بنات الناس . وولدن لهم أولاداً . هؤلاء هم الجبابرة منذ الدهر ذووا اسم (٤) ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم (٥) فحزن الرب (؟!) إنه عمل الإنسان فى الأرض ، وتأسف فى قلبه (؟!) (٦) فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته .. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء ؛ لأنى حزنت أنى عملتهم ؟! (٧) وأما نوح فوجد نعمة فى عينى الرب(٨).

وخلاصة هذا المقطع أن الرب (كذا) لم يسترح لتكاثر الناس فى الأرض ، ؟! وأقلقه (؟!) فسادهم . وحزن على ذلك حزنا شديداً فى قلبه وحكم على البشرية بالفناء . ولاتنس أخى القارىء أن هذه أخلاق « يهوه » دائماً : ندم وتدمير ... ؟!

على أن هذه الرواية « اليهوية » قد ورطت التوراة كلها حيث حددت أعمار كل الناس بمئة وعشرين سنة على لسان « يهوه » فهل هذه الرواية صادقة ... ؟! وكيف تكون صادقة ونحن نرى الناس يموتون فى أعمار متفاوتة . ؟!

ولك أن تقارن هذه القاعدة التوراتية (المقدسة ؟!) بقول الحق سبحانه وتعالى ـــ فى سورة الحج :

﴿ فمنكم من يُتَوفى ، ومنكم من يُرَدُّ إلى أرذل العمر ﴾ ثم استفت الواقع : أى القاعدتين هى السارية فى البشر ؟ خرافة التوراة ؟ أم « حق » القرآن ؟ ثم اخط بالعمل خطوة أخرى : أيهما صادق ، فهو إذن كلام الله قطعاً ؟ وأيهما كاذب فهو إذن من أوهام البشر ... ؟

الرواية الكهنوتية فى الإصحاح السادس من سفر التكوين :

وتلتقط يد الكهنة الخيط ، فتمضى فى الرد وتقول :

« هذه مواليد نوح : كان نوح رجلاً باراً كاملاً فى أجياله وسار نوح مع الله (٩) وولد نوح ثلاثة بنين : ساما وحاما ويافث (١٠) وفسدت الأرض أمام الله ، وامتلأت الأرض ظلما (١١) ورأي الله الأرض أنها فسدت . إذ كان كل بشر قد

أفسد طريقه على الأرض .(١٢) فقال الله لنوح : نهاية كل بشر قد أتت أمامى ؛ لأن الأرض امتلأت ظلما منهم . فها أنا مهلكهم مع الأرض(١٣) اصنع لنفسك فلكا من خشب جُفر . تجعل الفلك مساكن . وتطليه من داخل ومن خارج بالقار(١٤) وهكذا تصنعه · ثلاثمائة ذراع يكون طول الفلك ، وخمسون ذراعاً عرضه . وثلاثون ذراعا ارتفاعه(١٥) وتصنع كوا للفلك ، وتكمله إلى حد ذراع من فوق ، وتصنع باب الفلك من جانبه . مساكن سفلية وعلوية ومتوسطة تجعله .(١٦) فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض ؛ لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء . كل مافى الأرض يموت .(١٧) ولكن أقيم عهدى معك فتدخل الفلك أنت وبنوك ، وامرأتك ونساء بنيك معك(١٨) ومن كل حى من كل ذى جسد اثنين ، من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائهاَ معك ، تكون ذكراً وأنثى(١٩) من الطيور كأجناسها ومن البهائم كأجناسها . ومن كل دبابات الأرض كأجناسها . اثنين من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائها (٢٠) وأنت فخذ لنفسك من كل طعام يؤكل واجمعه عندك فيكون لك ولها طعاما(٢١) ففعل نوح حسب كل ماأمره به الله . (٢٢)

هذا هو المقطع الكهنوتى فى الإصحاح السادس من سفر التكوين وهذا السفر يكاد يكون كله « كهنوتيا » باعتراف أهل الكتاب أنفسهم . ومن أوضح دلائل هذا الخلط هو خضوع كتب العهد القديم كلها للتحريف والتبديل ، لدرجة أنه قد أصبح من الصعب جداً التمييز بين ماهو وحى وماهو دخيل . كذلك فإنه أصبح من اليسير جداً معرفة ماهو دخيل بشكل قاطع .

ليست وحيا .... ؟!

وذلك لأن الوحى له جلاله وسلطانه . وقضاياه من الأمور التى توصف بالحق الخالص . وعلى هذا فلا يمكن أن يكون من الوحى مايأتى مما ذكر فى الروايتين :

أولا :

إضافة الأبناء إلى الله . والمراد منهم الذكور فليس لله أبناء لاعند العقل ولا في النقل ، ومن اليسير ـــ كذلك أن تدرك السر فى هذه التفرقة من حيث إضافة الأبناء الذكور إلى الله ـــ سبحانه ـــ وإضافة البنات إلى الناس . فوراء هذه التفرقة مقصد « كهنوتى » لأن المرأة فى الديانة اليهودية التى وضعها كهنتهم ذات منزلة وضيعة جداً .... ؟!

ثانيا :

نسبة الندم والتحسر إلى الله ـــ سبحانه ـــ ليست هذه النسبة وحياً قطعاً . فأفعال الله كلها حكمة وتدبير ، والندم والتحسر لاينسب إلا إلى الجاهل الضعيف . وينبغى أن تعلم أن نسبة الندم والتحسر لله ظاهرة لم يخل منها كتاب من كتب اليهود التى يدعونها مقدسة بدءاً من التوراة ، وانتهاء بالتلمود .

ثالثا :

تحديد الأعمار بمئة وعشرين سنة ، ليست هذه من الوحى قطعاً ، وقد تقدم دليلنا عليها .

رابعا :

تلك التفاصيل الدقيقة الواردة فى شأن صنع الفلك وأمر الله نوحا أن يأخذ معه طعاماً . ليست هذه من الوحى قطعاً ، وغير ذلك كثير .

ثم أعود فأذكرك بأن تربط بين هذه الحقائق وبين ماادعاه واضعو الرواية الهزلية بأن التوراة مصونة من التحريف ومن أثر غايات الناس وميولهم ... ياللكذب ... ؟

أسباب تغيير التوراة :

بات من المحقق لدى العقلاء من رجال الدين المسيحى ، بل واليهود ، ولدى المنصفين من مفكريهم منذ عهد طويل أن التوراة التى هى بيد اليهود الآن ، والتى هى جزء ضخم من الكتاب « المقدس ؟! » عند النصارى . بات

من المحقق عند أولئك جميعاً أن هذه التوراة ليست وحيا من عند الله وأن بينها وبين التوراة التى أنزلها الله على موسى عليه السلام ـــ مابين ـــ المغرب والمشرق .

وقد جاهر بهذا الرأى الأب ديفو مدير مدرسة الكتاب المقدس بالقدس عام ١٩٦٢ م معتمداً في ذلك على نقود علمية منذ القرون الوسطى . إذ رفض أبين إسرا Apen Esra فى القرن الثانى عشر الميلادى أن تكون التوراة الحالية منسوبة إلى موسى ـــ عليه السلام .

وفى القرن السادس عشر وقف مثل هذا الموقف الرافض البحاثة كارلتشاد Carlstadt. وبنى رفضه على عبارة وردت فى سفر التثنية الإصحاح (٣٤) الآيات من (٥ ـــ ١٢) وهذا نصها :

« ... فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض مؤاب حسب قول الرب ودفنه فى الجواء فى أرض مؤاب مقابل بيت فغور ، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم . (؟!) وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات (؟!) ولم تكل عينه ولاذهبت نضارته (؟!) فبكى بنو إسرائيل موسى فى عربات مؤاب ثلاثين يوماً . فكملت أيام بكاء مناحة موسى . (؟!)إلخ .

المفروض بحسب زعم المبطلين أن هذا الكلام كتبه موسى ـــ عليه السلام ـــ وحيا عن ربه . فهل كتب موسى هذا الكلام قبل أن يموت سؤال نوجهه لواضعى الرواية الهزلية ، ولكل من يدافع عن نسبة التوراة إلى موسى ـــ عليه السلام ـــ ونقصد التوراة الحالية فإن كان جوابهم بنعم قلنا لهم :

كيف يكتب موسى قبل أن يموت تاريخ اليوم الذى مات فيه ... ويحدد المكان الذى دفن فيه ... ويصف بكاء بنى إسرائيل عليه الذى امتد بعد موته ثلاثين يوما .. ؟! أمر عجيب والله . أم يقولون إن موسى كتبه بعد موته ... ؟! والأمر فيه أعجب ؟! إذن فلا مناص إلا أن يقولوا : إن غير موسى هو الذى كتب هذا الكلام بعد موت موسى . وهنا نقول لهم : قفوا ... هذا هو المطلوب وإذن

فإن التوراة محرفة قطعاً . ولم تحفظ بيد من أنزلها كما تقولون ويالضلال ماتقولون .

ثم تأمل ـــ أخي القارىء ـــ إلى تحديد عمر موسى يوم مات بـ : مئة وعشرين عاما أليس هذا متسقاً تماما مع ماذكر فى سفر التكوين على لسان الكهنة من أن الله قد حدد عمر الإنسان بمئة وعشرين عاماً .

نشهد للحق إن الذى أضاف هذا المقطع لهو إنسان فى أعلى قمم الغباء إن كان للغباء قمم .

وهذا المقطع هو الذى أوحى إلى كارلتشاد برفض أن تكون الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى فى العهد القديم منسوبة إليه حقيقة ، وعلق على هذا بعبارة جد خطيرة قال فيها : « **مستحيل أن يكون موسى قد كتب بنفسه كيف مات** » ؟! ولو لم يرد فى التوراة الحالية إلا هذه الفقرات لكانت كفيلة : وحدها بسقوطها من حساب العقل والإيمان الصحيح ... كيف والتوراة مشحونة شحنا بهذه الأباطيل التى لايخفى أمرها على ذى فهم .

وجاء بعد كارلتشاد البحاثه ريشار سيمون ١٦٧٨ م ، وأجرى دارسة على نصوص العهد القديم أسماها : **التاريخ النقدى للعهد القديم** . توصل منها إلى التأكيد على أن العهد القديم يحتوى على صعوبات فى تسلسل الأحداث ، كما يحتوى على فوضى فى الروايات ، وفوارق الأسلوب من سفر إلى سفر ، مما يوحى بأن واضعى العهد القديم بشر مختلفون ... ؟! ثم تلاه جان استروك « ١٧٥٣ » ، وهو الذى اكتشف فى وضوح فكرة تداخل الروايات من يهويه إلى الوهيمية إلى كهنوتية ، كما بدا ذلك من الجدول المتقدم .

ويعلق الأستاذ موريس بوكاى فيقول : إن كلاً من فلافيوس جوزيف ، وفيلون الإسكندرى كانا يدافعان عن نسبة التوراة إلى موسى فى القرون الوسطى. ثم يقول بالحرف الواحد :

(٤١)
« **أما اليوم فقد هجر هذا الغرض تماما ، والكل يتفق على تلك النقطة** »

والخلاصة : أن تحريف التوراة وتغييرها حقيقة لاجدال فيها . وكل قول يخالف هذا الرأى فوهم مردود ... ؟

فما الذى حمل اليهود على تزوير التوراة ، مادام أمر هذا التزوير حقيقة لاتقبل الجدل ... ؟!

أهل الكتاب يجيبون : هدف محورى ؟!

لندع أهل الكتاب أنفسهم يجيبون على هذا السؤال الخطير . وفى إجابتهم حسم لكل خلاف أو دعوى ليس لها دليل .

وتكاد تجمع كل المصادر غير الإسلامية التى استقينا منها الأسباب التى حملت اليهود عل تغيير التوراة ، على هدف واحد **محورى** استقر لدى اليهود . ثم ترتب عليه كل تغيير وتبديل وتزوير حدث فى كتبهم المقدسة وغير المقدسة ، وذلك الهدف المحورى قد نشأ لديهم بعد النفى إلى بابل فى القرن السادس قبل الميلاد . منذ ذلك العهد تولد لدى اليهود حب الانتقام لأنفسهم من بنى البشر جميعا ــ غير اليهود طبعاً ــ كما تولد لديهم أن يضفوا على شعب بنى إسرائيل صفات تجعله متميزاً عن جميع الشعوب ؛ فهو شعب الله المختار والله ربهم وحدهم من دون البشر . وانطلاقا من هذه المدعيات وضعوا فى خطتهم الأسس الآتية :

أولا : أن ربهم فضلهم على جميع الشعوب ، لأنهم من فصيلة عرقية تختلف عن فصائل البشر ... ؟!

ثانيا : أن ربهم وعدهم بامتلاك كل بقاع الأرض .. ؟ وبالسيطرة على كل الشعوب ، وبخاصة الشعوب التى تقف فى وجه إسرائيل .

ثالثا : على بنى إسرائيل أن ينظروا إلى الأمم الأخرى نظرة عداء . وأن يحتقروا

---

٤١ ــ دراسة الكتب المقدسة (٢٧) .

حضاراتهم ومعارفهم وأن يكوِّنوا أنفسهم تكوينا عنصريا متميزاً استعداداً لتلقى وعد الرب إياهم بامتلاك الأرض وإذلال الشعوب « الجوييم » [٤٢] الأنجاس ؟!

رابعا : وإذا أظفر الرب بنى إسرائيل فعليهم أن يقتلوا جميع « الجوييم » ويزيلوهم من على وجه الأرض ؛ لأن « الرب » مقتهم .

خامسا : على بنى إسرائيل أن يعملوا دائماً على إثارة الفتن بين « الجوييم »ليضرب بعضهم بعضاً حتى لاتقف أمام بنى إسرائيل قوة حين يأتى الوعد بالاستيلاء على الأرض وإذلال الشعوب النجسة . [٤٣] ؟! الخ .

هذه الأسباب ، وغيرها كثير ، هى التى حملت اليهود على أن ينظروا فى تراثهم الماضى كله ، ويعدلوه بما يتفق مع تطلعاتهم الجديدة . سواء ماكان ــ منه ــ وحيا ، أو غير وحى .. ؟! وتذكر هذه المراجع كلها أن الذى أخذ على عاتقه التغييرات التى تكيف اليهود بهذه الكيفية الجديدة هم الفريسيون كما ذكرت المراجع نفسها فى مواضع متعددة منها أن اسم الفريسيين معناه : المنشقين ، وتذهب بعض المصادر فى بيان جهة « الانشقاق » فتقول : إنهم انشقوا عن تعاليم التوراة حيث لم يرتضوها . ويبدو هذا الرأى وجيها إذ أن الفريسيين هؤلاء قد طمسوا التوراة طمسا . وهذا يدل على أن انشقاقهم ــ فعلا ــ كان سببه الخروج عن التوراة .

ويزيد هذا تأكيداً أن طائفة يقال لها : الصدوقيون ، كما تذكر كل المصادر ، كانت تقف أمام الفريسيين وتدعو للتمسك بالتوراة وعدم الخروج عليها . ويبدو أن الصدوقيين قد انقرضوا ، كما انقرضت التوراة نفسها ، وتألق فى الأفق نجم الفريسيين وتوراتهم الجديدة ، وماتولد بعد ذلك من كتب

---

٤٢ ــ الجويوم : وصف يطلقه اليهود على جميع شعوب العالم غير اليهود : مسلمين ومسيحين وغيرهم .

٤٣ ــ انظر فى هذه المعلومات كلا من : أحجار على رقعة الشطرنج لويلم جاى كار الأمريكى . وحكومة العالم الخفية لشيريبسبيريد . والكنز المرصود فى قواعد التلمود لروهلنج الفرنسى . وحكماء صهيون لجرس نيلوس الروس . والتوراة لسهيل ميخائيل .

اليهود : جمارا ، ومشناه ، ومدراش وتلمود فى نهاية الأمر . ولم يخلُ واحد من هذا الكتب من خدمة الأهداف الجديدة لدى اليهود .

وبالنسبة لأسفار العهد القديم ، وهى التى نتصدى لها فى هذا الكتاب ، تجد ظهور هذه بشكل واضح وخاصة فى الأسفار التى يعطونها تاريخاً قريباً من عهد ميلاد عيسى — عليه السلام — وأكثر مايكون ذلك فى الكتب التى عاصر مؤلفوها أحداث النفى إلى بابل ، أو جاءوا بعدها . سواء كانوا أنبياء — كما يدعون — أم مؤلفين كهنوتيين .

استاذ الجامعة العبرية ... وتصريحات فاضحة

وننقل للقارىء فصولاً من كتاب الدكتور : آرثر روبن أستاذ علم الاجتماع بالجامعة العبرية بالقدس .

يقول الدكتور آرثر :

« إن اليهودية الآرثوذكسية نشأت فى بابل حوالى ٤٠٠ سنة قبل الميلاد فقط »

« إن علماء الكتاب المقدس كلهم مجمعون على أن العهد القديم جرى وضعه خلال وبعد النفى إلى بابل »

» إن غاية الشريعة اليهودية هى أن تربط ببعضها فئة قتالية غير قابلة للامتزاج مع الغير . ولاتقبل المصالحة ولا المهادنة معهم ، ولاتعرف الرحمة أو الشفقة ومنظمة تنظيما شبه عسكرى » ؟!

« إن الصور الخيالية فى أسفار موسى (الخمسة) تصف فئه من المتآمرين المثاليين » ؟!

« إن إلـه اليهود القبلى (يهوه) يأمرهم بخدمة الشريعة تحت طائلة المحو من الوجود » أى إن لم يخدموا الشريعة .

« إن أسفار العهد القديم[٤٤] التالية لأسفار موسى الخمسة إنما هى وصف للعقوبات والمكافآت التى يستحقها اليهود حسبما يكونوا قد عصوا أو أطاعوا الشريعة »

« إن رسالة الأنبياء لليهود هى ــ فقط ــ اتباع الشريعة لكى يأتيهم (الوعد) . أى أن يتملكوا الأرض.ومن عليها ، وإلا عوقبوا بالمحو من الوجود »[٤٥].

« فهذه شهادة أستاذ له شأنه بالجامعة العبرية تؤكد مايراه الباحثون من غير اليهود . وأخطر مافيها أن تحصر وظيفة الرسل فى بنى إسرائيل فى أن يطيعوا الشريعة من أجل أن يستولوا على الأرض كلها . فهى ــ وحدها ــ جنتهم ولاجنة غيرها . فلا بعث ولاحساب ولاعقاب ... أبداً ولهذا فإنك لاتجد العقاب فى التوراة وفى كل كتب اليهود إلا فى صورة بلاء دنيوى يحل بالمعاقب ولاترى الثواب إلا فى صورة كسب دنيوى يناله المثاب فى الدنيا . أما الجنة والنار فلا تكاد ترى لهما ذكراً فى الشريعة اليهودية .[٤٦]

استدلال واضعى الرواية الهزلية .. باطل .. ؟!

واضعو الرواية الهزلية يقولون لو كان اليهود قد حرفوا توراتهم لما تركوا فيها صور العقوبات التى حلت بهم .. والمعاصى التى وقع فيها أسلافهم فوجود هذه الحقائق فى التوراة يدل على عدم تحريفها هذا ما يقولون . ؟!

ونقول لهم : إن غيركم كان أذكى منكم ، فقد صرح من هو على مثل عقيدتكم من أن تلك الصور قد اختلق الكثير منها اليهود أنفسهم ، وكان من وراء هذا غاية وميل لليهود ، وهو أن يصوروا لشعبهم أن مستقبل اليهود ، وكذلك حاضرهم مرتبط بالطاعة العمياء لما يقوله لهم حا خاماتهم وكهنتهم . فإن أطاعوا اقتربوا من « الوعد » وإن عصوا حل بهم ماحل بأسلافهم .. فهل

٤٤ ــ المراد بها الأسفار الموجودة فى التوراة الآن والمنسوبة إلى أنبياء جاءوا بعد موسى ــ عليه السلام ــ .

٤٥ ــ اليهود فى العصر الحاضر برلين ١٩٠٤ م .

٤٦ ــ وانظر فى ذلك بحوثا مقارنة ممتعة كتبها الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله فى كتابه : مدخل للدراسات القرآنية وكتابه العظيم : دستور الأخلاق النظرية فى القرآن .

أنتم ـــ ياسادة ـــ جاهلون أم متجاهلون ؟ وفى كل ردى وهلاك ..

شواهد من واقع النصوص :

لدينا ـــ والله ذى الجلال والإكرام ـــ ونحن نمارس حقنا فى مناقشة خصومنا هنا . لدينا ـــ والله ـــ بحوث كتبها غير مسلمين تتناول أسفار العهد القديم كله فتجعل من كل سفر غاية وهدفاً لليهود ، ومن أجل ذلك الهدف ، وتلك الغاية غيروا وبدَّلوا فى توراتهم حتى تفى بالمراد منها لبنى إسرائيل .. !!

فنحن ـــ إذن ـــ نتكلم عن ثراء واسع من المعلومات ، ولكننا ـــ مع هذا الثراء ـــ سنكتفى بما قل ودل حرصاً على وقت القارىء من أن يضيع فى مشاهدة « الضرب فى الميت » إن كان للضرب فى الميت جدوى .. ؟!

ونقدم بين يدى شواهد النصوص ـــ هنا ـــ لمحة ، خطيرة تنبه لها مؤلف كتاب : « التوراة تاريخها وغاياتها » وهو لاهوتى مسيحى كما قدمنا مراراً .

وخلاصة هذه اللمحة أن الكهنة كانوا قد فرغوا من إعادة تحرير أسفار موسى الخمسة قبل أن يتضح فى أذهانهم المنهج الجديد الذى شرحناه آنفا . ولذلك فقد خلت تلك الأسفار الأولى من الإشارة إلى هذا المنهج . فأحس الكهنة بنقطة . الضعف هذه . فكيف يواجهون الشعب الذى أرادوا إضلاله إذا كان نبيهم الأكبر لم ترد عنه أصول المنهج الذى يريدون تطبيقه . ؟

لذلك فقد عمدوا إلى « سفر الخروج الإصحاح (١٩) الفقرات (١٠ ـــ ١٢ ـــ ١٣) فجعلوا من اجتماعات « القمة » بين موسى والرب « يهوه » اجتماعات سرية للغاية . حتى إذا اعترض عليهم معترض فقال : من أين جئتم بأصول هذا المنهج ؟ قالوا له : من الأسرار التى دارت بين الرب « يهوه » وموسى فى اجتماعات القمة المعروفة لكم . وذكر مؤلف كتاب التوراة وتاريخها تلك الفقرات هكذا » : (٤٧)

---

٤٧ ـــ المصدر المذكور (٣٠) ترجمة سهيل ميخائيل .

« وقال الرب لموسى ... واجعل حداً للشعب من حواليه (أى من حوالى جبل سيناء) وقل لهم احذروا من أن تصعدوا الجبل ، أو تمسوا طرقه ، فإن كل من مس الجبل يقتل قتلاً لا تمسه يد ، بل يرجم رجما ، أو يرمى بالسهام ، بهيمة كان أو إنساناً لايبقى عليه » ؟!

ولنذكر الآن شواهد النصوص :

النص الأول :

« وأرسل هيبتى أمامك ، وأكسر جميع الجوييم الذين تصير إليهم . وأجعل جميع أعدائك بين يديك مدبرين وأبعث الزنابير أمامك فتطرد الجوييم والكنعانيين والحثيين من وجهك . لا أطردهم من وجهك فى سنة واحدة كيلا تصير الأرض قفراً فتكثر عليك وحوش الصحراء لكننى أطردهم قليلاً من أمامك إلى أن تنمو فترث الأرض . وأجعل تخمك من بحر القلزم إلى بحر فلسطين ومن **البرية** إلى **النهر**[٤٨] فإنى أسلم إلى يديك سكان الأرض فتطردهم من قدام وجهك ، لاتقطع لهم ولا لآلهتهم عهداً ، ولايقيموا فى أرضك » .[٤٩]

فى هذا النص يزعم الكهنة أن الرب « يهوه » إله بنى إسرائيل يخاطب الشعب الإسرائيلى . فيبشره بالنصر على جميع سكان الأرض . ويوصى الرب الشعب بأنه حين ينتصر على أهل الأرض فلا يقطع لهم عهداً ، ولا يسمح لهم بالإقامة معه فى الأرض .. ؟!

النص الثانى :

« وإذا أدخلك الرب إلـهك الأرض التى أنت صائر إليها لترثها .. وأستأصل ـــ يعنى الرب ـــ أمماً كثيرة من أمام وجهك ... وأسلمهم الرب إلـٰهك بين يديك . وضربتهم فأبسلهم إبسالاً . لاتقطع معهم عهداً ، ولاتأخذك بهم رأفة بل كذا تصنعون بهم : تنقضون مذابحهم ، وتكسرون أنصابهم ،

---

٤٨ ـــ المراد من البرية هنا : صحراء سيناء ، والمراد من النهر نهر النيل .

٤٩ ـــ سفر الخروج الإصحاح ٣٣ ـــ الفقرات (٢٧ ومابعدها) .

وتقطعون غاباتهم ، إنك شعب مقدس للرب إلهك . وإياك اصطفى الرب إلهك ، أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التى على الأرض » . (٥٠)

تأمل — عزيزى القارىء — كيف يأمر إله اليهود الشعب اليهودى بعمليات تدمير مروعة لكل شعب ينتصرون عليه (؟!) ... وكيف اختار ذلك « الإله » الحاقد على جميع الأمم كيف اختار شعب اليهود ، وجعل نفسه إلهاً له وحده .. ؟! فبالله عليك أيصح عند من عنده ذرة من فهم أن يصدق بأن هذا الكلام وحى .. ؟! ياللداهية الدهياء ..؟!

متفرقات :

وحتى لا نسبب لك الملل بذكر هذه النصوص المقبضة فإليك شنائع أخرى نذكرها تتميما للصورة وارجع أنت إلى نصوصها إن شئت :

* قال موسى لقومه تنفيذاً لأمر تلقاه من إله بنى إسرائيل : اقتلوا كل ذكر من الأطفال . وكل امراة عرفت مضاجعة الرجال . أما البنات الصغيرات فلا تقتلوهن بل يكن لكم . سفر العدد الإصحاح (٣١) آية (٧ ومابعدها) .

* اقتلوا كل من فى المدينة من رجل ، وامرأة وطفل ، وشيخ ، وحتى البقر اقتلوه .. ؟ سفر يشوع (٦ — ٢١) .

* واضربوا كل نفس فيها بحد السيف وأبسلوهم ولم تبق نسمة وأحرق حاصور بالنار » يشوع (٦ — ٢١) .

وهكذا ، وهكذا .. لاشغل ليهوه إله بنى إسرائيل إلا أن يخطط لهم ، ويصدر أوامره العسكرية المدمرة لكل شعوب الأرض ، حتى تخلو أمام شعبه المختار ... ؟

فاللهم أمسك عنا غضبك .. ولاتؤاخذنا بما فعل السفهاءُ منا ، وبما يفعلون .

---

٥٠ — سفر تثنية الاشتراع الإصحاح (٧) فقرات : (١ — ومابعدها) .

مصادر التضخم والأساطير فى تراث اليهود :

انتفاء صفة الوحى عما بين أيدى اليهود ـــ الآن ـــ من كتب وأسفار حقيقة لا تقبل الجدل . وهذا قد قاد الباحثين فى التراث اليهودى ـــ بعامة ـــ إلى سؤال مهم اقتضاه منهج البحث فى المادة موضوع الدارسة . ثم راحوا يرصدون إجاباتهم على ذلك السؤال ، وهم فى ذلك يكادون يلتقون عند مبدأ واحد خلاصته :

أن اليهود حين هموا بالنظر فى تراثهم ، وأرادوا إعادة صياغته فإن تأثرهم بالحضارات التى عاصرت تلك « الحركة » قد أمدهم بالكثير من المعارف والصور والطقوس والأساطير التى كانت بمثابة خطوط العرض والطول فى كتبهم وأسفارهم وشروحهم وشريعتهم .

فبحاثة العصر ول ديورانت يكاد يجزم بأن اليهود لونوا تراثهم . وبخاصة كتبهم المقدسة بأساطير الجزيرة التى أقاموا بها . فأخذوا منها قصص الخلق (سفر التكوين) وغواية الشيطان لآدم ، وقصة الطوفان .

فهناك تشابه كبير بين قصة الخلق فى الأساطير الفارسية وقصص التلمود الخاصة بالخلق . فهما متفقتان فى أن الله خلق فى أول الأمر إنسانا مكونا من ذكر وأنثى معاً .. ؟

أما قصة الجنة فتظهر فى جميع القصص الشعبية فى العالم كله : فى مصر والهند ، والتبت وبابل . والفرس واليونان والمكسيك وغيرها من البلاد . وفى معظم هذه الجنان فى آداب تلك البلاد أشجار محرمة . وفيها كذلك أفاع وحيات . وتشير تلك القصص إلى أن الشهوة الجنسية والمعرفة تقضيان على الطهارة والسعادة . وأنهما مصدر كل الشرور .. ؟

ويقول ، ول : إن هذه الظاهرة تراها فى آخر العهد القديم « التوراة » فى بداية سفر الجامعة وفى نهايته .

وقد عدت إلى الموضع الذى أشار إليه ديورانت من سفر الجامعة فرأيت كاتبه يقول :

« ... لأن فى كثرة الحكمة ــ كثرة الغم ، والذى يزيد علما يزيد حزنا »[٥١] ولسنا فى مجال نقد هذه الكلمة ــ وإنما أردنا منها الدلالة على أن مؤلفى أسفار العهد القديم حشوه حشوا أعمى بأساطير ومعارف الشعوب المجاورة لهم .

وشاع فى تلك الآداب أن المرأة هى سبب الشقاء للعالم ، وفى الأدب الصينى القديم كانت المرأة « بوسى » رمزاً للشقاء عندهم ــ ومن هذه المصادر تلقف اليهود قصة المرأة ... وظل وضع المرأة فى شريعتهم منحطا إلى اليوم . وقصة الطوفان كانت تتردد على ألسنة جميع الأمم قبل أن يدون اليهود تاريخهم بزمن طويل . هو بالتأكيد عند بعض الباحثين قبل القرن الرابع قبل الميلاد . وهى نفس الفترة التى دون فيها اليهود تاريخهم إن ول ديورانت يقول إن الباقى من أسفار موسى بدون تغيير يذكر إنما هو الوصايا العشر فحسب . أما ماعدا ذلك فقد كان عرضة للتأثر بتلك الحضارات المجاورة . إلا أنه يعود فيقول إن الوصية الرابعة من الوصايا العشر . وهى المتعلقة بتقديس الراحة يوم السبت أنه مقتبس من البابليين ، فتلك العطلة كانت شائعة بينهم . وعنهم أخذ اليهود كثيراً من المراسم الدينية والأعياد .[٥٢]

وفى عام ١٩٢٤ تقدم باحث غربى هو أدولف إرمان : Adolf Erman ببحث عنوانه : مصدر مصرى لسفر الأمثال . أوضح فيه أن أحد الحكماء المصريين وضع نصائح له فى ثلاثين بابا وجدت مسطورة على ورق البردى أدار النصح فيها بين والد وولده وأن تلك الحكم وجدت متكررة مرات فى أمثال سليمان فى العهد القديم .[٥٣]

أما الناحية التشريعية العامة فى أسفار اليهود وكتبهم المقدسة فإن ارتباطا وثيقاً قد اكتشف بين التشريع اليهودى وبين قانون « حمورابى » المعروف من

---

٥١ ــ الإصحاح الأول فقرة (١٨)

٥٢ ــ قصة الحضارة (حـ ٢ ص ٣٦٧) ومابعدها .

٥٣ ــ التوراة عرض ونقد للدكتور فؤاد حسين (٧٥) نقلا عن المسيحية للدكتور أحمد شلبى .

سنة ١٩٠٠ قبل ميلاد السيد المسيح . وقد اكتشف هذه العلاقة طائفة من الباحثين الأروبيين وعلى رأسهم الباحث جريمايز Jeremas وقالوا : « إن تلك العلاقة بين القوانين اليهودية وقانون « حمورابى » ليست علاقة سطحية ولاعرضية بل تتناول اللحمة والسدى واللب والجوهر » [٥٤]

وصلات بالهندوسية

ونختتم هذا الفرع بمعلومات قيمة جداً توصل إليها باحث حديث حيث اكتشف أن الطقوس والمعتقدات اليهودية قد اقتبست من الديانة الهندوسية خمسة عناصر :

الأولى : عقيدة تناسخ الأرواح .

والثانية : حب اليهود للمال . وقال هذا الباحث أن الهندوس يحبون المال كثيراً لدرجة أنهم جعلوا له « ربا » خاصاً يدعونه « لا كشمى » .

والثالثة : عبادة العجل ، والهندوس يعبدون البقر والعجول .

والرابعة : الهندوس يعتقدون أن غير الهندوس نجس ، وكذلك اليهود .

والخامسة : الهندوس يرون طهارة مياه نهر الكنج المقدس عندهم ويضعون قطرات من مائة على أكفان موتاهم . وقد اقتبس اليهود منهم هذه « العادة » وقالوا بتقديس تراب سيناء ولهذا فإنهم يضعون فى أكفان موتاهم قدراً من تراب سيناء ، ويحملون بعضا منه أينما كانوا .. ؟ [٥٥]

ولو أرخينا للقلم العنان لما بقى لليهود شيء مما هو معروف لهم الآن من أصول فكرهم وطقوسهم . فالتضحية والختان والقربان مستوحاه من الآراميين الذين عرفوهم ردحاً من الزمن القديم . ولكن حسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق كما يقولون .

---

٥٤ ـــ الله = (ص ١١٧) عباس محمود العقاد .

٥٥ ـــ انظر التلمود : تاريخه وتعاليمه (ص ٧١) ومابعدها . ظفر الإسلام خان .

وصفوة القول : أن اليهود لم يبدأوا من فراغ ، وأنهم حين أرادوا إعادة الصياغة لمعتقداتهم وتاريخهم لتتناسب تلك الأمور مع تطلعاتهم العنصرية التى لاحت لهم إبان وبعد النفى البابلى ، وزادتها على مر الأيام الأحداث التى وقعت لهم من تحطيم الهيكل مرات ــ وضوحاً فإنهم وجدوا فى أساطير الشعوب القديمة مادة خصبة ملأوا بها أسفار عهدهم القديم . وفلسفوا قوانينهم على أساسها وإن ركبوها تركيبا جديداً محاولين فيه « إنساء الأصول التى استعاروا منها عقائدهم وملاحمهم وطقوسهم وفكرهم » .

تلك حقيقة الحقائق ، يدركها المنصفون من الباحثين والمفكرين ، ولايضر تلك الحقيقة ، أو يقلل من شأنها محاولات واضعى الرواية الهزلية ، الذين يدعون لليهود مالايدعيه اليهود لأنفسهم وختاما لهذا كله نورد عبارة فاصلة وردت فى : قاموس التوراة منشورات سكريبنر : نيويورك ١٩٠٩ م وفيها بالحرف الواحد : « إن تفهم الديانة العبرية مستحيل مالم تؤخذ بعين الاعتبار ــ وبشكل مستمر ــ الديانات والثقافات الأخرى التى نمت وترعرعت فى وادى الفرات .. إن الأصول القضائية البابلية وكذلك الطقوس المعمول بها فى المعابد البابلية ، يجب أن تؤخذ كعوامل حاسمة التأثير على الشرائع العبرانية فى الأصول القضائية . والطقوس الدينية » .. ؟!

تلك هى الحقيقة .. ولاشىء أحلى منها مذاقاً .. وإن مر !



الفصل الثانى

ادعاء وحدة النصوص فى العهد القديم .. ؟!

ناقشنا فى الفصل السابق ادعاء واضعى الرواية الهزلية أن العهد القديم (التوراة وملحقاتها) تخلو من غايات الناس وميولهم (؟!) وقدمنا شهادات قوية وواضحة أدلى بها فريق، من أهل الكتاب أنفسهم ــ يهوداً ونصارى ــ تقطع بأن العهد القديم « مزور » فى لحمته وسداه . وأنه لايمثل وحى الله إلى موسى والأنبياء الذين جاءوا من بعده إلى مبعث عيسى بن مريم عليهم صلوات الله وسلامه . بل إن الكتبة والفريسيين والكهان قد صاغوا تلك « الأسفار » على هوى من عند أنفسهم ، وبخاصة بعد وقوع النفى البابلى لليهود . وكان من اليسير أن نكتفى بما قدمناه فى الفصل السابق . فهو ــ وحده ــ كفيل بزعزعة الثقة فى التوراة وملحقاتها .

ولكننا أحببنا أن نصفى حسابنا مع هؤلاء الذين لم يكفوا لحظة واحدة عن التفكير فى الطعن فى الإسلام ، واتباعهم سبلاً شتى لتشكيك من يستطيعون من المسلمين فى دينهم وعقيدتهم . وهذا ضرب من الوهم يعيش فيه أولئك المبشرون ، وهم يضعون « عصابة » على أبصارهم حتى لايقعوا صرعى تحت أقدام الحقيقة التى لم تعد تحتمل جدلاً أو مكابرة من حاقد أو جاهل .
فهذا الفصل ــ إذن ــ مخصص للإجابة على هذا السؤال المهم :
هل صحيح أن أسفار العهد القديم (التوراة وملحقاتها) هى الآن على صورة واحدة بين جميع الطوائف الكتابية التى تعتبرها : كتاباً مقدساً .. ؟!
أم أن هذه (التوراة) تختلف نصوصها ، بل وكيفها وكمها من طائفة إلى أخرى . ؟!
أو بعبارة أوجز وأوضح : هل نصوص التوراة ــ الآن ــ متحدة أم يعتريها اختلاف .. ؟!

منزع الأدلة :

إن كل سؤال ــ بطبعه ــ يمكن الإجابة عليه إما بالإثبات ، وإما بالنفى . والإجابة بشقيها لاتكون ذات قيمة باعتبارها مجرد إجابة . فقد يثبت « المجيب » المنفى ، وقد ينفى المثبت . وفى هاتين الحالتين تكون الإجابة « مزورة » فلا يعتد بها فى ميزان الفهم الصحيح .
ثم قد يثبت « المجيب » المثبت ، وقد ينفى المنفى . وفى هذه الحالة فإن الإجابة ــ إجمالا ــ تعد مقبولة .. ولكنها ــ مع ذلك ــ ناقصة ؛ لافتقارها إلى دليل يقويها ويكملها إثباتا أو نفيا .

ونعنى ــ بهذا ــ أن يقدم المجيب بين يدى إجابته دليلاً يقنع به « السائل » أو يلزمه به الحجة .

وسؤالنا هذا واحد من الأسئلة التى تحتاج الإجابة عليه إلى دليل يقنع أو يُلزم .

وقد اختار خصومنا ــ واضعو الرواية الهزلية ــ أن يجيبوا على السؤال بالإثبات . ولكنهم لم يقدموا ــ ولن يقدموا ــ دليلا واحداً ، أو شبه دليل على صحة الإجابة ، وهم معذورون ؛ لأن الدليل المؤيد لإجابتهم لا وجود له قطعاً . ولذلك فإنهم اكتفوا بأن يصوغوا تلك الإجابة هكذا :

« ومع كونه يضاد اليهود فى إنكارهم المسيح وكفرهم به ، ويضاد كثيراً من فرائض وطقوس أكثر المذاهب النصرانية ، مع ذلك لم يقدم هؤلاء ولا أولئك على تغيير أو تبديل شىء من نصوصه بحيث يكون على نوع ما موافقاً لآرائهم واصطلاحات عبادتهم . فلا جرم أن ذلك من أقطع الأدلة على كونه محفوظا أبداً بيد من أنزله ... » .[1]

إن دعوى بقاء التوراة على صورة « نصيَّة » واحدة ليس بها اختلاف مثل

---

١ ــ الباكورة .. (٣ ــ ٤) .

دعوى من يقول : إن السماء تحتنا ، والأرض فوقنا .. ؟!

وليس التشابه بين هاتين « الدعويين » خلو كل منها من الدليل المؤيد فحسب ، وإنما التشابه بينهما فى أن كل الأدلة قامت على تكذيبهما ورفضهما .

والذى سوَّغ لواضعى الرواية الهزلية أن يتذرعوا بهذا الوهم ، أنهم يكتبون مايكتبون بغية التأثير على « السذج » من المسلمين ، وفى يقينى أن واضعى الرواية الهزلية يدركون تماما أن مايقولونه « باطل »ولكنهم آثروا السير فى هذا الطريق « الوعر » عملاً بالقول العامى « العيار اللى مايصيب يدوش » وهو قول — بطبعه — لا يلجأ للعمل به إلا « اليائس » من الوصول إلى مايريد . هذا هو موقف الخصم واختياره . فما هو موقفنا — نحن — وماااختيارنا فى الإجابة على ذلك السؤال .. ؟

موقفنا واختيارنا

ونلفت نظر القارىء إلى أننا فى تحديد موقفنا من هذه الدعوى واختيارنا أمامها ، فإننا لانستمد ذلك من هوى النفس وإنما نستمده من الحقائق المسلم بها ، التى لاينكرها إلا جاهل أو معاند .

نحن نختار النفى . ونرى فيه موقفنا الواجب اتخاذه اعتماداً على الأدلة القاطعة . فليست أسفار العهد القديم — كما يدعى الخصم — موجودة — الآن — على صورة نصية واحدة. وإنما هى صور متعددة تختلف من طائفة إلى طائفة من أهل الكتاب .

ولكى لانطيل فى الرد فإننا ندير الأمر على محورين : أحدهما انتزاع الدليل من الواقع لأسفار العهد القديم ، وهيئتها التى هى عليها الآن بيدى من يدعون أنها كتابهم « المقدس » وهم اليهود ومن يدعون أنها جزء من كتابهم « المقدس » وهم النصارى باختلاف فرقهم .

أما المحور الثانى فهو انتزاع الدليل من أقوال أهل الكتاب أنفسهم إما فى

مواجهة بعضهم لبعض ، أو فى مواجهة الحقيقة المجردة .

شهادة الواقع

أسفار العهد القديم :

إن أول مايدحض زعم واضعى الرواية الهزلية من أن التوراة موجودة الآن بيد جميع الطوائف الكتابية على صورة « نصيَّة » واحدة إن أول مايدحض هذا الزعم هو اختلاف مفهوم التوراة من طائفة إلى أخرى . وذلك على الوضع الآتى :

مفهوم التوراة عند البروتستانت :

تتكون التوراة عند طائفة البورتستانت من تسعة وثلاثين سفراً (بابا أو كتابا)وهى :

أسفار موسى الخمسة ، ويرمز لها بكلمة : « تخلعت » فالتاء الأولى رمز لسفر **التكوين** . ويسمى ـــ كذلك ـــ سفر الخليقة . والخاء رمز لسفر **الخروج** . واللام رمز لسفر اللاويين . ويسمى ـــ أيضا ـــ سفر الأحبار . وهم سبط ـــ موسى عليه السلام ـــ والعين رمز لسفر **العدد** ، أما التاء الأخيرة فرمز لسفر **التثنية** . فهذه خمسة أسفار يضاف إليها :

يشوع ـــ القضاة ـــ راعوث ـــ صموئيل الأول ـــ صموئيل الثانى ـــ الملوك الأول ـــ الملوك الثانى ـــ أخبار الأيام الأول ـــ أخبار الأيام الثانى ـــ عزرا ـــ نحميا ـــ إستير ـــ أيوب ـــ المزامير ـــ سفر الأمثال ، ويعزى لسليمان بن داود ـــ عليه السلام ـــ الجامعة ـــ نشيد الإنشاد ـــ أشعيا ـــ أرمياء ـــ مراثى أرمياء ـــ حزقيال ـــ دانيال ـــ هوشع ـــ يوئيل ـــ عاموس ـــ عوبديا ـــ يونان ـــ ويعزى ليونس بن متى ـــ عليه السلام ـــ فيحا ـــ ناحوم ـــ حبقوق ـــ صفنيا ـــ حجى ـــ زكريا ـــ ملاخى .

ولكى تكون دعوى واضعى الرواية الهزلية صحيحة فكان ينبغى أن تكون

هذه الأسفار التسعة والثلاثين المذكورة آنفا ، هى هى بعينها حقيقة التوراة عند كل الطوائف اليهودية ، والنصرانية . بلا زيادة وبلا نقص . وباتفاق تام فى النصوص الواردة فيها بلا تغيير ولاتبديل . ولكن ذلك ، أو شيئا منه لم يكن . فهناك طوائف زادت عليها . وطائفة نقصت منها . فهل مع ذلك تصبح لتلك الدعوى جدوى . فتعال معى وانظر .

مفهوم التوراة عند الكاثوليك :

يختلف مفهوم التوراة عند الكاثوليك عنه عند غيرهم فبينما كان عدد الكتب أو الأسفار عند البروتستانت كما تقدم تسعة وثلاثين كتابا ، إذ بالكاثوليك يزيدون عليهاسبعة كتب أخرى ، فيصبح مفهوم التوراة عندهم ستة وأربعين سفراً أو كتاباً . والكتب المضافة السبعة هى :

طوبيا ــ يهوديت ــ الحكمة ــ يسوع بن سيراخ ــ باروخ ، ويكتب وينطق ــ أحيانا ــ باروك لشيوع استعمال الحرفين الخاء والكاف كل منهما مكان الآخر فى اللغة العبرية .

ثم كتاب المكابين الأول ــ والمكابين الثانى .
وكثيرا مايردان فى بعض الكتب بإبدال الكاف قافا هكذا : المقابيون . لشيوع هذا الظاهرة كالأولى ومعنى هذا أن البروتستانت يرفضون ــ يقيناً ــ أن تكون هذه الكتب السبعة من التوراة أو العهد القديم . فهى عندهم ــ قطعاً ــ مزورة ، وإلا لما حذفوها من توراتهم ؟!

وكذلك فإن الكاثوليك يرفضون ــ يقيناً ــ أن تكون التوراة على الصفة التى يعتمدها البروتستانت فهذا خلاف أصيل وعميق بين هاتين الفرقتين الكبيرتين . ؟! فكيف يقال ــ إذن ــ أن التوراة واحدة عند كل الطوائف الكتابية ، لم تجرؤ طائفة على تغييرها ، أو تبديلها ؟! وهل يصدق ــ عند منصف ــ هذا القول إذا قيل .. وقد قيل .. ؟!

إحدى الفرقتين فى نظر الأخرى قد حرفت التوراة بالحذف ... وهل

حذف سبعة كتب كاملة من كتاب يقال : إنه « وحى » هل هذا الحذف هين .. ؟!
أفتونا ــ أيها النافخون فى الأبواق المثقوبة أو أفتوا أنفسكم ، ثم اختاروا لها ماينجيها من سوء المنقلب .

وإحدى الفرقتين فى نظر الأخرى قد حرفت التوراة بالزيادة حيث أضافت إليها ماليس منها ، وكل من الحذف والزيادة تزوير لايخفى على عاقل خطره فما هو موقفكم ــ ليتنى أدرى ــ أمام هذه الحقائق ؟! هل أنتم مصرون على قولكم أن التوراة واحدة لدى كل الطوائف لم تحرف ولم تبدل ؟! قولوا ماشئتم فلن يضيرنا من الأمر شيء . وواجبنا أن نكشف ما أنتم عليه من ضلال . وكل نفس بما كسبت رهينة ولاتزر وازرة وزر أخرى ﴿ **وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين** ﴾ .

مفهوم التوراة عند السامريين :

هؤلاء السامريون هم الذين تهودوا من غير بنى إسرائيل ومفهوم التوارة ــ عندهم ــ يختلف اختلافا بيناً عنه عند كل من البروتستانت والكاثوليك . وقد مرَّ بنا قريباً أن التوارة عند البروتستانت تتألف من تسعة وثلاثين كتابا . أما الكاثوليك فقد زادوا عليها سبعة كتب فصارت توراتهم مؤلفة من ستة وأربعين كتابا ... أما السامريون فإن نظرتهم إلى التوراة تتفاوت كثيراً عن نظرتى كل من البروتستانت والكاثوليك فهى عندهم تتألف من سبعة كتب فحسب وهى كتب موسى الخمسة :

التكوين ــ الخروج ــ اللاويون ــ العدد ــ التثنية ــ ثم سفرا : يوشع بن نون ، والقضاة . وماعدا ذلك فليس منها . أى أنهم حذفوا تسعة وثلاثين سفراً من توراة الكاثوليك . أما بالنسبة لتوراة البروتستانت فإن حجم الحذف يبلغ اثنين وثلاثين سفراً كاملاً .. ؟!

ومعنى هذا أن السامريين يتهمون كلا من الكاثوليك والبروتستانت بتزوير التوراة بإضافة ماليس منها إليها .

وكل من الكاثوليك والبروتستانت يتهمون بدورهم السامريين بأنهم حذفوا من التوراة ماهو منها فهم ــ أعنى السامريين ــ متهمون فى نظر الكاثوليك بحذف تسعة وثلاثين سفراً كاملا . كما أن البروتستانت يتهمونهم بحذف اثنين وثلاثين سفراً كاملاً ..

وصفوة القول : أن كل فرقة من الفرق الثلاث تتهم الأخرى فليس منها فرقة واحدة بريئة فى نظر الأخرى .

موضع الاتفاق والاختلاف بين هذه الفرق الثلاث :

وإلى هنا نصل إلى سؤال مؤداه :
ماهو القدر المسلم بصحته من التوراة بين هذه الفرق الثلاث ؟! وماهو القدر المختلف فيه منها .. ؟!
والإجابة على هذا السؤال بشقيه ذات مغزى عميق الدلالة فى هذا المجال .
فالإجابة على الشق الأول من السؤال هى ــ قطعا ــ مايأتى :

أن القدر المتفق عليه بين طوائف أهل الكتاب جميعها هو سبعة أسفار فحسب . أسفار موسى الخمسة ، ثم سفرا يوشع والقضاة متمثلا فيما يؤمن به السامريون ؛ لأن ماعداها من الأسفار قد رفضه هؤلاء السامريون ، وقالوا : إنه مدسوس على التوراة وليس منها . ولا لموسى ــ عليه السلام ــ به أدنى صلة . بينما يسلم الباقون بهذا القدر المعتمد عند السامريين . ثم يختلفون فيما بقى من كتب العهد القديم ، فيعتمد الكاثوليك ــ بعد هذا القدر المتفق عليه ــ تسعة وثلاثين سفراً هى ماتقدم . ويرفض البروتستانت سبعة منها ويقولون : إنها مدسوسة على التوراة وليست منها من قريب أو من بعيد .

هذا هو حجم الخلاف بين الطوائف « العظمى » عند أهل الكتاب وهناك خلافات أخرى داخل هذا الخلاف « الجماعى » يتعلق ببعض الأسفار . يعتمدها فريق ، ويرفضها آخر . فالكاثوليك يعدون أسفار الملوك أربعة لا اثنين ، بدلاً من سفرى صموئيل الأول والثانى . وبعض علماء اليهود يرفضون

سفرى الجامعة، ونشيد الأنشاد ، فلا يعدونهما من أسفار العهد القديم[٢] .

وبعد هذا العرض الموجز العميق الدلالة أتوجه إلى كل عاقل أيًّا كانت عقدته فأقول :

أيصح أن يقال : إن التوراة كتاب مصون بيد من أنزله وهو على صورة واحدة عند جميع الطوائف ، لم تجرو يدٌ على تغيير شيء منه أو تبديله ؟!

أيصح أن يقال هذا القول . ؟ وإذا قيل أيصح لدى عاقل أن يصدقه أو يمنحه « شيئا » من الثقة ؟!

وإذا لم يكن ماقدمناه من حال التوراة ـــ الآن ـــ تحريفا وتبديلاً وتزويراً فما هو إذن التحريف والتبديل والتزوير ؟! ليُفتنا واضعو الرواية الهزلية « الأذكياء » فإن أبَوْا أن يسموه تحريفا وتبديلاً وتزويراً ، قلنا لهم : صدقتم فهو ليس بتحريف ولاتبديل ولاتزوير ، ولكنه ـــ رضوا أم كرهوا ـــ طمس .. ؟! تلك هى الحقيقة ، والحقيقة وحدها فاعملوا على شاكلتكم إنا عاملون ، ويوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت فى إيمانها خيراً ... ؟!

شهادة النصوص :

للتوراة واقعان **أحدهما**هو ماعليه من حيث « **الكم** » وقد ظهر لنا فى وضوح قاطع مما تقدم أن الواقع الكمى للتوراة مختلف اختلافاً بينا من طائفة إلى أخرى . ودلالة ذلك الاختلاف الكمى ـــ بلا جدال ـــ هى تكذيب دعوى من يدعى أن التوراة مصونة بيد مَنْ أنزلها لم يمسها تحريف ولاتبديل ولاتغيير ، ؟! وأنها موجودة على صورة واحدة بيد جميع الطوائف المؤمنة بها .. ؟!

ففى ظلال هذا الاختلاف الكمى أصبحت تلك « الدعوى » بلا مراء :

---

٢ ـــ اليهودية (٢٣٩) د. أحمد شلبى ط السادسة .

أكذوبة الأكاذيب . !!

أما الواقع الثانى ، فهو الواقع **النصى** للتوراة ، ونقصد به واقع النصوص التى تتكون منها التوراة لحمتها وسداها أو خطوط العرض والطول فيها .

فهذا الواقع النصى — بدوره — لانقول : إنه أحدث شروخا عميقة فى صرح التوراة فحسب ، وإنما نقول : إنه نخر أساسها نخراً ، فهى — الآن — متداعية متهرئة وإن بدت للنظرة القَحْلى أنها « شىء » وماهى بشىء . (٣)

وهذا يتضح — كسابقه — من عرض نماذج من نصوصها للتدليل على مانقول . وإليك تلك النماذج منقولة نقلا أمينا من مصادرها لديهم . على أننا سنعقب على كل نص باستظهار مضمونه ، ودلالة ذلك المضمون على التسليم بصحة النتائج الدافعة لدعوى واضعى الرواية الهزلية أن التوراة كتاب وحى مصون من التحريف والتبديل
وأنها على صورة واحدة لدى

النموذج الأول :

الثلاثة ... عشرة

أسفار العهد القديم تهتم بذكر الأنساب فلان ولد فلان وفلان وبينما هى تمارس هذه الهواية المفضلة لديها ، إذ بها تقع فى عدة أخطاء لاتفسير لها إلا أن يقال : إن التوراة الحالية ليست هى « الموحاة » من الله إلى موسى — عليه السلام —.

وهذا نموذج من ذلك الخلط العجيب ، الذى وقع فيه كاتبو التوراة وهم بصدد بيان أولاد بنيامين أخى يوسف :
فقد جاء فى الإصحاح السابع من سفر أخبار الأيام الأول مايأتى بالحرف

---

٣ — لانريد من هذا إلا نفى أن تكون التوراة بوضعها الحالى وحيا من عند الله . وهى — بعد هذا — عمل بشرى يخضع لكل مايخضع له العمل البشرى من نقد ومن خطأ وصواب .

الواحد :

« لبنيامين : بالع وباكر ويد يعئيل ثلاثة . وبنو بالع : أصبون ، وعزى ، وعزيئيل ، وبريموث ، وعبرى . خمسة .... » [٤]

وجاء في الإصحاح الثامن من نفس سفر أخبار الأيام الأول فى نفس الموضوع مايأتى بالحرف الواحد :

« وبنيامين ولد بالع بكره ، وأشبيل الثانى ، وأخرج الثالث ونوحه الرابع ، ورافا الخامس . وكان بنو بالع : أدار ، وجيرا ، وأبيهود ، وأيشوع ، ونعمان ، وأخوخ ، وحيرا ، وشوفان ، وحورام » ؟! [٥]

وجاء فى سفر التكوين الإصحاح السادس والأربعين فى نفس الموضوع مايأتى بالحرف الواحد :

« وبنو بنيامين : بالع ، وباكر ، وأشبيل ، وجيرا ، ونعمان ، وإيحى ، وروش ، ومفيم ، وحفيم ، وأرد » .[٦]

مغزى هذه النصوص :

نقلنا النصوص الثلاثة المتقدمة من مصدرها مباشرة بدون وسيط ، أعنى من الكتاب المقدس ؟! نفسه ولم ننقلها عن ناقل آخر لاحتمال أن يقع الناقل فى خطأ وأثبتنا فى ذيل الصحيفة أرقام الفقرات بالضبط ، بعد أن بيَّنا فى صلب الصحيفة الموضع الذى وردت فيه من الكتاب المقدس (السفر والإصحاح) ، وهدفنا من هذا التوضيح الدقيق أن نيسر على قارىء كتابنا هذا مهمة الرجوع بنفسه إلى مصدر هذه النصوص ، ليتأكد أننا كنا أمناء فى النقل فلم نحرف نصوص الخصم « المقدسة » تطويعاً لهوى فى أنفسنا . وسعيا وراء نتيجة تساندنا فى مواجهتنا لخصومنا . بل إنى أدعو القارىء الكريم أن يرجع إلى

---

٤ ـــ الفقرتان (٦ ـــ ٧) .

٥ ـــ الفقرات (١ ـــ ٥) .

٦ ـــ الفقرة (٢١) .

الاطلاع على هذه النصوص فى مصدرها الأصيل قبل أن ينتهى إلى ماسوف ننتهى إليه منها ؛ لأن النتيجة ستكون خطيرة ، بل وخطيرة جداً فى دفع دعوى الخصم **سلامة الكتاب المقدس من التحريف** . إذ سوف يرى أن هذه الدعوى وهم من الأوهام .

وبعد هذه الوقفة نقول : إن لهذه النصوص دلالتين ، دلالة من حيث هى نصوص قبل أن نتعرض لها بالنقد ، ودلالة بعد أن نتعرض لها بالنقد . وليس بين الدلالتين تدافع ، أو تنافر . بل هما متآخيتان ، تؤازر إحداهما الأخرى فى تناسق عميق الأثر . وإليك البيان .

دلالة النصوص قبل النقد :

إن دلالة تلك النصوص ــ قبل النقد ــ يسيرة الإدراك لاتحتاج إلى فكر ، وخلاصتها فى إيجاز :

إن الإصحاح السابع من سفر الأخبار الأول يقول : إن أولاد بنيامين ثلاثة ... ويأتى الإصحاح الثامن بعده مباشرة ويقول : إن أولاد بنيامين خمسة .. والموقف إلى هنا يحتاج إلى علامتى استفهام هكذا ... ؟؟ .

وقبل هذا قال الإصحاح السادس والأربعين من سفر التكوين : إن أولاد بنيامين عشرة .. فإذا اعتبرنا ماجاء فى الإصحاح السابع من سفر الأيام الأول هو الأصل ؛ لأن العدد فيه ثلاثة .. فإن الموقف أمام مايقوله سفر التكوين يحتاج إلى سبع علامات استفهام وفق العدد الذى زاده هكذا . ؟؟؟؟؟؟؟

فالاختلاف فى العدد من حيث أنه عدد هو محور هذه الدلالة الفجة . ومع هذا فهى عقبة كؤود فى طريق المدافعين عن . الكتاب المقدس ، المدعين سلامته من التحريف ؟!
لأن من حق خصومهم أن يقولوا لهم :

أى هذه الروايات هى الصحيحة ؟! الثلاثة أم الخمسة أم العشرة ... ؟!

ومهما يكن جواب المدافعين عن التوراة ، فهو ملزم لهم بوجهة نظر الخصم بأن التوراة قد حرفت .... وإلا لما وقع فيها هذا الخلط الفاضح الذى لايليق بكتاب يقال إنه وحى من عند الله .. ؟!

هذه الدلالة قد وقف عندها كل الكاتبين عن التوراة قبلنا ممن اطلعنا على كتاباتهم حولها .. ولم يخطوا بالبحث أكثر من هذه الخطوة التى تدرك ببديهة النظر من غير فحص فى النصوص ... وها نحن أولاء نخطو بالبحث خطوات **أطول وأثبت**، وسنواجه الخصم **بدلالة أخرى أعمق وأفحم** مما عليه الحال فى الدلالة المتقدمة لأننا سنتجاوز مجرد العدد إلى فحص النصوص ونقدها من حيث أنها — فى نظر الخصم — نصوص مقدسة لم يصبها تحريف ولاتبديل .. ؟!

دلالة النصوص بعد النقد :

إن فحص هذه النصوص الثلاثة ، ونقدها ، والموازنة بينها ، تسفر عن نتائج جد خطيرة ؛ لأنها من أقطع الأدلة على أن التوراة الحالية ليست وحياً بل هى عمل بشرى بلا أدنى نزاع ..؟!
ولكى يسهل على القارىء مشاركتنا فى فهم النقد بدون عناء ، فإننا نضع أولاً جدولاً بيانيا ، ثم ندير أمر نقد النصوص على هداه . وبالله التوفيق .

مصدر الخبر	أولاد بنيامين										الجملة
سفر أخبار الأيام الأول الإصحاح السابع	بالع	باكر	يديعئيل								ثلاثة
سفر الأيام الأول الإصحاح الثامن	بالع بكره	أشبيل	أخرخ	نوحة	رافا						خمسة
سفر التكوين الإصحاح السادس والأربعون	بالع	باكر	أشبيل	جيرا	نعمان	إيحى	روش	مفيم	حفيم	أرد	عشرة

ومن هذا الجدول تتضح عدة مآخذات :

أولا : المصدر الأول يعد أولاد بنيامين هكذا :

بالع ـــ باكر ـــ يديعئيل ، فهم ـــ إذن ـــ ثلاثة .

ثانيا : المصدر الثاني يعدهم خمسة . ونلحظ فيه ملحظين :

أولهما : أنه زاد اثنين على ماذكره المصدر الأول .

وثانيهما : أنه أسقط الولد الثالث يديعئيل المذكور في المصدر الأول .

أما الولد الثاني « باكر » فقد جعله وصفا للولد الأول بالع فقال هكذا .

« بالع بكره » أى بكر بنيامين فهو أول ولد يولد لبنيامين على حسب هذه الرواية .

ومعنى هذا أن المصدر الثانى قد أسقط الولد الثانى والثالث المذكورين فى المصدر الأول . ولم يتفق معه إلا فى اسم الولد الأول : بالع . ثم خالف المصدر الثانى المصدر الأول فى بقية الأولاد .

فالثانى عنده أشبيل مكان باكر . والثالث عنده أخرج مكان يديعئيل . ؟!

فالخلاف بينهما ليس هو حول النقص والزيادة في العدد ثلاثة أو خمسة فحسب ، ولكنه خلاف قد اتخذ سمة أخرى ، وهى أن الأشخاص الذين تنسب التوراة ولادتهم لبنيامين مختلفون تماماً . فهل ياترى الولدان الثانى والثالث لبنيامين هما : باكر ويديعئيل كما تقول الرواية الأولى ؟!

أم هما : أشبيل وأخرج كما تقول الرواية الثانية ؟

السؤال موجه إلى واضعى الرواية الهزلية الذين يدعون سلامة التوراة من التحريف ، وأنها مصونة بيد من أنزلها .. ؟!

وموجه كذلك إلى طلاب الحق ومعرفة الزائف المزور من الذين يريدون أن لايخاطروا بقضايا الإيمان كما ينبغى أن يكون الإيمان . !

ثالثا : فإذا وصلنا إلى المصدر الثالث هالنا حجم الخلاف ، وهو بالطبع جامع

بين السمتين السابقتين : **التفاوت فى العدد ، ثم التغاير** بين الأشخاص .

أما التفاوت فى العدد فهو ـــ كما علمت ـــ قد عدَّ ـــ أولاد بنيامين عشرة بزيادة سبعة على الرواية الأولى ، وخمسة على الرواية الثانية . وهذا مزلق خطر كما سبقت الإشارة إليه .

أما التغاير فى الأشخاص فقد اتفق مع الرواية الأولى فى الولد الأول والثانى : بالع وباكر . واختلف معها فى الولد الثالث يديعئيل ، فقد أسقطه المصدر الثالث وذكر مكانه أشبيل ، كما هو واضح فى الجدول .

وهنا يرد هذا السؤال : من هو الولد الثالث لبنيامين أهو يديعئيل كما تقول الرواية الأولى ؟! أم هو أشبيل كما تقول الرواية الثالثة ؟

أجيبوا ياواضعى الرواية الهزلية ، واستعينوا فى إجاتكم بشياطينَ الإنس والجن إن كنتم فاعلين ؟!

رابعاً : التغاير فى الأشخاص بين المصدر الثالث والمصدر الثانى هكذا .

المصدر الثانى يذكر الأولاد الخمسة على الترتيب هكذا :

بالع بكره ـــ أشبيل ـــ أخرج ـــ نوحة ـــ رافا

ويأتى المصدر الثالث فيتفق معه فى الولد الأول بالع اسما ورتبة ، ويتفق معه ـــ كذلك ـــ فى الولد الثانى اسما لا رتبة ، وهو أشبيل . فبينما يجعله المصدر الثانى فى الرتبة الثانية إذ بالمصدر الثالث يجعله فى الرتبة الثالثة (انظر الجدول) فبينهما فيه اتفاق واختلاف .

ويخالف المصدر الثالث المصدر الثانى فى الولد الثانى والرابع والخامس .

الولد الثانى فى المصدر الثانى هو أشبيل ، أما فى المصدر الثالث فهو « باكر » والأولاد الثالث والرابع والخامس فى المصدر الثانى هم : أخرج ـــ ونوحة ـــ ورافا .

بينما هم فى المصدر الثالث : أشبيل ـــ جيرا ـــ نعمان ... ؟!

ثم ينفرد المصدر الثالث بالزيادة الخاصة به وهم :

إيحى — روش — مفيم — حفيم — وأرد .. ؟!

خامساً : ومن المآخذ على هذه النصوص الثلاثه مواضع الاتفاق والاختلاف فيها جملة بعد أن عرفناها تفصيلا .

(١) فالمصادر الثلاثة اتفقت على اسم واحد من هؤلاء الذين ذكرتهم على أنهم أولاد بنيامين .

والاسم الذى اتفقت عليه المصادر الثلاثة كما هو مبين فى الجدول هو « بالع » وحده . فكل المصادر تذكر أنه الولد الأول لبنيامين ، مصدران منها اكتفت بتقديمه فى الذكر ، وهما المصدر الأول والثالث . ومصدر واحد لم يكتف بالتقديم الذكرى بل نص على ذلك صراحة فقال « بالع بكره » وهو المصدر الثانى . ولم يحظ اسم باتفاق المصادر الثلاثة سوى « بالع » هذا .

(٢) واسمان آخران اتفق على كل منهما مصدران من المصادر الثلاثة . أحدهما « باكر » وقد اتفق عليه المصدران الأول والثالث . فهو الولد الثانى لبنيامين عندهما .

والاسم الثانى « أشبيل » وقد اتفق عليه المصدران الثانى والثالث على خلاف بينهما فى رتبته ثانيا أو ثالثا كما مر . أما بقية الأسماء فمحل خلاف عميق بين المصادر الثلاثة .

فالمصدر الأول يختص بذكر يديعئيل على أنه الولد الثالث لبنيامين ولم يرد هذا الاسم فيما عداه .

والمصدر الثانى يختص بذكر : أخرج — نوحة — رافا ولم ترد هذه الأسماء فيما سواه .

والمصدر الثالث يختص بذكر : جيرا — نعمان — إيحى — روش — مفيم — حفيم — أرد . ولم ترد هذه الأسماء فى غيره من المصادر .

(٣) ويلوح لنا أن « باكر » الذى هو الولد الثانى لبنيامين فى كل من

المصدرين الأول والثالث . شخص وهمى لا وجود له . وإنما تحريف للوصف الذى ورد فى المصدر الثانى حيث قال : « بالع بكره » فنحن نذهب إلى أن هذه الرواية سبقت الروايتين الأخريين . فهى أسبق وروداً .. وهذا أدى إلى الخلط والتحريف لدى محررى الروايتين فظن محرروهما أن « بكره » اسم شخص وليس وصفا لبالع . فعدوه ولداً لبنيامين بناء على هذا الوهم ثم حولوا صيغته من « بكره » إلى « باكر » على وزن بالع المجاور له .. ؟!

وإذا صحَّ هذا « الفهم » فإن ولد بنيامين على الرواية الأولى اثنان لا ثلاثة ، وعلى الرواية الثالثة تسعة لاعشرة بإسقاط باكر من الراويتين . ؟!

مؤدى هذا النقد :

ومؤدى هذا النقد ــ لامحالة ــ أن هذه النصوص على الأقل ليست وحياً من عند الله قطعاً ؛ لأن وحى الله لا يخطىء وإذا لم تكن وحيا ــ وهى كذلك ــ فهى ــ إذن ــ من صنع البشر . وإذا كانت من صنع البشر لزم القول بأن التوراة محرفة مبدلة . هذه هى النتيجة الحتمية لنقد هذه النصوص . ولا أعتقد أن لدى الخصم أدنى قدرة يستطيع أن يواجه بها هذه الحقائق الجلية .

دفع الخصم ومايترتب عليه :

لقد ووجه الخصم بجزء من هذه الحقائق ، وهو التفاوت فى العدد من ثلاثة إلى خمسة إلى عشرة فكان رده على هذه المواجهة مايأتى :

إن عزرا الذى كتب سفر التكوين اختلط عليه الأمر فعدَّ أبناء بنيامين مع أبنائه من صلبه ؛ لأنه اعتمد ــ أى عزرا ــ على أوراق غير رسمية [7] لم يميز بينهما وتعليقنا على هذه الإجابة هو قولنا للخصم :

---

٧ ــ انظر هذه العبارة فى كتاب إظهار الحق (٨٧) لرحمة الله الهندى .

حسناً ماتقولون . ولكن يلزمكم أن تسلموا لنا بأن التوراة محرفة نتيجة لاعترافكم هذا .. فنحن لا نطلب منكم أكثر من هذا .. فعلام المكابرة إذن في تمسككم بأن كتابكم « كتاب مقدس » وادعائكم بأنه مصون من التحريف ... ؟!

فها أنتم قد خسرتم هذه الجولة ، كيفما كان جوابكم فتعالوا معنا إلى جولة أخرى أنتم الخاسرون فيها لا محالة .

جولة أخرى :

إن النتائج التي أسفرت عنها الجولات السابقة معكم ممتازة جداً . ومن اليسير أن نكتفي بها ؛ لأنها تثبت مانعتقده في « كتابكم المقدس » بأقطع البراهين ، وتنفي ماتدعونه أنتم في « ذلك الكتاب » بأقطع الأدلة .

ومع هذا فإننا لن نكتفي بها فما تزال — لنا — في البئر بقية ..

فاسمعوا إذن :

إنكم تقولون إن عزرا الذي كتب سفر التكوين اعتمد على أوراق غير رسمية ، فلم يميز بين الأبناء وأبناء الأبناء . ولذا وصل عدد أولاد بنيامين — عنده — عشرة .. ؟!

وهذا كلام قد أرسلتموه على عواهنه فلن نسلم لكم به أفتدرون لماذا ؟ اسمعوا مرة أخرى :

ونحن حين نرفض هذا الكلام فإننا نعرف لماذا نرفضه ولذلك عندنا أسباب وجيهة ، وها نحن نعرضها عليكم وليس في وسعكم الهروب منها .

إنكم تقولون : إن عزرا عدَّ أبناء أبناء بنيامين ضمن أبنائه من صلبه فصاروا عشرة ... !

وهذا افتراض وهمي افترضتموه للخروج من المأزق فوقعتم فيما فررتم منه . وترتب عليه اعترافكم بتزوير التوراة ... وللأسف فإن هذا الجواب مع أنه

قد أوقعكم فى ورطة فإنه فاضح لكم . والفضيحة ورطة أخرى وخيمة العواقب .

بيان ذلك أنكم لم تذكروا فى توارتكم إلا أبناء بالع وحده وذلك فى موضعين كما ترون فى الجديول الآتى :

المصدر	أولاد بالع											الجملة
الأخبار الأول ٧	أصبون	عزى	عزيئيل	بريموث	عبرى							خمسة
الأخبار الأول ٨	أدار	جيرا	أبيهود	إيشوع	نعمان	أخوخ	جيرا	شفوفان	حورام			تسعة

فهم إذن فى سفر الأخبار الإصحاح السابع خمسة حسب الأسماء المبينة . وفى سفر الأخبار الأول نفسه الإصحاح الثامن تسعه حسب الأسماء المذكورة فى الجديول .

ومع أن هاتين السلسلتين مذكورتان فى سفر واحد ، وفى إصحاحين متجاورين فإنهما مختلفان كل الاختلاف . فأبناء بالع فى الإصحاح السابع غير أبنائه فى الإصحاح الثامن . (انظر الجديول) فلم يتفقا ولو على ابن واحد ... فأحدهما ـــ إذن ـــ صادق . والثانى كاذب ؟! أو هما معاً كاذبان .

وهذه صورة أخرى من صور « التزوير » يهدينا الله لاكتشافها ؛ لأننا طالما دعوناه أن يوفقنا فى الرد عليكم ونحن فى رحاب بيته الحرام .

ولن يستقيم مع هذا قولكم أن عزرا عدَّ أبناء الأبناء فهذه دعوى كاذبة ، والدليل على كذبها ماورد فى توراتكم نفسها .

لأننا إذا قارنا سجل أبناء بنيامين عند عزرا هذا بسجل أبناء بالع فى

الموضعين المذكورين من سفر أخبار الأيام الأول الإصحاحين السابع والثامن .
فإن نتيجة المقارنة تقول بصوت عالٍ :

١) إن عزرا لم يأخذ ولا ابناً واحد مما ذكره الإصحاح السابع من الأبناء الخمسة . هذه واحدة أما الثانية .

٢) فإن عزرا لم يأخذ من الأبناء التسعة الذين ورد ذكرهم على أنهم أبناء بالع فى الإصحاح الثامن لم يأخذ منهم إلا اثنين وهما : حيرا ونعمان .. ؟!
ونتوجه إليكم الآن بهذا السؤال الذى لن يجد لديكم جوابا مهما مارستم من الخداع والحيلة .. ؟

والسؤال هو .

إذا كان كل ماذكرته التوراة من أبناء بنيامين وأبناء بالع صحيحاً مصونا من التحريف والتبديل فلماذا لم يأخذ عزرا ماذكره الإصحاح السابع من أبناء بالع . وهم خمسة .

ولماذا لم يأخذ السبعة الأبناء الآخرين من أبناء بالع الذين ذكرهم الإصحاح الثامن ؛ لأننا نراه ــ على حد قولكم ــ أخذ اثنين من تسعة وترك سبعة فما السر وراء ذلك كله . ؟!

ثم من أين جاء عزرا بكل من : ايحى ، وروش ، ومفيم ، وحفيم ، وأرد ، على أنهم أبناء بنيامين وهذه الأسماء الخمسة لم يذكرها مصدر سواه لا على أنهم من أبناء بنيامين ، ولا من أبناء بالع ؟!

هل لديكم من جواب على هذه المزالق الخطرة جداً ؟! لانظن ... ؟!
إذن فدعونا نجب ، وصدقونا إننا سنكون منصفين فى الجواب .

والجواب عندنا نلخصه لكم ولكل منصف فى الآتى :
أن التوراة ــ بوضعها الذى هى عليه الآن ــ ليست وحياً قطعاً ؛ لأنها مشحونة بالأخطاء والأغاليط ، والباطل ... ؟!

والوحى لايخطىء .. ؟!
والوحى لايغلط .. ؟!
والوحى لايأتى بالباطل .. ؟!

وإنما هى من صنع بشر .. وبشر متعددون ، لم يجمعهم زمان واحد ، ولا مكان واحد ، ولم يكونوا أذكياء (جداً) وهم يمارسون هوايتهم فى العبث بوحى الله إليهم ، فخلطوا عملا مخطئاً بآخر صائب وعملا سيئا بآخر صالح ، حتى طغى الخطأ والسوء على الصواب والصلاح .. ؟

هذا هو التفسير الوحيد المقبول لتلك الظواهر المؤسفة . وأى تفسير غيره فهو مرفوض بكل مقياس من مقاييس الفهم الصائب ، والعقل الحصيف .

النموذج الثاني :

الولد أكبر من أبيه بسنتين ... ؟!

نحن الآن أمام مشهد مدهش جداً ، يصلح أن يكون مقطعاً فى موضوع خيالي وهمى ، يحسن أن يكون أداة لتسلية الأطفال فى المجلات التى تصدرها لهم الأن بعض دور النشر ، وتملؤها بالأساطير « والحدوتات » الطريفة التى ليس لها وجود إلا فى خيال كاتبيها . ؟!

أو قل أمام مشهد حطَّم كل القوانين : كونية كانت أو عقلية أو بيولوجية أو علمية . من جنس المشاهد التى تعرضها المسارح « الكوميدية » ولا تستهدف منها إلا إضحاك المشاهدين ضحكا نابعا من أعماق الأعماق .

نحن أمام مشهد ليس له وصف إلا ماقدمناه . وليس أمام « نصوص » نزل بها وحى فى كتاب يصفه أهله بأنه « كتاب مقدس » لأن للوحى جلاله وصدقه وعصمته وهيبته ؛ لأن الوحى ــ دائما ــ مبلغ عن الله العليم الخبير الحكيم ومع هذه الحقائق البدهية ؛ فإن مصدر ذلك المشهد هو أسفار العهد القديم (التوراة) التى يقال : إنها شطر « الكتاب المقدس » إى وربى إن مصدره هو التوراة . فتعال معى لنقرأ ما جاء فيها .

الولد أكبر من أبيه ..؟!

أمامى الآن نسخة من الترجمة العربية للكتاب المقدس بعهديه (التوراة والأناجيل وملحقاتها) الصادرة عن دار الكتاب المقدس بالقاهرة . والصفحتان المنفرجتان أمامى هما ٧١٠ ، ٧١١ وهما تعرضان نهاية الإصحاح الحادى والعشرين وبداية الإصحاح الثانى والعشرين من سفر أخبار الأيام الثانى ، وهو من أسفار العهد القديم . وهذان الإصحاحان يتحدثان عن نهاية حكم الملك يهورام ، ملك اليهود بأورشليم ، وعن تولى ابنه من بعده مباشرة وهو أخزيا بن يهورام ، وفى هذين الإصحاحين (المقدسين) طبعا . ورد هذا المشهد الغريب العجيب المضحك من الأعماق . وإليك ماورد فيهما :

اختص الإصحاح الحادى والعشرين من السفر المذكور بالحديث عن يهورام « الأب » ونهاية ملكه . وفى ذلك يقول هذا السفر المقدس .. ؟!

« وبعد هذا كله ضربه الرب فى أمعائه بمرض ليس له شفاء وكان من يوم إلى يوم ، وحسب ذهاب المدة عند نهاية سنتين أن أمعاءه خرجت بسبب مرضه فمات بأمراض ردية . ولم يعمل له شعبه حريقة كحريقة آبائه – يعنى لم يعظموه – **كان ابن اثنين وثلاثين سنة حين ملك . وملك ثمانى سنين فى أورشليم** . وذهب غير مأسوف عليه ودفن فى مدينة داود ، ولكن ليس فى قبور الملوك » . (٨)

هذا ماورد فى الإصحاح الحادى والعشرين . وإلى هنا لاتظهر أية غرابة فى الموضوع . وتعال الآن نقرأ ماجاء فى بداية الإصحاح الثانى والعشرين فى شأن أخزيا بن يهورام :

يقول الإصحاح المقدس .... ؟!

« وملَّك سكان أورشليم أخزيا ابنه الأصغر ــ يعنى ابن يهورام ــ عوضاً عنه ؛ لأن جميع الأولين ــ يعنى أبناء يهورام الأكبر من أخزيا ــ قتلهم الغزاة الذين

---

٨ ــ الفقرات (١٨ ــ ٢٠) صفحة ٧١١ من الترجمة المذكورة .

جاءوا مع العرب إلى المحلة . فملك أخزيا بن يهورام ملك يهوذا .
كان أخزيا ابن اثنين وأربعين سنة حين ملك وملك سنة واحدة .. » ... ؟! (٩)

قارن ــ عزيزى القارىء ــ أرقام عمرى يهورام وابنه أخزيا وفق ماجاء فى الإصحاحين المقدسين .. ؟!!
الإصحاح الحادى والعشرين يقول :

إن يهورام يوم ملك كان عمره اثنين وثلاثين سنة وهى بالأرقام ــ ٣٢ سنة ويقول إنه ملك ثمانى سنين ثم مات وهى بالأرقام ٨ سنوات فعمر يهورام يوم مات هو : ٣٢ + ٨ = ٤٠ سنة .
ويقول الإصحاح الثانى والعشرين : إن أخزيا بن يهورام يوم ملك بعد وفاة أبيه مباشرة كان عمره اثنين وأربعين سنة وهى بالأرقام ٤٢ سنة فإذا طرحنا الرقم الأصغر وهو عمر الأب من الرقم الأكبر وهو عمر الابن تكون النتيجة ٤٢ - ٤٠ = ٢ أى أن أخزيا أكبر من أبيه يهورام بسنتين ... ؟؟؟؟؟؟؟!!!!
وهنا يبدو المشهد الكوميدى ، أو أسطورة التسلية الخيالية الوهمية ، يبدو فى أجلى صورة . وأدعى صورة للإضحاك العميق جداً . ماهو هذا الابن الذى ولد قبل أبيه بسنتين . ؟!

وماهو هذا الأب الذى ولد بعد ابنه بسنتين ... ؟! إنها سقطة إلى الحضيض . ومأزق حرج جداً جداً لأنصار الكتاب المقدس سواء كانوا يهوداً أو نصارى .

إن صعوبة الموقف تمنع من أى احتمال لتصديق ماجاء فى هذا الكتاب الذى يدعونه مقدساً .. أهو كتاب مقدس أم هو حشد مدلّس ؟!
أيهما أقرب إلى الصواب ، نترك الحكم للعقل وحده فهو الفاصل فى شأن هذه الدعاوى ..
أهذا وحى من عند الله ــ معاذ الله ــ ؟!
إن ماتقدمه التوراة ــ هنا ــ ومثله كثير ، مدعاة لإسقاط نصوص الكتاب

٩ ــ الفقرتان (١ ــ ٢) نفس الموضع السابق .

المقدس كلها من آثار الوحى الصادق فهى من أعمال كهنتهم غير الأذكياء . ؛ لأنهم لو كانوا أذكياء لما ورطوا كتابهم المقدس فى هذه المهاوى المؤسفة .

وهنا تبرز حقيقة أرى من الأمانة عرضها على القارىء وهى أن تفسير هذا الخلط يقتضى أن يكون كاتب الإصحاح الحادى والعشرين شخصا مغايراً تماما للشخص الذى كتب الإصحاح الثانى والعشرين . وأن كلا منهما كتب ماكتب على انفراد . ثم جُمع الإصحاحان بلا مراجعة من « الجامع » بينهما . ثم ذهب الكاتبان والجامع .. وبقى الغلط شاهداً على عبث العابثين .

ودليلنا على هذا أن كاتب الإصحاح الحادى والعشرين ذكر عمر يهورام فى إصحاحه مرتين بنفس الأرقام ٣٢ سنة حين ملك . و٨٠ سنين قضاها فى الحكم .

المرة الأولى فى الآية الخامسة من نفس الإصحاح . والمرة الثانية فى الآية العشرين المتقدم ذكرها . فقد كان متناسقاً مع نفسه .. وحين كتب الكاتب الآخر الإصحاح الثانى والعشرين جاء الخطأ أكبر شاهد على ذلك العبث .

دفاعهم عن هذا الخطأ أوقعهم فى أمرّ الأمرين :

لقد أحس الباحثون المحدثون خطورة هذا الخطأ الوارد فى مسألة عمرى يهورام وابنه أخزيا . وعكفوا على التوراة يقرأونها من جديد علهم يجدون فيها مايحفظ ماء الوجه أمام الخصوم .. وفعلا فقد عثروا على عبارة وردت فى الإصحاح الثامن من سفر الملوك الثانى ، الآية السادسة والعشرين . وهذا نصها بالحرف الواحد :

« كان أخزيا ابن اثنتين وعشرين سنة حين ملك ، وملك سنة واحدة »

ثم هللوا وطبلوا ؛ لأنهم وجدوا فى هذه العبارة مخرجاً لهم من ذلك المأزق الخطيرْ . فكان مثلهم كمثل من قام من « حفرة » فوقع فى « بئر » أو على حد قول الشاعر :

كالمستجير من الرمضاء بالنار . ؟!

أتدرى ماذا قالوا فى مواجهة خصومهم بعد أن عثروا على عبارة سفر الملوك الثانى :

إن عبارة سفر الملوك الثانى هى الصادقة .. ؟!
هذا قولهم . وماهو بمجدٍ لهم بل هو إدانة جديدة وانتصار لخصومهم عليهم ؛ لأن معنى أن عبارة سفر الملوك الثانى هى الصادقة . أن عبارة سفر أخبار الأيام الثانى هى الكاذبة .. ؟!

وهذا هو ماكنا نرجو أن يعترف به القوم . فنحن لايهمنا أن يكون أخزيا أكبر من أبيه أو أصغر ، وإنما الذى يهمنا أن نثبت للقوم أن كتابهم المقدس قد حرف وبدل وغير ، وعبثت به أيدى كهانهم وأحبارهم هذا هو رأى الإسلام . وقد قامت مئات الأدلة على صحة هذا الرأى .

وهى أدلة تتزايد يوما بعد يوم . ومن بين أهل الكتاب أنفسهم باحثون موضوعيون اعترفوا بصحة رأى الإسلام فى كتابهم . ولهم فى ذلك مؤلفات مشهورة ضمنوها آراءهم فى صراحة ووضوح .

وانضم إلى هذا الاعتراف المجمع المسكونى الثانى الذى انعقد بمقر الفاتيكان من عام ١٩٦٢ إلى عام ١٩٦٥ لدراسة هذه الظواهر الخرافية المذكورة فى التوراة ، وأجمع ٢٣٤٤ صوتا ضد ٦ أصوات على تصريح شامل يدين التوراة ، ومما جاء فيه « **إن هذه الكتب تحتوى على شوائب ، وشىء من البطلان** » فتأمل كلمة « شوائب » وتأمل كلمة « شىء من البطلان » حيث يقول هذا الكلام المجمع المسكونى الرسمي الذى يمثل القيادة الدينية العليا للدين المسيحى ، وهم يعدون التوراة جزءاً من كتابهم المقدس .

تأمل هذا كله ثم احكم . هل التوراة الحالية هى التى أنزلها الله على موسى — عليه السلام ... ثم واجه معنا واضعى الرواية الهزلية الذين يدعون أن التوراة : مصونة بيد من أنزلها وقل لهم معنا :

إنكم خارجون لاعن موازين العقل والعلم وحدهما ، بل على قيادتكم الدينية العليا التى حملها الواقع « الخرافى » للتوراة على أن تقول : « إنها تحتوى على شوائب ، وشىء من البطلان » وهذه القيادة لم يكن فى وسعها أن

تقول أكثر من ذلك فى التوراة التى هى جزء من مقومات الإيمان عندها .. ؟!

النموذج الثالث :

نوح أدرك آدم ــ آدم مات قبل نوح .. ؟!

هذا هو النموذج الثالث من الخلط والتشويش الحافلة به أسفار التوراة المقدسة .. ؟!

والموضوع ــ كما ترى ــ يدور حول مسألة تاريخية بحتة . وهى تحديد العلاقة بين آدم أبى البشر ــ عليه السلام ــ وبين نبى الله نوح ــ عليه السلام ــ .

هل أدرك نوح آدم ؟ وكم دام بينهما عهد اللقاء ... ؟!
أم أن آدم مات قبل نوح ، فهما إذن لم يلتقيا .. ؟

هذه المسألة إذا وضعنا فى الاعتبار أن الباحثين فيها مؤرخون « عاديون » أعنى ليسوا أنبياء ، فإننا نقبل منهم أن يختلفوا .. وماعلينا إلا أن نوازن بين الآراء ، ونقبل منها أو نرفض حسب قوة الدليل أو ضعفه .

أما إذا كان « المخبر » بهذه المسألة وحياً من عند الله فإن الوحى لايقول إلا صدقاً .
والتاريخ خبر ، والخبر لايقبل النسخ ؛ لأنه حكاية لواقعة قد وقعت .

والتوراة الأصل فيها أنها كتاب أوحى الله به إلى موسى ــ عليه السلام .. وهى التى تخبرنا عن هذا الموضوع ــ أعنى تحديد العلاقة التاريخية بين ادم ونوح عليهما السلام . فهذه المسألة موضع اختبار جديد ــ فوق ماتقدم ــ لصدق التوراة ــ الحالية ــ أو تزويرها . وللصدق هنا اعتبارات كثيرة سنضرب عنها صفحاً . وسنحتكم إلى ماورد فى التوراة نفسها . وهو سيغنينا عن عناء البحث ومشقة الموازنة فى الوصول إلى الحكم على التوراة أصادقة هى ــ فى هذا ــ أم كاذبة ؟!

وسنعفى أنفسنا هنا من إيراد كل النصوص ، مكتفين ببحوث قام بها أهل الكتاب أنفسهم أخذا من نصوصهم المقدسة الموزعة بين طوائفهم . ومازال بحوثهم تتتابع فى هذه المسألة إلى الآن ، دون أن يصلوا إلى مايطمئنهم على سلامة التوراة من تحريف أسلافهم الأمناء على وحى الله .. ؟!
وقد نقل العلامة رحمت الله الهندى كثيراً من آراء باحثيهم وعلمائهم . وسوف نضيف إليها ماجد من بحوثهم بعد أن حرر رحمت الله الهندى كتابه المشهور . [10]

نسخ التوراة التى روت القصة :

فى العالم الآن ثلاث نسخ مشهورة من التوراة ، بيد كل فرقة من أهل الكتاب منها نسخة هى المعتمدة عندها ، وماعداها فهو مزور فى نظرها . ؟!

والنسخ الثلاث هى :

النسخة أو التوراة العبرانية .
النسخة أو التوراة اليونانية .
النسخة أو التوراة السامرية .

وهذه النسخ الثلاث كل منها روت القصة من آدم إلى نوح عليه السلام .
وسنتخذ النص العبرى [11] أصلا فى هذه الجولة . ثم نذكر بإزائه الرقم المقابل له فى كل من التوراتين اليونانية والسامرية حتى نصل إلى المطلوب .

وتبدأ القصة من السنة التى ولد فيها آدم ولده شيث . ثم متى ولد شيث ولده آنوش ، ومتى ولد آنوش ولده قينان ، ومتى ولد قينان ولده مهلائيل ، ومتى ولد مهلائيل ولده يارد . ومتى ولد يارد ولده أخنوخ ، ومتى ولد أخنوخ ولده متوشالح . ومتى ولد متوشالح ولده لامك ، ومتى ولد لامك ولده نوحا ـــ عليهم السلام ـــ.

---

١٠ ـــ انظر كتابه إظهار الحق ص ٢١٨ ومابعدها .
١١ ـــ انظر إن شئت الإصحاح الخامس من سفر التكوين .

ثم تحديد العمر الذى عاشه آدم عليه السلام . وهذه أهم نقطة في البحث باعتبارها الأساس فى التقاء آدم ونوح عليهما السلام ، أو عدم التقائهما .

وإليك البيان :

	النص العبرى	النص السامرى	النص اليونانى
آدم ولد شيث وعمره :	١٣٠	١٣٠	٢٣٠
وشيث ولد آنوش وعمره :	١٠٥	١٠٥	٢٠٥
وآنوش ولد قينان وعمره :	٩٠	٦٠	١٦٠
وقينان ولد مهلائيل وعمره :	٧٠	٧٠	١٧٠
ومهلائيل ولد يارد وعمره :	٦٥	٦٥	١٦٥
ويارد ولد أخنوخ وعمره :	١٦٢	٦٢	٢٦٢
وأخنوخ ولد متوشالح وعمره :	٦٥	٦٥	١٦٥
ومتوشالح ولد لامك وعمره :	١٨٧	٦٧	١٨٧
ولامك ولد نوحا وعمره :	١٨٢	٥٣	١٨٨
عمر نوح وقت الطوفان :	٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠
جملة الأعماز المذكورة :	١٦٥٦	١٣٠٧	٢٢٦٢

هذه الأرقام تتفاوت بين النسخ الثلاث من حين إلى آخر . وأكثر مايكون التفاوت بين كل من التوراتين العبرية والسامرية من جهة واليونانية من جهة أخرى فقد اتفقت الأوليان على أن آدم ــ عليه السلام ــ حين ولد شيثا ــ عليه السلام ــ كان عمره ١٣٠ سنة .

بينما خالفت اليونانية وقالت : إن عمره كان ٢٣٠ سنة فأيهما صادق وأيهما كاذب .. ؟!

وهكذا فى بقية الأرقام فإنك تجد اليونانية تعلو بالرقم المقابل لما فى غيرها .

وقد اختلفت النسخ الثلاث فى عمر يارد حين ولد ابنه أخنوخ **فقالت** العبرية إنه كان ١٦٢ سنة ، وقالت السامرية إنه كان ٦٢ سنة ، وقالت اليونانية إنه كان ٢٦٢ سنة .. ؟!

فالحق ياترى مع من .. ؟! العلم لله وحده .

ثم اتفقت العبرية مع اليونانية ولأول مرة فى تحديد عمر متوشالح حين ولد ولده لامك ، فهو فيها ١٨٧ سنة بينما هو فى السامرية ٦٧ سنة .. ؟!

فما سر هذا الاختلاف . وأيهما هو الصحيح ؟! العلم لعلام الغيوب .

وتعود النسخ الثلاث فتتفق على تحديد عمر نوح حين جاء الطوفان فهو فيها جميعاً ٦٠٠ سنة .. ؟!

هذه الاختلافات تفيدنا فى هذه الدراسة من ناحيتين :

أولاهما :فيها تكذيب صارخ لدعوى واضعى الرواية الهزلية الذين يدعون أن التوراة لم تحرف بل هى مصونة بيد من أنزلها . وأنها موجودة بيد كل الطوائف على صورة نَصِّيَّة واحدة . إذ لو كانت كما يقولون لما وجدت فيها تلك الاختلافات الفاضحة .

وثانيتهما : تؤكد هذه الاختلافات عقيدتنا ـــ نحن المسلمين ـــ فى أن التوراة الحالية ليست وحياً . وإنما هى من عمل البشر . !!

لقاء آدم ونوح عليهما السلام

وبقيت المسألة الأم وهى هل أدرك نوح آدم ـــ عليهما السلام .. ؟
وجريا على طبيعة النصوص المقدسة (؟!) فإن نفس الاختلاف الذى نراه فى أكثر قضايا التوراة نراه هنا فى مسألة إدارك نوح آدم ـــ عليهما السلام ـــ ونأمل ألا يروعك حجم الخلاف بين النسخ الثلاث (المقدسة ؟!) فى نفى هذه الحقيقة أو إثباتها ، وأن تكون قد تعودت معنا أن القول بالشىء وضده ، بل ونقيضه ظاهرة كثيرة الشيوع فى أسفار الكتاب المقدس المصون بيد من أنزله .. ؟!

ونعيد السؤال مرة أخرى :

هل أدرك نوح آدم عليه السلام .. ؟!

وتبادر نسخة التوراة السامرية فتقول : نعم لقد أدرك نوح آدم . وعاش معه مئتين وثلاثا وخمسين سنة بالتمام والكمال . ؟

لأن نوحا ــ عليه السلام ــ يوم ولد كان عمر آدم عليه السلام ٦٧٧ سنة . وعاش آدم ٩٣٠ سنة على حسب رواية التوراة السامرية ... ؟

أما التوراة العبرانية فتقول : لا .. ؟ لم يدرك نوح آم . فنوح ولد بعد موت آدم بمئة وست وعشرين سنة .. ؟!

فانظر حجم الخلاف بين هاتين التوراتين المقدستين فى مسألة ميلاد نوح ــ عليه السلام ــ إحداهما تقدم ميلاده على الأخرى بـ ٣٧٩ سنة ... والثانية تؤخره بنفس الرقم .

فهل فى الوجود من يصدق أن هذا كلام موحى من عند الله .. ؟ ياسبحان الله .

أما التوراة اليونانية المقدسة الأخرى فقد أغمت وأطمت . فكذبت السامرية على طول الخط . ثم صدقت العبرانية وكذبتها فى آن واحد . ؟!

كذبت السامرية فقالت : لا . ؟ لم يدرك نوح آدم وفى ذلك تصديق للعبرانية فى « لا » هذه ..

وكذبت العبرانية ؛ لأنها قالت : إن نوحا ولد بعد موت آدم بـ ٧٣٢ سنة ... ؟!! هكذا والله العظيم ثلاثا . !!

فتأمل أيها العاقل هذا الاختلاف الفاحش الذى وقع بين « التوراتات » الثلاث المقدسة فى هذه المسألة . ولا تمل من تكرار هذه العبارة .

« **إن التوراة تهرف بما لا تعرف** » ؟!

وهذا الاضطراب فى عرض حقيقة واحدة حمل كثيراً من الباحثين

والمؤرخين على إهمال أقوال التوراة السامرية القائلة بأن نوحاً أدرك آدم ــ عليهما السلام ــ إذ لم يأخذ أحد من المؤرخين بهذا الرأى وأجمع المؤرخون على أن نوحا لم يدرك آدم .

ومنهم ــ أى المؤرخين ــ من رفض الاعتماد على النسخ الثلاث كلها ، وهو المؤرخ اليهودى المعروف يوسيفوس . لم يأخذ هذا المؤرخ ــ ومعه الحق ــ بأى قول من أقوال النسخ الثلاث المقدسة .. ؟!

نقد حديث فى المسألة :

شجرة الأنساب فى التوراة تعد من آدم إلى نوح ــ عليهما السلام ــ عشرة أجيال على اختلاف مجموع الأعمار من نسخة إلى أخرى .
وتعد من نوح إلى إبراهيم ــ عليهما السلام ــ عشرة أجيال كذلك . وتقول : إن مولد إبراهيم كان بعد الطوفان بـ **٢٩٢** عاما فحسب .. ؟! أما النسخة اليونانية فتقول : إن مولد إبراهيم ــ عليه السلام ــ كان بعد الطوفان بـ **١٠٧٢** عاما .

أما السامرية فترى ميلاده بعد الطوفان بـ **٩٤٢** عاما . والمفروض أن هذه النسخ الثلاث صورة معبرة عن وحى الله إلى موسى ــ عليه السلام ــ لكن هذا الاختلاف البين بالنسبة لميلاد إبراهيم بعد الطوفان مثل الاختلاف الذى سبق بالنسبة لمولد نوح من وفاة آدم ــ قبلا أو بعداً ــ فى أن كلا من الاختلافين دليل قاطع إلى حد اليقين بأن التوراة الحالية ليست هى **وحى الله** إلى موسى ــ عليه السلام ــ وفيها تكذيب صريح لدعوى من يدعى أن النسخ الثلاث لم تختلف بل هى على صورة واحدة بيد جميع الطوائف ... ؟!

اختلاف آخر حول الطوفان :

فى عرض الاختلافات السابقة كان المدار على ماورد فى النسخ الثلاث .. أما مانعرضه الآن فخاص بالنسخة العبرانية وحدها . والفرق بين النوعين واضح .

فلو اعتبرنا النسخ الثلاث مصادر تأريخ بشرى ، ونحينا عنها صفة الوحى التى يدعيها لها أصحابها فإن الاختلاف يكون مقبولاً ، فلكل مؤرخ نظرته ومقاييسه .

ولكن حين يكون مؤرخ المصدر واحداً فإن الاختلاف فى عرض الواقعة الواحدة بطرق وكيفيات متناقضة مع اعتقاده فى صحتها جميعاً فلا وجه ــ إذن ــ لقبول رأيه . وأقل مايوصف به عمله أنه باطل ومزيف .

وهذا ماوقعت فيه النسخة العبرانية المقدسة (؟!) إذ روت وقائع عن الطوفان كل رواية تجد فى مواجهتها رواية أخرى تناقضها وهذا من أوضح الأدلة على **تزوير** التوراة مهما كانت المبررات لدى المدافعين النجباء عن سلامة الكتاب المقدس من التحريف .. ؟!
وقد اتخذ الاختلاف فيها الوضع الآتى :

١ ــ **فى تحديد الحيوانات المحمولة فى سفينة نوح** . فقد جاء فى الإصحاح السادس من سفر التكوين الآية عشرين أن العدد من كل نوع (اثنين اثنين) ذكر وأنثى . وهذا نصها :

« من الطيور كأجناسها ، ومن البهائم كأجناسها ، ومن كل دبابات الأرض كأجناسها . اثنين من كل تدخل لاستبقائها »

٢ ــ ثم تعود التوراة فى الإصحاح السابع من سفر التكوين نفسه وتناقض نفسها . وإليك قولها فى تحديد العدد المحمول :

« من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك : سبعة سبعة ذكراً وأنثى ومن البهائم التى ليست بطاهرة اثنين ذكراً وأنثى . ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ذكراً وأنثى لاستبقاء نسل على وجه الأرض » (١٢) .. ؟!

---

١٢ ــ الفقرتان الثانية والثالثة .

فأى الروايتين هى الصحيحة ؟ وماذا قال الله لنوح ـــ عليه السلام ـــ أأمره أن يحمل اثنين أم سبعة .. لا أحد يدرى حسب منطق التوراة المقدسة .

٣ ـــ ثم تعود التوراة وتناقض نفسها حين خالفت ماذكرته فى الرواية الثانية (سبعة سبعة) فاسمع إليها وهى تروى حادثة دخول الحيوانات فى السفينة:

« ودخلت إلى نوح إلى الفلك اثنين اثنين من كل جسد فيه روح حياة » (١٣) ... ؟!

هذا التناقض الغريب يقع فى التوراة فى إصحاح واحد هو الإصحاح السابع من سفر التكوين . ففى أوله : سبعة سبعة . وفى آخره : اثنين اثنين .. ؟! فهل هذا هو الوحى الأمين الذى نزله الله على موسى .. ؟!

أضف إلى هذا أن التوراة تروى أن الذين حملوا فى السفينة من الناس محصورون فى نوح وزوجه وأبنائه الثلاثة : سام وحام ويافث . وزوجات أبنائه الثلاثة فحسب أى أن السفينة كان بها ثمانية أشخاص فقط من بنى البشر أربعة رجال وأربع نساء .. ثم أجناس الحيوانات الأخرى .

وبهذا تشبه سفينة نوح « يخت » نزهة للعائلة المقدسة .. ؟! أما بقية الناس كلهم فقد هلكوا . وصورة أخرى من الاختلاف .

تحديد مدة إنزال الماء على الأرض :

وفى الإصحاح السابع نفسه وقع هذا الاختلاف فى تحديد مدة غمر الماء للأرض فبينما يقول فى موضع :

« وكان الطوفان أربعين يوما على الأرض ... » الآية (١٧) إذ به يعود فيقول فى الآية (٢٤):

« وتعاظمت المياه على الأرض مئه وخمسين يوماً » ... ؟!

فأى الروايتين صادقة ، وأيهما كاذبة ؟!

---

١٣ ـــ نفس السفر والإصحاح آية (١٥) .

لايهمنا أبداً معرفة الصادق من الكاذب ، وإنما الذى يهمنا شيء واحد . هو أن الروايتين لايمكن أن تكونا — معا — صادقتين وأن الروايات المتعارضة أو المتناطحة بالرأس بين الصدق والكذب لاتكون أبداً من عمل الوحى .. !!

ولهذه الاعتبارات كلها تشكك الباحثون فى التوراة من اليهود والنصارى وقالوا : إن سفر التكوين هذا لابد أن يكون الذى كتبه أكثر من كاهن واحد . وتلك هى الحقيقة التى لاتقبل جدلاً . وأن إحدى الروايتين « يهوية » والثانية « كهنوتية » [(١٤)]

كما تشكك بعض الباحثين المعاصرين من النصارى فى رواية التوارة العبرية من أن إبراهيم — عليه السلام — ولد بعد طوفان نوح بـ ٢٩٢ عاماً .

وذلك لأن الطوفان فى رأى التوراة قد أهلك جميع البشر إلا نوحا وزوجه وأولاده الثلاثة وزوجاتهم . وكان هذا هو الحامل لهذا الباحث على رفض رواية التوراة هذه ؛ لأن إبراهيم — عليه السلام — حين بعث كان العالم عاجاً بالحضارات الإنسانية . والمدة التى حددتها التوراة بين الطوفان ومبعث إبراهيم — عليه السلام — (٢٩٢) غير كافية أبداً لنمو البشر وتنظيم وقيام الحضارات فى مصر وبابل وغيرهما عبر تلك المدة الوجيزة .[(١٥)]

وهذا — فيما نرى — رأى وجيه جداً . والأوجه منه أننا نضع هذا كله أمام عقل العقلاء ليحكموا :

هل التوراة الحالية وحى من عند الله . وأنها مصونة بيد من أنزلها ... ؟ والجواب إن كان لابد من جواب

كـلا .... ثم كـلا .. وليلمنا اللائمون .



---

١٤ — دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة . ص ٥٣ .

(١٥) انظر كتاب : دراسة الكتب المقدسة (٥٣) .



الفصل الثالث

النبوات ..... والتنبؤ

يزعم واضعو الرواية الهزلية أن للتوراة دليلاً آخر على سلامتها من التحريف والتبديل ، وعلى أنها مصونة بيد من أنزلها . وهذا الدليل ــ حسب زعمهم الواهم ــ هو مافى تلك التوراة من النبوات والتنبؤات التى تحدثت عن أمور مستقبلة ، فوقعت كما تنبأت . وفى تصوير هذه الشبهة يقول واضعو الرواية الهزلية :

« حدوث أمور كثيرة أنبأ عنها قبل حدوثها بقرون عديدة ، وحوادث مختلفة عتيدة أن تحدث فى مستقبل الأيام على توالى الأزمنة إلى نهاية العالم . ولايخفى أن جزء كبيراً من هذه النبوات قد تم على نوع مدهش جداً ، بحيث أن الملحدين أنفسهم لم يستطيعوا إلا أن يشهدوا بأن تلك الحوادث قد حدثت تماما كما سلف القول عنها فى كتاب اليهود (التوراة) فلا جرم أن هذه البينة أيضا هى لدليل قاطع كل ريب على سلامة كتاب الله (؟!) من شائبة التحريف والتغيير ، وباقية على مر الأجيال وتوالى الدهور شاهداً متيناً على صحة وصدق الكتاب المنبأ عنها فيه » ؟![1]

وقبل أن نتصدى لهذه الأوهام نضع بجوار هذا النص نصا آخر ذكره واضعو الرواية الهزلية قبل هذا بقليل وبين النصين نسب وصلة .

يقول الرواة الهزليون عن الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى عليه ، وعلى الصادق منهم ــ السلام : إن أولئك الأنبياء كانوا يأتون بعجائب لدعوى إرساليتهم من الله . ثم يقول الرواة الهزليون بالحرف :

« وقد كتب هؤلاء الأنبياء المتوالون من موسى إلى ماقبل المسيح بنحو

---

١ ــ الرواية الهزلية (ص ٣ ، ص ٤) .

أربعمائة سنة نبواتهم في أسفار وكتب اعتبرت عند عموم بنى إسرائيل أسفار الله الحي . وضمت منهم إلى مجلد واحد بنحو ثلاثمائة سنة من قبل المسيح . وبعنايته تعالى (؟!) قد حفظت إلى يومنا هذا (؟!) سالمة من التحريف والتصحيف والتغيير والتبديل . ومامن عاقل يرتاب فى ذلك غب وقوفه على البينات الوطيدة ، والبراهين السديدة التى لهذا الكتاب الجليل (؟!) دون بقية الكتب » ؟![1]

وقفة قصيرة

هذا كلامهم . ولا أعتقد أن القارىء الذى صحبنا فى هذه المواجهة من أول كلمة فيها إلى الآن ، لاأعتقد أنه فى حاجة إلى أدلة أخرى ــ فوق ماتقدم ــ تثبت له كذب هذه المزاعم التى يدعيها واضعو الرواية الهزلية فى النصين المذكورين آنفا .

فإن قصارى جهدهم أن يوهموا قارىء روايتهم أن التوراة لم تحرف قط . بل هى مصونة بيد من أنزلها . ؟ وقد أثبتنا بالأدلة القاطعة كذب تلك الدعوى ، وكان محور مواجهتنا لهم يعتمد على ثلاث دعائم :

الأولى : الواقع النصى للتوراة نفسها فيما بين النسخة الواحدة منها من جهة ، وفيما بين النسخ المختلفة لدى الطوائف المؤمنة بها عبريين ، وسامريين ويونانيين .

الثانية : مواقف أهل الكتاب أنفسهم يهوداً ونصارى أفراداً وجماعات كالاختلاف البين بين كل من الكاثوليك ، والبروتستانت والسامرة على النحو الذى تقدم .

الثالثة : العقل . وكانت له وقفات صلبة لا هوادة فيها فى دحض مزاعم القوم ، على ضوء ماهو مسطور الآن فى التوراة من مثل أن الولد أكبر من أبيه بسنتين (؟!) كما ورد فى قصة أخزيا وأبيه يهورام . وغير ذلك كثير فالقارىء ليس فى

---

(١) الرواية الهزلية (ص ٣ ، ص ٤) .

حاجة إلى أكثر مما تقدم . ومع غنائه ذاك آثرنا أن نناقش ما أوردوه فى نصيهم السالفى الذكر لنضع أمام القارىء حقيقتين جديرتين بالوقوف عليهما ، لا لأننا فى حاجة « جوهرية »إليهما فى أصل النزاع ، ولكن ليقف القارىء على مفهوم **النبوات والتنبؤات** فى التوراة المدافع عنها من قبل الرواة الهزليين . فللنبوة ــ عند الاطلاق ــ هيبتها وجلالها . وللتنبؤات ــ إذا صدقت ــ سلطانها على العقول والقلوب . ولكنهما فى التوراة شىء مختلف تماما عما يعرفه الناس لذينك « الاصطلاحين » من حقائق . فتعال معى لنرى ــ سويا ــ ماذا تقول التوراة عن النبوات وعن التنبؤات :

مفهوم النبوات فى التوراة

النبوة فضل عظيم من الله يختص به من شاء من عباده وهى ليست فى مقدور أحد الوصول إليها إلا بإذن الله ووحيه . فهى من الأمور « الوهبية » وليست كسبية على الإطلاق .

ولكن المطلع على التوراة وملحقاتها يفزعه مايراه فيها من أمر النبوة والأنبياء . يفزعه مايراه فيها من أية جهة أتاها . وهو سوف ينتهى بعد هذا الاطلاع إلى حقيقة لا ارتياب فيها ، وهى : أن التوراة وكاتبيها لم يكونوا يعرفون شيئا عن جلال النبوة ورفعة قدرها وقداستها . بل كانوا يجهلون عن الأنبياء والنبوات كل شىء . بدءاً من « الاسم » وانتهاء إلى ماينبغى أن يكون للنبوة والأنبياء من جلال وتوقير ، وماينبغى أن يصدر عن الأنبياء أنفسهم من أقوال وسلوك ، وما تفيض به أنفسهم من عقائد هى فى الواقع قدوة حسنة للناس جميعاً . وهذا مالم نجده فى التوراة (المقدسة) وإنما وجدنا نقيضه حتى بالنسبة لأعلى أنبيائهم قدراً وشأنا وهو موسى ــ عليه السلام ــ .

جهل اليهود بكلمة « نبى » ... ؟!

يشيع بين العلماء المهتمين بالتاريخ الدينى لبنى إسرائيل فكرة أن كهنة اليهود وأحبارهم كانوا يجهلون تماما كلمة أو لفظ نبى . وظل هذا الجهل

مخيماً عليهم إلى أن اتصلوا بالعرب فى شمال شبه الجزيرة العربية . فتعلَّموا منهم كلمة « نبى » وكان أول من صرَّح بهذا عالمان من أكبر علماء التاريخ العبرى ، وهما الأستاذان هولشر : Holscher وشميدت : schmidt حيث جاء عنهما في موسوعة الكلمات اللاهوتية في التوراة قولهما بأن اليهود استفادوا معرفة كلمة النبوة من أهل كنعان بعد وفود اليهود إلى فلسطين . وهذان العالمان يرجحان هذا الاحتمال على كل ماسواه . (٢)

وفى التاريخ الدينى القديم لليهود ، وقبل اتصالهم بالعرب فى شمال شبه الجزيرة . فى ذلك التاريخ الدينى وجد مايدل على صحة ماذهب إليه هولشر وشميدت السابقان من أن اليهود لم يعرفوا كلمة « نبى » إلا عن العرب بعد اتصالهم بهم ؛ لأنهم كانوا يستعملون قبل ذلك كلمات الأب والرائى والناظر ويطلقونها على ماأطلقوا عليه فيما بعد كلمة نبى . وهم حين عرفوا كلمة « نبى » أطلقوها بدون أى تحفظ يصون المعنى الشريف لهذه الكلمة ؛ فظلت كلمة نبى عندهم تدور حول معان ليس بينها وبين « النبوة » الحقة أية صلة . ؟!

ودلآلة هذا الاقتباس عن العرب ــ قبل الإسلام ــ . لاتخلو منها التوراة نفسها . فقد أشارت التوراة إلى أنبياء ثلاثة من العرب غير ملكى صادق . وهم : يثرون ، وبلعام ، وأيوب ــ عليهم السلام ــ ويغلب الظن عند الباحثين على أن المراد بيثرون هو شعيب ــ عليه السلام ــ وقصة موسى ــ عليه السلام ــ مع شعيب لا تحتاج إلى دليل .

أضف إلى هذه المصادر اللغوية العربية التى قد اشتق منها لفظ « نبى » ففى اللغة العربية كلمة « النَّبْوَة » بمعنى المكان العالى ، وفيها كلمة « النبأ » بمعنى الخبر ... وكلمة نبى مما يصح إرجاعها إلى أى من الكلمتين على انفراد ، أو إليهما معاً .

فإرجاعها إلى « النبوة » بمعنى المكان العالى فيها دلالة على رفعة مكانة

---

٢ ــ انظر مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية (٨٩) عباس العقاد .

النبى وشرفه الذى لا يسامى .

وإرجاعها إلى « النبأ » فيها دلالة على اتصاف النبى بـ « الإخبار » لأنه مبلغ : منذر ومبشر وهادٍ وداع.وإرجاعهما إليهما معاً فلأن النبى ذو شرف عال ومخبر صادق فى آن واحد .

جهل اليهود بمعنى « النبوة » . ؟

علمنا مما تقدم أن اليهود كانوا يجهلون « كلمة نبى » ولم يعرفوها إلا بعد اتصالهم بالعرب . فاتصالهم بالعرب رفع جهلهم بمعرفة كلمة « نبى » وكذلك ــ النبوَة ــ إذ هما متلازمتان . ومثلما جهل اليهود اللفظ أو الكلمة (نبوة ــ نبى) جهلوا كذلك المعنى المراد منه . وهذا أمر بدهى . لأن المعنى ــ دائما ــ هو مضمون الكلمة أو اللفظ .

وكم كنا نود ، ومانزال ، أن يكون جهل اليهود بمعنى تلك الكلمة (النبوة ــ النبى) قد رُفع كما رفع جهلهم بالكلمة نفسها من حيث أنها كلمة بعد اتصالهم بالعرب ..

ولكن ــ ويالأسف ــ فإن جهلهم بذلك المعنى لم يرتفع إلى الآن . والأدلة على صحة هذا الفهم كثيرة وأحد مصادر تلك الأدلة التوراة نفسها وهى الجزء الأكبر من « الكتاب المقدس » كما يسمونه . وجهل اليهود بمعنى النبوة والأنبياء جعلهم يتوسعون فى مفهومها . ولايتحرزون من إطلاقها على المشعوذ الدجال كما يطلقونها على الحالم والرائى ، وعلى الكاهن والشاعر والخطيب . ؟! وعلى المتنبىء الذى يتكهن الغيب وإن كذب . كل هؤلاء لا مانع عند اليهود أن يكونوا أنبياء ، وأن تكون لهم آثار مدونة فى أسفار العهد القديم المقدسة فهذا توسع ، أو قل بلغة العصر « تسيب » فى معنى النبوة والأنبياء .

وقد ترتب عليه توسع أو تسيب آخر فى الاعتبار الذى يصبح « المرء » به نبيا .

إن مفهوم النبوة الصحيح هو أن يجتبى الله رجلاً صالحا من عباده ، ثم يوحى إليه بوحى غايته إصلاح الناس وهدايتهم إلى الحق .

وهذا المفهوم « مهدر » تماماً عند اليهود . ولذلك فقد تعددت « النوافذ » التى يدخل منها الأنبياء حتى أصبحت النبوة عندهم من كسب الرجل والمرأة مثلما يحصل دارس على شهادة دراسية فى عصرنا الحالى .

ونضع بين يدى القارىء معرضا من معارض النبوة والتنبؤ مما ترويه التوراة فى سفر صموئيل الأول الإصحاح التاسع عشر من الفقرة (١٨) إلى الفقرة (٢٤) . ولهذا المعرض قصة نوجزها فى الآتى :

فى عهد صموئيل وداود كان ملك إسرائيل شاؤل قد خرج عن كلمة « الرب » كما تقول التوراة . فعزل « الرب » شاؤل عن الملك وخاصمه كل من صموئيل وداود . وكان شاؤل يطارد داود فهرب داود وانضم إلى صموئيل وأقاما فى تابوت الرب فى مكان يقال له الرامة .

فبعث شاؤل رسلاً من لدنه يطلبون داود . فلما وصلوا إلى المكان الذى هما فيه وجدوا جماعة من الناس يتنبأون فأخذت رسل شاؤل العدوى فتنبأوا هم أيضاً ... ؟!
ثم أرسل شاؤل جماعة آخرين حين لم يعد إليه رسله السابقون . فلما وصلت الجماعة الثانية إلى المكان الذى فيه صموئل وداود تنبأوا كذلك .. ؟!!

فقرر شاؤل أن يذهب بنفسه فى طلب داود .. فلما وصل إلى المكان الذى يقيم به صموئيل وداود والأنبياء تنبأ هو أيضا ... ؟!!!

معرض عجيب يحدث التنبؤ فيه لجماعات جماعات . إنه أوكازيون تباع فيه النبوة بلا ثمن .. ؟! وإليك نص التوراة المقدس (؟!) فى هذه الأعجوبة :

« فهرب داود ونجا ، وجاء إلى صموئيل فى الرامة ، وأخبره بكل ماعمل به شاؤل . وذهب هو وصموئيل وأقاما فى تابوت . فأُخبر شاؤل وقيل له هو ذا

داود فى تابوت فى الرامة . فأرسل شاؤل رسلاً لأخذ داود . ولما رأوا جماعة الأنبياء ، وصموئيل واقفاً رئيسا عليهم ، كان روح الله على رسل شاؤل فتنبأوا هم أيضا . وأخبروا شاؤل فأرسل رسلاً آخرين فتنبأوا هم أيضا وأخبروا شاؤل فأرسل رسلاً ثالثة فتنبأوا هم أيضا . فذهب هو أيضا إلى الرامة .... فذهب إلى هناك إلى تابوت فى الرامة فكان عليه روح الله فكان يذهب ويتنبأ حتى جاء إلى تابوت فى الرامة . **فخلع هو أيضا ثيابه ، وتنبأ هو أيضا أمام صموئيل ، وانطرح عُريانا ذلك النهار كله وكل الليل ؟!**
لذلك يقولون أشاؤل أيضا بين الأنبياء » ؟!!!

هذا هو النص المقدس فى التوراة المقدسة ؟! يصور النبوة بمطر غزير يهطل على مكان معين . فكل من يمر بذلك المكان يصيبه المطر ... ؟!

وهو يصور لك صموئيل كأنه قائد فرقة عسكرية يشرف على تدريباتها وهم فى « طوابيرهم » يجيئون ويروحون . وكل من يمر بجوار « هذا المعسكر » سرعان مايصبح جنديا وينخرط فى سلك الجنود فيحمل ما يحملون من سلاح . ويتدرب كما يتدربون . هكذا والله تخيلت هذا المعرض .

وبعد هذا كله فلست أفهم ما علاقة التعرى والرقاد على الأرض بالنبوة .. ؟! وإن كانت هناك علاقة فلماذا لم يصبح المصطافون على البلاجات ، وهم عراة ، لماذا لم يصبحوا أنبياء كما أصبح شاؤل ؟!

أم أن التعرى ـــ وحده ـــ غير كافٍ فى حصول العريان على درجة النبوة . بل لابد من المكان المخصوص وهو « الرامة » ولابد من قائد الفرقة ، وهو صموئيل ؟! ألغاز معماة لا يملك كشفها إلا واضعو التوراة وواضعو الرواية الهزلية الذين يقولون إن التوراة لم تحرف . بل هى مصونة بيد من أنزلها .. ؟!

أفلست معى ـــ عزيزى القارىء ـــ أن جهل اليهود بمعنى النبوة والأنبياء مايزال قائما . وأن توارتهم المقدسة (؟!) هى أكبر دليل على مانقول .

والنبوة قد تنال بالكذب والخداع .. ؟!

لا ترتع وأنت تقرأ هذا « العنوان » ولاتظن أننا نمزح أو نتجوز فى الكلام ، أو نصف القوم بماليس فيهم . فهذا العنوان الذى أثبتناه حقيقة لا مزاح فيه ولامجاز ، ولا ادعاء . فاليهود هم مصدر هذا « المبدأ » مبدأ الحصول على النبوة بالكذب والخداع . وبهذا تنطق توراتهم المقدسة المصونة بيد من أنزلها كما يدعى واضعو الرواية الهزلية .

وعن طريق الكذب والخداع والمكر وقعت نبوة من أشهر نبوات ما قبل عيسى — عليه السلام — بل هى كبرى نبوات بنى إسرائيل وصاحب تلك « النبوة » هو « يعقوب » — عليه السلام — أبو أنبياء بنى إسرائيل ، ومن صلبه انحدرت الأسباط الاثنا عشر : رأوبين ، وشمعون ، ولاوى الجد الأعلى لموسى — عليه السلام — ويهوذا ودانا ، ونفتالى وجادا ، وأشير ويشاكر وزبولون ويوسف وبنيامين .

وكما جاء موسى من سبط لاوى ، جاء جميع أنبياء إسرائيل بعد موسى من سبط يهوذا ابن يعقوب ، وإليه ينتسب جميع اليهود .

هذه النبوة العظيمة حقا . يقول اليهود أن يعقوب (عليه السلام) حصل عليها بالغش والكذب والخداع ، وتنطق بذلك توراتهم المقدسة (؟!) إلى يومنا هذا . وهذا دليل قوى من سلسلة الأدلة التى تثبت أن اليهود إلى الآن يجهلون معنى النبوة والأنبياء ، وأن معرفتهم بالكلمة لم تفد شيئاً فى جهلهم بمعناها . وهو جهل مخز أكبر مايكون الخزى .. ؟!

القصة ... وموضعها فى الكتاب المقدس ... ؟!

لا أريد أن أطيل عليك بذكر كل النصوص . وسأكتفى هنا بتلخيص القصة مع الاستشهاد بالدال من نصوصها . والإشارة إلى موضع القصة فى التوراة .

أما الموضع فهو سفر التكوين أول أسفار موسى الخمسة التى صدرت بها التوراة . وبخاصة فى الإصحاح الخامس والعشرين ومابعده .

خلاصة القصة

أن إسحق بن إبراهيم أخى إسماعيل ـــ عليهم السلام ـــ ولد ولدين فى بطن واحدة من زوجه رفقة بنت بنوئيل . وسمى إسحق أول الولدين نزولاً من البطن : عيسو . وسمى الثانى يعقوب . فأحب إسحق عيسو . وأحبت رفقة يعقوب .

وحين شاخ إسحق وكبر قال لابنه عيسو : إننى قد شخت ولست أعرف يوم وفاتى . فالآن خذ عدتك جعبتك وقوسك ، واخرج إلى البرية وتصيد لى صيداً ، واصنع لى أطعمه كما أحب ، وأتنى بها لآكل حتى تباركك نفسى قبل أن أموت » [٣] .

هذا نص التوراة بالحرف . وتقول التوراة بعد ذلك مباشرة : وكانت رفقة سامعة لما قاله زوجها إسحق لابنه الأكبر عيسو الذى كان إسحق يحبه ، فأرادت أن تكون البركة ليعقوب الذى تحبه هى .. ؟!

فأعلمت يعقوب بالخبر . وأمرته أن يذهب إلى الغنم . ويأتيها بجديين جيدين من ولد المعزى ... فصنعت منهما أطعمة لإسحق كما يحب ، وهو لايعلم ، وأعطت الأطعمة إلى يعقوب ليقدمها إلى أبيه إسحق على أنه عيسو [٤] ... ولما كان عيسو أشعر خشن الملمس . ويعقوب أملس . وخشى يعقوب أن ينفضح أمره عند أبيه فتحل عليه اللعنة بدل البركة . فإن أمه رفقة ألبسته جلد المعزى لتوهم إسحق بأن الذى يقدم له الطعام هو عيسو الأشعر الخشن الجلد ... فتقدم يعقوب من أبيه ، وكان إسحق قد كف بصره ، وقدم له الطعام

---

٣ ـــ سفر التكوين الإصحاح (٢٧) الفقرات : (١ ـــ ٤) والمراد من مباركة إسحق لعيسو أن يمنحه النبوة .؟! .

٤ ـــ كان عيسو فى هذه الأثناء كما تروى التوراة ـــ يصطاد لأبية فى البرية ولم يكن يعلم بما دبرته أمه من حيلة ومكر ليفوز أخوه يعقوب بالبركة .

قائلا له ها أنذا ابنك الأكبر عيسو أقدم لك الطعام الذى طلبت . قم وكل وباركنى . وحين تحسس إسحق يدى يعقوب « المزورتين » قال : الصوت صوت يعقوب . واليدان يدا عيسو .. ؟! ثم باركه .. ثم قَدَّم له يعقوب خمراً فشرب . ثم قال إسحق وهو يكلل يعقوب بالنبوة ظنا منه أنه عيسو محبوبه :

« فليعطك الله من ندى السماء ، ومن دسم الأرض ، وكثرة حنطة وخمر ، ليستعبد لك شعوب ، وتسجد لك قبائل . كن سيداً لإخوتك . وليسجد لك بنو أمك . ليكن لا عنوك ملعونين ومباركوك مباركين » .(٥)

بهذا الخداع والدجل والغش صار يعقوب نبياً . وبهذا التضليل والحيلة والمكر اغتصب يعقوب بمعونة أمه النبوة من عيسو محبوب أبيه . فيعقوب محبوب الأم قد هزم عيسو محبوب الأب . إن يعقوب على حسب رواية التوراة المقدسة نبى مزور (حاش لله) ولكن هكذا تقول التوراة . ومع هذا التزوير فى أخطر الوثائق الرسمية أو قل : الربانية يصبح يعقوب « التوراة » أبا لجميع أسباط إسرائيل وأنبيائهم ــ ياللهول ... ؟!

وتمضى التوراة المقدسة (؟!) المصونة بيد من أنزلها كما يدعى واضعو الرواية الهزلية . تمضى فتقص علينا ماذا فعل عيسو حين علم بخيانة أخيه « المحترم الأمين » بمعونة أمهما . وإليك نص التوراة المقدس « فصنع هو أيضا ــ يعنى عيسو ــ أطعمة ودخل بها إلى أبيه وقال لأبيه ليقم أبى ويأكل من صيد ابنه حتى تباركنى نفسك فقال له إسحق أبوه من أنت ؟! فقال : أنا ابنك بكرك عيسو فارتعد إسحق ارتعاداً عظيماً جداً . فقال فمن هو الذى اصطاد صيداً وأتى به إلى فأكلت من الكل قبل أن تجىء وباركته . نعم ويكون مباركا . فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جداً .. ؟ وقال لأبيه : باركنى أنا أيضاً ياأبى . فقال :

« قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك ... ؟!!

---

٥ ــ سفر التكوين الإصحاح (٢٧) الفقرتان (٢٨ ــ ٢٩) .

ثم قال ـــ يعنى عيسو لأبيه ـــ أما أبقيت لى بركة ؟ فأجاب إسحق وقال لعيسو :

« إنى قد جعلته سيداً لك ، ودفعت إليه جميع إخوته عبيداً وعضدته بحنطة وخمر . فماذا أصنع إليك يابنى ؟!

« فقال عيسو لأبيه : ألك بركة واحدة فقط ياأبى . باركنى أنا أيضا ياأبى . ورفع عيسو صوته وبكى ... ؟!

« فأجاب إسحق أبوه وقاله له :

« هو ذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك . ؟! وبلا ندى السماء من فوق . وبسيفك تعيش . ولأخيك تستعبد ... » (٦)

هذه هى خلاصة القصة مع بعض شواهدها من النصوص الحرفية فتعال نقف معها وقفات خاطفة ولكنها مفيدة .

مآخذ عدة على قصة يعقوب فى التوراة

نعم ، مآخذ عدة على تلك القصة . وهى تتفاوت فيما بينها تفاوتا خطيراً . وأول مايفجؤك فيها :

١ ـــ أن النبوة ليست من الله .. ؟!

نعم ، النبوة ليست من عند الله حسب رواية التوراة هذه وإنما هى كلمات يتمتم بها نبى سابق ، فتنتقل من خلالها النبوة إلى نبى لاحق . فالنبوة عقد « عرفى » يتم بين اثنين .. وماعلى الوحى إلا أن يسارع بالنزول إلى هذا النبى الجديد . فليس الله هو الذى يجتبى من عباده رسلاً ، وليس الله هو الذى ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ (٧) . لقد ذهبت هذه المبادىء الإلهية السامية ، ذهبت فى نظر

(٦) سفر التكوين الإصحاح (٢٧) الفقران من (٢١ ـــ ٣٩) مع حذف يسير جداً أشرنا إلى مواضعه بالنقط .

(٧) النحل : ٢ .

التوراة المقدسة . وأحلت محلها الخداع والافتراء على الله ورسل الله ومع هذا كله تظل التوراة عند اليهود والنصارى كتابا مقدساً أو جزءاً من كتاب مقدس .. ؟!

وثانى مايفجؤك فيها :

٢ ـــ أن المعصية رفعت يعقوب . والخيانة جعلته نبياً .. ؟!

نعم ، الخيانة رفعت يعقوب وجعلته نبياً . فقد انتحل يعقوب « شخصية » أخيه عيسو ، وقام بأشنع عملية خداع لأبيه ، ولم نعلم أن ولداً فى تاريخ البشرية كلها خدع أباه مثلما خدع يعقوب أباه إسحق . وخدعه .. من أجل أى شيء خدعه ؟! من أجل أن يصبح نبياً هادياً للبشر . وبينما هو فى « قمة التزوير والخيانة والدجل » إذ به يصبح نبياً بل أبا للفيف من الأنبياء الكبار .. ذلك هو منطق التوراة المقدسة ... فهل بعد هذا من عجب . إن هؤلاء (اليهود) متبّرماهم فيه وباطل ماكانوا يعملون . ؟!

وثالث مايفجؤك فيها :

٣ ـــ أن الطاعة تسقط عيسو إلى الهاوية .. ؟!

لقد خدع يعقوب أباه فصار نبياً . وأطاع عيسو أباه فصار ساقطا منبوذا مستعبداً حقيراً . فقيراً مهانا لم يستحق من أبيه إلا الويل والثبور ، والدعاء عليه بعظائم الأمور . لقد قلبت « التوراة المقدسة » موازين العدل الإلهى فرفعت الكذبة الدجالين إلى أعلى عليين . وأنزلت الطائعين الصادقين إلى سجين . ذلك هو منطق التوراة المقدسة المصونة بيد من أنزلها كما يدعى واضعو الرواية الهزلية النجباء .. ؟!

ورابع مايفجؤك فيها :

٤ ـــ أن إسحق نبى مخدوع .. وشارب خمر .. ؟!

هكذا تقول التوراة المقدسة . أما كونه مخدوعاً فذلك ظاهر من سياق

القصة .. وأما كونه شارب خمر فقد صرحت بذلك التوراة إذ قدم له يعقوب الخادع خمراً بعد الطعام فشرب منه إسحق بل إن إسحق قد دعا لابنه يعقوب ــ عقب عملية الخداع ــ وهو يباركه أن يرزقه الله حب حنطة وخمراً ..؟!

والخداع والخمر كلاهما محظوران في حق الأنبياء . فأنبياء الله لاتجوز عليهم « الغفلة » في مجال الدعوة . فهم فطناء أذكياء ولكن التوراة تأبى إلا أن تصفهم حسب هواها . وقد رمتهم بكل نقيصة . ولو كان الأنبياء كما تصورهم التوراة للناس لما احترمهم أحد . ولما بعث الله منهم أحداً .. ولكان الأنبياء فى حاجة إلى أنبياء آخرين يهدونهم سواء الصراط ..

لاإسحق مخدوع ، ولايعقوب خادع .. !

من الإنصاف لهذين النبيين الجليلين ــ عليهما السلام ــ أن لا نتركهما لأوهام التوراة (المقدسة ؟!) وأن نقرر هنا أنهما بريئان مما تنسبه التوراة إليهما. فليس إسحق مخدوعاً ، ولا يعقوب خادعاً . فالنبوة من الله وحده ،هو الذى شرف بها إسحق ، وهو الذى كرَّم بها يعقوب . وإذا جاز أن يُخدع أحد من خلق الله . فإن الخداع على الله محال . والنبوة ليست عقداً ماليا يبرم فى بورصة الأوراق المالية . وإنما هى حكمة وتدبير ليس لله فيهما شريك أو وزير . فالله وحده أعلم حيث يجعل رسالته ولكن هذه المعانى كلها لابعضها مهدرة فى التوراة المقدسة ؟!
ومالذلك من سبب إلا أن اليهود قديما ، وحديثا مايزالون يجهلون معنى النبوة والأنبياء . ومن جهل شيئا عاداه كما جاء فى المثل .. ؟!

كيف كان أنبياء بنى إسرائيل يتنبأون .. ؟!

مرت بنا ــ حتى الآن ــ ثلاث طرق من طرق الحصول على رتبة النبوة فى بنى إسرائيل ، كما ترويها التوراة . وكانت على الوجوه الآتية :

أ ــ طريقة التنبؤ الجماعى الذى كان يرأسه صموئيل والتى تنبأت على

هداها رسل شاؤل بطوائفهم الثلاث . وهى الطريقة التى أطلقنا عليها وصف « الأوكازيون » الذى تباع فيه النبوة بلا ثمن .. ؟!

ب ــ طريقة التعرى والانطراح على الأرض لمدة نهار كامل وليلة كاملة . وهى الطريقة التى تنبأ بها شاؤل أمام صموئيل حين ذهب شاؤل نفسه فى طلب داود ــ عليه السلام ــ بعد تنبؤ طوائف رسله الثلاث . ؟!

جـ ـ طريقة الخيانة والخداع وسكب الخمور ، وهى الطريقة التى تنبأ بها يعقوب ــ عليه السلام ــ حسب رواية التوراة المقدسة ..

ونحن الآن أمام طريقة رابعة نذكرها ونكتفى بها ، وهى مع الطرق الثلاث المتقدمة من أقطع الأدلة على جهل اليهود والتوراة المقدسة بمعنى النبوة والأنبياء ..

د ــ وفى هذه الطريقة يتنبأ نبى من أنبياء بنى إسرائيل يدعونه فى التوراة ــ أرمياء ــ وتجلى التوراة فى سفر أرمياء هذا فى الإصحاح الأول كيفية حصول أرمياء على النبوة على هذا المنوال :

« كانت كلمة الرب إلى قائلا : قبلما صورتك فى البطن عرفتك . وقبلما خرجت من الرحم قدستك .. جعلتك نبياً للشعوب . فقلت آه ياسيدى الرب إنى لا أعرف أن أتكلم لأنى ولد ؟

فقال الرب لى : لاتقل إنى ولد ؛ لأنك إلى كل من أرسلك تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به .. ومد الرب يده ولمس فمى .. ثم صارت كلمة الرب إلى قائلا : ماذا أنت راءٍ يا أرمياء ؟ فقلت : أنا راءٍ **قضيب لوز** ؟! فقال الرب لى أحسنت الرؤية ؛ لأنى **أنا ساهر** على كلمتى لأجريها . ؟!

ثم صارت كلمة الرب إلى ثانية قائلا : ماذا أنت راءٍ ؟ فقلت أنا راءٍ **قدرا منفوخة** ووجهها من جهة الشمال ... » ؟!

ولنا الآن أن نتساءل ؟

ماعلاقة قضيب اللوز بالنبوة ؟ وماعلاقة القدر المنفوخة بالنبوة ؟! وهل تقصد التوراة بقضيب اللوز الرب نفسه ؟!
ثم مالذى يحمل الرب على أن يقوم بإبلاغ قرار النبوة بنفسه . ويضع يده على فم من يريد له أن يكون نبياً ؟

إن هذه المهمة هى مهمة جبريل ـــ عليه السلام ـــ فأين كان جبريل ـــ ياترى ـــ فى هذه اللحظة .. ؟!
الواقع أن جبريل مختف عن أنبياء بنى إسرائيل كما تصورهم التوراة المقدسة ؟!
فإننا لم نر له أثراً فى تبليغ أنبيائهم بشأن من شئون الرسالة .
بل إن « الرب » نفسه كان يخاطب كل أنبيائهم بلا واسطة وحى .

وتأبى التوراة المقدسة إلا أن تظهر « الرب » فى صورة أحد خلقه ، فقد كان ساهراً على كلمته ليجريها .. وهذه الكلمة « ساهر » لا يوصف بها إلا من ينام ويصحو وليس هذا بغريب على توراة القوم وأسفارهم المقدسة .

وهذا هو السبب :

لم ترع التوراة للنبوة ولا للأنبياء حرمة . فكثر فيهم من يحملون هذا اللقب الخطير . والسبب وراء هذا كله هو جهل التوراة التى بين يدى القوم الآن ، وجهل اليهود أنفسهم بمعنى النبوة والأنبياء ، وعلى كثرة ماقدمنا من أدلة وبراهين فما يزال لدينا الكثير الذى نقوله . وسنرجىء الكثير من هذا الكثير لفصل قادم حسب الخطة الموضوعة لهذه المواجهة المتواضعة . ومع هذا الإرجاء فإننا نرى ضرورة إيراد شهادة لها قيمتها فى هذا الموضع ، وهى شهادة رجل ذائع الصيت من أهل الكتاب أنفسهم الذين يعتقدون أن التوراة هذه جزء من كتابهم المقدس بل هى واحدة من أخطر دعائم الإيمان عندهم .
ذلك هو ول ديورانت صاحب قصة الحضارة فى العالم . وهذه هى شهادته :

« لم يكن أولئك الذين أطلق عليهم هذا اللفظ العبرى « نبى » [(٨)] أول

---

٨ ـــ سبق القول بأن كلمة نبى كلمة عربية وليست عبرية وهذا قصور من المؤلف فى فهم أصل اللفظ =

الأمر من طبقة عاموس وأشعيا الجديدة باحترامنا . بل كان بعضهم من المتنبئين الذين يستطيعون قراءة قلوب الناس وماضيهم ويخبرونهم بمستقبلهم حسبما يتقاضون منهم من أجور . ومنهم متعصبون متهوسون يستثيرون مشاعرهم بالأصوات الموسيقية الغريبة ، أو المشروبات القوية أو الرقص الشبيه برقص الدراويش ، وينطقون فى غيبوبتهم بعبارات يراها أصحابهم وحياً أوحى إليهم » (٩)

ثم يقول بعد ذلك بقليل :

« وكانوا مزيجاً من العرافين والاشتراكيين — يعنى أصحاب النزعة المتطرفة فى تدويل الثروات — ونخطىء أشد الخطأ إذا عددناهم أنبياء بالمعنى المألوف لهذا اللفظ » . (١٠)

هذه شهادة حق أملتها على قائلها الوقائع المؤسفة التى حفلت بها التوراة ونسبتها إلى أسماء ادعت أنهم أنبياء . وماهم بأنبياء .

وقد يهولك ما تراه فى مواضع من التوراة من أن أحد ملوك بنى إسرائيل طلب مشورة الأنبياء الموجودين فى عصره فى بعض الشئون . فلما أرسل فى طلبهم تجمع لديه أكثر من أربعمائة نبى .. ؟!

ياسبحان الله .. أربعمائة نبى فى آن واحد .. ؟

كيف .. ولأى شيء هذا العدد الضخم الذى قد يفوق أعداد النبيين المبعوثين من عند الله فعلا عشرات المرات .

ولم تكن النبوة عندهم مقصورة على الرجال وحدهم بل كان من بينهم نبيات أخريات . هكذا بلا أية ضوابط من عقل أو دين .

= وكان اليهود يستعملون مكان كلمة نبى كلمات : الرائى والأب والناظر ورجل الله . وكل هذه الكلمات واردة فى التوراة .

٩ — قصة الحضارة (جـ ٢ ص ٣٤٩) .

١٠ — نفس المصدر .

فالذى ضخم تعداد الأنبياء عند اليهود ، فوق جهلهم بالمعنى الشريف لكملة نبى ، كثرة عدد العرافين والكهنة فيهم . حتى المجانين عدوهم أنبياء . وإن شئت فارجع إلى مايسمى بسفر أشعيا تراه يهاجم المجانين الذين دخلوا فى سلك الأنبياء . وفى مواضع متعددة من التوراة فى أخريات أسفار العهد القديم ترى الشكوى من « الرب » متكررة من أنبياء لصوص أخذوا يتكلمون بلسان « الرب » ويعترف « الرب » صراحة بأنهم غير أنبياء وأنه لم يرسلهم من عنده . بل تنبأوا من وراء « الرب » وجدفوا عليه .. ؟!

ثم تمضى التوراة فترسم الطريق الذى يعرف به النبى الحق من النبى الدجال ، وتحصر هذا فى النظر فيما يقوله كل من يدعى النبوة .. فإذا صدقت نبوءته فهو نبى حقا . وإن كذبت نبوءته فهو دعى دجال . وتعزو التوراة هذه النصيحة إلى « الرب » نفسه . ! وإليك نصا من نصوص التوراة فى تأكيد هذا المعنى « قل للذين هم أنبياء من تلقاء ذواتهم اسمعوا كلمة الرب ... هكذا قال السيد الرب : ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ولم يروا شيئاً .. أنبياؤك ياإسرائيل صاروا كالثعالب فى الخرائب » ؟!
وتقول التوراة فى بيان كثرة الأنبياء :

« فجمع ملك إسرائيل نحو أربعمائة رجل من الأنبياء وسألهم : هل أذهب إلى راموت جلعاد للقتال أم أمتنع ؟
فقالوا : أصعد فيدفعها الرب ليد الملك » ؟!
ومغزى هذه النقول أن أنبياء بنى إسرائيل على كثرتهم فهم مثل الثعالب فى الأماكن الخربة . ؟!
وفى ختام هذا الفرع اسمع إلى داود ـــ عليه السلام ـــ أو إمام المغنين كما تدعوه التوراة يقول عن لسان الرب « ماذا يصنعه بى البشر ؟ اليوم كله يحرفون كلامى »[11] وأرمياء يقول ـــ كذلك ـــ عن لسان الرب :

---

١١ ـــ مزامير داود الإصحاح (٥٦) ؟ .

« قال الرب لى : بالكذب يتنبأ الأنبياء باسمى ؟ لم أرسلهم ولا أمرتهم ولا كلمتهم . بالرؤى الكاذبة ومكر القلب يتنبأون » [١٢]

وإلى أرمياء أيضا :

« أما وحى الرب فلا تذكروه بعد ؛ لأن كلمة كل إنسان تكون وحياً ، إذ قد حرفتم كلام الإله الحى رب الجنود إلهنا » [١٣]

وأرمياء مرة ثالثة عن لسان الرب :

« ها أنذا على الذين يتنبأون بأحلام كاذبة »

فها هى ذى التوراة تعترف بأن التوراة محرفة وصدق زهير بن أبى سلمى إذ يقول :

ومهما تكن عند امرىء من خَلِيقَةٍ

وإن خالها تَخْفَى على الناس تُعْلَمِ

وأعود فأذكرك — أيها القارىء الكريم — بأن واضعى الرواية الهزلية يدعون أن نبوات التوراة دليل قاطع على سلامتها من التحريف . وهاأنت قد عرفت . فأصدر حكمك فقد توافرت لديك المبررات .

وكلمة قصيرة عن النبوءات : [١٤]

لا نريد أن نسهب فى هذا الفرع ، وإن كنا نملك دواعى الإسهاب وبيدنا عدته وسلاحه . وآمل أن يفى القليل الذى سنقدمه هنا عن الكثير الذى نملك أن نقوله . فإننا هنا — أى فى هذه المواجهة كلها — لا نواجه الخصوم من موقف ضعف ، ولايواجهنا أولئك الخصوم من موقف قوة :

لايواجهوننا من موقف قوة ؛ لأنهم مع الباطل ، ولانواجههم من موقف

١٢ — سفر أرمياء الإصحاح (١٤) ؟ .

١٣ — سفر أرميا الإصحاح (٢٣) .

١٤— هى طويلة وليستِ قصيرة . ولكنها قصيرة باعتبار مايمكن أن يقال .؟

ضعف ؛ لأننا مع الحق . وكافيك من باطل ضعفه ، ومغنيك من حق قوته .

فتوراة القوم المقدسة (؟!) ملأى بشيء اسمه النبوءات ، أى الإخبار عن أمور ستقع لم تكن ساعة الإخبار عنها واقعة . وأنت تعلم أن واضعى الرواية الهزلية قد ذكروا من أدلتهم على سلامة التوراة من التحريف والتبديل أن النبوءات التى قد ذكرها أنبياء اليهود فيها قد وقعت تماما . لدرجة أن الملحدين أنفسهم شهدوا بصدق التوراة وسلامتها من التحريف .. ؟!

هكذا يقول واضعو الرواية الهزلية ... ؟!

ودعوى صدق النبوءات هى التى نواجهها الآن . وسوف نقصر الحديث على أنبوءة واحدة مشهورة ، واختيارنا لهذه الأنبوءة وحدها له أسباب وجيهة . منها :

ـــ أنها وردت فى أسفار ثلاثة أنبياء من أنبياء التوراة ومنها ؛

ـــ أن اليهود لهم فيها مطلب خاص ، والنصارى لهم فيها مطلب خاص يختلف عن مطلب اليهود فيها ومنها :

ـــ أنها تحتل مركزاً مهماً فى عقيدة الفريقين اليهود والنصارى . ومنها :

أنها عند إخضاعها للنقد الموضوعى فإنها تكذب دعوى الفريقين ؛ لأنها فى أصلها هى كاذبة . ومنها :

ـــ أنها تضمنت فى غضونها أنبوءات أخرى كاذبة مثلها فاختيارنا إياها ليس ـــ إذن ـــ هروبا من صعوبة غيرها ، إن لم تكن هى أصعب أنبوءات التوراة العجيبة . والآن فلنأخذ فى الموضوع .

التبشير بمسيح سيأتى :

وردت هذه البشارة أول ماوردت فى سفر أشعيا فى الإصحاح السابع الفقرتين [١٤ ـــ ١٥] ونصها كالآتى :

« **ها العذراء تحبل وتلد ابنا ، وتدعو اسمه عمانويل زبداً وعسلاً يأكل ، متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير ؛ لأنه قبل أن يعرف الصبى أن يرفض الشر ويختار الخير ، تخلى الأرض التى أنت خاشٍ من ملكيها** » ؟!

فأشعيا ــ هنا ــ يقول : إن العذراء على وشك أن تحبل وتلد ولداً تسميه عمانويل طعامه الزبد والعسل ، يرفض الشر صغيراً ويختار الخير . وتتقدم مولده آيات على الأرض .

ثم يعود أشعياء فيقول فى الإصحاح التاسع الفقرتين (٦ ــ ٧) مانصه الحرفى :

« لأنه يولد لنا ولد ، ونعطى ابنا . وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً : (**مشيراً إلهاً قديراً أبا أبديا رئيس السلام**) لنمو رياسته وللسلام لا نهاية ، على كرسى داود وعلى مملكته ، ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد . غيرة رب الجنود تصنع هذا » ؟! وفى هذا النص ينمو « ولد العذراء » على يدى أشعياء من أكل الزبد والعسل ومن رياسة السلام إلى كونه **إلهاً قديراً وأبا أبديا** . ؟!

والمنهج الدرامى يسمح بهذا ... فالفكرة عند المؤلف الدرامى تولد طفلة ، ثم ينميها بخياله إلى حيث يشاء . ويساعده على ذلك التطور أن الخيال لا ضابط له إلا الخيال نفسه .. ؟!

وهنا نتوقف ــ قليلا ــ مع أن لدينا نصوصاً أخرى فى هذه المسألة سنذكرها فى مواضعها بعد قليل إن شاء الله . نتوقف مع نزاع كل من اليهود والنصارى حول هذه الأنبوءة . ثم ما يترتب على هذا النزاع من إلزام الفريقين بقيام الحجة عليهما من خصومهم .

أولاً : مطلب اليهود ...

هذه الأنبوءة واردة فى أسفار العهد القديم (التوراة) وأسفار العهد القديم يهودية بالدرجة الأولى قبل أن تكون نصرانية ولهذا فإن مطلب اليهود من

هذه الأنبوءة التى قد تكررت على ألسنة أنبياء توراتهم ــ بين الوضوح والغموض ــ يخصونها بمسيح خاص بهم ، وليست هى بشارة بالمسيح عيسى ابن مريم ـــ عليه السلام ــ ويدعون مسيحهم ذاك المنتظر المسيح المخلص أو المنقذ .

وهذان الوصفان : المخلص والمنقذ يصف النصارى بهما المسيح عيسى ابن مريم ــ عليه السلام ــ فهما ــ إذن « اليهود والنصارى » متفقون فى الوصف من جهة اللفظ مختلفون من جهة المعنى .

فالخلاص والإنقاذ عند اليهود المقصود بهما خلاص اليهود أنفسهم وإنقاذهم من اضطهاد الأمم لهم ، وتمليكهم العالم بأسره يحكمونه حيث يشاءون . ذلك هو معنى الخلاص والإنقاذ عند اليهود ، فهو أمر دنيوى فحسب .

أما الخلاص والإنقاذ عند النصارى فهو مختلف تماماً عن مفهوم اليهود منهما . إذ يقصد النصارى من هذين الوصفين خلاص البشرية وإنقاذها من خطيئة أبيهم آدم ــ عليه السلام ــ الموروثة . وهكذا فكل منهما ــ كما يقول المثل ــ **يغنى على ليلاه** ، وإن كان الواقع أنه لا « ليلى »[15] لكل منهما .. ؟!

مواجهتنا لليهود فى هذه الدعوى :

نقول لليهود : إذا تمسكتم بأن هذه الأنبوءة لكم فهى أنبوءة كاذبة ، ولن نذهب فى إثبات كذبها إلى أكثر من نصوصكم المقدسة (؟!) وواقعكم بعد عهد كتابتها وتدوينها .

أما النصوص فقد رويتم عن أشعيا « توراتكم » قوله « ها العذراء تلد .. »

---

١٥ ــ نقصد من هذا النفى أن تصور كل من اليهود والنصارى باطل . فكل منهما ــ إذن ــ يغنى على « ليلى » لا وجود لها ..

ومعنى هذه العبارة لغويا اقتراب موعد ولادة العذراء ؛ لأن الحرف « ها » الذى صدرت به الأنبوءة كأنه يشير إلى عذراء موجودة فعلا ساعة التنبؤ بهذه البشارة .. ؟

وتؤكد نصوصكم الصريحة هذا القرب . ألم يقل أشعيا نفسه مخاطبا أورشليم بقرب الخلاص :

« استيقظى استيقظى . البس عزك ياصهيون . البسى ثياب جمالك ياأورشليم المقدسة ... انتفضى من التراب قومى اجلسى ياأورشليم . تخلصى من رباط عنقك أيتها المسبية ابنة صهيون » [١٦] ؟!

ومتى قال أشعيا هذا الكلام ؟ قاله قبل مولد المسيح بن مريم بـ « ثمانمائة سنة » . ونحن الآن نقترب من بداية الألف الثالثة من مولد المسيح ـــ عليه السلام ـــ أى أن قول أشعيا هذا مضى عليه مايقرب من ثلاثة آلاف سنة فأين هو المسيح المبشر به فى هذه الأنبوءة .. ولماذا لم يأت حتى الآن لقد انتظره أسلافكم كثيراً ، ولكن أشعيا ومعه حزقيال وأرميا ـــ خيب ظن الأسلاف ، كما خيب ظن الأخلاف ؟! فأين ـــ إذن ـــ هو . ؟!

فما هو جوابكم ؟

إن قلتم لم يأت للآن فقد لزمتكم الحجة ، إذ يقال لكم : ما مغزى أنبوءة لم تحقق بعد هذا العمر الطويل ، وأشعيا نفسه ، وغير أشعيا ، كان يبشر الحاضرين فى عصره أو أجيالهم أو أجيال أجيالهم . ولكن ثلاثة آلاف سنة تصلح لكم جيل ياترى .

وإذا قلتم جاء . قلنا لكم : كذبتم أنتم ، أو كذبت أنبوءتكم أمران أحلاهما مُرٌّ .

فالأنبوءة تجعل من مجىء ذلك « المسيح » خلاصاً لكم بأن يجمعكم

---

١٦ ـــ سفر أشعيا الإصحاح : ٥٢ الفقرتان (١ ـــ ٢) .

رب الجنود من بقاع الأرض ويدسكم فى أورشليم ، ويسقط جميع ممالك العالم ودولها بعد أن يهلك جميع أعدائكم غير اليهود ، وتصبحون أنتم حكام الكون كله . فلا يلحقكم من عدو أذى . ولكنا نراكم مشتتين فى بقاع الأرض إلى اليوم ، ومن عاد منكم إلى أورشليم مهدد فى نفسه وولده كاللص الذى يتسلل إلى منزل غيره ويخشى سطوة صاحب البيت . وإلى الآن لم يخضع لكم رب الجنود جميع ممالك العالم كما تقول الأنبوءة هذه واحدة . والثانية :

تقول الأنبوءة : إن عند مجيء مسيحكم تزال دمشق من بين المدن ، وتصبح رجمة ردم[(١٧)] .. » ؟!

ولكنا نرى دمشق قائمة الآن ، ولم تتحول إلى رجمة ردم ؟! وتقول الأنبوءة : إن عند مجيء مسيحكم تهلك « مصر » ويجف نيلها ويسير فيه الماشى بالحذاء[(١٨)] » ؟!

ولكنا نرى مصر إلى الآن قائمة لم تهلك ، ونيلها جار متدفق لم يجف .. ؟!

وتقول الأنبوءة : إن عند مجيء مسيحكم تبيت قوافلكم فى بلاد العرب ، ويهرب سكانها أمام سيوفكم ، وأن العرب سيفنون ويبيدون فى مدة سنة واحدة[(١٩)] .. ؟!

ولكنا نرى بلاد العرب قلعة شامخة إلى الآن ، قواتها فى ازدياد ، وخيراتها فى نمو .. ؟!

ونكتفى أمامكم بهذا القدر ـــ خشية التطويل ـــ ثم نسألكم هذا السؤال :

ماذا أنتم تختارون ؟ أتقولون جاء ؟ إن قلتم جاء فقد كذبتم أنبوءتكم . أم تقولون لم يجيء ؟ وإن قلتم لم يجيء فقد كذبتم أنبوءتكم . وإن قلتم لم

---

١٧ ـــ أشعيا الإصحاح : ١٧ فقرة (١) .

١٨ ـــ أشعيا الإصحاح : ١٩ ـــ فقرة (١ ، ٥) .

١٩ ـــ أشعيا الإصحاح : ٢١ فقرات (١٣ ـــ ١٦) .

يجيء وسوف يجيء قلنا لكم :
قديمة ... قديمة .. لقد فات الأوان .. فات من زمان . ابحثوا عن غيرها . ؟!

فات الأوان : نعم ؛ لأن أسلافكم الأقدمين انتظروا مجيء المسيح المنقذ المخلص كما وعدهم أشعيا . ولم يجيء فضاع صبرهم . ؟!
ولكن حزقيال أخذ يدافع عن الوعد ، ويهدىء مشاعر أسلافكم الأقدمين .
وراح يمد في الوعد حتى يجعل من « الوهم » شبه حقيقة وقد كان ذكيا حيث « عوَّم » الوعد ولم يحدده . وأخذ يغرس الأمل في القلوب من جديد .

ومتى كان هذا .. في القرن السابع قبل ميلاد المسيح عليه السلام . ومضى أشعيا ، وحزقيال ، وأرميا مضوا جميعاً . وطال العهد . ولم يجيء مسيحكم المخلص إلى الآن . أفلستم معنا بأن هذه الأنبوءة — على الأقل — مزورة . لم يفه بها نبي معصوم ؟!
فما هو رأيكم .؟ ورأى واضعى الرواية الهزلية الذين يدافعون — زوراً — عن توراتكم ؛ ليسلم لكم ولهم كتابكم المقدس من التحريف والتبديل .

بقى احتمال واحد ، لو نطق الحجر لما نطقت به ألسنتكم ، وهو أن تقولوا هو المسيح عيسى بن مريم ؛ لأن موقفكم من المسيح بن مريم معروف . وهو قد جاء مورطا لكم لا مُخلِّصا ولا منقذاً؛ لأنه كشف أضاليكم وتجرؤكم على الله ووحيه ورسله .

وحتى لو سلمنا لكم في احتمال أن تقولوا : لم يجيء وسوف يجيء فإننا نواجهكم بعبء ثقيل وهو :

سلمنا لكم أنه سيجيء ، ولكن ما تزال الأنبوءة كاذبة . أتدرون لماذا لأنكم وصفتم ذلك المسيح فيها : بأنه إلـٰه قدير . وهذا يلزمكم بأنكم ماتزالون تؤمنون بتعدد الآلهة . وفي هذا تكذيب لأشعياء نفسه ؛ لأنه قال في سفره — كما تعلمون — عن لسان رب الجنود :

« أنا الرب . وليس آخر . لا إله سواى »[٢٠] فأى القولين قاله أشعيا . توحيد رب الجنود ، أم تعدد الآلهة معه .. ؟!

مواجهتنا للنصارى :

قد يكون النصارى أكثر حماسة من اليهود فى ادعائهم أن مايروى عن أشعيا من مجىء مسيح مخلص منقذ ، وعن غير أشعيا من أنبياء التوراة اللاحقين ، إنما هو تبشير بالمسيح عيسى بن مريم ـــ عليه السلام ـــ ونحن لا مانع لدينا من أن تكون التوراة قد بشرت بعيسى ـــ عليه السلام ـــ ولابد أن تبشر . ولكن لدينا موانع عدة من أن يكون ماذكروه عن أشعياء ولا حقيه هو بنصوصه الحرفية بشارة بعيسى ـــ عليه السلام .

وإذا تمسك النصارى بأنها ـــ فعلا ـــ تعنى المسيح بن مريم فإننا نواجه دعوى النصارى هذه بأن الأنبوءة ـــ لامحالة ـــ تصبح أمام تمسكهم كاذبة مثلما أصبحت كاذبة أمام دعوى اليهود . وكذبها مستفاد من مقدمات يقينية منها مالدى النصارى جواب عليه .. ولكنه عند التحقيق مرفوض . ومنها ماليس لديهم عليه جواب ـــ قطعاً ـــ وإليك البيان .

المانع الأول : أن أنبوءة أشعيا تصف المسيح المنقذ المنتظر بأنه «إلـٰه قدير » وهذا هو الوصف باطل فعيسى بن مريم لم يكن « إلـٰها » ولا قديراً قدرة الإلـٰه ، وإنما كان عبد الله ورسوله ، ومامن إله إلا الله . وقد قام على بطلان دعوى « ألوهية » المسيح عشرات الأدلة القاطعة من النقل والعقل وكان الخارج عن « النصرانية » بسبب هذه الدعوى أكثر من الداخل فيها .
فهذا المانع وإن كان لدى النصارى عليه جواب ، فهو ـــ قطعا ـــ مرفوض .

المانع الثانى : أن أنبوءة أشعيا تصف المسيح الموعود بأن الرياسة ستكون له على كرسى داود إلى الأبد . وأنه سيثبت مملكته ويعضدها ـــ كذلك ـــ إلى الأبد . ؟!

---

٢٠ ـــ أشعيا الإصحاح : الاصحاح الخامس والأربعون فقرة (٥) ؟! .

والرد على هذا باختصار شديد يعتمد على دعامتين : **أولاهما** أن نسب المسيح إلى داود إنما هو مستفاد من نسبه إلى يوسف النجار خطيب مريم ، وليس يوسف هذا أبا بيولوجيا لعيسى ـــ عليه السلام

وهذا أمر متفق عليه لدى آباء الكنائس النصرانية ، حتى أن لوقا ، وهو أحد محررى الأناجيل ، أثبت فى مقدمة نسب المسيح فى إنجيله المعروف باسمه قوله :

« وكان على مايظن ابن يوسف بن هالى ... » وهم متفقون كذلك ـــ على أن نسب المسيح ـــ عليه السلام ـــ معدوم من جهة الرجال . وهذا حق .

وثانيتهما : أن عيسى ـــ عليه السلام ـــ لم يجلس رئيسا على كرسى داود ـــ كما تقول الأنبوءة ـــ ولكنه عاش حياته مطروداً من قبل اليهود حتى حاولوا قتله وصلبه ، لولا أن نجاه الله منهم ، فأين هى الرياسة التى صارت إلى عيسى ولو لمدة يوم واحد ، فضلا عن أن يكون رئيسا إلى الأبد وعن أن يعضد مملكة داود .. ؟! والمعنى بالرياسة هنا هى الرياسة الدنيوية الحكمية السياسية . وهذا مالم يحظ به المسيح ـــ عليه السلام ـــ ولو لمدة ساعة من ليل أو نهار ؟!

المانع الثالث : تشتمل أنبوءة أشعيا بالمنقذ المخلص على مقاطع أخرى ، مجرد ذكرها يحرج كل رجال اللاهوت من النصارى ، يحرجهم جداً متفرقين ، ومجتمعين . وها نحن نضع أمام القارىء بغض تلك المقاطع المحرجة جداً .

لم يكتف أشعيا ، ولم يكتف مزورو سفر أشعيا بعبارة أصح ، لم يكتفوا بمجرد التبشير بمسيح منتظر ، ولو كانوا اكتفوا لما وجدنا نقداً واحداً نوجهه إليهم . ولكنهم تطاولوا فورطوا أنفسهم إلى الأذقان . إذا قد رتبوا على مجىء المسيح المنتظر أموراً هى للأسف ـــ لهم ـــ لم تتحقق بمجىء المسيح ـــ عليه السلام ـــ ومن تلك الأمور ما تراه فى قول أشعيا الآتى :

« فيسكن الذئب مع الخروف ؟ ، ويربض النمر مع الجدى ؟ . والعجل

والشبل .. معاً ؟ وصبى صغير يسوقها ؟ والبقرة والدبة ترعيان . تربض أولادهما معاً . والأسد كالبقر يأكل تبناً . ويلعب الرضيع مع سرب الصل .[٢١] ويمد الفطيم يده على جحر الأفعوان ؟ . لايسوءون ولايفرون .. لأن الأرض تمتلىء من معرفة الرب كما تغطى المياه البحر[٢٢]» ؟!!

وتردد هذه الوعود فى مواضع متفرقة من سفر أشعيا حتى تذهب بعض الوعود إلى أن الحروب ستنتهى تماما بمجرد مجىء المسيح المنقذ . وتتحول الأسلحة أو حديد الأسلحة إلى سكك فى خدمة السلام ، ولايبقى فى الأرض شر ولا أذى على الإطلاق .. ؟!

وقفة مع هذه الوعود المقدسة . ؟!

المفروض أن هذه الوعود مقدسة ، والوعد المقدس معناه الصدق ، مادام القوم ــ يهوداً ونصارى ــ يؤمنون أن التوراة لم يمسها تبديل ولا تحريف .. !

ومعنى هذا فإن مجىء عيسى ــ عليه السلام ــ كان ينبغى أن يقترن بهذه الوعود التى تفوه بها ــ صراحة ــ أشعيا ولاحقوه . ولكن الواقع الآن شىء وتلك الوعود شىء آخر . ؟!

فالعداء بين الذئب والحمل ، وبين الأسد والإنسان والحيوان ، مايزال هو القائم إلى الآن ، وكان ينبغى ــ تحقيقا لوعود أشعيا ولا حقيه ــ أن يختفى ذلك العداء فيرعى الذئب مع الحمل ، ويؤانس الأسد الإنسان ، ولا يعتدى الإنسان على حيوان آخر ؟!

وكان المفروض أن يلعب الطفل مع سرب الحيات ، فلا تؤذى الحيات الطفل ولا الرجل ، وكان المفروض أن يمد الرضيع يده ويدخلها فى جحر الأفعوان فلا يلدغ الأفعوان الطفل ؟!

---

٢١ ــ الصل جماعة الثعابين .

٢٢ ــ أشعيا الإصحاح : ١١ ــ فقرات (٦ ــ ١٠) .

وكان المفروض أن يأكل الأسد التبن كالبقر ، ومع البقر ، وهذا مالم يتحقق إلى الآن ؟!

وكان المفروض أن ينتزع الحقد من قلوب الناس ، ويسود السلام وتموت الحروب ، ويتحول حديد السلاح إلى سكك ، وطرق على الأرض لخدمة السلام ، أو تستعمل — بلغة العصر — فى الأغراض السلمية ، وهذا لم يحدث إلى الآن .. ؟!

بل الذى نراه هو العكس . العداء بين البشر يزداد ، والتسابق على أسلحة الدمار هو المسيطر على كل مالك طاقة وعلم . والحروب تشتعل فى بقاع الأرض شرقا وغربا .. وبعض الدول التى تدين بالنصرانية تملك أسلحة تكفى لتدمير الحياة فى ساعات .. فكيف ذلك والمسيح قد جاء من زمان . ألفا عام تمر على مبعثه ، والفتن هى الفتن ، والطمع هو الطمع ، والحروب هى الحروب .

بل إن الحروب التى وقعت بعد مبعث المسيح — عليه السلام — ومنها الحربان العالميتان ، لم يعرف لها تاريخ البشرية مثيلا . ؟! فما تفسير ذلك عند من يدعون أن كلام أشعيا السابق ، ولاحقيه ، هو أنبوءة صادقة من أنبوءات التوراة (المقدسة ؟!) وأن ذلك الصدق هو دليل قاطع من أدلة سلامتها من التحريف والتبديل وأنها مصونة بيد من أنزلها .. ؟!! أفتونا ياسادة .. ؟!
وقبل أن تفتونا اعلموا أن أمامكم أمرين أحلاهما مُرٌّ وعَلْقَم فإن قُلتم نعم أشعيا قد تنبأ بالمسيح — عليه السلام — ، قلنا لكم حسنا . نحن لا مانع لدينا من أن يكون قد تنبأ به ، ولكنه أصاب فى موضع وأخطأ فى مواضع :

أصاب فى القول بمجىء المسيح فقط .. وأخطأ فى كل الوعود التى قد قرنها بمجيئه .

وهذا يدل على أن الأنبوءة قد حُرِّفَتْ ، وأدخل عليها البشر ماليس من الوحى . فصدق الجزء الخاص بالوحى .. وكذبت الأجزاء التى أضافها البشر .

وهذا ماقصدنا إثباته ، وهو أن التوراة قد حرفت وبدلت ، وغيرت ، واختلط فيها حق بباطل . وأنها ليست مصونة بيد مَنْ أنزلها . لا لأن يد من أنزلها عاجزة عن صونها ــ حاش لله ــ ولكن لأن مَنْ أنزلها لم يرد لها ذلك ولو أراد لفعل .

وإن قلتم : إن الأنبوءة كلها صادقة . فعليكم أن تقيموا دليلاً على صدقها فهيا ضعوا طفلا بين لفيف من الثعابين والحيات ولننظر معا . هل يسلم الطفل منها أم تؤذيه بسمها ، ولدغها ؟ وهاتوا خروفا وذئبا وأطلقوهما معاً . ولننظر هل يسلم الخروف من الذئب ، أم يقول الذئب : فرصة العمر ، ويهجم على الخروف ثم يلتهمه التهاما ؟

ثم كيف تفسرون لكم ولنا قيام الحروب الضوارى بعد مبعث المسيح أيكون مع هذا كله ، ومع غير هذا ؟ أيكون أشعيا أو الذين زوروا كلام أشعيا صادقين ؟!

لانظن أن العناد سيصل بكم إلى هذا الحد ، وإذا صدق ظننا فتعالوا نتفق معاً على أن التوراة الآن لاتمثل وحى الله إلى موسى ، ولاتمثل وحى الله إلى من جاء بعد موسى من الأنبياء ، وإنما هى خليط من حق الله ، وباطل الناس ، ومافيها من كثرة الباطل أذهب مافيها من « ندرة » الحق . والعملة التى يلحقها التزييف ، يبطل التعامل بها ، وبخاصة إذا كان فى الإمكان قيام عملة أخرى معدنها نفيس ، ووجهها مصقول والتعامل بها شرف .. فهل عندكم من جواب أو تفسير ؟!

تفسير هذا التخليط :

لاريب أن ماورد فى التوراة من النصوص التى تتنبأ بمجىء مسيح منقذ إنما هى « تخليطات » نملك ــ الآن ــ تفسيراً لها نراه أقرب إلى فهم الحقيقة ؛ لأن وعود الأنبوءة ــ كما رأيت ــ لايمكن تصديقها بأية حال ، وفيما يلى نورد ما نراه من تفسير لها نتيجة للاطلاع المضنى على ماكتبه

الكاتبون من اليهود والنصارى أنفسهم ، ومن غير اليهود والنصارى مما يتعلق بالتاريخ الطويل لليهود عبر الأزمان ، ومايتعلق بالفترة التى أعقبت المسيح ـــ عليه السلام ـــ قبل تدوين مرقس ولوقا ومتى ويوحنا أناجيلهم المعروفة الآن بأسمائهم وهذه الفترة. كانت قد اختلطت فيها اليهودية بالمسيحية قبل أن تتخلص المسيحية من اليهودية على يد بولس المسمى ببولس الرسول صاحب الرسائل المشهورة والمعروفة باسمه كذلك .

أولا : مايتعلق بالتاريخ اليهودى :

أجمع الكاتبون فى التاريخ اليهودى على أن اليهود بعد نفى بابل ، وماحل بهم من أسر ، وتنكيل ، وهدم للهيكل ، وما لحق بهم من تشريد ، هذه الأحداث تركت فى الشعور اليهودى الخاص والعام شروخاً دامية ، وكاد اليأس يبدد كل آمالهم وأدرك مفكرو اليهود أن اليهود مقدمون على هاوية قد لاتبقى ولاتذر . فأصبحت الحاجة ماسة جداً إلى قيادة روحية تعيد إليهم الأمل . ولما كان الدافع مراً فإن الاتجاه لن يكون إلا إلى تزويق صورة المستقبل ، وملئه بالوعود الحلوة التى تبعث الأمل فى الروح من جديد .

وهنا دب النشاط النبوى ـــ كما يقول كثير من المفكرين المسيحيين واتجه الكتبة والكهنة إلى صياغة أسفار التوراة من جديد وملأوها بالتعديلات ، والبشارات التى تحقق الغرض من استعادة الشعور اليهودى المطمئن ، ونسبوا تلك البشارات إلى من عرف أنهم أنبياء ، وبخاصة أشعيا ، وحزقيال ، وأرميا ، وحجى وباروخ وغيرهم .

وفى هذه الأثناء زاد اهتمامهم بفكرة المنقذ والمُخَلِّص الذى سيكون ويعيد لليهود مكانتهم ، وكثرت النبوءات التى وعد فيها رب الجنود ، أو « يهوه » إله بنى إسرائيل بتحطيم أعداء بنى إسرائيل وجمع شملهم وبناء هيكلهم وإسقاط جميع الأمم فى أيديهم حتى لايعود يدخل أورشليم أحد من غير اليهود مطلقا . ؟!

والذى يطلع على أسفار أشعيا وحزقيال ، وأرميا من كتب العهد القديم يرى أن رب الجنود إله بنى إسرائيل سوف يُفنى كل شعوب الأرض من أجل راحة شعبه اليهودى ، وانتقاما لهم من كائديهم ؛ ليكون هو لهم إلهاً ، ويكونون هم له شعبا ، ويبنون له مسكنا ليسكن بينهم إلى الأبد .. ؟!

وإلى هذه الفترة يمكن أن نُعزى فى كثير من الثقة النصين الأولين اللذين وردا فى سفر أشعيا فى الإصحاحين السابع والتاسع ، الذى يقول مطلع أولهما : « ها العذراء تحبل ، وتلد ابنا » والذى يقول ثانيهما « لأنه يولد لنا ولد ، ونعطى ابنا .. »
ووظيفة هذا الولد هو إعادة مجد أورشليم على نحو ماهو مسطور فى التوراة .

والاحتراس هنا واجب . ومن مظاهر الاحتراس أن تقول أن تعديلا فى فترة لاحقة قد مس هذين النصين . وبالتأكيد النص الثانى منهما حيث وصف فيه الولد الموعود بأنه : « إله قدير » .. فهذا الوصف بكل يقين ليس وليد هذه الفترة ؛ لأن اليهود فى هذه الفترة كانوا قد انتقلوا من مرحلة تعدد الآلهة ، إلى مرحلة الإيمان بإلـٰه واحد هو رب الجنود يهوه إله بنى إسرائيل . ؟
فمحال أن يسمحوا لظهور إله آخر أمام رب الجنود ويزيد هذا اليقين تأكيداً أن أنبياء هذه الفترة كانوا يدركون أن ماحل ببنى إسرائيل إنما هو بسبب أنهم جعلوا أمام رب الجنود آلهة أخرى .. فكيف يجىء عنهم التبشير بإله آخر ، وهم يحاولون دعوة بنى إسرائيل بأن يتجهوا نحو رب الجنود وحده ولايعظموا معه آلهة أخرى ؟!

وهذا الوصف « إله قدير » من إضافات الفترة التى جاءت بعد المسيح ــ عليه السلام ــ وقبل تدوين الأناجيل المعروفة الآن . ؟!

وهى الفترة التى نشط فيها بولس الرسول ، إذ فى هذه الفترة أدخلت على « العيسوية » أمور ليست منها ، ومن تلك الأمور وصف المسيح بأنه « إله » ؟!

ثانياً : فترة مابعد المسيح وقبل تدوين الأناجيل :

عمر هذه الفترة يتروح بين السبعين والمائة والأربعين عاما على خلاف عميق فى التحديد ، وهذه الفترة كانت اليهودية فيها يهودية مسيحية ، والمسيحية مسيحية يهودية ولعب فيها بطرس وبولس دوراً خطيراً فى « تصنيع » المسيحية بعيداً عن وحى الله إلى عيسى ـــ عليه السلام ـــ وحيل بولس معروفة ومكشوفة فى إضفاء صفة الرسولية على نفسه . ودعوى لقائه مع عيسى ـــ عليه السلام ـــ بعد اختفائه ؟!

ولما كان بولس يهودياً ضالعاً فى اليهودية قبل تبنيه « صنع » المسيحية البشرية . فإن دوره فى تعديلات جوهرية على نصوص العهد القديم بما يتفق مع مزاعمه الجديدة يصبح ميسوراً وخطيراً فى آن واحد . فهو صاحب القول بأن المسيح ابن مريم إله أو ابن الله وهذا يفسر لنا سر التعديل الذى ألحق بأنبوءة أشعيا السابق من وصف الولد الموعود بـ « أنه إلـٰه قدير » ليصبح هذا النص أقوى الشواهد من العهد القديم على ما أراد هو إضفاءه على عيسى ـــ عليه السلام ـــ من أنه : إلـٰه أو ابن الله .. ؟!!

تعديلات أخرى من أعمال هذه الفترة :

لايكاد يرتاب عاقل عالم بحقيقة فترة **اليهودية ـــ المسيحية** . أو الفترة « **البولسية** » فى الذى عزوناه إليها من تعديل على النص القديم السابق ، فكل القرائن تؤكد هذا التفسير .

وبقى من إضافات الفترة **اليهودية ـــ المسيحية** على نصوص العهد القديم نصوص أخرى عميقة الدلالة على صحة مانقول .

ومن تلك النصوص مايأتى :

١ ـــ « يقضى بالعدل للمساكين . ويحكم بالإنصاف لبائسى الأرض . ويضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفحة شفتيه .. »[٢٣]

---

٢٣ ـــ أشعيا الإصحاح : ١١ ـــ فقرة (٤) .

٢ — « محتقر ومخذول من الناس ، رجل أوجاع ومختبر الحزن ، وكمستر عنه وجوهنا ، محتقر فلم نعتد به .

« لكن أحزاننا حملها ، وأوجاعنا تحملها ، ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولاً .. وهو مجروح من أجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه ، وبحبره شفينا ... والرب وضع عليه إثم جميعنا . ظلم . أما هو فتذلل ولم يفتح فاه. كشاة تساق إلى الذبح ، وكنعجة صامتة أمام جازريها ، فلم يفتح فاه . ؟!

« من الضغطة ومن الدينونة أخذ [٢٤] . وفى جيله من كان يظن أنه قطع[١] من أرض الأحياء . إنه ضرب [١] من أجل ذنب شعبى . وجعل[١] مع الأشرار قبره ، ومع غني عند موته على أنه لم يعمل ظلما . ولم يكن فى فمه غش .

« أما الرب فسر[١] بأن يسحقه بالحزن ، إن جعل نفسه « .... يبرر كثيرين .. وآثامهم هو يحملها ... من أجل أنه سكب للموت نفسه . وأحصى[٢٥] مع أثمة . وهو حمل خطية كثيرين . وشفع فى المذنبين »[٢٦] ؟!

٣ — « روح السيد الرب عليَّ ؛ لأن الرب مسحنى لأبشر المساكين . أرسلنى لأعصب منكسرى القلب لأنادى للمسبيين بالعتق ، وللمأسورين بالإطلاق .. لأعزى كل النائحين .. لأجعل لنائحى صهيون لأعطيهم جمالا عوضاً عن الرماد ، ودهن فرح عوضا عن النوح . ورداء تسبيح عوضاً عن الروح ، فيدعون أشجار البر غرس الرب للتمجيد .. ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ، ويكون بنو الغريب حراثيكم ؟! وكراميكم ؟!

« أما أنتم فتدعون كهنة الرب ، تسمون خدام إلهنا . تأكلون ثروة

---

٢٤ — كل الأفعال المرقومة برقم (١) مبنية للمجهول .

٢٥ — هذا الفعل مبنى للمجهول كذلك .

٢٦ — أشعيا . الإصحاح : ٥٣ — فقرات (٢ — ١٢) .

الأمم . وعلى مجدهم تتأمرون » ؟![27]

دلالة هذه المقاطع :

لهذه المقاطع الثلاثة دلالة قاطعة على معناها الذى سقناها من أجله ، وهو أنها وليدة الفترة التى أعقبت ميلاد المسيح ــ عليه السلام ــ ومضيفها إلى أسفار العهد القديم ، أو مُعَدِّلها إن أردنا الدقة فى التعبير ، قد راعى فيها أن يضمنها معانى وأوصافا رددها ، وأطال تردادها النصارى فيما بعد على السيد المسيح ــ عليه السلام ــ ومايزالون يرددونها إلى الآن ولا أريد أن أكرر ماتقدم بيد أنى أشير إلى أن كلمة مسحنى الرب ، ويبرر كثيرين ، ورجل أحـــزان ، وأوجاع ، وحامل خطية ، ومحتقر ومخذول من الناس . وجابر المساكين .. ومنصف المنكسرين . وذبيحة الفداء . كل هذه أوصاف يصف بها النصارى السيد المسيح ، ولاتعرفها اليهودية الخالصة ؟! فهى إذن من وضع المسيحيين فى عهد مبكر أو على الأقل من وضع مرحلة اليهودية ــ المسيحية فى عهدها الأسبق .

ولدينا دلالة قوية على هذا التفسير استقيناها من النص الثالث المتقدم . فهذا النص جمع فى مكان واحد بين أوصاف المخلص المنقذ الذى كان يحلم به اليهود قبل مجىء المسيح ــ عليه السلام ــ وبين أوصاف المسيح التى يطلقها النصارى على عيسى ــ (عليه السلام)

فالنداء بالعتق لأهل السبى ، والإطلاق للمأسورين والعوض لنائحى صهيون . وتسخير الأجانب فى خدمة بنى صهيون ، وكونهم رعاة لغنمهم ، وحراثا لأرضهم وأكل اليهود لخيرات الأمم وتأمرهم على كل الشعوب هذه من أوصاف منقذ اليهود ومُخَلِّصِيهِمْ .

أما سكب للموت نفسه ، ومنكسر القلب ، وقبره بين أشرار وضغطة

---

٢٧ ــ أشعيا . الإصحاح : ٦١ ــ فقرات (١ ــ ٦) .

الدينونة ... إلخ ... فهذه أوصاف مسيح النصارى . وهذا النص على الأرجح من وضع اليهودية ـــ المسيحية المبكرة . وليس وحيا من عند الله على لسان رسول صادق .

تســأل .: ونجيب :

لم يبق أمامنا فى شأن هذه النبوات إلا الإجابة على سؤال قد يستشعره القارىء وخلاصته :

كيف يمكن تعديل نصوص التوراة بعد مجىء المسيح . ؟!
وقد تم تدوينها قبل ذلك العهد ..

السؤال فى نفسه موضوعى ووجيه . والإجابة عليه ليست من « عندياتنا » بل إن أهل الكتاب المعاصرين أنفسهم هم الذين مهدوا لنا طريق الإجابة عليه . وهى تعتمد على حقيقتين :

أولاهما : أشعيا .. أشعييان ؟!

الباحثون المعاصرون فى نصوص العهد القديم توصلوا إلى حقيقة مذهلة ، وهى أن أشعيا الذى ينسب إليه سفر من أسفار العهد القديم أشعييان وليس أشعيا واحداً . أحدهما معروف . والثانى مجهول . وأشعيا المجهول هذا قام بعد أشعيا المعروف وكتب الفصول الأخيرة من سفر أشعيا ابتداء من الإصحاح التاسع والأربعين إلى الخامس والخمسين .. أما الإصحاحات الباقية من (٥٦) إلى (٦٦) فيعزونها إلى كتاب أو مؤلفين مجهولين .

ويقول الباحثون المعاصرون من المسيحيين : إن أشعيا الثانى أو المؤلف المجهول هو الذى أخذ على عاتقه تطوير فكرة المسيح المنقذ المُخَلِّص ورفعه إلى المكانة التى يعرف بها عيسى (عليه السلام) الآن ـــ بين المسيحيين.[٢٨]

إن قائل هذا الكلام هو الكاتب المعروف ول ديورانت صاحب قصة

٢٨ ـــ انظر فى ذلك قصة الحضارة (حـ ٢ ص ٣٦٢) ومابعدها .

الحضارة . فنحن إذن لم نفتر على القوم ولكنهم هم قد نطقوا بالحق المؤيد لنا .

وهذا الكلام يؤيد بصورة قاطعة ماقلناه آنفا من أن اليهودية ــ المسيحية قد عدّلت نص أشعيا بحيث قد أصبح متسقاً مع عقيدة النصارى فى المسيح . ولكننا لابد أن نضيف إلى ماذكره هؤلاء الباحثون أن التعديل لم يبدأ من الإصحاح التاسع والأربعين فحسب ، بل بدأ ــ ولو طفيفا ــ من الإصحاح التاسع حيث وصف فيه الولد الموعود بأنه إلـٰه قدير كما تقدم . فهذه ــ قطعا ــ إضافة متأخرة جداً عن عصر تدوين أسفار العهد القديم .. ؟

وثانيتهما : مرحلتان لتدوين التوراة :

قد تقول : ومع صحة ماتوصل إليه الباحثون المعاصرون من وجود مؤلفين مجهولين كملوا سفر أشعيا ؛ فإن ذلك التكميل كان قبل ميلاد المسيح لا بعده ، لأن التوراة دونت قبل المسيح ــ قطعا ــ فكيف يصف أولئك المجهولون المسيح قبل وجوده إن لم يكونوا أنبياء أو ملهمين ؟!
وهذا السؤال وجيه كذلك . وموضوعى كذلك . والآن فاسمع الإجابة عليه .

بعد المسيح لا قبله :

إن فريقا آخر أعرق فى باب المعاصرة قد مهد للإجابة على هذا السؤال بوضوح . وهم جماعة من الباحثين المسيحيين الغربيين . وقد توصلوا بعد دراسة جادة ونقد فاحص لأسفار العهد القديم توصلوا إلى أن التوراة مرت بمرحلتين فى تدوينها . فى إحدى المرحلتين تشكلت التوراة فى صورتها الأولى . وفى المرحلة الثانية استقرت التوراة فى صورتها النهائية إلى الآن .. ولكن متى كانت المرحلة النهائية ياترى ؟ إليكم نصهم فى ذلك بالحرف الواحد :

« وكل هذه المعلومات معطاة تحت تحفظات التعديلات اللاحقة ؛ لأن

كتب العهد القديم (التوراة) لم تتخذ هيئتها الأولى إلا قبل قرون من ميلاد المسيح **ولم تكتسب شكلها النهائى إلا فى القرن الأول بعد المسيح . كما يرى الكثيرون**[29] » ؟! .

الله أكبـــر :

نعم .. الله أكبر .. فقد أنطق القوم بالحق .. وهدانا إليه . ويعلم الله أننا حين انتهينا إلى ذلك الفرض من تعديل نصوص العهد القديم الخاصة بالولد الموعود لتتلاءم مع مدعيات النصارى فيه .. حين انتهينا إلى ذلك الفرض لم نكن قد اطلعنا على ما قاله ديورانت ، ولا على ما قاله موريس . فلما هدانا الله لأقوالهما أدركنا قيمة ذلك الفرض . وحمدنا الله على إرشاده إيانا لقول أهل الكتاب أنفسهم فى كتابهم . فهى شهادة عليهم من بعض أهلهم . ولهذا قيمة لا تسامى فى إلزام الخصم بالحجة فنحن لم نقل فى كتباهم المقدس أكثر وأبعد مما قالوه هم أنفسهم[30]. فالله أكبر بدءاً وختاما .

والخـــلاصـــة :

أعد عزيزى القارىء ــ قول واضعى الرواية الهزلية على مسامعك مرة أخرى :

إن النبوات والنبوءات الصادقة التى فى التوراة لمن أقطع الأدلة على سلامتها من التحريف والتبديل وأنها مصونة بيد من أنزلها .. ؟!

وها أنتذا قد عرفت الحق . فهل يصبح لهذا الزعم الباطل وجه أمام الحق الذى عرفته ؟!

---

٢٩ ــ انظر كتاب : دراسة الكتب المقدسة (٢٥) للأستاذ موريس بوكاى الطبيب الفرنسى المسيحى ..؟! .

٣٠ ــ فهم يعترفون بأن أسفار العهد القديم كانت خاضعة للتعديل والتغيير حتى المائة سنة الأولى بعد ميلاد المسيح ــ عليه السلام ــ وهى الفترة التى نشطت فيها اليهودية ــ المسيحية . وهذا متفق تماما مع الفروض التى أشرنا إليها قبلا . فالحمد لله على توفيقه إيانا للحق .

تأمل .. ثم احكم ، فليس لأحد سلطان عليك . إلا الله ، ربى وربك ورب كل شيء .. ﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ ؟!

الفصل الرابع

نصوص مقدسة .. ودلالات وضيعة ..؟!

نعم . نصوص مقدسة ، ودلالات وضيعة . وكان الغالب على القلم ونحن نخطو الخطوة فى هذا القسم أن يكون العنوان الرئيسى هكذا :

نصوص مقدسة ... ودلالات مدنسة

ولكن ترفعا منا عدلنا عن كلمة « مدنسة » إلى كلمة « وضيعة » احتراماً منا لكلمة « مقدسة » حتى لايكون المقابل لها « مدنسة » حتى وإن كانت كلمة : « مقدسة » مستكرهة على موضعها فى وصف تلك « النصوص » كاستكراه الإخبار بأكبرية الولد عن أبيه فى القول : « الولد أكبر من أبيه بسنتين » ؟ وهو قول وارد معناه فى هذه النصوص فى مسألة آخزيا مع أبيه « يهورام » التى سبق الحديث عنها .؟!

وإنما كانت هاتان الكلمتان مستكرهتين على موضعيهما ؛ لأن الواقع أن تلك النصوص ليست مقدسة لا لفظا ولا معنى ، وأكبرية الولد عن أبيه ــ أى ولد ــ إنما هى فى الواقع وهم من الأوهام التى ترفضها كل الضوابط . !! ؟

فعدولنا عن إحدى الكلمتين إلى الأخرى تقدير لكلمة « مقدسة » من حيث معناها المجرد ، بصرف النظر قطعا عن مراعاة ماحملت عليه وجعلت وصفا له هنا .

ولكن مع هذا التنزيه أو الاحترام لكلمة « مقدسة » فإننا نصر كل الإصرار إلى أن الدلالات المقصودة من هذه النصوص التى سوف نذكرها قريبا ــ إن شاء الله ــ إنما هى دلالات مدنسة فعلا رضى القوم أم كرهوا وَوَضْعُنَا كلمة « وضيعة » فى العنوان الرئيسى لايحول بيننا وبين ذلك الفهم . والوضاعة من أفرادها « الدنس » فكل دنس وضيع وليس كل وضيع دنساً .

وحين تكون دلالة نص من النصوص هى الدنس فمعنى هذا أن النص الدال مثلها ، أى مثل دلالته . فكيف يقال : إنه « نص مقدس » ودلالته مدنسة وضيعة ؟!

إن النص المقدس حقاً ، دلالته شريفة مقدسة مثله .. نزيهة كريمة مثله .

النص المقدس كلماته تتميز — دائما — بالعفة والنزاهة والصفاء وبالصدق الأدبى ، وبالصدق الخلقى ، لاسقوط فيها ولا إسفاف . إنها أنجم مشرقات فى سماء صافية ساحرة . يكسوها جلال الوحى ثوبا من المهابة والقوة والنص المقدس معانيه تتميز بالشرف ، ونبل الهدف ، وعمق التأثير ، وسرعة القبول . وتدعو — دائما — إلى المثل الأعلى فى الاعتقاد والسلوك .

والنص المقدس وحدة كلية تتجاذب أطرافها فى إحكام وثيق . يتآخى فيها اللفظ مع سابقه ولاحقه ، كما تتآخى الكلمات مع معانيها فى « عقد » عجيب الصنع إذا نظرت إلى أى جهة من جهاته بهرتك أضواؤه ، وأثارت فيك مشاعر الكمال والجلال والجمال ، وملأتك حُبًّاً فى الحق والخير والفضيلة ، وكل القيم السامية التى خلقت من أجل الحياة ، وخلقت الحياة من أجلها .

ولكنك — بكل أسف — إذا طالعت مايسمى بـ « الكتاب المقدس » لدى اليهود والنصارى ، وتصفحت كل نصوصه ومعانيه . فإن عثورك على تلك « القيم » والخصائص التى ينبغى أن يكون عليها نص مقدس . محال أن تجدها فيه . ؟! ووجدت نصوصه ومعانيه بالنسبة لقيم النصوص المقدسة التى أجملنا ذكرها آنفا . وجدت نصوص الكتاب المقدس بهذا الاعتبار تنقسم إلى ثلاثة أقسام لارابع لها فيما نرى . وذلك بعد قراءات فاحصة وكم من الساعات الطوال أمضيناها فى مراجعة نصوصه ومعانيه . وإليك إشارة موجزة إلى تلك الأقسام :

القسم الأول : وضابطه أنه يقف من خصائص « النص المقدس » موقفا سلبيا . فهو ليس للنص المقدس ، ولا عليه . ويندرج تحت هذا القسم كم ضخم من نصوص التوراة ، وإن كان لابد من التمثيل فإليك صوراً منه :

« فخرج موسى من المدينة من لدن فرعون ، وبسط يديه إلى الرب فانقطعت الرعود والبرد ، ولم ينصب المطر على الأرض ، ولكن فرعون لما رأى المطر والبرد والرعود انقطعت عاد يخطىء وأغلظ قلبه هو وعبيده . فاشتد قلب فرعون فلم يطلق بنى إسرائيل كما تكلم الرب عن يد موسى » .[1]

« إذا حاصرت مدينة أياماً كثيرة محاربا إياها لكى تأخذها ، فلا تتلف شجرها بوضع فأس عليه ؛ إنك منه تأكل ، فلا تقطعه ؛ لأنه هل شجر الحقل إنسان حتى يذهب قدامك فى الحصار . وأما الشجر الذى تعرف أنه ليس شجراً يؤكل منه فإياه تتلف وتقطع وتبنى حصنا على المدينة التى تعمل معك حرباً حتى تسقط » .[2]

« ثم رجع يوسف إلى مصر ، هو وإخوته ، وجميع الذين صعدوا معه لدفن أبيه .. ولما رأى إخوة يوسف أن أباهم قد مات قالوا : لعل يوسف يضطهدنا ، ويرد علينا جميع الشر الذى صنعناه به .. فبكى يوسف حين كلموه .. فقال لهم يوسف لاتخافوا ...[3] » .

تعقيب :

من اليسير اعتبار المقاطع الثلاثة المتقدمة من النصوص « المحايدة التى لم تسىءْ إلى « الوحى » المقدس . كما أنها لم تنتصر له فى وضوح ونحن لا مانع لدينا من أن يكون « أصلها » وحياً ، أو لايكون . وبمعنى أوضح فإننا لانثبت ولاننفى ، أو لانتحمس لواحد منهما : الإثبات أو النفى .

وكل مانملك أن نقوله ، أن للوحى **جلالاً ومهابة وسلطانا** على العقول والمشاعر . وهذا مالا نحس به هنا فى المقاطع الثلاثة . ومثلها كثير فى أسفار العهد القديم . ويغلب ورودها فى مواطن منها بعض الأحكام التشريعية ، ومنها

١ ــ سفر الخروج : الإصحاح (٩) الفقرات : (٣٣ ــ ٣٥) .
٢ ــ سفر التثنية : الإصحاح (٢٠) الفقرات : (١٩ ــ ٢٠) .
٣ ــ سفر التكوين : الإصحاح (٥٠) الفقرات (١٤ ــ ١٦) مع الحذف .

القص التاريخي للوقائع والأحداث التي مرت بالقوم ، أو إن أردنا الدقة : في بعض القص التاريخي لا كله وهذا مجال شرحه يطول فلنكتف بمجرد الإشارة إليه .

ومنها : النصح العام وإن كان يحمل ــ في مواضع كثيرة ــ طابعاً بشريا .. ؟!

القسم الثاني : وضابطه أنه يقترب من روح « الوحي » قليلاً ولكنه أخرج في غير ثوبه « الأصيل » لتعاقب الترجمات والتعديلات وبعد العهد به ، فلا تكاد تمضي في نص ترضى عنه حتى يفاجئك فيه مايعكر كل صفو . فإذا بالحق مطمور بين ركام من سحب الزيف المفضوح أو « التشويش » النازع لكل ثقة . وقد عبَّر عن هذا أحد العلماء الأفذاذ بعد طول فحص في نصوص الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد فقال :

« **مابيد أهل الكتاب أكثره باطل . وحقه منسوخ** »[٤] ؟!

وهذه بعض النماذج من هذا القسم :

« وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قابين . وقالت اقتنبت رجلاً من عند الرب . ثم عادت فولدت أخاه هابيل ، وكان هابيل راعياً للغنم . وكان قابين عاملاً في الأرض . وحدث من بعد أيام أن قابين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب . وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه ومن سمانها . فنظر الرب إلى هابيل وقربانه . ولكن إلى قابين وقربانه لم ينظر .. فاغتاظ قابين جداً وسقط وجهه . فقال الرب لقابين لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك ؟ إن أحسنت أفلا رفع . وإن لم تحسن فعند الباب خطيبة رابضة . وإليك اشتياقها . وأنت تسود عليها .

وكلم قابين هابيل أخاه . وحدث إذ كانا في الحقل أن قابين قام على

٤ ــ ابن قيم الجورية نقلا عن ابن تيمية (هداية الحيارى) .

هابيل أخيه وقتله .

فقال الرب لقابين : أين هابيل أخوك . ؟ فقال : لا أعلم ، أحارس أنا لأخي .. ؟

فقال ماذا فعلت ؟ صوت دم أخيك صارخ إلىَّ من الأرض : فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك . متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها . تائها وهاربا تكون فى الأرض .

فقال قابين للرب : ذنبى أعظم من أن يحتمل إنك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض ، ومن وجهك أختفي وأكون تائها وهاربا فى الأرض فيكون كل من وجدنى يقتلنى .

فقال له الرب لذلك كل من قتل قابين فسبعة أضعاف ينتقم منه ؟ وجعل الرب لقابين علامة لكى لايقتله كل من وجده ..[٥] »

تعقيب :

الواقعه التى تحكيها التوراة هنا لها « أصل » مقدس ، نملك نحن النص المقابل له . ولكن هل نص التوراة هو « الظل » الأمين للنص المقدس الأصلى . ؟! مع قليل من الاحتراس نقول : لا وسوف نبرهن على صحة « لا » هنا فى فصل آت حين نناقش دعوى القوم أن القرآن الحكيم مقتبس من التوراة والإنجيل ؟

« وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينها إلى يوسف ، وقالت : اضطجع معى . فأبى وقال لامرأة سيده هو ذا سيدى لايعرف معى مافى البيت ، وكل ماله قد دفعه إلىَّ . ليس هو فى هذا البيت أحد أعظم منى ، ولم يمسك عنى شيئا غيرك ؛ لأنك امرأته . فكيف أصنع هذا الشر العظيم ، وأخطىء إلى الله . وكان إذ كلمت يوسف يوما فيوما أنه لم يسمع لها أن

---

٥ ــ سفر التكوين : الإصحاح (٤) الفقرات من (١ ــ ١٦) .

يضطجع بجانبها ليكون معها .

ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك فى البيت . فأمسكته بثوبه قائلة : اضطجع معى ، فترك ثوبه فى يدها وهرب وخرج إلى خارج . وكان لما رأت أنه ترك ثوبه فى يدها وهرب إلى خارج أنها نادت أهل بيتها ، وكلمتهم قائلة : انظروا قد جاء إلينا برجل عبرانى ليداعبنا . دخل إلىَّ ليضطجع معى ، فصرخت بصوت عظيم ولكن لما سمع أنى رفعت صوتى وصرخت إنه ترك ثوبه بجانبى وهرب وخرج إلى خارج .

فوضعت ثوبه بجانبها حتى جاءه سيده إلى بيته ، فكلمته بمثل هذا الكلام ... فكان لما سمع سيده كلام امرأته الذى كلمته به ... فأخذ يوسف سيده ووضعه فى بيت السجن ، المكان الذى كان أسرى الملك محبوسين فيه .. وكان هناك فى بيت السجن » .[٦]

تعقيب :

وهذه الواقعة ــ كذلك ــ لها أصل من « الوحى المقدس » ولكن التوراة لم تكن أمينة كل الأمانة فى المحافظة على ذلك الأصل (المقدس) وسوف نوفى الكلام حقه ــ إن شاء الله ــ فى مناقشة دعوى الاقتباس التى أومأنا إليها آنفا .

« لايقترب إنسان إلى قريب جسده ليكشف الصورة ، أنا الرب ، عورة أبيك وعورة أمك لاتكشف ؛ إنها أمك لاتكشف عورتها . عورة امرأة أبيك لاتكشف إنها عورة أبيك . عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة فى البيت أو المولودة خارجاً لاتكشف عورتها . عورة ابنة ابنك أو ابنة بنتك لاتكشف عورتها إنها عورتك . عورة بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك

---

٦ ــ سفر التكوين : الإصحاح (٣٩) الفقرات من (٧ ــ ١٨) مع حذف يسير .

لاتكشف عورتها إنها أختك. عورة أخت أبيك لاتكشف إنها قريبة أبيك . عورة أخت أمك لاتكشف إنها قريبة أمك . عورة أخى أبيك لاتكشف . إلى امرأته لاتقرب إنها عمتك . عورة كنتك لاتكشف إنها امرأة ابنك لاتكشف عورتها . عورة امرأة أخيك لاتكشف إنها عورة أخيك . عورة امرأة وبنتها لاتكشف . ولاتأخذ ابنة ابنها أو ابنة بنتها لتكشف عورتها إنهما قريبتاها . إنه رذيلة . ولا تأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها معها فى حياتها »[٧] .

تعقيب :

وهذه الأحكام لها أصل مقدس ــ كذلك ــ ومع هذا فإنها قد اشتملت على « تصورات » يصعب نسبها إلى « الوحى » وإن كان هذا النص من أكثر النصوص صلة بالوحى فيما يبدو . ولما كنا نملك النص المقابل له فى الوحى المعصوم (القرآن الحكيم) فسوف نعود إليه مرة أخرى فى دعوى الاقتباس الموهوم .

القسم الثالث : وضابط هذا القسم أن كثيراً من ألفاظه ، وكل معانيه تتنافى مع مفهوم « القداسة » فى وضوح تام . فبينها وبين « الوحى المقدس » مابين الظلام والنور ، ولايحتاج المرء فى الحكم عليها بنفى القداسة عنها إلى أكثر من مجرد الاطلاع مع قليل جداً من التروى .

ونصوص هذا القسم لا تخرج دلالاتها عن **الوضاعة والدناسة** بحال .

فهى ــ قطعا ــ **عملٌ بشرىٌ لاو حىٌ إلهىٌ** .

وإن كان لابد من التمثيل قبل الأخذ فى التفصيل ، فما نضعه بين يديك ــ الآن ــ أكبر دليل .

نُواح راحيل :

تروى التوراة أن يعقوب ــ عليه السلام ــ تزوج ابنتى خالة لا بان بن

٧ ــ سفر اللاويين : الإصحاح (١٨) الفقرات من (٦ ــ ١٨) .

ناحور : راحيل ولية . وكانت راحيل أجمل منظرا من أختها لية . لكن لية كانت زوجا ولوداً . ثم لحقت بها راحيل فى الإنجاب بعد أن « فتح الله رحمها » على حد تعبير التوراة . ولما كانت راحيل فى بادىء الأمر عقيما لاتلد فإنها كانت تغار من أختها لية الولود حين يقسم لها يعقوب ليلتها . وعقب إحدى الليالى التى قضاها يعقوب مع لية ، أخذت أختها راحيل تنوح وتعتب على يعقوب ، ومما جاء فى نواحها :

« ناحت راحيل : كيف تمضى ليلة كاملة مع أختى هذه دون أن تلاحظ الفرق بيننا . ؟ ولامرة واحدة .
ألم تلمس شعرها الخشن ؟!
ألم تشعر بيديها السمينتين الثقيلتين حولك . ؟!
وعندما قبَّلت حلمتيها ، كما اتفقنا ، ألم تدرك مباشرة أنها لم تكن أنا .. ؟!
وأنه كان عليك أن تفتش عنها على بطنها .. ؟!
أو على الوسادة إلى جانبها[٨].. ؟!

تأمل هذا النص جيداً . والمفروض أنه نص مقدس من عمل الوحى فبالله عليك . مااللوحى ومالهذا الهراء . ؟!
أفلست معى بأن دلالة هذا النص دلالة وضيعة مسفة .. ؟!

نشيد الأنشاد .. والأدب المكشوف .. ؟!

نشيد الأنشاد واحد من أسفار العهد القديم الموصوفة بالقداسة وهو منسوب إلى « سليمان بن داود » عليهما السلام . وسليمان نبى من أنبياء بنى إسرائيل لاينازع فى نبوته أحد ، فقد جاء ذكره فى القرآن الأمين مرات .

ونشيد الأنشاد المنسوب إليه إما أن يكون وحياً منزلا من عند الله أو يكون من كلام النبى سليمان نفسه . وهذا الاعتبار واجب فى عده سفراً

٨ ــ هذا النص منقول عن كتاب : التوراة تاريخها وغايتها . ص٣٢ ترجمة سهيل ميخائيل . أما القصة كاملة فانظرها فى سفر التكوين الإصحاح : (٢٩ ــ ٣٠) .

مقدساً . وإلا فلا معنى لوصفه بالقداسة أبداً . هذا ماينبغى أن يكون فى تحرير هذه المسألة .

ولكن هذا السفر ــ كما هو مسطور ــ الآن فى توراة القوم ــ يشتمل على نصوص ومواقف تنفى عنه بصورة حاسمة :

ــ أن يكون وحياً منزلاً من عند الله . ؟!

ــ أو يكون من كلام النبى سليمان ــ عليه السلام . ؟!

ــ ثم أن يكون هذا السفر مقدساً أو حتى شبه مقدس .. ؟!

والمحور الذى يقوم عليه النشيد حوار يدور بين حبيب وحبيبة . الحبيب يصف حبيبته وهو يخاطبها . والحبيبة تصف حبيبها وهى تخاطبه . أو تشكو لواعج شوقها إليه ، أو تخاطب أترابا لها فى شأن ذلك الحبيب .

ولست فى حاجة إلى أن أذكرك بأن موضوع النشيد بعيد كل البعد عن وظيفة الوحى أو النص المقدس ، كما هو بعيد كل البعد عن رسالة الأنبياء . فهو من حيث الموضوع مرفوض ... مرفوض .. ؟! هذه واحدة والثانية .

أن الحبيب والحبيبة فى هذا النشيد قد تناولا معانى وأوصافا مسفة مبتذلة . ومعانى وضيعة هابطة أشبه ماتكون بكتابات بعض الكتاب المعاصرين الذين يستهوون « المراهقين » بالحديث عن « الجنس » بعبارات فاضحة ، وقد كان المرحوم عباس محمود العقاد على صواب حين وصف تلك الكتابات المسفة بأنها « أدب الفراش » أو « الأدب المكشوف » . بل إن فى نشيد الأنشاد عبارات لم يجرؤ ماجن على نشرها فيما ينشر . وبعض القوانين تحظرها وتعتبرها خادشة للحياء !!

ونحن مضطرون هنا للاستشهاد بصور منها لغاية نبيلة وهى كشف الغطاء أمام القارىء عن حقيقة مايسمونه « الكتاب المقدس » ويدعون أنه سالم من التحريف والتبديل ، ثم يرمون وحى الله المعصوم « القرآن الحكيم » بما يبرئون منه كتابهم وهم على يقين ــ فى دخيلة أنفسهم ــ أن الذى يدعون براءته هو

« المحرف » وأن الذى يحاولون اتهامه هو « البرىء » حقا ..
والضرورات ـــ كما هو معلوم ـــ تبيح المحظورات . وكل ضرورة تقدر بقدرها :

مقتطفات من نشيد الأنشاد .

الحبيبة : « ليقبلنى بقبلات فمه ؛ لأن حبك أطيب من الخمر ؟!
« أنا سوداء وجميلة يابنات أورشليم »
« أخبرنى يامن تحبه نفسى أين ترعى ؟ أين تربض عند الظهيرة » ؟!
« لقد شبهتك ياحبيبى بفرس فى مركبات فرعون . مأأجمل خدك بسموط ؟ وعنقك بقلائد » ؟!
الحبيب : « ها أنت جميلة ياحبيبتى . ها أنت جميلة ؟ . عيناك حمامتان » ؟
الحبيبة : « هاأنت جميل ياحبيبى ، وحلو ؟ وسريرنا أخضر ؟ جوائز بيتنا أرز ورواقدنا سرق[٩] » ؟

الحبيب : « أنا نرجس شارون سوسنه الأودية .. ؟!
كالسوسنة بين الشوك كذلك حبيبتى بين البنات » ؟!

الحبيبة : « كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبى بين البنين » ؟!
تحت ظله اشتهيت أن أجلس ، وثمرته حلوة لحلقى ؟! أدخلنى إلى بيت الخمر ، وعلمه فوقى محبة . أسندونى بأقراص الزبيب . أنعشونى بالتفاح فإنى مريضة حبا[١٠] » ؟!

الحبيبة : « فى الليل على فراشى طلبت من تحبه نفسى . طلبته فما وجدته ... وجدنى الحرس الطائف فى المدينة فقلت أرأيتم من تحبه نفسى . فما جاوزتهم إلا قليلاً حتى وجدت من تحبه نفسى فأمسكته ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمى ،

---

٩ ـــ نشيد الأنشاد الإصحاح (١) .
١٠ ـــ نشيد الأنشاد الإصحاح (٢) .

وحجرة من حبلت بي[11] ... » ؟!

الحبيب : « ها أنت جميلة ياحبيبتي ؟ . هاأنت جميلة ... » ؟!

عيناك حمامتان من تحت نقابك ؟ . شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعاد ؟ أسنانك كقطيع الجزائر الصادرة من الغسل اللواتى كل واحدة متم وليس فيهن عقيم . ؟!

شفتاك كسلسلة من القرمز ؟! وفمك حلو .. ؟! خدك كفلقة رمانة تحت نقابك ؟ عنقك كبرج داود المبنى للأسلحة ؟!

..... ثدياك كحشفتى ظبية توأمين ؟ .. قد سبيت قلبى ياأختى العروس ... قد سبيت قلبى بإحدي عينيك ... ؟! شفتاك ياعروس تقطران شهداً ؟! تحت لسانك عسل ولبن[12] » ؟!

الحبيبة : « حبيبى أبيض وأحمر بين ربوة .. رأسه ذهب إبريز . **قصصه** مسترسلة حالكة كالغراب . عيناه كالحمام على مجارى المياه .. خداه كخميلة الطيب[13] » ؟!

الحبيب : « ماأجمل رجليك بالنعلين يابنت الكريم ؟! دوائر فخذيك مثل الحلى صنعة يدى صناع ؟!! سرتك كأس مدورة لايعوزها شراب ممزوج ؟!! بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن ؟!! ... أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق ؟! ... وشعر رأسك كأرجوان ملك قد أسر بالخصل ؟!

.... قامتك هذه شبيهة بالنخلة وثدياك بالعناقيد ؟!! ... ورائحة أنفك كالتفاح ؟!! وحنكك كأجود الخمر ؟!!

الحبيبة : « أنا لحبيبى وإلى اشتياقه ؟! تعال ياحبيبى لنخرج إلى الحقل ، ولنبت

---

١١ ــ نشيد الأنشاد الإصحاح (٣) .

١٢ ــ المصدر السابق الإصحاح (٤) .

١٣ ــ المصدر السابق الإصحاح (٥) .

في القرى ؟!!» [١٤]

هذه شواهد من نشيد الأنشاد المقدس . صور وعبارات لو فتشنا عليها في كتابات الماجنين ، بل المخمورين لم نجد لها مثيلا . ومع هذا الإسفاف والتبذل مايزال بعض أهل الكتاب يبقون على هذا « الخزى » وصف القداسة فيا للتعاسة ؟!

ءَآلوحى ينزل بهذا « الرغاء » ؟!
أهذا كلام الوحى حتى يقال إنه كلام مقدس فى سفر مقدس فى كتاب مقدس ؟!
كلا .. ثم كلا ورب السموات والأرض . ؟!
أسليمان ــ عليه السلام ــ يقول هذا « الغثاء » ؟!
أهذا كلام سليمان النبى ؟!
كلا .. ثم كلا ورب السموات والأرض . ؟!
فما لهولاء القوم لايكادون يفقهون حديثا ؟!
أسُلِبُوا عقولهم ؟! أم على قلوب أقفالها ؟!
أم هو العناد والمكابرة ؟!
أم هو كل ذلك .. ؟!
لسنا فى حاجة إلى جواب ، وإنما القوم فى حاجة إلى أن يهتدوا إلى الصواب .. وإلا فما إيماننا بنافع لهم ... ولا عنادهم وكفرهم لنا بضار . ﴿ يأأيها الذين آمنوا عليكم أنْفُسَكُمْ لايَضُرُّكُمْ من ضَلَّ إذا اهتديتم ﴾ .

تعقيب وإيضاح :

ماتقدم كان مجرد تمثيل لنصوص يدعونها مقدسة .. والواقع يقول : لا . وله من الدلائل مالا يستطيع الخصوم دفعه . فتلك النصوص فى واد .. والقداسة فى وادٍ آخر بعيد كل البعد .. وبقيت بعد هذا التمثيل أربعة محاور

---

١٤ ــ نفس المصدر الإصحاح (٧) .

نريد أن نوضح ـــ فى إيجاز ـــ تصور تلك النصوص المقدسة فيها ، وهى محاور ذات صلة عميقة بقضية الإيمان الصحيح ، وبحقوق الإنسان الغابر والمعاصر . ويعلم الله لو أن الموجه فى هذه المحاور الأربعة هو التوراة وحدها لضاع الإيمان . ولضاع الإنسان وتلك المحاور هى :

تصور التوراة عن الله سبحانه ـــ تصور التوراة عن ملائكة الله المكرمين ـــ تصور التوراة عن رسل الله الطاهرين ـــ تصور التوراة عن الإنسان . وعلى هذا النسق ندير الحديث .





الفصل الخامس

تصورات التوراة

تصور التوراة عن « الله » ..؟!

« لن يهبط دين وعقيدته فى « الإله » عالية . ولن يعلو دين وعقيدته فى « الإله » هابطة » .

بهذه العبارة البليغة افتتح المرحوم عباس محمود العقاد كلامه عن عقائد الأديان والفلاسفة فى « الله» واستعرض تصور الفيلسوف اليونانى القديم « أفلاطون » فى الله . وانتهى إلى القول بأن الإله الذى يصفه أفلاطون إله وضيع لايستحق العبادة .. !

وكان العقاد محقا فيما لاح له من أحكام ؛ لأن أفلاطون وصف « إلهه » أوصافا سلبته معنى الكمال والعظمة . ومن تلك الأوصاف أن « إله » أفلاطون لايعلم إلا ذاته . وهذا الوصف وحده كافٍ فى تجريد إله أفلاطون من كل تقدير واحترام . فكيف يعبد عابد إلها لايعلم به ولايراه . والعبادة ترجمان صادق للتذلل والخضوع وطلب العون من المعبود « المهيمن القوى » الذى يملك النفع والضر . ؟!

وكان العقاد محقا حين ربط بين علو أية عقيدة وهبوطها بعلو نظرتها فى « الإلٰه » وهبوطها فيه . فالعلوان متلازمان ، ومثلهما الهبوطان ؛ لأن العقيدة فى « الإلـٰه » هى الأساس الذى يشاد عليه الصرح . ولكل أساس طاقة ومقدرة .

فما ذهب إليه العقاد هو مبدأ جليل الخطر فى المقارنة بين الملل والأديان والحكم عليها أولها .

تطبيق المبدأ على عقيدة اليهود فى « الإله » :

حين نستقرىء نصوص التوراة المقدسة (؟!) حول العقيدة فى « الإله » وهى النصوص التى كونت عقيدة اليهود فى « إلههم » ونعمل فيها هذا المبدأ الذى أومأنا إليه آنفا فإننا ــ لا محالة ــ سننتهى إلى ماانتهى إليه العقاد فى الحكم على « إله » أفلاطون من أنه لايستحق العبادة حسبما تصوره نصوص التوراة .

لايستحق العبادة من غير اليهود مطلقا . بل يستحق أن يعلنوا عليه الحرب ، أو على الأقل أن يعلنوا خصامه إلى الأبد ، وهم محقون إن أعلنوا الحرب أو اكتفوا بإعلان الخصام ؛ لأن نصوص التوراة المقدسة تصور لهم ذلك « الإله » فى صورة « إله » خاص ببنى إسرائيل . هو لهم وحدهم « إله » وهم له وحده « شعب مختار » أما من عدا بنى إسرائيل فذلك « الإله » التوراتى عَدُوٌّ لهم يُبِيدُهم وَيُهْلِكَ نسلهم ويجعلهم موطئا لأحذية بنى إسرائيل الشعب المختار . ؟!

وهو لايستحق العبادة من اليهود أنفسهم ــ لو كانوا يعقلون ــ لأن نصوص توراتهم المقدسة تصفه لهم بأوصاف كأنه « فرد » منهم يؤمر ويُنهى ؟! ويأكل وينام ، ويتعب ويستريح ، ويندم ويرضى . ؟!! وينسى ويتذكر . ويخاف ويجهل .. ؟!

إى وربى هكذا تصور لهم نصوصهم المقدسة إلههم ؟! فليت شعرى كيف يرضى إنسان بعبادة هذا « الإله » التوراتى . والمعبود والعابد سواء لاميزة لأحدهما على الآخر .. ؟!

إله بنى إسرائيل .. عَدُوٌّ للأمم .. ؟!

ننقل فيما يلى نصوصاً مقدسة ؟! من أسفار مختلفة ، كلها تدور حول الإله « القبلى » لبنى إسرائيل . باعتبارهم الشعب المختار لا لأنهم أتقياء مستقيمون ، ولكن لأنهم أبناء يعقوب . أما عداوته للأمم من غير اليهود فلا

لأنهم أشقياء ولكن لأنهم أعداء للشعب المختار وإن أقاموا الشريعة ولم يفعلوا إثما . ؟!

فالتفرقة هنا أساسها الجنس والمولد والعنصر . وليس الإيمان والتقوى والطاعة ..؟! والنصوص الآتية خير دليل على مانقول :

« متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها . وطرد شعوبا كثيرة من أمامك ... ودفعهم الرب إلهك أمامك . وضربتهم فإنك تحرمهم ؟!
لاتقطع لهم عهداً ولاتشفق عليهم ولاتصاهرهم . بنتك لاتعط لابنه وبنته لاتأخذ لابنك ...

ولكن هكذا تفعلون بهم : تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم وتحرقون تماثيلهم بالنار . لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك . ؟! إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ؟!

ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب . التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب . بل من محبة الرب إياكم ..[1] »
فهذا هو الرب الإله كما تصوره التوراة رب لبنى إسرائيل وكفى .. وعَدُوٌ لغير بنى إسرائيل وكفى . وبنو إسرائيل هم شعب الله المختار ؛ اختارهم بمحبته إياهم . والويل كل الويل لغير بنى إسرائيل من شعوب الأرض . فما تزال تنتظرهم تلال من المصائب والشرور على يد ذلك « الرب » القبلى المتعصب كما تصوره التوراة المقدسة . فتعال معى إلى هذا النص المقدس :

« مباركاً[2] تكون فوق جميع الشعوب ؛ لايكون عقيم ولاعاقر فيك ولا فى

---

١ ـــ سفر التثنية : الإصحاح (٧) الفقرات (١ ـــ ٨) مع الحذف .
٢ ـــ المخاطب فى كل هذه الصيغ هو شعب إسرائيل ؟! .

بهائمك. ويرد الرب عنك كل مرض وكل أدواء مصر الرديئة التى عرفتها لايجعلها عليك بل يجعلها على كل مبغضيك . وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك ؟! ...

إن قلت فى قلبك هؤلاء الشعوب[3] أكثر منى كيف أقدر أن أطردهم ؟! فلا تخف منهم . اذكر مافعله الرب إلهك بفرعون وبجميع المصريين ؟! التجارب العظيمة التى أبصرتها عيناك ... هكذا يفعل الرب إلهك بجميع الشعوب التى أنت خائف منها .

والزنابير أيضا يرسلها الرب إلهك عليهم حتى يفنى الباقون والمختفون من أمامك ؛ لاترهب وجوههم لأن الرب إلهك فى وسطك إله عظيم ومخوف . ولكن الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلا قليلا ؟! لاتستطيع أن تفنيهم سريعاً لئلا تكثر عليك وحوش البرية . ويدفعهم الرب إلهك أمامك ويوقع بهم اضطرابا عظيما حتى يفنوا . ويدفع ملوكهم إلى يدك فتمحو اسمهم من تحت السماء ، لايقف إنسان فى وجهك حتى تفنيهم[4] »
الإلـٰه فى التوراة يعد اليهود بكل بركة وخير ونماء . حتى أنعام اليهود وبهائمهم تصيبها بركة الإلٰه .

ويعدهم بالغلبة ، والنصر على جميع شعوب الأرض ، ويفنى من أجل راحة الشعب المختار كل الممالك والأمم ، ولكن ذلك يتم بالتدريج . لأن الرب إذا أهلك جميع الأمم مرة واحدة أقفرت كثير من بقاع الأرض من أهلها . فتكثر فيها الوحوش . وفى ذلك خطر على الشعب المختار من الوحوش . ؟!

فمن المصلحة الشعبية المختارية أن يكون الهلاك على مراحل حتى يستطيع الشعب المختار تملك الأرض كلها بلا متاعب . ؟!!
وينتهى بهم نبيهم حزقيال فى النص الآتى إلى نهاية المطاف والقرار الأمين فى

---

٣ ـــ المقصود من « الشعوب » هنا كل ماعدا بنى إسرائيل من خلق الله ؟! .
٤ ـــ سفر التثنية : الإصحاح (٧) الفقرات (١٤ ـــ ٢٥) مع الحذف .

أورشليم حيث يسكنون الأرض إلى الأبد بعد أن يفنى رب الجنود إله بنى إسرائيل القبلى كل الأمم ومن بقى من الأمم فليس له من وظيفة سوى خدمة الشعب المختار فيكونون حراث أرضهم ، وكرامى حقولهم . وكل أمة لايخدم أفرادها الشعب المختار (إسرائيل) فخرابا تخرب أرضها . ؟!

ولاعجب فى ذلك فإن حزقيال وغيره من أنبيائهم الذين لم يرد ذكرهم إلا فى التوراة قد قرروا معاً أن « رب الجنود » إله بنى إسرائيل سيسكن معهم إلى الأبد . فيكون لهم إلهاً ويكونون له شعبا مختاراً .. ؟!

وإليك نص حزقيال يتحدث عن الشعب المختار وإلـٰههم :

« ويسكنون فى الأرض التى أعطيت عبدى يعقوب إياها التى سكنها آباؤكم . ويسكنون فيها هم وبنوهم وبنو بنيهم إلى الأبد . وعبدى داود رئيس عليهم إلى الأبد . وأقطع معهم عهد سلام فيكون معهم عهداً مؤبداً . وأقرهم وأكثرهم وأجعل مقدسى فى وسطهم إلى الأبد . ويكون مسكنى فوقهم وأكون لهم إلٰها . ويكونون لى شعباً . فتعلم الأمم أنى أنا الرب مقدس إسرائيل إذ يكون مقدسى فى وسطهم إلى الأبد »(٥) .

تلك نصوص ثلاثة من عديد من النصوص همها أن تجعل « الرب » خاصاً ببنى إسرائيل . وتجعل بنى إسرائيل هو الشعب الوحيد الذى يحبه الرب ، ويغار عليه ، وينتقم من أجله ، بل يبيد كل الأمم من أجل قيام مملكة إسرائيل الأبدية حيث يسكنهم الأرض التى تنتج لبنا وعسلاً .. ؟!

ولو صح هذا الزعم الذى ترده التوراة فلماذا خلق ذاك « الرب » الذى تصفه بتلك الأوصاف ؟ لماذا خلق الأمم الأخرى ولم يكتف ببنى إسرائيل شعبه المختار ؟!

ولو صح هذا الزعم ــ مرة أخرى ــ فإن الأمم من غير بنى إسرائيل لم

---

٥ ــ سفر حزقيال : الإصحاح (٣٨) الفقرات (٢٥ ــ ٢٨) .

يطلب منهم « الرب » أن يعبدوه أو يقدسوه ؛ لأنهم إما غلف أو أنجاس كما تقول التوراة نفسها . فلماذا خلقهم إذن ومع كل هذه التصورات الواهمة التى تزخر بها التوراة هل ترى على الأمم من غير بنى إسرائيل واجبا لذلك « الرب » الذى لم تصوره التوراة إلا فى صورة بغيضة لكل الأمم .. ؟!!

إن « الإله » الذى تصوره التوراة لايستحق العبادة من غير اليهود ؛ لأنه عَدُوٌ لدود للأمم التى ليست هى من شعبه المختار أما من اليهود ، فيستحق أن يعبدوه حتى هذه اللحظة من النصوص المتقدمة . ولكنه لن يستحق العبادة منهم حسب ما سنذكره من نصوص أخرى حافلة بها توراتهم المقدسة ؟!
وهى تسلب عنه صفات « الألوهية » من أقصر طريق ؟! وتلوح الآن أمامنا حقيقة نرى من حـق القارىء علينا أن نضعها أمامه قبل الخوض فى النصوص السالبة لصفات « الألوهية» عن إله بنى إسرائيل الذى تصفه التوراة المقدسة .. ؟!

الحقيقة اللائحة :

إن من يقرأ التوراة قراءة فاحصة واعية ، لا يجد فيها ذكراً ذا شأن للحياة الآخرة بثوابها وعقابها . وإنما يجد مكانها وعوداً عاجلة فى الدنيا يجازى بها إله بنى إسرائيل المطيع والعاصى منهم . ورب الجنود يكرر دائما على ألسنة الأنبياء الذين ورد ذكرهم فى التوراة . وبخاصة الذين ظهروا فى عهد النفى البابلى وبعده ، رب الجنود يكرر على ألسنة هؤلاء الأنبياء أن بنى إسرائيل إذا خصوه بالعبادة وتركوا عبادة الآلهة الأخرى ، وحفظوا عهوده ووصاياه فإن جزاءهم على تلك الطاعات هو أن يعيدهم إلى أورشليم ، الأرض التى تنتج لبنا وعسلاً ، ويوحد صفهم ويقيم مملكتهم إلى الأبد بعد أن يستعبد لهم كل الأمم ، أو يهلكهم إذا رفضوا الاستعباد للشعب المختار .. ؟!

أما إذا لم يحفظوا وصاياه . ولم يخصوه بالعبادة فإنه يتوعدهم بالتشتت والضياع كما حدث لهم على يد نبوخد نصر ملك بابل . !

ومن هذا يظهر لك أن الجزاء بنوعيه : الثوابى والعقابى أمر عاجل فى الحياة الدنيا . فلا بعث ولانشور ولاجنة ولانار . هذا ، وقد ورد فى أحد النصوص ذكر جنة عدن التى كان بها آدم وحواء ثم أخرجا منها .

ومن الطريف جداً أن الكتاب المقدس فى سفر حزقيال يصف موضع جنة الله أو جنة عدن بأوصاف يقول بعض الباحثين المعاصرين من رجال الكنيسة الغربيين إن تلك الأوصاف تنطبق تماماً على « جنوبى لبنان » . وهذا يفسر لنا تفسيراً عميقاً أطماع اليهود الحاليين فى جنوبى لبنان وغاراتهم المتكررة عليها ؟!

وقد سيطر هذا المظهر المادى البحت على عقيدة اليهود من زمن موسى ــ عليه السلام ــ حيث لم تتوافر لديهم أسباب الإيمان بالله إلا فى صورة مادية طلبوها من موسى ــ عليه السلام ــ ولم يُستجب لهم حيث قالوا : ﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ .

وبعد عبورهم البحر عبدوا العجل المصنوع من الذهب ؛ لأنه صورة مادية محسوسة لهم . ولم ينتفعوا بتلك الآيات العظيمة التى قد أجراها الله على يد موسى من أجلهم كانفلاق البحر ، وتدفق المياه من الحجر .

وإذا رجعت إلى التوراة فى صورتها المعروفة الآن تجدها تصور « الله » سبحانه دائما فى صورة مادية تتراءى لأنبيائهم كأن يأتى فى سحابة يرونها ، أو فى عمود أخضر من نور ، أو عمود لوز أو يرونه واقفا على مايشبه العقيق ؟!! ولذلك فإنك لن تخطىء إذا قلت :

« إن الديانة اليهودية تبدأ وتنتهى بكل وعودها وغاياتها فى الحياة الدنيا . ولامطمع لها فيما بعد الموت » .

وهذا يكشف لك فى وضوح شناعة الأعمال التى يقوم بها اليهود الآن . فهى أعمال لايمكن أن تصدر عن مؤمن يرى فيما بعد الحياة الدنيا حياة .. ؟!

نصوص مقدسة .. وبشرية « الرب » الموصوف .. ؟!

في النصوص المتقدمة وصفت التوراة « الرب » بأوصاف لاوجود لها إلا في وهم واضعيها . فهو فيها ليس « الإله » المعبود أو الذى تجب عبادته على جميع الناس ، ولاهو الذى يتضرع إليه جميع الناس ، ويخشاه جميع الناس وينعم على جميع الناس ، ويشكره جميع الناس . ؟!

وإنما هو « إله » قبلى شديد التعصب لبنى إسرائيل . يخطط لهم فحسب ، ويحارب من أجلهم فحسب ، ويقيم الدنيا ويقعدها ، أو يقيمها ولايقعدها من أجلهم هم وحدهم فحسب ، بل هو مقيم بينهم وساكن فوقهم أو فى وسطهم إلى الأبد ... ؟! كل هذه « الأوهام » مستقاة من نصوص التوراة المقدسة ، بل وأكثر من هذه الأوهام مستقى من نصوص تلك التوراة .. ؟!

وقد علقنا على هذا بأن « الرب » لو كان فعلا كما تصفه نصوص التوراة المقدسة لما استحق العبادة من غير بنى إسرائيل .

وها نحن الآن أمام مجموعة أخرى من النصوص المقدسة (؟!) تجعل « الرب » غير مستحق للعبادة حتى من بنى إسرائيل أنفسهم لو كانوا يعقلون لأنها تنفى عنه « صفات الإله الحق » وتجعله كواحد من كهانهم البشر المخلوقين ولاشيء أكثر من هذا .. ؟!
لأن عبادة النظير والمساوى للعابد لايقرها عقل . وقد ترجمنا لتلك النصوص بالكلمات التى تقدمت :

نصوص مقدسة وبشرية « الرب » الموصوف .. ؟!

لأن الذى يطالع تلك النصوص يرى « الرب » فيها بشراً يحس بإحساس البشر . ويتصرف كتصرف البشر .. ؟!

وماعلينا الآن إلا أن نسوق النصوص المقدسة (؟!) الدالة على تلك المعانى الوضيعة . وماعلى القارىء إلا أن يُحَكِّمَ عقله فيما يُعْرَضْ عليه من تلك

النصوص ثم يَحْكُمُ إما على « التوراة » أو لها ثم يواجه الدنيا كلها بالرأى الذى يراه . والحكم الذى يتوصل إليه .

التوراة تصف « الرب » بالجهل ؟!

تروى التوراة مادار بين الرب الإله ، وبين آدم بعد واقعة الأكل من الشجرة المحرمة فتقول :

« وسمعا ــ أى آدم وحواء ــ صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار . فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة ؟!
فنادى الرب الإله آدم وقال : أين أنت ياآدم .. ؟!
فقال : سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان .. ؟! فاختبأت ؟! فقال : من أعلمك أنك عريان ؟! هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لاتأكل منها . ؟![٦]

مامعنى هذا الكلام ؟!

معناه أن آدم اختبأ من الرب الإله هو وامرأته وسط شجر الجنة .. فلم يبصره الرب الإله فنادى : أين أنت ياآدم ..؟!
ولم يعرف مكان آدم إلا بدلالة صوت آدم يرد عليه ويخبره بسبب اختفائه فيرد الرب الإله سائلا عما لا يعلم (؟!) مرة أخرى :
ومن أعلمك أنك عريان ؟! هل أكلت من الشجرة ... ؟!
إن نسبة الجهل للرب الإله فى هذه النصوص المقدسة لاتحتمل جدلاً قط بدلالة :

أن آدم نفسه كان يعلم بذلك الجهل من الرب الإله وإلا لما كان اختبأ .. ؟! وأن الرب الإله نفسه حين لم يبصر آدم وزوجه نادى قائلا : أين

٦ ــ سفر التكوين : الإصحاح (٣) الفقرات (٨ ــ ١١) .

أنت ياآدم ؟!

ولو كان يعلم مكانه لما نادى .. ولما سأل مرة أخرى : هل أكلت .. ؟!

هذا ماتصف به نصوص التوراة المقدسة « الرب الإله » ومن قبل — وفى سفر التكوين نفسه نسبت إليه « الإعياء والتعب واحتياجه إلى الراحة . بل سروره العظيم بالراحة من عناء الأعمال » ؟!

ها نحن أولاء لم نتجاوز الإصحاحات الثلاثة الأولى من سفْر التكوين المقدس ؟! فنجد « الرب الإله » يعمل ويتعب ويرتاح ؟! ثم يجهل ويسأل .. ؟!

وكل من الإعياء والركون إلى الراحة ، والجهل ببعض الاشياء . هذه ليست من صفات « الله » الحق .. هكذا تقول تصورات العقل الواعى ، وبهذا تقضى حقائق الإيمان الصحيح .

والفرق بين أحكام العقل ، وحقائق الإيمان الصحيح ، وبين الواقع المعلوم لنصوص الكتاب المقدس كالفرق بين النور والظلمات .

إن واقع النصوص الكتابية المقدسة مرفوض عند العقل ، وعند حقائق الإيمان الصحيح . ؟!

وإلا أصبح العقل ضربا من التخليط ، وأصبح الإيمان ضربا من الأوهام ولكننا نرى العقل عقلا .. والإيمان إيمانا . فالتخليط والوهم فى غُيرهما لافيهما . وعلى المخطىء أن يراجع مالديه وإلا باء بالخسران ؟!

نصوص مقدسة .. ونسبة الخوف إلى « الربْ » الموصوف .. ؟!

وتمضى نصوص التوراة المقدسة فتنسب إلى « الرب » الخشية والخوف .. ؟! ومَنْ الذى يخشاه الرب ويخافه ؟!

إنه الناس . إنهم المخلوقون المربوبون لله فاطر السموات والأرض .. هكذا والله تصور التوراة « الرب الإله » وبهذا تفسر التوراة ظاهرة اختلاف اللغات بين الأمم . وليس لهذه الظاهرة عند النصوص المقدسة والمؤمنين بها من تفسير سوى أنها حيلة ماكرة لجأ إليها « الرب » ليفرق بين الأمم حتى لاتتحد تلك الأمم عليه وتحاربه .. ؟!

تحارب من ؟!

تحارب « الرب » الإله . هكذا وفاطر السموات والأرض . فاسمع إلى التوراة (المقدسَة ؟!) وهى تقول :

« ... وقال الرب : هو ذا شعب واحد . ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل . والآن لا يمتنع عليهم كل ماينوون أن يعملوه هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لايسمع بعضهم لسان بعض ؟! (٧)
فبددهم الرب من هناك على وجه الأرض . فكفوا عن بنيان المدينة » ؟!

معنى هذا الكلام :

تزعم نصوص التوراة المقدسة أن الناس — فى بدء أمرهم — ارتحلوا نحو المشرق واتفقوا أن يبنوا لهم مدينة بأرض شنعار ويصنعوا فيها قصراً رأسه إلى جهة السماء . ويختاروا لهم اسما يعرفون به حتى لايتبددوا على وجه الأرض .

فلما صنعوا القصر أبصره « الرب » فظن أن الناس يتآمرون عليه ؟!! فخشى عواقب اتحاد الناس ودهش من العمل الذى عملوه بسبب ذلك الاتحاد . وقال :

هو ذا شعب واحد ، ولسان واحد . وهذا ابتداؤهم بالعمل ؟!

---

٧ — سفر التكوين : الإصحاح (١١) الفقرات (٦ — ٨) .

فكيف الحال لو تركوا متحدين ؟! إنهم سيفعلون كل مايريدون .. ورأى أن فى ذلك خطراً على مقام « الربوبية » فنزل إلى المدينة وبلبل كل ألسنتهم فأصبح كل واحد فيها لايفهم لغة أخيه ، ولايفهم أخوه لغته ؟!

وتقول التوراة المقدسة :

ولذلك دعى اسم المدينة « بابل » لأن الرب هناك بلبل لسان كل وجه الأرض ؟! هكذا والله تقول التوراة !

أفليس معنى هذا الكلام أن الله يخاف الناس ، ويفزعه اتحادهم .. ؟! هذه واحدة . والثانية :

أن التوراة كما تصف « الرب » هنا بالخوف من الناس تصفه كذلك بالجهل ؛ لأن الناس حسب رواية التوراة نفسها لم يقصدوا الإضرار بالرب أو التآمر عليه . وإنما قصدوا مجرد السكنى ، وأن يعرف بعضهم بعضا . فظن « الرب » أن ذلك العمل موجه ضده فلجأ إلى حيلة تفريق الألسن حتى لايصبح الناس متحدين ؟!

أو ليس فى هذا نسبة الجهل إلى « الرب » كما فيه نسبة الخوف إليه ؟! أفليست هذه نصوص مقدسة ؟! ذات دلالات وضيعة ؟!

ولو سلمنا جدلاً بهذه الخرافة التى كان رد الفعل فيها من « الرب » هكذا بلبلة ألسن الناس فإنا نقول للمؤمنين بجدية هذه النصوص ، وللذين يَدَّعُون سلامة الكتاب المقدس من التحريف . نقول لهم جميعاً :

رب هذه قدرته كيف يخاف من اتحاد الناس عليه ، أوليس هو الذى « أقدرتموه » على بلبلة ألسنة الناس فلماذ لا تُقدِرُوه على البطش بهم وتنفوا عنه معرة الرهبة من خلقه ؟!

إن الذى يقدر على بلبلة الألسنة يقدر على البطش . ومن قدر على البطش والبلبلة لايخاف أو ينبغى له ألاّ يخاف . فكيف هان عليكم إلى هذا الحد أن تصفوا ربكم وإلهكم ؟!

ونقول لكم مرة أخرى :

إن هناك وسيلة أخرى أفعل من هذه الوسيلة فى التفرقة بين المتحدين كان الأجدر بكم « نسبياً » أن تلجأوا إليها ، وهى أن تدعوا أن « الرب » لجأ إلى « اختلاف قلوب الناس » وبذر دواعى التفرق بين مشاعرهم وأحاسيسهم . إن هذه الوسيلة أفعل أثراً فى التفرقة بين الناس وهى قائمة الآن مثل اختلاف اللغات . فكيف غابت عن « الرب » هذه الوسيلة ؟!

إن اختلاف اللغات لايغير من واقع الناس شيئا إذ اتحاد واختلاف القلوب مع اتحاد اللغات لا يغنى ولايسمن .. ؟!
إنكم كما وصفتم « الرب » فى نصوصكم المقدسة بالخوف ــ صراحة ــ فإن نصوصكم تصفه ــ ضمنا ــ بالجهل ، وبعدم التفريق بين الفاضل والمفضول وهذا كله مرفوض عند حقائق الإيمان وفى ميزان العقول .

نصوص مقدسة .. ونسبة النسيان إلى « الرب » الموصوف ؟!

فى النصوص التوراتية المقدسة قصة من أعجب الأقاصيص مثيرة للإضحاك من الأعماق ، ومثيرة للإبكاء من الأعماق كذلك مثيرة للإضحاك لطرافتها .. ؟!
ومثيرة للإبكاء لوضاعتها .. ؟!

وموضوع القصة معروف . فكثيرا مايرى الناس حجابا حول الشمس أو حزاما دائريا تصنعه الأشعة الضوئية فى قبة السماء . ويطلق العلم على ذلك « الحزام الضوئى » قوس قزح . كما يطلق عليه بعض فلاحى الأرض والمزارعون بالأرياف « قصعة الرخاء » لأن الضوء الأخضر هو الغالب على ذلك الحزام ، والخضرة تعنى النماء والحياة . ومن أسباب تلك التسمية عند الفلاحين والزارعين أن ظهور ذلك الحزام كثيرا ماأعقبه رخاء وانتعاش ، ولهذا أطلقوا عليه ذلك الاسم « قصعة الرخاء » تفاؤلاً وتيمناً .

وكل من التسميتين : العلمية « قوس قزح » أو العرفية « قصعة الرخاء » لها مايقويها من الظاهرة نفسها . فلم تتجاوز واحدة منهما الحقيقة أو تشطح مع الوهم والخيال .

ولكننا حين نجيء إلى التوراة المقدسة (؟!) نجد الوهم وحده هو الذى يستبد بتفسير تلك الظاهرة (الحزام الضوئى) وعندما يكون الوهم رافداً من روافد « العقيدة » فإن الكارثة ، أو كارثة من أفدح الكوارث ستقع لا محالة . وتلك الكارثة واقعة فعلا الآن فى واقع نصوص التوراة المقدسة (؟!) وواقعة فعلا فى عقيدة أهل الكتاب ـــ يهوداً ونصارى ـــ إن كانوا يؤمنون ـــ حقا ـــ بسلامة كتابهم المقدس من التحريف ، وَيدَّعون أنه مصون بيد من أنزله وإليك ـــ عزيزى القارىء ـــ حماك الله من الردى ـــ إليك تصور نصوص التوراة المقدسة لمغزى تلك الظاهرة .. فقد جعلتها علامة تذكير من النسيان ؟! تذكر مَنْ .. ؟! وإلى أى شيء تذكره . ؟! ذلك ماتراه فى النص المقدس (؟!) الآتى :

« وكلم الله نوحاً وبنيه معاً قائلاً : وها أنا مقيم ميثاقى معكم ، ومع نسلكم من بعدكم ... أقيم ميثاقى معكم فلا ينقرض كل ذى جسد أيضا بمياه الطوفان . ولايكون طوفان ليخرب الأرض .

« وقال الله : هذه علامة الميثاق الذى أنا واضعه بينى وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحية التى معكم إلى أجيال الدهر .
« وضعت قوسى فى السحاب فتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض . فيكون متى أنشر سحابا على الأرض وتظهر القوس فى السحاب . أنى أذكر ميثاقى الذى بينى وبينكم وبين كل نفس حية فى كل جسد ... فمتى كانت القوس فى السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبديا بين الله وبين كل نفس حية فى كل جسد على الأرض[٨] » ؟!!

---

٨ ـــ سفر التكوين : الإصحاح (٩) الفقرات (٨ ـــ ١٧) .

ومعنى هذا الكلام :

بعد طوفان نوح ونجاته هو وبنيه على حسب رواية التوراة تزعم التوراة أن الله أسف على ماحدث بسبب الطوفان . وأنه كلم نوحاً وبنيه ووضع معهم عهداً بأنه لن يعود ـــ فى المستقبل ـــ إلى مثل ماحدث ؟!

ثم تهبط نصوص التوراة إلى « الحضيض » فتدعى أن الله قد جعل قوسه « قوس قزح » أو « قصعة الرخاء » علامة تذكره متى ظهرت فى السحاب بالعهد الذى وضعه بينه وبين نوح وبنيه وبين الأجيال المتعاقبة وبين كل نفس ذات حياة . تذكره تلك العلامة بذلك العهد كلما هم بالبطش بخلقه ، فيتذكر العهد ويرجع عن البطش .
هكذا والله تقول التوراة فى نصوصها المقدسة ؟!
تصف الله ـــ سبحانه ـــ بالنسيان وأنه محتاج إلى مايُذَكِّره بما هو ناسيه .. ؟!

فإذا التمست تشبيها لخرافة التوراة هذه ، فليس أمامك إلا علامة الضوء « الأحمر » التى توحى لسائقى السيارات بالتوقف عند ظهورها ؛ لأن فى السير خطراً . وسائقو السيارات هنا مأمورون بالتوقف من قبل منظمى المرور . فهل الله ـــ سبحانه ـــ مأمور ـــ كذلك ـــ بالتوقف .. ؟!
إن قالوا : مأمور ؟! قلنا لهم : ومن يأمره ؟!

وإن قالوا : ليس مأموراً قلنا لهم ومافائدة تلك العلامة.إذن ؟ إنها ـــ أى العلامة ـــ فى أيسر شأن لها منبهة للغافل ؟! فهل الغفلة واردة فى « حق الله » ؟ وكيف يكون « الله » غافلا ؟ وهل تلك العلامة تظهر من تلقاء نفسها كلما أحست بالخطر آتياً من قبل الله ؟!

أم الله هو الذى يظهرها حين يريد إلحاق الخطر بخلقه ؟!
فإن قالوا : تظهر من تلقاء نفسها قلنا لهم : كذبتم . فالله بيده ملكوت السموات والأرض وهو خالق كل شيء ؟!

وإن قالوا : الله هو الذى يظهرها قلنا لهم : إذن هو عالم ذاكر لاجاهل

ولا ناسٍ حتى يحتاج إلى من أو مايعلمه أو يذكره .

وبعــد :

أفليست هذه نصوص هى عند القوم مقدسة .. ؟!

وتلك هى دلالالتها

أوليست تلك الدلالات وضيعة ؟! فكيف يكون نص مقدساً ، وتكون دلالته وضيعة .. ؟!

ولامناص للقوم من اختيار أحد أمرين ..؟!

إما أن ينفوا « الوضاعة » عن تلك الدلالات ؟ وما إلى ذلك من سبيل ؟!

وإما أن ينفوا « القداسة » عن تلك النصوص ، ونشهد أنه مطلب صعب جداً لايجود به القوم ، كما نشهد أنه هو المصير الوحيد الذى ينتهى إليه شأن تلك النصوص رضوا أم كرهوا .. ؟!

نصوص مقدسة .. « الرب » يؤمر وينهى .. ؟!

مفهوم « الألوهية والربوبية » عند الناس من أرسخ العصور فى القدم يدور حول عظمة « الرب » أو « الإله » . ولم يتخذ قوم ما فى عصر ما ربا أو إلها إلا بعد أن يحيطوه بهالة من الجلال والعظمة .

وكل رب أو إله حتى عند الأمم البدائية فى عصور بداوتها فيه سر من الأسرار العظيمة من أجله استحق أن يكون ربا أو إلـهاً أو معبوداً .

وهذا يفسر فى وضوح اتخاذ الكواكب أرباباً ، واتخاذ النار ربا ، واتخاذ النور والظلام ، والسحاب أربابا من دون الله قبل أن يعرف الإنسان طريق الإيمان بالله ، الحق خالق كل شىء بل إن عابدى الأصنام والأوثان سواء صنعوها بأيديهم أو وجدوها فى صورة شجر أو صخر ، حتى هؤلاء كانوا يضعون هالة من الجلال عَلى معبوداتهم ليوهموا عقولهم أنها أهل للعبادة .

ومن يرجع إلى تاريخ نشأة العقيدة عند الإنسان يهوله مايراه من عمل

الخيال فى آلهة بلاد مابين النهرين والهند ، واليونان والمصريين القدماء وبلاد الصين وفارس .
نحل مختلفة ولكنها تلتقى عند قطب واحد هو : تعظيم الإله والخضوع بين يديه .

ولكنك حين تطالع بعض نصوص التوراة ، والمفروض أنها كتاب منزل من عند الله على موسى ــ عليه السلام ــ ترى تلك التوراة تستهين بذات « الرب الإله » استهانة تخرجه من مفهوم « الربوبية » حتى بالمعنى البدائى الفطرى وتستقر به فى « محيط البشرية » بكل ماتحمل كلمة البشرية من معان تتنافى ــ قطعا ــ مع مفهوم « الربوبية » الجليل الشأن .

فإذا كان « الرب » يأمر وينهى ويتذلل له ويخضع بين يديه فإن التوراة تأبى إلا أن تصور « الرب » فى بعض نصوصها المقدسة بأنه هو المأمور المنهى ، وليس الآمر الناهى ؟!
هكذا والله فاطر السموات والأرض ؟!

فإن كنت فى ريب مما نقول ، ولا إخالك كذلك بعد أن عرفت طبيعة التوراة ــ فاعمد إلى مايسمونه بالكتاب المقدس ، وقلب صفحاته الأولى حتى تصل إلى الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج . وجُلْ ببصرك حتى تصل إلى بداية الفقرة الحادية عشرة منه .

إذا فعلت ذلك فإنك تقرأ هذا الكلام الذى صدر من موسى ــ عليه السلام ــ يخاطب به « الرب » حين رآه يشتد غضبه على بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر :

« لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك الذى أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ، ويد شديدة ؟ لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم (ربهم) بحيث ليقتلهم فى الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض ؟!

ارجع عن حمو غضبك ؟! واندم على (فعل) الشر بشعبك هكذا يقول

موسى (عليه السلام) — حسب رواية التوراة — لربه : ارجع .. اندم .. ؟!
وإذا كان الأمر « ارجع » يحمل تطاولاً وبذاءة على « الرب » فإن الأمر الثانى « اندم » يحمل تطاولين وبذاءتين معاً .

وحسبنا منه — الآن — تطاول واحد ، وبذاءة واحدة ، على أننا سنعود للتطاول الثانى والبذاءة الثانية بعد قليل حسب الخطة الموضوعة لهذه الدراسة .

إن « التطاول » فى ارجع واندم من حيث أنهما أمران .. والأمر دائما يلقيه الأعلى للأدنى والعظيم للوضيع .. فياترى من هو الأعلى هنا :

الله فاطر السموات والأرض ؟!
أم موسى المفطور المخلوق .
إن ظاهر السياق هنا يفيد العكس .. فموسى — عليه السلام — هو الآمر ؟!
والرب هو المأمور .. ؟! فيالضياع الأمانة .. و .. و .. ؟!

وأرجو من السادة القراء أن لاينخدعوا بأن التوراة تطلق على هذا المقطع أنه تضرع من موسى لربه . فهذا الإطلاق مرفوض .. مرفوض.. ؟!
والسبب أن البون شاسع ، والفرق كبير بين هذا الكلام الذى تسنده التوراة — زورا — إلى موسى (عليه السلام) ، وبين الدعاء والتضرع .

والفاصل فى هذا هو اللغة .. والواقع :

أما اللغة فإن فيها فروقا بين ماجاء على صيغة الأمر وهو فى الواقع والمعنى دعاء وتضرع .. وبين ماجاء على صيغة الأمر وهو فى الواقع وفى المعنى أمر حقيقى .. والأمثلة على ذلك كثيرة ، لاتكاد تقع تحت حصر . فلنكتف منها بالصور الآتية ففيها كفاء وغناء :
فمن الدعاء المأثور فى القرآن الحكيم :

﴿ ربنا **لاتؤاخذنا** إن نسينا أو أخطأنا . ربنا **ولاتحمل** علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا . ربنا **ولاتحملنا** مالا طاقة لنا به . **واعف** عنا **واغفر** لنا

وارحمنا . أنت مولانا **فانصرنا** على القوم الكافرين ﴾.[9]

في هذه الآية الكريمة وردت ثلاث صيغ فعلية على صورة النهى لفظا ولكنها دعاء معنى وواقعا وهى :

لاتؤاخذنا ـــ ولاتحمل ـــ ولاتحملنا .
كما وردت أربع صيغ فعلية على صورة الأمر فى اللفظ ولكنها طلب ودعاء وتضرع معنى وواقعا . وهى :

اعف ـــ اغفر ـــ ارحمنا ـــ فانصرنا . وهذه الصيغ السبع بنوعيها هى كلها دعاء وإن جاءت مرة على صيغة النهى وأخرى على صيغة الأمر ؛ لأن النهى الحقيقى ، والأمر الحقيقى لايكون بمجرد الصياغة ، بل لابد من انضمام العلو ورفعة الشأن إلى كل منهما .

وهذه الجمل السبع تشعر بخضوع الناطق بها . وجلال المخاطب بها كما يفهم من المقام بكل وضوح .
والمصادر التى اشتقت منها الأفعال المدعو بها فى النوعين هى نعم يملكها المخاطب سلبا وإيجابا وهى :
المؤاخذة ـــ التحميل ـــ الحمل ـــ العفو ـــ الغفران ـــ الرحمة ـــ النصر .
والنعم إنما تطلب من مالكها سواء بتحقيقها فى نفسها أو برفع ضدها ونقيضها .
وذلك هو الذى حدث فى هذا الدعاء .
قارن كلا من هذه الأفعال بالفعلين :

ارجع ـــ اندم . فهل تجد فى الأفعال الأولى مايقدح فى مقام « الربوبية » وهل تجد فى الفعلين الآخرين مايليق بمقام « الربوبية » .
إن « أستاذية » موسى فى هذين الفعلين وسلطانه على المخاطب دلالة مباشرة للنص نفسه . فهو إما ناصح لمخاطبه وإما آمر إياه . هذا بالنسبة إلى الفعل الأول ـــ ارجع ـــ وبالنسبة للفعل الثانى ـــ اندم ـــ فموسى فوق كونه

---

٩ ـــ البقرة (٢٨٦) .

ناصحا مخاطبه أو آمراً إياه عالم بمالم يعلم به المخاطب خبير بعاقبة ماصدر عن مخاطَبه ؟! فهل يصح بعد هذا كله فى عقل عاقل أو إيمان مؤمن أن يكون مخاطب موسى ـــ عليه السلام ـــ فى هذا النص هو « الرب » الإله .. ؟!

تلك ورطة النصوص التوراتية المقدسة ، التى يدعى واضعو الرواية الهزلية سلامتها من التحريف ؟! وأنها مصونة بيد من أنزلها . ؟! فعليهم أن يسلموا بأن نصوصهم المقدسة تظهر موسى وهو نبى الله أقوى شأنا ، وأوسع علما ، وأدرى بالعواقب من « الرب الإله » وهل يستحق هذا « الرب الإله » مخاطب موسى أن يخص بالولاء والعبادة وأن يهرع إليه فى الملمات وهو بهذا الوضع يؤمر وينهى من أحد رسله بل من أحد عبيده ؟!

وأمر آخر نريد أن يقف عليه القارىء ـــ الآن ـــ وهو أن التوراة تجعل نهاية أمر موسى للرب أن الرب سمع كلام موسى : ثم ندم على مافعل بشعبه المختار . فارجع إلى التوراة فى الموضع المذكور تجد صدق ماقلناه .. ؟!

ومن هذا كله يبين لك بُعد كلام التوراة المنسوب إلى موسى على أنه تضرع ودعاء . فالتضرع والدعاء المستفيد منهما الداعى لا المدعو ... والمستفيد هنا حسب رواية التوراة المدعو لا الداعى .. فالرب حين سمع كلام موسى ندم على الشر الذى فعله ببنى إسرائيل ؟!

إن موسى فى هذا الموقف يبدو كأنه زعيم شعبى وجه إنذاراً قويا لعدو شعبه فما كان من ذلك العدو إلا الإذعان والتسليم .. ؟!

موسى يهدد الرب بالاستقالة من النبوة .. ؟!

على أن التوراة تعود بعد هذا بقليل وتظهر موسى فى مقام من يهدد الرب بالاستقالة من الرسالة إذا لم يستجب الرب ويغفر لبنى إسرائيل خطيتهم باتخاذهم العجل إلـهاً من دون الله . وإليك نص التوراة المقدس فى هذا الشأن :

« وكان فى الغد أن موسى قال للشعب : أنتم قد أخطأتم خطية عظيمة .

فأصعد الآن إلى الرب لعلى أكفر خطيتكم . فرجع موسى إلى الرب وقال : آه قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة . وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب . **والآن إن غفرت خطيتهم . وإلا فامحني** من كتابك الذى كتبت[10] .. ؟! »

فموسى — فى هذا النص — يضع الرب بين خيارين :

إما أن يغفر لبنى إسرائيل إشراكهم به ، ووثنيتهم حيث اتخذوا العجل إلهاً يعبدونه من دونه .

وإما أن يمحوه — يمحو الرب موسى — من الكتاب الذى كتب . فهذه بتلك . إما غفران .. وإما استقالة من النبوة والرسالة .. ؟!

ولامعنى لكلام موسى الذى تنسبه إليه التوراة إلا التحلل من أعباء الرسالة والنبوة . وأى تفسير آخر مردود .

فقد يقال : إن المراد بالمحو المغفرة لموسى وحده إن لم تكن المغفرة لبنى إسرائيل محققة . وهذا مردود ؛ لأن موسى لاذنب له فى اتخاذ بنى إسرائيل العجل فهو كان يناجى ربه حين ارتد بنو إسرائيل .

وقد يقال : إن المراد كتاب آخر غير كتاب النبوة والرسالة .. ؟!

وهذا — كذلك — مردود . وعلى المدعى أن يبين لنا حقيقة ذلك الكتاب المراد المحو منه . وليس إلى ذلك من سبيل .. ؟!

على أن مابقى من الرواية يؤكد المذهب الذى ذهبناه تأكيداً لاَمِرْيَةَ فيه فقد ذكرت التوراة رَدَّ « الرب » على موسى هكذا :

« فقال الرب لموسى : من أخطأ إلىّ أمحوه من كتابى » ؟! .

ومعنى هذا الكلام : أن الرب رفض قبول الاستقالة من موسى من أعباء النبوة والرسالة ؛ لأن موسى لم يخطىء حتى يمحوه « الرب » من كتابه « والرب » لايمحو من كتابه إلا المخطئين ..؟!

---

١٠ — الخروج : الإصحاح (٣٢) الفقرات (٣٠ — ٣٢) .

أليس هذا هو المعنى الحرفى للنص .. وهل له من تفسير سوى التهديد بالاستقالة من النبوة .. ؟!

فإن أبوا هذا التفسير فليس أمامهم إلا فرض واحد وهو أن يكون موسى قد هدد بالخروج من زمرة المؤمنين الطائعين .. ؟!!
فأى التفسيرين يقبله القوم ؟! حقا إنها ورطة .. والقوم مدانون سواء سلموا بالتفسير الأول ، أو استسلموا للتفسير الثانى أو رفضوا التفسيرين معاً . ورطة محيطة من كل جهة . وهذا هو شأن من يضفى معنى « القداسة » على ماهو وضيع وليس بمقدس فاللهم اهد عبادك سواء السبيل .

نصوص مقدسة .. ونسبة « النوم » للرب الموصوف .. ؟!

وهذه ورطة أخرى من ورطات النصوص المقدسة . وهى أنها تنسب إلى « الرب » أنه ينام ويستيقظ ، كما ينام الناس ويستيقظون ، وليس هذا بغريب على كتاب جهل واضعوه أو محرفوه ماينبغى أن يكون عليه النص المقدس ، من دلالة مقدسة مثله . لقد جهلوا أوليات القداسة ، سواء كان ذلك بالنسبة للذات العلية ، أو الأنبياء والمرسلين ، أو الملائكة المطهرين . ليس هذا بغريب أبداً على التوراة التى عشنا معها من أول هذه الدراسة إلى الآن . فالشىء من معدنه لايستغرب كما يقولون .

هذه التوراة تأبى إلا أن تصف « الرب » بأنه ينام ثم يستيقظ من نومه . ومادام « الرب » فيها يعمل ويعيى ، ويرتاح فلا بأس أن تصفه بأنه ينام ويستيقظ . وإليك نص التوراة المقدس فى هذه الورطة أو الوضاعة
«اسكتوا ياكل البشر قدام الرب ؛ لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه »[11] ؟!
استيقظ ؟ . نعم استيقظ .
استيقظ من غفلة فيكون معنى الاستيقاظ مجازيا ، ولكنه وضيع ، إذ كيف

---

١١ ــ سفر زكريا : الإصحاح (٢) الفقرة (١٣) .

يستيقظ « الرب » من غفلة ؟!

أم استيقظ من نوم فيكون معنى الاستيقاظ حقيقياً ؟! ويكون ــ حينئذ ــ أكثر وضاعة وأظهر شناعة من المعنى المجازى المتقدم .

وللأسف فإن قرائن الأحوال تفيد أن اليهود لم يريدوا المعنى المجازى من الكلمة ــ والورطة فيه أخف وإن كانت قاتلة ــ وإنما يريدون المعنى الحقيقى وهو الاستيقاظ من النوم فعلا . ودليل هذا النص نفسه « لأنه ــ أى الرب ــ قد استيقظ من مسكن قدسه » ؟! والمسكن لايناسبه غير الاستيقاظ من النوم .. هذه هى التوراة ، وتلك بعض عقيدتها فى « الرب » ... ؟!

نصوص مقدسة .. ونسبة الندم إلى « الرب » الموصوف .. ؟!

لم تتورع نصوص التوراة المقدسة (؟!) أن تنسب الندم والتحسر إلى « الرب » والندم والتحسر المنسوبان إلى « الرب » فى التوراة هما الندم والتحسر المعروفان للناس فى الحياة .. ؟! فالرب يندم ويتحسر على خلق شيء من خلقه .. ثم تكون عاقبة الخلق على غير مايريد .

والرب يندم ويتحسر على فعل شيء ــ غير الخلق ــ عندما يرى عاقبة الفعل قد جاءت معاكسة ، أو يندم ويتحسر إذا نبهه أحد بضرر ماهو فاعل .. ؟!!

فها هى ذى نصوص التوراة المقدسة تقول : إن « الرب » ندم على أن خلق الإنسان . ندم وتأسف من كل قلبه على خلقه للناس ، لما رأى شرورهم قد كثرت على وجه الأرض ، ومن أجل ندمه ذاك ، ومن أجل حزنه وتأسفه أغرق الأرض بالطوفان ولم ينج إلا نوح وبنوه وزوجته وزوجات بنيه !! وإليك نص التوراة بالحرف .

« ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم . **فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض ؟! وتأسف فى قلبه ؟!**

« فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته ؟! الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء ؛ **لأني حزنت أني عملتهم** »[12] .

هذا هو نص التوراة المقدس بلا زيادة وبلا نقص ، الرب فيه يحزن ويتأسف ، ويصرح بأنه حزن ؛ لأنه عمل الإنسان . وقد أكثر الإنسان من هذا الشر ؟!

وكأن « الرب » لا يعلم ولم يعلم أن الإنسان سيعمل الشر إلا بعد أن خلق الإنسان ، وعاش الإنسان على الأرض . ودلت التجارب العملية الرب على أن الإنسان شرير . فاستفاد الرب من هذه التجربة علما جديداً لم يكن يعلمه من قبل . هذه هى نصوص التوراة وهذه هى دلالتها .

فهل يصح فى عقل عاقل وفى إيمان مؤمن أن يكون « الرب » الذى تتحدث عنه التوراة فى هذه المواضع هو « الله » خالق السموات والأرض الموصوف بكل كمال ، المنزه عن كل نقص .

إن كانوا يعنون بهذه النصوص (الله الكبير المتعال) فدلالة نصوصهم المقدسة وضيعة ، والوضاعة تنافى التقديس . فعليهم أن يراجعوا أنفسهم ويواجهوا مشكلاتهم بكل صراحة ويعلنوها على الملأ أن توراتهم ليست مقدسة . وأنها محرفة مزيفة علا فيها ركام الباطل على ومضات الحق .

وإن كانوا يعنون بها غير رب السموات والأرض فلا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى .. وكل نفس بما كسبت رهينة .. ؟!
ولم يقتصر وصف « الرب » بالندم والتحزن والتأسف على هذا الموضع من سفر التكوين ، بل ترددت نصوص أخرى لاحقة وسابقة وصفت فيها نصوص التوراة « الرب » بالندم .. ؟!

---

١٢ ــ سفر التكوين : الإصحاح (٦) الفقرات (٥ ــ ٨)

منها الموضع الذى تقدم فى مخاطبة موسى « الرب » بأن يرجع عن عقاب بنى إسرائيل ، حيث قال له : « واندم » كما تقدم وقد عقبت التوراة على هذا بأن « الرب » قد ندم بالفعل بعد سماعه أمر موسى إياه ، أو نصحه له .. ؟!

ومنها نصوص متعددة فى الأسفار اللاحقة كسفر أشعيا وعموس ودانيال وأرميا .

وتلك النصوص اللاحقة ليس فيها أمر أو نهى ، وإنما فيها إخبار بأن الندم قد وقع من الرب فعلا على أمور قد فعلها ، وهو كثيرا مايندم على تشدده مع بنى إسرائيل شعبه المختار على حد زعم التوراة ؟!

وللإنصاف نقول : إن هذه النصوص جميعاً التى وصف فيها « الرب » بصفات البشر أو صفات النقص نصوص محرفة لم ينزل بها وحى . ولم ينطق بها نبى .

ونحن نملك تفسيراً لهذا التحريف . فالكتبة والكهنة حينما قصدوا تثبيت بنى إسرائيل ، بعد الكوارث التى حلت بهم من البشر ومن الله وكانت تلك الكوارث والأحداث محفورة حفراً فى نفوس بنى إسرائيل ، أو هم يعانون من بعضها . فأخذ معدلو التوراة ومحرفوها يفلسفون لهم الأزمات التى حلت بهم . ونتج عن ذلك اتجاهان كبيران يراهما من يطلع على التوراة اطلاعا شاملاً .

أحدهما : الكوارث التي حلت باليهود فلسفها المصلحون فيما بعد بأن الله قد ندم على فعلها معهم . وإن ظل فريق آخر يستثمر تلك الكوارث فى إصلاح اليهود ودعوتهم إلى عبادة رب الجنود حتى لايفعل بهم مثلما فعل بأسلافهم . ولاشك أن أصحاب الاتجاه الأول قد صرحوا فى مواضع متعددة بندم الرب على ماحدث .

وثانيهما : الكوارث التى حلت باليهود من البشر مثلما حدث على يد نبوخذ نصر فلسفها معدلو التوراة ومحرفوها بأن الله سينتقم من كل الأمم التى

اضطهدت بنى إسرائيل وأنه سيملكهم أمر العالم كله . فهم وحدهم شعبه المختار وهو إلههم ومُخَلِّصُهم . وانتهى أصحاب هذا الاتجاه بإسكان « الرب » فى وسط بنى إسرائيل إلى الأبد .. ؟!!

ذاك هو تصور التوراة عن « الرب » وتلك هى ملامح عقيدتها فيه وتصور التوراة عن « الرب » وملامح أو أصول الاعتقاد فيه كما تصورها التوراة مزاعم باطلة كيفما قلبت النظر فيها .. ؟! فليس « الله » ربا قبلياً لقوم دون آخرين ، وعلاقة الخلق بالله لاتقوم على أساس عنصرى أو نوعى . وإنما عمادها معرفة الله بكل مايجب له من جلال وكمال . ثم الإيمان به حق الإيمان ، والتصديق بوعده ووعيده . والامتثال لأمره ، واجتناب نواهيه ، وتقواه فى السر والعلن .

فهو رب كل شيء ، وخالق كل شيء . ومكرم كل تقى ، وخاذل كل بغى .. لا يحابى أحداً ، ولايظلم أحداً ، ولايقيم شأنا لذى جاه أو مال أو حسب أو نسب ، وإنما أكرم الناس عنده أتقاهم .. وهذه المعانى مهدرة فى التوراة ، ولذلك فإن ماتدعيه التوراة من « عنصرية » الإلـٰه وهم مرفوض بكل مقياس . ولو كان « الله » كما تصوره التوراة للناس لما خصه بالولاء أحد من غير اليهود ، إذ لم يجتب من الناس أحداً سوى اليهود ؟!
وهذه هى النتيجة الحتمية لعنصرية « الرب » كما تصوّرها نصوص التوراة المقدسة ..

أما الشق الثانى من دلالات النصوص المقدسة عن الله أو « الرب » وهى وصفه بالخشيه من الناس ، ونسبة الإعياء والنوم والراحة ، والجهل ، والندم والتحسر والتأسف والغفلة والنسيان إليه ؛ فهو أوهام لو صحت لما كان « الرب » الموصوف بها فى التوراة مستحقا للعبادة حتى من اليهود أنفسهم . فإلـٰه هذا شأنه لاغناء فيه لأحد لا لليهود ، ولا لغير اليهود .

وإذا كان اليهود يؤمنون فعلا بدلالات نصوصهم المقدسة فى وصفها للرب على ذلك النحو ، ثم رضوا بعبادته لكانوا مسلوبى العقل والتمييز . ولو

كانوا عقلاء حقاً ماعبدوه . ونعود فنختم هذا المبحث بما بدأناه به :

« لايعلو دين وعقيدته فى الإله هابطة . ولايهبط دين وعقيدته فى الإله عالية .؟!

تصور التوراة عن الملائكة

ذاك ماتصف به النصوص المقدسة «الرب » فماذا تقول تلك النصوص فى الملائكة الأطهار ، وبماذا تصفهم .؟!

هل يستطيع طالب الإيمان الصحيح أن يستقى من نصوص التوراة فكرة سليمة صحيحة عن الملائكة على الوضع « النزيه » الذى جبلهم عليه فاطر كل شيء أم أن ماتقدمه التوراة عنهم مجاف للحقيقة لايفيد طالب الإيمان الصحيح فى شيء . ؟!

وبدهى . فإن الإجابة على ماتقدم يكاد يلوح وجهها أمام القارىء الذى صحبنا فى هذه الدراسة . فالنصوص المقدسة التى لم تتورع عن وصف « الرب » بما ليس له ، لاينتظر منها ولاهو من سماتها أن تعرض فكرة « الملائكية » عرضاً أمينا يبنى عليه إيمان صحيح .

فمن المسلم به أن الملائكة عباد مكرمون لايعصون الله ماأمرهم ولايأكلون ولايشربون . وقد شاءت إرادة الله أن تكون الملائكة منزهة عن الشهوات الجسدية مفطورة على الطاعة تفعل الخير ولاتجنى شراً قط ولكن التوراة الأمينة تعرض علينا نماذج منهم على غير المعروف عنهم فهم فيها مرة يأكلون ويشربون . ومرة لايأكلون ولايشربون . فإذا وضعنا فى الاعتبار وصفها لهم بالأكل والشرب فالتوراة كاذبة خادعة .

وإذا وضعنا فى الاعتبار وصفها إياهم بأنهم لايأكلون ولايشربون فالتوراة صادقة . ولكنه صدق غير خالص ، مادام النص القاضى بأكلهم وشربهم موجوداً فيها ، موصوفا بأنه نص مقدس غير محرف ولا مزور .

وتبقى بعد ذلك كله معرة التناقض بين نصوص التوراة ، وهى معرة لايحملها هذا النص وحده ، ولكنه شائع فى عشرات بل مئات النصوص التوراتية المقدسة ؟! وإليك ماترويه التوراة عن إبراهيم مع الملائكة فتعال اقرأ معى هذا النص المقدس .

« .. فرفع عينيه — يعنى إبراهيم عليه السلام — ونظر . وإذا ثلاثة رجال — يعنى الملائكة — واقفون لديه . فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة . وسجد إلى الأرض ، وقال ياسيد إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك ؟! ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكوا تحت الشجرة فآخذ كسرة خبز فتسندون بها قلوبكم ثم تجتازون ؛ لأنكم قد مررتم على عبدكم . فقالوا : هكذا نفعل كما تكلمت .؟!

(فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال : أسرعى بثلاث كيلات دقيقاً سميذاً . اعجنى واصنعى خبز ملة . ثم ركض إبراهيم إلى البقر ، وأخذ عجلاً رخصا وجيداً وأعطاه للغلام فأسرع (الغلام) ليعمله . ثم أخذ — يعنى إبراهيم — زبداً ولبنا والعجل الذى عمله ، ووضعها قدامهم . وإذ كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة **أكلوا**(١٣) » ؟!

يحكى هذا المقطع (المقدس) قصة الملائكة التى جاءت لتبشر إبراهيم — عليه السلام — بإسحاق . فظن إبراهيم أنهم مسافرون فعزم عليهم بالنزول عليه حتى يقدم لهم طعاماً يسندون به قلوبهم ؟! فوافقته الملائكة وقالوا : نفعل مثلما تكلمت .
فجهز لهم إبراهيم عجلاً وخبزاً ولبنا وزبداً ووضعه قدامهم ؟! وإلى هنا لو كانت التوراة قد توقفت لما وجدنا وجهاً واحداً لنقدها ، بل لإسقاطها .
ولكنها عادت فتردت إلى هاوية سحيقة بكلمة واحدة وهى قولها : « أكلوا » ؟!!

---

١٣ — سفر التكوين : الإصحاح (١٨) الفقرات (١ — ٨) .

نعم تردت التوراة إلى الهاوية السحيقة بإسنادها الأكل إلى الملائكة فهى هنا ليست أمينة فى تصوير الحقيقة لطالبى الإيمان الصحيح . وهى هنا « كاذبة » ؛ لأن الملائكة لايأكلون ولايشربون . [14]

﴿ وما جعلناهم جسداً لايأكلون الطعام وماكانوا خالدين ﴾

وننتقل إلى موضع آخر تتحدث فيه التوراة عن الملائكة فى قصة مماثلة لقصة إبراهيم عليه السلام .

« فقال منوح لملاك الرب : دعنا نعوقك ونعمل لك جدى معزى ؟! فقال ملاك الرب لمنوح : ولو عوقتنى لا آكل من خبزك ... [15] » ؟!

التوراة ــ هنا ــ تقول إن ملاك الرب رفض أن يأكل من جدى معزى منوح . وهذا صدق على فرض أن هذه القصة وقعت فعلا فإذا كانت الملائكة لا تأكل فماذا نصنع برواية سفر التكوين فى ضيف إبراهيم من الملائكة الذين أكلوا ــ على زعم تلك الرواية ــ العجل والخبز والزبد واللبن .

ومن أى الروايتين يستقى طالب الإيمان عقيدته فى الملائكة من نصوص التوراة المقدسة .

أهم يأكلون ؟! أم هم لايأكلون ؟! . أليس هذا تناقضا فى نصوص يَدَّعون قداستها . والنصوص المقدسة لاتعرف إلى التناقض سبيلاً . ولكن هذه هى طبيعة التوراة حق يضيع بين ركام الباطل . ؟!

جبريل يقوم بدور الشيطان :؟!

جبريل ــ عليه السلام ــ سفير الوحى الأمين تأبى التوراة إلا أن تصوره فى صورة شيطان يصنع الغواية . يغوى الأنبياء .. ؟! وبطلب أو تحريض من

---

١٤ ــ الأنبياء آية ٨

١٥ ــ سفر القضاة : الإصحاح (١٣) الفقرات (١٥ ــ ١٦) .

« الرب » نفسه .؟! هكذا والله تزعم نصوص التوراة المقدسة . وإليك النص والموضع الذى هو فيه من « الكتاب المقدس ؟! » .

« قد رأيت الرب جالساً على كرسيه . وكل جند السماء وقوف لديه : عن يمينه وعن يساره . فقال « الرب » : من يغوى آخاب فيصعد ويسقط فى راموت جلعاد . فقال هذا هكذا وقال ذاك هكذا . ثم خرج الروح — يعنى جبريل — ووقف أمام « الرب » وقال أنا أغويه . وقال له الرب : بماذا ؟ فقال : **أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه . فقال : إنك تغويه وتقتدر** ؟! فاخرج وافعل هكذا »[16] ؟!

جبريل يكون روح كذب فى أفواه جميع أنبياء آخاب .. والرب يشجعه على ذلك ؟! ياسبحان الله ؟!
والآن : أفلست معى فى أن هذه الدلالات وضيعة بل أكثر من وضيعة ؟

تصور « التوراة » عن الأنبياء

لاينتظر من كتاب لم يعرف لله حقه ، ولا لملائكته الأطهار ، أن يعرف للأنبياء حقهم ، ويصورهم للمؤمنين تصويراً أمينا ، يصلح أن يقيم عليه الناس عقيدة صالحة فى أعلى « شرائح » المجتمع الإنسانى فضلا ونبلا ، شرفا وكرامة ، وهم أنبياء الله ، وصفوته المختارة — بحق — من خلقه .

تصور التوراة عن الأنبياء فاسد من اعتبارين ، هما قوام الأمر كله .. ؟! فهو تصور فاسد من حيث معرفة من هو النبى وكيف تحقق النبوة . وقد قدمنا صوراً متعددة فى فصل النبوة والنبوءات تسقط من الحساب جملة وتفصيلا — اعتبار التوراة مصدراً أمينا فيما تقوله عن النبوة إلا فى القليل منه .

فالنبوة فى التوراة نبوة كهانة وعرافة ورؤى وأحلام وتنجيم ، ونبوة شعر وخطابة ونبوة تهويمات وتعريـــه . بل نبوة شعوذة ودجل وكذب وافتراء وتَقَوُّل

---

١٦ — سفر الملوك الاول : الإصحاح (٢٢) الفقرات (١٩ — ٢٢) .

على الله وافتيات .. ؟!

إنه حشد هائل من الأنبياء والنبيات ، والمتنبئين والمتنبئات ، لا تدرى من منهم الصادق ، ومن منهم الكاذب . وإذا كان المرجع فى الفصل بين النبى الصادق والمتنبىء الكاذب هو المعجزة . فمن أقام بين يدى دعواه النبوة معجزة خارقة فهو صادق .

ومن لم يقم تلك الخارقة فهو كاذب . فإن التوراة تهدر قيمة هذا الفرق العظيم . ولامانع فيها من أن يقيم المتنبىء الكاذب معجزة خارقة . ومن أجل هذا فإنه يصعب على قارىء التوراة ـــ فضلا عن المؤمنين بها ـــ يصعب عليه أن يميز بين النبوة الصحيحة والنبوة المدعاة ، وبين النبى الصادق والنبى الكاذب . اللهم إلا فيما ثبتت نبوته من مصدر إلـٰهى آخر غير التوراة نفسها .

فلوط ـــ مثلا ـــ ثبتت نبوته فى غير التوراة . فهو ـــ إذن ـــ نبى ـــ قطعا ـــ والإيمان به واجب .
وأشعيا لم تثبت نبوته فى غير التوراة ـــ مثلا آخر ـــ ولكن ماتقدمة التوراة عنه يحمل على الريب فى صحة نبوته . وإن كنا نحن المسلمين ـــ كما تقدم ـــ نقف منه موقفاً وسطا : لاننكر نبوته ،ولانثـبتها . ونفوض الأمر إلى الله . وتلك هى الطريقة المثلى فى سلامة إيماننا . ودليلنا فيها قول الصادق المصدوق ﷺ فيما تنقله بعض الروايات من بعض دعاوى أهل الكتاب : « **لاتكذبوهم ولاتصدقوهم** » فأشعيا وغيره ممن لم تثبت نبواتهم عندنا فى خبر صحيح يجوز عندنا أن يكونوا أنبياء بناء على ماورد فى التوراة .. ويجوز أن لايكونوا أنبياء لعدم الثقة المطلقة فيما تعرضه التوراة .

ولكن التوراة لم تساعد المؤمنين على الإيمان بصحة نبوات من ذكرت لأنها تسند إليهم أقوالاً وأفعالاً لاتصدر عن نبى قط . وهنا لابد من التفرقة بين مجموعتين :

الأولى : المجموعة التى ثبتت نبوتها عندنا كموسى وهارون ، وداود

وسليمان وزكريا ولوط ونوح وإبراهيم ويعقوب ويوسف . هؤلاء فإننا نحكم بكذب ماتنسبه إليهم التوراة من الأقوال والأفعال التى لاتليق بالأنبياء ولانتردد قط فى صدق نبواتهم بناء على ماورد من تحريف سيرتهم فى التوراة .

والمجموعة الثانية هى التى لم تثبت عندنا نبواتهم فى خبر صحيح مثل أشعيا وأرميا وعموس وحجى وميخا وباروك . وموقفنا منهم كما تقدم هو تفويض الأمر فيهم إلى الله فلا ننفى ولانثبت ، وإن كانت دواعى النفى أقوى من دواعى الإثبات . والسبب فى هذا الخلط كله ماأصاب التوراة من تحريف وتزوير على أيدى الكتبة فى كل جيل إلى مابعد مجىء المسيح (عليه السلام) بمائة عام ، وقد صرَّح بهذا أهل الكتاب المعاصرون أنفسهم .

فإذا غضضنا الطرف عن أفراد المجموعة الثانية وبحثنا فى سيرة المجموعة الأولى الثابتة نبواتهم عندنا فإننا نجد التوراة تشوه تلك السيرة البيضاء النقية ، وتظهر لنا مجموعة الأنبياء الأتقياء المصطفين الأخيار فى صورة جماعة شريرة فاجرة لم تتورع عن ارتكاب الجرائم ، بل أشنع الجرائم على الإطلاق . ؟!!

هؤلاء الأنبياء الكبار ، هم فى التوراة :

شاربو خمر ، **وزناة** حتى **بالمحارم** . **وقتلة** حتى للأبرياء المخلصين **وعابدو أصنام** ؟! **ومرتدون** عن عقيدة **التوحيد** . **وخدَّاعون كذَّابون** .. ؟!! **ومنهم من ينكر البعث** والنشور والحياة الآخرة ؟!

ومنهم من يلعن اليوم الذى ولد فيه ، ويلعن نفسه ، ويتمنى لو كان بطن أمه قبراً له فلا يرى الحياة ولاتراه الحياة ... ؟!

وليس هذا افتراء على التوراة ونصوصها المقدسة ــ لا والله ــ ولكنها هى التى تنطق بكل ذلك فى غير حياء ولاخجل ، وفى غير مواراة أو تخفٍ ..؟!!.

وإن كان يخالجك ريب فى هذا . فها أنذا أضع بين يديك النصوص

المقدسة الصريحة ذات الدلالات المدنسة التى صنعها الوهم وأغرى بها الشيطان .

إسحق ويعقوب .. وشرب الخمر والخداع .. ؟!

هذا العنوان ليس غريباً عليك مدلوله إن كنت قد قرأت ماتقدم من هذه الدراسة . فقد بسطنا القول فيما مضى فى وصف التوراة لإسحق بأنه شارب خمر ، وفي وصف يعقوب ـــ عليهما السلام ـــ بأنه محتال مخادع . حين تقدم لأبيه إسحق بجديى المعزى وكئوس الخمر ، وأوهمه بأنه « عيسو » وطلب منه أن يباركه ويمنحه النبوة . فخادع أباه إسحق بإيعاز من أمه رفقة التى كانت تحب يعقوب وتفضله على عيسو ، وكان إسحٰق يحب عيسو ويفضله على يعقوب . فغلب محبوب الأم ـــ يعقوب ـــ محبوب الأب ـــ عيسو ـــ وحصل على « عَقْدِ » النبوة من أبيه ، بعد أن أطعمه لحماً وسقاه خمراً[17] .. ؟!

ولعلك تذكر أن إسحق كان قد طلب بنفسه أن يسقى خمراً مع الطعام الذى تحبه نفسه ليبارك عيسو بالنبوة لولا أن غلبه يعقوب .. ؟!

ونوح يشرب الخمر ويتعرى ؟!

نوح .. ذلك النبى الكريم تسند إليه التوراة قصة من أغرب القصص . فقد شرب نوح ـــ في التوراة فحسب ـــ الخمر ، وسكر وزال عقله . وتعرى وظهرت عورته ، وأبصره أحد بنيه الثلاثة فأخبر أخويه اللذين جاءا وسترا أباهما . فلما أفاق نوح ـــ حسب رواية التوراة ـــ وعلم بما حدث بارك من ستره .. ودعا على من فضحه وإليك نصوص القصة بحذافيرها :

« وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك : ساما وحاما ويافث . وحام هو أبو كنعان . هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح . ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض . وابتدأ نوح يكون فلاحاً ، وغرس كرما . **وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل**

---

١٧ ـــ راجع هذه القصة فى فصل : « النبوة والنبوءات » المتقدم .

خبائه . ؟!

فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه ، وأخبر أخويه خارجا . فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ، ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء ، فلم يبصرا عورة أبيهما . فلما استيقظ نوح من خمره علم مافعل به ابنه الصغير فقال : **ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته** . وقال :**مبارك الرب إله سام ، وليكن كنعان عبداً لهم** . ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام . **وليكن كنعان عبداً لهم**[18] » .

هذا تصريح لايقبل التأويل . نوح شارب خمر ومُتَعَرٍّ وسَكِر . فهل يستطيع أحد أن يبرىء التوراة من هذه السقطة التى تصف فيها نبياً كريما على ربه وعلى الناس بأشنع الموبقات . وهل يستطيع أحد أن يجارى التوراة فى باطلها هذا ، أو يميل نحوها بالتصديق ..؟! إن تصديق التوراة — هنا — معناه إخراج نوح (عليه السلام) من زمرة الأنبياء المصطفين .

وليس هذا بمستطاع لدى من يعرف للرسل حقهم ، وليس هذا بمستطاع لدي مؤمن صحيح الإيمان .

وليس أمامنا إلا شيء واحد ، هو تكذيب التوراة فيما تصف به نوحاً (عليه السلام) ، وليس عن هذا التكذيب مناص .

إنها قصة مزورة مكذوبة . وسبب تزويرها واضح . وهو أن محرفى التوراة أرادوا أن يجعلوا «عبودية حام وبنيه وأحفاده » جزءاً من عقيدة بنى إسرائيل . فحام هو أبو كنعان . وكنعان هو جد الفلسطينيين ...؟!
والكنعانيون هم الفلسطينيون . من أجل هذا وحده وضعت هذه الفرية ليكون « سام » أبو اليهود سيداً . وكنعان جد الفلسطينيين عبداً لسام وبنيه ..؟!!

والواقع أن القصة لم يكن المستهدف منها استعباد الفلسطينيين فحسب ،

---

١٨ — سفر التكوين : الإصحاح (٩) الفقرات (٢٠ — ٢٧) .

بل كان أبناء حام فى كل موقع من الأرض . فى مصر ، وفى جنوب الوادى ، وفى الصومال ومما يقوى هذا الاحتمال أن الأسفار المتأخرة من العهد القديم كانت سجلاً حافلا لحروب الفلسطينيين مع بنى إسرائيل . وهذا يوحى بتعديل الأسفار الأولى ، كسفر التكوين الذى وردت فيه هذه القصة ، بما يتفق مع النظرة العدائية الحاقدة التى ينظرها اليهود من القديم إلى عدوهم اللدود وهم الفلسطينيون ، ولا ننس هنا أن نذكر أن للفلسطينيين مواقع انتصروا فيها — قديما — على بنى إسرائيل ، وأوقعوا بهم صنوفا من العذاب ...كما أن مطامع اليهود فى وادى النيل وقيام مملكتهم الموهومة عليه من أبرز الوعود التى تعد بها التوراة بنى إسرائيل ، بالإضافة إلى بلاد الشام وخاصة جنوب لبنان الذى يرون انه موضع جنة عدن كما تقدم .

وقفة من شرب الخمر وتحريمها :

تسند التوراة إلى نبيين كريمين شرب الخمر وهما نوح وإسحق (عليهما السلام) وأسندت شربها — كما سيأتى — إلى نبى ثالث وهو لوط (عليه السلام) كما أسندت إلى يعقوب تقديمها إلى أبيه إسحق ، وأسندت إلى إسحق الدعاء بها لآل يعقوب وبنيه وهو يباركه بالنبوة ...؟! وهذه الوقائع قد توحى إلى قارىء التوراة أن الخمر ربما كانت حلالاً فى تلك العصور ثم حُرِّمت . وإذا صح هذا الاحتمال فلا لوم على التوراة إذا أسندت شربها إلى من أسندت من الأنبياء؟! وخاصة أن التحريم والتحليل لم يكن على نمط واحد فى كل الرسالات السماوية ..؟!

هذا احتمال وارد ونحن لاننكر وروده . وإنما ينبغى علينا أن نواجهه بنصوص أخرى من التوراة نفسها . ثم نتبع تلك المواجهة بتعليق لازم .

نصوص فى التوراة تحرم الخمور :

لو خلا نص التوراة من ذم الخمر وتحريم شربها لكان للاحتمال المتقدم نصيب من الصحة .ولكن التوراة فى مواضع متعددة منها تذم الخمر وكل

مسكر ، وتحرم تعاطيها . ونكتفى من تلك المواضع بما يأتى :

« إذا كان لرجل ابن معاند ومارد ، لايسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ، ويؤدبانه فلا يسمع لهما . يمسكه أبوه وأمه ، ويأتيان به إلى شيوخ مدينته وإلى باب مكانه ، ويقولان لشيوخ مدينته : ابننا هذا معاند ومارد ، لايسمع لقولنا ، **وهو مسرف وسكير** . **فيرجمه** جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت . **فتنزع الشر من بينكم** ؟! ويسمع كل إسرائيل ويخافون »[19]

وظاهر هذا النص تحريم السكر وعده شراً يجب الخلاص من صاحبه والعقوبة المترتبه عليه هى الرجم بالحجارة حتى الموت . ليكون فى ذلك قطع لمادة الشر من جذرها ..! وليكون عبرة لبقية شعب بنى إسرائيل ، فيقع الخوف فيهم ولايفعلون مثله .

فهل لهذا النص معنى غير الذى ذكرناه .. كلا .. إذن فالخمر وهى مادة الإسكار محرم شربها بالنص الصريح القاطع ..!!

ونصان آخران يحرمان الخمر

جاء فى سفر القضاة الإصحاح الثالث عشر نصان صريحان فى تحريم الخمر .

أما النص الأول فهو :

« فدخلت المرأة وكلمت رجلها قائلة : جاء إلى رجل الله ـــ تعنى ملكا ـــ ومنظره كمنظر ملاك مرهب جداً . ولم أسأله من أين هو ولا هو أخبرنى عن اسمه . وقال لى :

« هاأنت تحبلين وتلدين ابنا . والآن فلا تشربى خمراً ولا مسكراً . ولاتأكلى شيئا نجساً ؛ لأن الصبى يكون نذير الله من البطن إلى يوم موته »[20]

---

١٩ ـــ سفر التثنية : الإصحاح (٢١) الفقرات (١٨ ـــ ٢١) .

٢٠ ـــ الفقرات (٦ ـــ ٧) .

ثم عاد ملاك الرب هذا ، أو رجل الله وظهر لرجل المرأة الذى تدعوه التوراة منوح . فقال الملاك لمنوح كما تروى التوراة « فقال ملاك الرب لمنوح : من كل ما قلت للمرأة فلتحتفظ . من كل ما يخرج من جفنة الخمر لاتأكل . وخمرا ومسكراً لاتشرب ، وكل نجس لاتأكل . لتحذر من كل ما أوحيتها »[٢١]

ونص رابع يحرم الخمر

وقصة منوح هذا وامرأته يمهد لها مقطع مقدس من نفس السفر ، وقد احتوى على نص رابع يحرم الخمر وكل مسكر . وهذا هو المقطع :

« وكان رجل من صُرعة[٢٢] من عشيرة المدانيين اسمه منوح وامرأته عاقر لم تلد . فتراءى ملاك الرب للمرأة وقال لها :

« ها أنت عاقر لم تلدى . ولكنك تحبلين وتلدين ابنا ..والآن فاحذرى ولاتشربى خمراً ولامسكراً ، ولا تأكلى شيئاً نجساً فها أنت تحبلين وتلدين ابنا ، ولايعل موسى رأسه ؛ لأن الصبى يكون نذير الله من البطن ، وهو يبدأ يخلص إسرائيل من يد الفلسطينيين »[٢٣]

ثم تلد المرأة ابنا دعوه شمشون ثم صار من أنبياء الله على حسب رواية التوراة .

ولايفهم أحد من هذه النصوص غير مانفهمه وهو تحريم الخمر وكل مسكر وقرنها بأكل الأشياء النجسة . وإن كان هناك فرق بين النصوص الثلاثة الواردة فى سفر القضاة ، وبين النص الوارد فى سفر التثنية ، فإن نص سفر التثنية صريح فى تحريم شرب الخمر ، وكل مسكر على جميع الشعب . لأنهما شر ينبغى الخلاص منه .

---

٢١ ــ الفقرات (١٣ ــ ١٤) .

٢٢ ــ اسم مكان .

٢٣ ــ نفس الموضع الفقرات (٢ ــ ٥) .

ونصوص سفر القضاة تحرمهما على أمهات الأنبياء . ومع هذا كله تبقى مسئولية التوراة خطيرة فى نسبتها شرب الخمر إلى نوح وإسحق ولوط . وهى هنا بين أمرين فى كل منهما إدانة لها : فإما أن تقول : إن الخمر والمسكر حرام كما تنص عبارات سفر القضاة .وهى هنا مدانة بتحريف النصوص التى نسبت شرب الخمر إلى كبار الأنبياء ؟!

وإما أن تقول : نعم إن شرب الخمر والمسكر حلال ، وهى هنا ــ كذلك ــ مدانة بتحريف النصوص القاضية بتحريمها ورجم شاربها ؟!

فما هو رأى القارىء فى هذا المأزق .. هل يرى للتوراة خلاصا منه . ؟ أم أن المأزق قد أمسك بتلابيبها ، وأحاط بها الباطل من كل جانب ؟!

ولوط ..يشرب الخمر ويسكر ويزنى بابنتيه ..؟!

الجريمة التى تسندها التوراة إلى لوط علية السلام فى السفر الأول من أسفار موسى الخمسة جريمة مركبة من ثلاث جرائم ، لاتقع إلا من أحط الناس خلقا ، وأقبحهم سلوكا !؟

وقل أن تسمع بمثلها فى أكثر البيئات فسقا وفجوراً وطيشاً . فما بالك بنبى مكرم معزز من الله ، بعثه الله نورا وهدىً لقومه . أقواله حكمة ورشاد . وأفعاله قدوه وشريعة ..؟!

ولكن هذا هو شأن التوراة تمزج الحسن بالقبح . وتغلف النور بالظلام . وتكسو البياض بالسواد ..!!

وجريا على منهجها فى تدنيس المقدس ، وتنجيس المطهر ، أبت إلا أن تسند إلى لوط (علية السلام) هذه الجريمة النكراء المركبة

* شرب الخمر حتى السكر ..؟!
* الزنا . وبمن زنى لوط ..؟!
* بابنتيه اللتين من صلبه .؟!

فها هى ذى التوراة تروى أن لوطا حين بطش الله بقومه ، خرج هو وابنتاه من صوغر وهرع إلى الجبل فسكن فيه ومعه ابنتاه ، وحتى لانطيل عليك فاسمع إلى القصة كاملة ترويها توراة القوم المقدسة ..؟!

« وصعد لوط من صوغر ، وسكن فى الجبل ؛ وابنتاه معه ؛ لأنه خاف أن يسكن فى صوغر فسكن فى المغارة هو وابنتاه . وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ ، وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض . هلم نسقى أبانا خمراً ونضطجع معه ، فنحيى من أبينا نسلاً .؟! **فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة** ، ودخلت البكر **واضطجعت مع أبيها** . ولم يعلم باضطجاعها ولابقيامها ..؟! وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة : إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى ؟! نسقيه خمراً الليلة أيضا فادخلى اضطجعى معه ، فنحيى من أبينا نسلاً ؟!**فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة أيضا ؟! وقامت الصغيرة فاضطجعت معه ؟! ولم يعلم باضطجاعها ولابقيامها ؟!فحبلت ابنتا لوط من أبيهما** . فولدت البكر ابنا دعت اسمه مؤاب ، وهو أبو المؤابيين الى اليوم . والصغيرة ـــ أيضا ـــ ولدت ابنا ، ودعت اسمه بنى عمى ، وهو أبو بنى عمون إلى اليوم »[(٢٤)] ؟!

وإلى هنا تنتهى المأساة التى وصمت بها التوراة المقدسة بيتا كريماً من بيوتات النبوة . وحان لنا أن نسأل :

* كيف سمح لوط (علية السلام) لابنتيه أن تحملا معهم الخمر حين صعودهما من صوغر إلى الجبل ..؟!

* وإذا سلمنا بهذا ألم يتذكر لوط بعد أن أفاق فى الليلة الأولى بأن شيئا ما قد حدث ..؟ ألعبت به الخمر إلى هذه الدرجة فزنى بابنته ولم يدر من الأمر شيئاً ؟

* وحتى إذا سلمنا بهذا فكيف لم يتنبه لوط ـــ فيما بعد ـــ إلى انتفاخ

---

٢٤ ـــ سفر التكوين : الإصحاح (١٩) الفقرات (٣٠ ـــ ٣٨) .

بطنى ابنتيه ، فيدرك أنهما حبليان ؟!

* هذا لانسلم به . إذ لابد من ظهور السر أمام لوط فى مستقبل الأيام .

وإذن

فماذا كان موقفه من حَبَل ابنتيه ؟! ألم يسألهما عن مصدره ؟!

* وإذا سأل : أصدقت معه ابنتاه فقالتا له بالحقيقة فيكون هو أبا الأم وأبا ولدها ..وهو فى الوقت نفسه جد لمؤاب وعمون ؟!

* أم أن ابنتيه كذبتا عليه وادعتا أن الحَبَل من غيره ؟!

* وفى كل هذا ماذا فعل لوط ، وهو نبى ، أمام تلك الجريمة أو تلك الجرائم مجتمعات ..؟!

★ كل هذا تسكت عنه التوراة . كان همها الوحيد أن تلطخ سيرته بما افترت عليه ، ثم جعلته ـــ بعد ـــ ساكتا . ليكون السكوت جريمة رابعة يرتكبها لوط . وهى جريمة يرضخ لها وهو فى كامل قواه العقلية ..؟!

أهذا وحى نزل به جبريل الأمين على موسى الكليم « لاورب السموات والأرض . ملعون مطرود مِنْ رحمة الله بِكُلِّ لِسَانٍ صَادِقٍ من يصدق أن هذا وحى ..؟!

ملعون مخذول مِنْ الله والناس مَنْ يقول إن هذه نصوص مقدسة ..؟!

ملعون مخذول مِنْ الله والناس مَنْ كتب هذا الكلام بيده وادعى أنه وحى مقدس ؟!

وملعون مخذول مِنْ الله والناس كتاب يحمل هذا الزيف على أنه كلام مقدس ..؟!

فللوحى جلاله وهيبته وعفته ونزاهته وصدقه وعدله وللرسل عصمتهم ، وصلاحهم ، وخشيتهم ، وطاعتهم لله الذى خلقهم وبعثهم .

ومن جهل هذه الأمور ، وغابت عنه هذه الحقائق أو تجاهلها ولم يجهلها ، وتغابى عنها ، ولم تغب عنه فعليه إن أراد الفلاح لنفسه أن يولى وجهه شطر الحق الأبلج ويستقى العقيدة من معدنها النقى ، قبل فوات الأوان وإلا فالوعيد شديد ، والمصير مؤلم ، حيث لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت فى إيمانها خيرا ؟! وما ربك بظلام للعبيد .

وهارون يعبد الأصنام ..؟!

وتمض النصوص المقدسة ؟! ذات الدلالات الوضيعة بل المدنسة ؟! تمضى تلك النصوص فى تجريح الرسل الكبار ، وتزوير سيرتهم النقية البيضاء . والدور الآن على هارون أخى موسى (عليهما السلام) فتقول النصوص - ويالباطل ماتقول - إن هارون قد عبد العجل الذى صنعه (؟!) من ذهب ، عبده مع مرتدى بنى إسرائيل بعد أن عبروا البحر ــ بإذن الله ــ من مصر إلى سيناء ، حين ذهب موسى (عليه السلام) إلى مناجاة ربه فى الموعد المضروب وأبطأ موسى في العودة إلى بنى إسرائيل . ولندع النصوص المقدسة (؟!) تحكى ــ زوراً ــ وقائع تلك الفرية :

« ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له :

« قم اصنع لنا آلهة أمامنا ؛ لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لانعلم ماذا أصابه ؟!

« فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها .؟!

« فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون . فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا . فقالوا : هذه آلهتك ياإسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر . فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ؟!ونادى هارون وقال : غداً عيد للرب ؟! فبكروا فى الغد . وأصعدوا

محرقات . وقدموا ذبائح سلامة . وجلس الشعب للأكل والشرب . ثم قاموا للعب » [٢٥] ؟!!

ارتداد بنى إسرائيل بعد الخروج من مصر حقيقة لاريب فيها . أما ما نسب إلى هارون (عليه السلام) من وصمة هذا الارتداد فباطل لا ريب فيه .؟!

وقد أظهرت التوراة – هنا – هارون على أنه رأس الفتنة . فما إن أبدى له بنو إسرائيل رغبتهم فى صنع الآلهة حتى خف هارون للفكرة ونشط لها ، فطلب منهم أن يأتوه بالذهب . فلما أتوه به قام هارون على التو بما يأتى :

★ صنع من الذهب عجلا مسبوكا ..؟!

★ قال لبنى إسرائيل هذا هو إلهكم الذى أصعدكم من مصر ..؟!

★ حدد اليوم التالى للفراغ من صنع العجل ـــ الغد ـــ بأنه عيد للرب – العجل – ؟!

★ اشترك مع القوم فى الاحتفالات بعيد الرب .. وقام معهم للعب بعد الأكل والشرب وتقديم المحرقات وذبائح السلامة..؟!

المجرم برىء .. والبرىء مجرم مرتد :

إن الذى أضل بنى اسرائيل ، وصنع لهم عجلاً ودعاه رب بنى إسرائيل هو السامرى ، الذى قضى الله عليه بالخذلان فى الدنيا والآخرة ..ولكن التوارة تسكت عن إدانة هذا المجرم . فهو فيها برىء ، وتعمد إلى هارون البرىء ـــ عليه السلام ـــ فتصيره مجرما ..؟!

وهكذا تقيم التوراة الدليل بعد الدليل على أنها ليست أمينة على وحى الله وعلى أنها ليست موضع ثقه أبداً فى مجال صنع العقيدة الصحيحة ، كما تقيم الدليل بعد الدليل على أنها محرفة ، مزورة ، مبدلة ـــ ليست مصونة بيد من

---

٢٥ ـــ سفر الخروج : الإصحاح (٣٢) الفقرات (١ـــ ٦) .

أنزلها كما يدعى واضعو الرواية الهزلية .

وتقيم الدليل بعد الدليل على أن من أراد أن يعرف الله حق المعرفة ، ويعرف ملائكته ورسله حق المعرفه ، ليؤمن إيمانا صحيحاً . فعليه أن يسقط التوراة من حسابه . ففلاحه فى إسقاطها .. وخذلانه فى الإيمان بها . فليراجع كل مؤمن بالكتاب المقدس .ليراجع نفسه قبل أن يُوصِدَ الموت باب المراجعة ، وتبوء نفس بماكسبت . وتندم حيث لايفيد ندم ..؟!

ويهوذا بن يعقوب يزنى بزوجة ابنه ..؟!

يهوذا بن يعقوب بن إسحق أخو يوسف (عليهم السلام) ، تزعم التوراة أنه زنى بزوجة ابنه « عير » بعد موت عير . وتمهد التوراة لهذه الفرية فتقول :

كان يهوذا هذا قد ماتت زوجته وبينما هو منعزل فى مكان ما إذ أخبر جزار غنمه بأنة صاعد إلى مكان كذا ليتفقد الأغنام . فأخبرت زوجة ابنه بأن حميها يهوذا صاعد إلى ذلك المكان . وهنا نستمع إلى التوراة وهى تكمل القصة :

« وأخبرت ثامار ــ زوجة ابن يهوذا ــ وقيل لها هوذا حموك صاعد إلى تمنة ــ اسم موضع ــ ليجز غنمه . فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع ، وتلففت وجلست فى مدخل عيتايم ــ اسم موضع ــ التى على طريق تمنة . فنظرها يهوذا وحسبها زانية ، فمال إليها على الطريق . وقال : هاتى : أدخل عليك ؟!فقالت: ماذا تعطينى لتدخل علىَّ ؟! فقال : إنى أرسل جدى معزى من الغنم ، فقالت : هل تعطينى رهنا حتى ترسله ..؟!
فقال : ما الرهن الذى أعطيك ..؟!
فقالت : خاتمك وعصابتك وعصاك التى فى يدك ..؟!
فأعطاها ودخل عليها وحبلت منه »(٢٦) ؟!

---

٢٦ ــ سفر التكوين : الإصحاح (٣٨) الفقرات (١٣ ــ ١٩) .

وتروى التوراة بعد ذلك أن ثامار ولدت ولدين دعت أحدهما زارح والثانى فارص .؟!

ولكنها حين ولدت ذهب ناس إلى يهوذا وأخبروه قائلين : إن زوجة ابنك قد ولدت من زنى ..؟!

فاشتد غضب يهوذا ، وجاء إلى زوجة ابنه يسألها من فعل بهـا هذا الفعـل القبيح ؟!

فأخرجت له خاتمه وعصابته وعصاه التى كان قد رهنها لها حين زنى بها ريثما يرسل لها جدى المعزى الذى لم يرسله ..؟!
فعرف أنه هو الزانى . فسكت ولم يعاقبها ..؟!!!
فياللخزى .. ويااللعار .. إن سخونة « المقلب » الذى سقته ثامار لأبى زوجها المتوفى (يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم) لتستعر منها النار فى صحـف التوراة كلها . أو إن برودة ذلك « المقلب » لتتجمد عنده كلمات التوراة كلها فلا يكاد ينطق بها لسان أو تتحرك بها شفة .

نصوص مقدسة ..هكذا يطلقون عليها . ودلالات مدنسة وهكذا نطلق نحن عليها . وهل بعد هذا التدنيس من دنس . فاللهم أرفع مقـتك وغضبك عنـا .. ولاتؤاخذنا بما يفعل أولئك السفهاء منا .؟! نحنِ معاشر البشر ..؟!

ثلاثة أنبياء أبوهم ولد زنى ..؟!

وبعد أتدرى عزيزى القارىء ماسيترتب على هذا الباطل الذى ترويه هذه النصوص المقدسة ؟!

إن ثلاثة من الأنبياء الكبار أبوهم سيصبح ولد زنى ، وهم : داود وسليمان وعيسى (عليهم السلام) فجدهم الأعلى هو فارص هذا الذى ولدته ثامار عن طريق الزنا من يهوذا ...؟!

نعم . أولئك الأنبياء الثلاثة العظام ينحدرون من سفاح، حسب رواية

التوراة . ويؤكد كتاب العهد الجديد ــ واضعو الأناجيل ــ هذه الفرية فهم – بلا شك – مطلعون على أسفار العهد القديم ، عالمون بالسقطات المزرية التى وردت فيه فى حق الرسل ، واقفون على ماذكرته التوراة فى حق يهوذا الذى أولد عن طريق السفاح زوجة ابنه « ثمار » ولدين هما : زارح وفارص . فهما ابنا زنى حسب هذه الرواية ، ومع هذا يؤكدون فى سلسلة نسب المسيح (علية السلام) هذا الزعم . فاسمع إلى متى إذ يقول فى إنجيله المعروف باسمه :

« كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ، ابن إبراهيم . إبراهيم ولد إسحق ، وإسحق ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يهوذا ، ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار » ؟!

ثم يقول فى نهاية شجرة النسب :

« ومتان ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى منها يسوع المسيح »؟![٢٧]

وهكذا تدرك فى وضوح من رواية التوراة ، وإنجيل متى أن كلا من داود ، وسليمان ، وعيسى (عليهم السلام) جدهم هو فارص الذى حملت به أمه ثامار سفاحا من يهوذا بن يعقوب مقابل جدى معزى لم يعطه الزانى لمن زنى بها ..؟!

فالمسألة كلها خداع فى خداع . ودنس فى دنس . فما رأى القارىء ــ حماه الله ــ فى تصورات الكتاب المقدس بعهديه : قديمه وجديده . قف قليلا وأصدر حكمك الصواب . فقد ماز الله الحق من الباطل .

وداود يزنى ..؟! ويقتل زوج عشيقته ..؟!

الزنا فى التوراة كشرب الخمر، ماأيسر ممارستهما عند الأنبياء حسبما

---

٢٧ ــ انجيل متى : الإصحاح (١) الفقرات (١ ــ ١٥) .

تزعم النصوص المقدسة . والحديث عن زنى يهوذا بن يعقوب بزوجة ابنه وثيق الصله بما لطخت به التوارة سيرة داود (عليه السلام) **فهو** فيها زان كيهوذا . وإذا كان يهوذا قد زنى بامرأة ابنه ثامار فإن داود قد زنى — في التوراة — بزوجة قائد جيشه أوريا ، ولكنه لم يكتف بجريمة الزنى ، بل ضم إليها جريمة أخرى ، وهى قتل أوريا زوج عشيقته التى زنى بها . ليخلو الجو لدواد التوراة ؟! فيبيض ويصفر ..؟!

أما القصة كاملة :كيف زنى داود ، وكيف قتل زوج العشيقة ؟ وما عاقبة ذلك كله . فاسمع إلى التوراة الأمينة على حفظ « الوحى « الحريصة على نقاء سيرة الرسل . اسمع إليها وهى تقول :

« كان فى وقت المساء أن داود قام عن سريره . وتمشى على سطح بيت الملك **فرأى من على السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً** ؟!

« فأرسل داود وسأل عن المرأة . فقال واحد : أليست بثشيع بنت اليعام امرأة أرويا الحثى .؟! **فأرسل داود رسلاً وأخذها** فدخلت إليه **فاضطجع معها** ، وهى مطهرة من طمثها . ثم رجعت إلى بيتها . **وحبلت المرأة** . فأرسلت وأخبرت داود وقالت **إنى حبلى** ؟! فأرسل داود إلى يؤاب يقول : أرسل إلىَّ أوريا الحثى . فأرسل يؤاب أوريا إلى داود . فأتى أوريا إليه . وسأل داود عن سلامة يؤاب وسلامة الشعب ونجاح الحرب . وقال داود لأوريا : انزل إلى بيتك واغسل رجليك . فخرج أوريا من بيت الملك . وخرجت وراءه حصة من عند الملك . ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ، ولم ينزل إلى بيته . فاخبروا داود قائلين : لم ينزل أوريا إلى بيته فقال داود لأوريا : أما جئت من السفر ؟! فلماذا لم تنزل إلى بيتك ؟

فقال أوريا لداود : إن التابوت ويهوذا ساكنون فى الخيام وسيدى يؤاب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء وأنا آتى إلى بيتى لآكل وأشرب

وأضطجع مع امرأتى ..؟! وحياتك وحياة نفسك لاأفعل هذا الأمر ؟!
فقال داود لأوريا : أقم هنا اليوم أيضاً وغدا أطلقك ؟!

فأقام أوريا فى أورشليم ذلك اليوم وغده . ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره . وخرج عند المساء ليضطجع فى مضجعه مع عبيد سيده . وإلى بيته لم ينزل ؟!»

وفى الصباح كتب داود مكتوبا إلى يؤاب وأرسله بيد أوريا . وكتب فى المكتوب :

« اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة ، وارجعوا من ورائه فَيُضْرَبُ[٢٨] ويموت ؟!

« وكان فى محاصرة يؤاب المدينة أنه جعل أوريا فى الموضع الذى علم **أن رجال البأس فيه** . فخرج رجال المدينة وحاربوا يؤاب . فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثى أيضا . فأرسل يؤاب وأخبر داود بجميع أمور الحرب . .. .

« فذهب الرسول ودخل وأخبر داود بكل ما أرسله فيه يؤاب

. . . .

« ولما سمعت امرأه أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها .ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا . وأما الأمر الذى فعله دواد فقبح فى عينى الرب »[٢٩]؟!!!

ذلك هو نص التوراة .حرصنا على ذكره بتمامه – تقريباً – لأن التوراة لولم يرد فيها إلا هذا المقطع من الكلام لكان كافيا فى إسقاطها من حسابات المؤمنين . وكل من عنده حظ من سلامة التفكير وحرية الرأى ..!؟

---

٢٨ ـــ الفعل « فيضرب » مبنى للمجهول : يعنى يضرب الأعداء أوريا ويموت من ضربهم ؟! .
٢٩ ـــ سفر صموئيل الثانى : الإصحاح (١١) الفقرات (٢ ـــ ٢٧) مع الحذف .

؛ لأن ما تصف به التوراة داود ـــ هنا ـــ ليس هينا ..؟

★ فهو زان بحليلة جاره وقائد جيشه ؟!

★ وهو مخادع محتال أراد أن يتحلل من جريمته (حبل المرأة التي زنى بها) باستدعاء زوجها من جبهة القتال ليعاشر زوجته الزانية وينتسب إليه الجنين الذى فى بطنها من داود ؟!

★ وهو محتال مرة أخرى حين سقى أوريا خمرا حتى أسكره وهدفه من ذلك أن يغيب الرجل عن وعيه فيذهب الى زوجته ويعاشرها . لما رأى داود أن أوريا لم ينزل إلى بيته تقديراً لظروف الحرب التى كانت تخوضها مملكة داود .

★ وهو مخادع متآمر دبر حيلة يتخلص بها من زوج عشيقته . فأمر بأن يُدفع بأوريا إلى مقدمة القتال مع العدو وأن يتأخر عنه الجنود حتى يسهل على الأعداء قتله . وقد نفذ يؤاب أوامر النبى الملك وانتهى الأمر بقتل أوريا كما أحب داود ..؟!

★ وهو خائن غير حافظ للود ، فبعد موت أوقتل أوريا أرسل إلى زوجته وأصبحت له امرأة وأولدها ولداً هو ابنه سليمان النبى ..؟!!

★ وهو فاجر لاحياء عنده . يتلصص ببصره على محارم الجيران ويتأمل عورات نسائهم حتى يقود بصره قلبه إلى « الغواية » واستشهاء امرأة جاره وأحد رجال جيشه ..؟!

★ وهو فاجر منزوع الحياء – مرة أخرى – فحين أعجب بالمرآة أرسل رسلاً « عصابة » لتحضر له المرأة من مخدعها وتدخل عليه عيانا بيانا ويعاشرها حراما تحت علم وبصر الرقباء من رجال حاشيته..؟!!

★وهو لئيم كفور بالمعروف . يجازى على المعروف بالمنكر ، ويسىء إلى من أحسن إليه . فأوريا رجل مخلص ذو مشاعر نبيله أبى أن يركن إلى حظ

نفسه فرفض الدخول على زوجته . وعزف عن الأكل والشرب ونام على بوابة بيت الملك وفاء له وحبا . ومراعاة لظروف الحرب ومرابطة الجنود فى الصحراء ومع هذا . فبدلاً من أن يحسن إليه داود دَبَّرَجِيلَةً لقتله
ثم دخل على أرملته بعد موته وجعلها له ...؟!

هذا ما تصف به التوراة المقدسة ؟! داود (عليه السلام)

ومثلما ورطت التوراة داود ورطت ابنه سليمان (عليهما السلام) فجعلت أمه زانية ، كما جعلت جده الأعلى وأباه الأعلى من قبل (يهوذا - وفارص) أولهما زانيا والثانى ابن زنى ..؟!

ويترتب على هذا كله مأزق خطير جداً من المحال أن تجد منه التوراة فكاكا ..؟!

ذلك أن التوراة تذكر فى مواضع متعددة أن أولاد الزنا لايدخلون فى جماعة الرب إلى الجيل العاشر فكيف دخل سليمان فى جماعة الرب « الأنبياء » وهو من الجيل الأول لأبيه وأمه ؟!

أم أن الأنبياء ليسوا من « جماعة الرب » وإذا لم يكن الأنبياء من قمة « جماعة الرب » فمن يكونون جماعة الرب إذن ؟!

ويؤكد العهد الجديد هذا الزيف مرة أخرى فيقول مَتَّى فى إنجيله :« وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريا »(٣) ؟!
بل كيف دخل داود نفسه فى جماعة الرب وهو من نسل فارص ابن الزنى ؟!

ولن نسترسل إلى أكثر من هذا . ويكفى أن نقول إن التوراة كجسم معلول أين تلمسه يسيل قيحه وصديده ؟!

وهذا الكلام الذى تذكره ليس مكانه كتاب مقدس . بل من حقه أن

---

٣٠ ـ الإصحاح الأول فقرة (٦) .

يضاف إلى كتاب ..ألف ليلة وليلة .. ولابأس أن تزيد لياليه ليلة أخرى أو ليلات أخريات بقدر ماتتسع لخرافات التوارة وخيالاتها وأوهامها وأراجيفها وأباطيلها .

فَإِنْ تعصب الأدباء والقُصَّاص الخياليون لألف ليلةوليله .وأبوا أن تضاف إليها « أدناس » التوراة فهم على حق ؛ لأنهم لايرون فى « ألف ليلة وليلة » شيئا أكثر من الخيال الخصب . أما أصحاب التوراة فيرون أن كل ما فيها « حقائق » تصنع العقيدة . وتوجه السلوك والفرق بين النظرتين عميق .. وخطير .. ؟!

وسليمان : يرتد ويعبد الأصنام من أجل شهواته..؟!

لم تكتف التوراة فى تلطيخ سيرة سليمان (عليه السلام) بجعل الزنى محيطا به من جهة جديه الأعليين (يهوذا وفارص) ومن جهة أبيه الأدنى (داود) ومن جهه أمه المباشرة (زوجة أوريا) ؟!
لم تكتف بهذا كله ، وإنما جعلت نهاية سليمان أسوأ نهاية فى تاريخ الرسل والرسالات ..؟!

فسليمان – بعد ذلك – يرتد ويعبد الأصنام كافراً بعقيدة التوحيد التى من أجلها أرسل الله كل رسله ومن أجل أى شيء ارتد سليمان ؟!

تتطوع التوراة المقدسة فتقول من أجل شهواته الجنسية ..هكذا والله ..؟!

فاسمع إلى التوراة المقدسة وهى تقول :

« أحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون : مؤابيات وعمونيات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال الرب لبنى إسرائيل لاتدخلون إليهم وهم لايدخلون إليكم ؛ لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة **وكانت له سبعمائة من النساء السيدات ؟! وثلاثمائةمن السرارى ؟!**

وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ،

ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه ؟! فذهب سليمان وراء **عشتورت** إلاهة الصيدونيين ؟! **وملكوم** رجس العمونيين ؟! وعمل سليمان الشر في عيني الرب ، ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه ؟!
حينئذ بنى سليمان مرتفعة **لكموش** رجس المؤابيين على الجبل الذى تجاه أورشليم **ولمولك**[31] رجس بنى عمون . وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللاتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن ؛ فغضب الرب على سليمان ، لأن قلبه مال عن الرب إله بنى إسرائيل الذى تراءى له مرتين ؟! وأوصاه فى هذا الأمر أن لايتبع آلهة أخرى . فلم يحفظ ماأوصى به الرب . فقال الرب لسليمان : من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها . فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقا ، وأعطيها لعبدك . إلا أنى لاأفعل ذلك فى أيامك من أجل داود أبيك . بل من يد ابنك أمزقها على أنى لاأمزق منك المملكة كلها بل أعطى سبطا واحدا لابنك لأجل داود عبدى ولأجل أورشليم التى اخترتها »[32] ؟!!

كل كلمة مما تقدم عن سليمان (عليه السلام) تنبىء عن الوضع والتحريف سواء نظرت إلى عدد نساء سليمان ، وسراريه البالغ ألف سيدة وسرية . أو نظرت إلى صلب الفرية ، وهى ارتداد سليمان (عليه السلام) فى آخر حياته وعبادته لآلهة قبائل نسائه . أو نظرت إلى العقاب الذى هدد به الرب سليمان ، وهو عقاب قد تنازل فيه « الرب » خطوة خطوة حتى لم يبق منه شىء فى آخر الأمر .؟!!

كل هذا ينبىء فى وضوح عن تحريف سيرة سليمان حتى لولم يكن لدينا مصدر آخر يبرىء سليمان وكل الرسل الذين لطخت التوراة سيرتهم بأرجاسها وأدناسها ..؟! لولم يكن لدينا ذلك المصدر ، وهو القرآن الأمين ، لاهتدينا إلى حقيقة الوضع والتحريف فى توراة القوم المقدسة ؟!

ونكاد نجزم بأن محرفى التوراة ، ومثلهم محرفو الإنجيل ، حين أفسدوا

---

٣١ ــ الكلمات الأربع المفردة المكتوبه بالخط الأسود أسماء أصنام ..
٣٢ ــ سفر الملوك الأول : الإصحاح (١١) الفقرات (١ ــ ١٣) .

ما أفسدوا من كتبهم ، **لم يكونوا يتوقعون أن للوحى جولة أخرى ، وله معقب أمين صادق ، سيأتى وسيفضح مواقفهم المخزية من كتب الوحى ، ويعلم الناس كيف يكون الإيمان الحق بالله ، وبملائكته ، وبرسله ، وبوحيه ويفرق فى وضوح ويقين بين ماهو وحى خالص أودع الله فيه « كلمته الأخيرة » فى الوجود كله وحفظه من كل سوء ، وبين ماهو قد أخضعه البشر لأهوائهم فحرفوه وبدلوه وملأوه بالباطل** .نعم لم يكونوا يتوقعون حدوث هذا الأمر العظيم ولو أنهم توقعوا لما وَرَّطُوا كتبهم وعقائدهم ، ولما لطخوا سير أنبيائهم . فلما وقع مالم يتوقعوه يقينا ، وكان أمرهم قد انتشر وعرف أخذتهم العزة بالإثم ، وأملى عليهم الشيطان أوهامه ، فراحو يدافعون عن الباطل بباطل مثله . وحسبوا أن فى وضع « الصفر » بجوار « الصفر » قيمة . فإذا بأصفارهم جميعا تعود إلى قيمة « الصفر » الأول الذى أرادوا تعزيزه بجملة من « الأصفار » وقيمة الصفر مهما تعدد أو انفرد أنه « لاقيمة له » ؟! .

فالقوم جميعا : أصحاب العهد القديم وأصحاب العهد الجديد جهلوا ، وما يزالون يجهلون فى جانب الله أنه : ﴿ ليس كمثله شيء ، وهو السميع العليم ﴾

وجهلوا ، ومايزالون يجهلون فى جانب ملائكة الله أنهم ﴿ لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون ﴾؟![٣٣]

وجهلوا ، ومايزالون يجهلون فى جانب رسل الله أن ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ .

وجهلهم بهذه القيم هو الذى أرداهم . أجل لقد جهلوا كل شيء إلا الجهل فقد علموه ؟ إن كان فى العلم بالجهل علم ؟!

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

---

٣٣ ــ التحريم آية ٦ .

الفصل السادس

الإنسان فى التوراة

الإنسان موضوع دراسة متعددة القسمات لم يخل عمل فكرى أو فلسفى أو اجتماعى من التعرض له ، والبحث فيه من حيث المنشأ والتطور والمصير وعلاقته بالكون ، ومركزه فيه ، وحقوقه وواجباته ، وصلته بأخيه ، ووظيفته فى الحياة .

وتختلف المناهج الفكرية البشرية حول بعض التصورات فى هذه المجالات ، وتتفق حول بعض التصورات الأخرى مع التباين أحيانا فى كل من المختلف فيه ، والمتفق عليه .

والإنسان ــ بدوره ــ موضوع اختبار فى التوراة للتوراة نفسها . أو هو المحك الخطير – بعد ما تقدم ــ لنجاح التوراة أو سقوطها حسب وضع الإنسان فيها فياترى : ما هو التصور الذى تقدمه لنا التوراة حول الإنسان؟!

أهو تصور يتفق مع نظرة الإنسان إلى نفسه من حيث أنه إنسان ؟!
أم هو تصور تصطدم به مشاعر الإنسان فيزهد فى التوراة وتصوراتها ، بل يقف منها موقف المظلوم الساخط ، لما يلحقه من ذلك التصور من أذى واتضاع واضطهاد؟!

والأمر ــ حتى هذه اللحظة من الدراسة ــ ربما كان مجرد احتمال لكلتا النتيجتين : نجاح التوراة فى هذا الفرع أو سقوطها .

ولكن الشواهد الناطقة التى تقدمت حول تصورات التوراة فى الله ، وفى الملائكة ، وفى الأنبياء والرسل . وفى النبوة نفسها ترجح جانب التردى والسقوط ، على جانب النجاح .

فكتاب يقال أنة مقدس يهون شأن الله فيه ، ويهون شأن الملائكة ،

ويهون أو قل ينحط شأن النبوة والأنبياء والرسل ، لاينتظر أن يعزفيه شأن الإنسان . فالليلة بنت البارحة كما يقولون ، وما بالطبع لايتخلف ولن يتخلف .

إن سقوط التوراة فى خطأ التصور فى « الله » وحده كاف فى سقوطها فيما عداه وسقوطها فى جانب خطأ التصور فى الملائكة والنبوة والأنبياء والرسل أدلة قاطعة على خطأ التصور فى الإنسان ثم سقوطها للمرة الرابعة فيه ؛ لأن الخطأ فى التصور فى الله والملائكة ، والأنبياء والرسل خطأ تصور فى فهم الأصول . والخطأ فى فهم الأصول مقدمة يقينية للخطأ فى فهم الفروع . ففهم الأصول هو فهم الكليات والقواعد ، وفهم الفروع هو بمثابة التطبيق العملى لفهم الأصول والقواعد الكلية .

فالتلميذ الذى لايحسن فهم قاعدة إيجاد محيط المثلث ــ مثلا ــ وهى نصف القاعدة فى الإرتفاع ، أو القاعدة فى الإرتفاع مقسوماً على اثنين ، ليس فى وسعه أن يحصل على محيط مثلث ما .

وكذلك التوراة ، فإن خطأ تصورها فى تلك الأصول والقوانين الكلية يؤهلها لأن تسقط ــ بجدارة ــ فى مجالات التطبيق عليها . وهذا هو ما سوف نراه يقينا فى السطور الآتية :

إن الإنسان ، من حيث أنه إنسان ، يهمه فى حياته ثلاثة أمور هى أغلى ــ عنده من الحياة نفسها . وهى :

* حرية مهذبة يستمتع بشذاها وبها فى حله وترحاله .
* ومساواة ترفع قدره فلا سيد لأحد ، ولا أحد سيد له .
* وعدالة يستمتع فى ظلها بكل حقوقه ، وتعينه على أداء واجباته .

هذه القيم التى كاد يجمع عليها المفكرون الفلسفيون ما هو موقف نصوص التوراة المقدسة منها ؟ أهى مرعية فيها ؟ أم مهدرة مثل كثير من القيم الأخرى ؟

ولنقم ـــ نحن ـــ الآن بدور الوسيط بين القارىء وبين نصوص التوراة المقدسة ، وهى التى ستفصل ـــ مع تدخل الوسيط من جانبنا ـــ فى هذا الفرع ، وتجيب على السؤال : أنجحت التوراة فيه أم سقطت ، بكل صراحة ووضوح !؟

ومدار كلام التوراة عن تصورها فى الإنسان هى أن تفرق بين نوعين من بنى البشر .

نوع ينحدر عن يعقوب ـــ عليه السلام ، والمسمى إسرائيل أى أمير الله باللغة العبرية . والذى ينتسب إليه كل بنى إسرائيل ، ويسمون باسمه .

أما النوع الثانى فهو كل من عدا اليهود أو بنى إسرائيل من الشعوب الأخرى المنتشرة فوق سطح الأرض .

ولكى يسهل علينا تصور التوراة عن الإنسان نذكر نصوصها حسب ما جاء فى بعض أسفارها بالترتيب الموجودة عليه تلك الأسفار ثم نعقب بإبراز ما تفيده النصوص ، على أننا لن نذكر كل نصوصها فى هذا المجال خشية الإطالة :

سفر اللاويين :

« وكل أجنبى لا يأكل قدساً . نزيل كاهن وأجيره لايأكل قدساً .. وإذا صارت ابنة كاهن لرجل أجنبى لاتأكل من رفيعة الاقداس . وأما ابنة كاهن قد صارت أرملة أو مطلقة ولم يكن لها نسل ورجعت إلى بيت أبيها كما فى صباها فتأكل من طعام أبيها لكن كل أجنبى لايأكل منه »[1]

وقفة مع هذا النص :

المراد من الأجنبى ـــ هنا ـــ هو غير اليهودى ،وكذلك نزيل الكاهن وأجيره من غير اليهود . وحكم هذا الأجنبى أنه لاياكل طعام كاهن اليهود ؛ لأن

---

١ ـــ الاصحاح (٢٢) الفقرات (١٠ ـــ ١٣) .

الأجنبى نجس ، وأكله من طعام الكاهن ينجس الطعام ؟! لالشيء إلا لأنه غير يهودى ..؟!

وتسرى النجاسة من الأجنبى إلى بنت الكاهن إذا تزوجت من الأجنبى . وهى مادامت زوجة للأجنبى لاتأكل من طعام أبيها حتى لاتنجسه ..؟!

ولكن إذا مات الأجنبى زوج ابنة الكاهن ، أو طلقها وعادت إلى بيت أبيها فإنها تأكل من طعامه ولكن بشرط مهم ، وهو أن لاتكون قد أنجبت من ذلك الأجنبى . أما إن كانت قد أنجبت فإنها لاتأكل ؛ لأن نجاستها قد صارت أبدية .. والسبب أنها تزوجت وأنجبت من أجنبى غير يهودى ..؟!

« وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك ، فمن الشعوب الذين حولكم . منهم تقتنون عبيداً وإماءً . وأيضا من أبناء المستوطنين النازلين عندكم ، منهم تقتنون ، ومن عشائرهم الذين عندكم ، الذين يلدونهم فى أرضكم ، فيكونون ملكاً لكم . وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك ؟! تستعبدونهم أبد الدهر .؟!

وأما إخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف[2] »

ووقفة مع النص :

الموضوع : كيف يتخذ اليهودى عبيداً وإماءً من الذكور والإناث ؟!
وفتوى التوراة : أن مصدر الاستعباد الوحيد لليهود هو الشعوب المجاورة لهم :
أو بعبارة أوضح : كل الشعوب غير اليهود يصلحون أن يكونوا عبيداً لليهود رجالهم وأطفالهم ونساؤهم .

وكذلك من نزح إلى ديار بنى إسرائيل من أولئك الشعوب وعاشوا بينهم ، على اليهود أن يتخذوا منهم ، ومن ذرياتهم الذين ولدوا بينهم عبيداً وإماء . يملكونهم مدى الحياة ، ثم تنتقل ملكيتهم إلى أبناء اليهود من بعدهم .

---

٢ ــ الإصحاح (٢٥) الفقرات (٣٩ ــ ٤٦) .

فيكونون لهم عبيداً أبد الدهر ..؟!

أما استعباد اليهودى ليهودى آخر فحرام حرام . وفى هذا تقدم التوراة المقدسة هذا القرار الصارم :

« وأما إخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف » ؟!

« وأجعل سلاماً فى الأرض ، فتنامون وليس من يزعجكم وأبيد الوحوش الرديئة من الأرض . ولا يعبر سيف فى أرضكم . وتطردون أعداءكم فيسقطون أمامكم بالسيف يطرد خمسة منكم مئة . ومئة منكم يطردون ربوة ، ويسقط أعداؤكم أمامكم بالسيف وألتفت إليكم وأثمركم وأكثركم وأفى ميثاقى معكم ، فتأكلون العتيق المعتق . وتخرجون العتيق من وجه الجديد .**وأجعل مسكنى فى وسطكم** ، ولاترذلكم نفسى . **وأسير بينكم . وأكون لكم إلهًا ، وأنتم تكونون لى شعباً** .؟!

معنى هذا الكلام :

ليس لله من خلقه سوى بنى إسرائيل . فهو إلههم وحدهم ، وليس للشعوب الأخرى إله ..؟!

فبعد أن يبيد الله أعداء بنى إسرائيل – كل شعوب الأرض – ويهلك حتى الوحوش الرديئة . يلتفت إلى بنى إسرائيل – فيثمرهم ، ويكثرهم ، ويورثهم الأرض بمقتضى الميثاق . ثم يسكن الله (؟!!) فى وسطهم ، ويسير معهم . وبعد أن تخلو الأرض من ساكنيها من غير اليهود . يحلو الجو لبنى إسرائيل ، فيكون الرب لهم إلهًا وهم يكونون له شعبا ..؟!

سفر العدد :

« الأرض التى مررنا فيها لنتجسسها . الأرض جيدة جداً جداً إِنْ سُرَّبنا (٣)

---

٣ ــ سُرَّ : فعل ماض أى فرح بنا الرب .

الرب يدخلنا إلى هذه الأرض ، ويعطينا إياها أرضا تفيض لبنا وعسلًا . إنما لاتتمردوا على الرب . ولاتخافوا من شعب الأرض ؛ لأنهم خبزنا قد زال عنهم ظلهم . والرب معنا لاتخافوهم» (٤)

موضع الشاهد فى هذاالنص .

سقنا هذا النص بتمامه من أجل الاستشهاد بفقرتين فيه إحداهما نظرة التوراة إلى الشعوب من غير اليهود ، وقد عبر عنها النص بأن تلك الشعوب إنما هم « خبز إسرائيل » أى طعامهم الحلال ..؟!

والفقرة الثانية حصر « معية الرب » لهم ، وهى فكرة عنصرية الإله التى تستبد بنصوص كثيرة واردة فى التوراة ..؟!

سفر التثنية :

فى سفر التثنية تتشدد نصوص التوراة فى النزعة العنصرية لبنى إسرائيل . فتغريهم بجميع شعوب الأرض . فلا حرمة لمال ولا لعرض ولا لدم .

وتزعم نصوص هذا السفر ، كنصوص أسفار كثيرة بعده أن بنى إسرائيل هم صفوة الله من خلقه . وهم أعلى شعوب الأرض على الإطلاق وهذه النصوص ومثيلاتها هى التى صنعت النزعة العنصرية التى ما تزال تسيطر على عقائد اليهود وسلوكهم إلى الآن . ومما جاء فى ذلك من سفر التثنية مايأتى :

« متى (٥) أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوبا كثيرة من أمامك .... فإنك تحرمهم ولاتقطع لهم عهداً ولاتشفق عليهم ، ولاتصاهرهم ...... لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك . إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ......

---

٤ ــ الإصحاح (١٤) الفقرات (٨ ــ ٩) .

٥ ــ تقدم الاستشهاد بهذا النص فى غير هذا الموضع والمقام هنا يقتصيه .

« يحفظ لك الرب إلهك العهد والإحسان اللذين أقسم لآبائك ، ويحبك الرب ويباركك ويكثرك ، ويبارك ثمرة بطنك ، وثمرة أرضك :
قمحك وخمرك وزيتك ونتاج بقرك وإثاث غنمك .. مباركا تكون فوق جميع الشعوب . لايكون عقيم ولاعاقر فيك ولافى بهائمك .... وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك لاتشفق عيناك عليهم ..... ؟!!

« والزنابير أيضا يرسلها الرب إلهك عليهم حتى يفنى الباقون والمختفون من أمامك . ؟!! » .

« لاترهب وجوههم لأن الرب إلهك فى وسطك إله عظيم مخوف . ولكن الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلا قليلا .... ويدفعهم الرب إلهك أمامك ، يوقع بهم اضطرابا عظيما حتى يفنوا . ؟!!
ويدفع ملوكهم إلى يدك فتمحو اسمهم من تحت السماء . ؟!!
لايقف إنسان فى وجهك حتى تفنيهم ..[٦]

وقفة مع هذا النص :

نظرة خاطفة على هذا النص تريك أن الكرامة والعزة والقداسة والحب والبركة والنصر عند « الله » إنما هى أمور خاصة ببنى إسرائيل ؟! لأنهم هم وحدهم ـــ فى نظر التوراة المقدسة ـــ هم الناس ... ؟!

ومن أجل ذلك فالله معهم وحدهم يباركهم فوق جميع شعوب الأرض ، وهذه البركة ليست مقصورة على « اليهود » البشر . بل تشمل حتى بهائمهم . فهى سعيدة مباركة مثلهم ؟!!

وحتى نتاج الأرض . القمح والحنطة والزيت . وحتى الخمر فإن « الله » يباركها لهم .. إنها لخمر سعيدة مباركة مثلهم أيضا .

---

٦ ـــ الإصحاح (٧) الفقرات مختارة من أوله إلى آخره .

أما الشعوب الأخرى التى لم يسعدها القدر فلم تكن من نسل يعقوب المسمى « إسرائيل » أما تلك الشعوب فلهم الويل ثم الويل . يسلط « الله » عليهم الزنابير فتطردهم من أمام « أحباء الله » اليهود حتى يفنوا جيمعاً شعوبا ، وملوكا . وتمحو قوافل إسرائيل اسم أولئك الشعوب وملوكهم من تحت السماء .. ؟!!

« حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح ، وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك .. ؟!!

وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها . وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك **فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ؟!!**

وأما النساء والأطفال والبهائم .. فتغنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً .... وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منهم نسمة » (٧) .

ووقفة أخرى مع هذا النص :

يحدد هذا المقطع التشريعى علاقة بنى إسرائيل بغيرهم من الشعوب . وقد قسم الشعوب قسمين : قسم قريب من بنى إسرائيل ــ أى مجاور لهم فى المكان ــ وقسم بعيد عنهم جداً . ولكل منهما حكم واجب التنفيذ . ؟! فالقسم البعيد جداً يدعى أولاً إلى الصلح . فإن أجاب فبمجرد إجابته للصلح يقع فى أغلال العبودية لبنى إسرائيل رجالهم ونساؤهم وأطفالهم وإذا تمرد وحارب ، ونصر الرب بنى إسرائيل عليهم ، ولابد أن ينصرهم ، فالحكم يختلف نوعا ما عن الحالة الأولى .. ؟!

---

٧ ــ الإصحاح (٢٠) الفقرات (١٠ ــ ١٨) .

لأن الواجب ـــ هنا ـــ التفرقة بين الذكور وبين النساء والأطفال **فالذكور يقتلون بحد السيف بلا رحمة ؟!!**

وأما النساء والأطفال والبهائم **فتصير غنيمة لبنى إسرائيل** ... ؟!! وأما الشعوب القريبة المجاورة لشعب الله المختار ـــ بنى إسرائيل ـــ **فهؤلاء** يقتلون جميعاً رجالاً ونساء وأطفالاً ولا تُستَبقى منهم نفس واحدة على قيد الحياة ؟!!

ذلك مايحدده هذا النص التشريعى المقدس . ويسكت النص ، كما يسكت غيره عن أسباب حروب بنى إسرائيل لشعوب الأرض . فهل هى حروب من أجل دعوة تلك الشعوب إلى الدخول فى الدين ؟ كلا . فاليهود لايريدون أن يكون أحد من غير بنى إسرائيل يهوديا وإنما سبب تلك الحروب هو التسلط على تلك الشعوب . والأهداف المقصودة منها إما الإبادة وإما الاستعباد ، ولاشىء غيرهما .. ؟!

« إذا خرجت لمحاربة أعدائك . ودفعهم إلهك إلى يدك ، وسبيت منهم . ورأيت فى السبى امرأة جميلة المنظر ، والتصقت بها واتخذتها لك زوجة . فحين تدخلها إلى بيتك تحلق رأسها ، وتقلم أظافرها وتنزع ثياب سبيها عنها وتقعد فى بيتك وتبكى أباها وأمها شهراً من الزمان . ثم بعد ذلك تدخل عليها وتتزوج بها فتكون لك زوجة » ؟!

مثلة . وطقوس غير مفهومة :

أما ترى ماأرى ـــ عزيزى القارىء ـــ أن فى هذا النص التشريعى المقدس مثلة بالمرأة الغريبة غير اليهودية إذا ساقها القدر فوقعت أسيرة فى أيدى اليهود ؟!

لماذا تحلق المرأة شعر رأسها ؟! أليس المقصود من ذلك إذلالها طبعا ؟! واذا تجاوزنا شناعة هذا التمثيل بالأجنبيات فما معنى أن تبكى المرأة أباها وأمها شهراً من الزمن قبل أن تكون زوجة لمن أسرها ؟ وأعجب بها ومالحكم إذا لم

تساعدها عيناها على البكاء .. وما .. وما .. إنها طقوس غير مفهومة . ولو بالنسبة لنا على أقل احتمال .

« لايدخل مخصى بالرض ، أو مجبوب فى جماعة الرب لايدخل ابن زنى فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر ، لايدخل منه أحد فى جماعة الرب . لايدخل عمونى ولا مؤابى فى جماعة الرب إلى الأبد . من أجل أنهم لم يلاقوكم بالخبز والماء فى الطريق عند خروجكم من مصر(٨) »

حرمان أبدى .. ولماذا .. ؟!

المقصود من جماعة الرب هم المؤمنون . والإيمان لاعلاقة له بالأمراض العضوية مهما كان نوعها . يكفى أن يكون لدى الانسان فطرة سليمة ، وقلب طاهر ، وعقل مدرك فيصدق بكلمات الله ورسله ، وكتبه ، ووعده ، ووعيده ، ويعمل بشريعته ، فيكون مؤمنا من الأحقاء بالدخول فى جماعة الرب . ولكن التوراة تضع أمام إيمان المؤمنين عقبة كؤوداً فبعض المرضى كالخصى والمجبوب لايدخلون أبداً فى حظيرة الإيمان . ولماذا !؟ لأنهم مجبوبون أو مخصيون . ؟!

ولنا أن نسأل : ما علاقة العضو المعلول ــ هنا ــ بالإيمان والكفر والجواب الصحيح : لاعلاقة أبدا بينهما ولكن هذا هو منطق التوراة المقدسة من الإنسان وقضايا الإيمان .

وأبناء الزنا ماهو ذنبهم الذى جنوه حتى يطردوا من حظيرة الإيمان ؟ إن الجانى الحقيقى هنا هو الأب الزانى ، والأم الزانية ، لامن ولد عن هذه العلاقة المحرمة . فكان الأولى أن لايدخل الزناة آباء وأمهات فى جماعة الرب ؟!

ولكن ــ مرة أخرى ــ هذا هو منطق التوراة من الإنسان وقضايا الإيمان ؟!

---

٨ ــ الإصحاح (٢٣) الفقرات (١ ــ ٤)

ولاعلاقة أيضا للإيمان بالجنس أو اللون أو العنصر . فكل الناس صالحون لأن يكونوا مؤمنين إذا توافرت لهم أسباب الإيمان ، ولكن التوراة تقضى هنا بأن العمونيين والمؤابيين لايدخلون فى جماعة الرب إلى الأبد لماذا .. ؟! لأنهم لم يقدموا لبنى إسرائيل ــ شعب الله المختار ــ الطعام والماء حين خروجهم من مصر .. ؟!

ولاتظن ــ أيها القارى الكريم ــ أن الطرد هنا خاص بالعمونيين والمؤابيين ــ وأنا وأنت لسنا منهم ــ بل القضية عامة ؛ **لأن الحكم فيها مبنى على علة . والعلة تدور مع الحكم وجوداً وعدما** . وتلك العلة التى يستحق بها الإنسان الطرد من حظيرة الإيمان **هى عدم إكرام بنى إسرائيل ، وعدم التخفيف عليهم فى أزماتهم** . فكل من لم يكرم بنى إسرائيل ، ولم يقف معهم فى الأزمات **فهو عمونى مؤابى** . يعنى :

هو مطرود من جماعة الرب ، لايدخل حظيرة الإيمان إلى الأبد ؟! وإذا كان بعض الأمراض يطرد المصاب به من جماعة الرب . فإن بعضها الآخر يصبح المريض به نجسا فيطرد من المدينة المقدسة ، التى يسكن فيها الرب الإله . ومن هؤلاء المرضى « النجساء » الأبرص والذى به جرح يسيل دما أو قيحا . والحكم بالطرد أوالنجاسة مرهون على كلمة واحدة من « الكاهن » المقدس فيالهوان الإنسان فى توراة الهذيان ؟!

وإليك مايَقُصُّه سفر اللاويين فى هذا الشأن :

« فهو إنسان أبرص . إنه نجس ؟!. فيحكم الكاهن بنجاسته ؟!... والأبرص الذى تكون فيه الضربة . تكون ثيابه مشقوقة .؟! ورأسه يكون مكشوفا . ويغطى شاربيه ، وينادى (أنا) نجس (أنا) نجس ؟!

« كل الأيام التى تكون الضربة فيه يكون نجساً . إنه نجس ؟! يقيم وحده خارج المحلة يكون مقامه »(٩)

---

٩ ــ الإصحاح (١٣) الفقرات (٤٤ ــ ٤٦) وماقبلها ومابعدها .

ماذنبه ..؟! مسكين والله .؟!

ماذنب المريض ببرص أوغير برص حتى يستوجب اللعنة والطرد من جماعة الطهارة . ويالشقاء الإنسان تحت وطأة الكهان .؟!

المريض فى حاجة إلى مواساة تخفف عليه مرضه ، لاأن يضاعف عليه الإحساس بالألم فنصدر حكما باسم الوحى بأنه ملعون مطرود

دفع مردود :

وقد كان بعض الكتاب يدافعون عن التوراة هنا بأن البرص مرض وبائى والمراد من النجاسة العدوى .

ولكن علوم الطب الحديثة أثبتت ـــ يقينا ـــ أن البرص مرض غير وبائى وغير وراثى . فزال أمام هذا الكشف دفاع المدافعين .. وآل الموقف إلى هذا السوأل :

لوكانت التوراة وَحْيًا خالصا غير محرف لما خالفتها الاكتشافات العلمية قط ؟! لأن الوحى لايقول إلا حقائق . ولو قال الوحى أن البرص مرض وبائى معدٍ لكان كذلك إلى قيام الساعة ..؟!

فما هو موقف المدافعين الأذكياء من الاحتمالين الآتيين : ؟!

إن قلتم : إن هذا وحى قلنا لكم كذبتم ؛ لأن الوحى لايخطىء ..؟!

وإن قلتم من عمل كهانكم وهم بشر يخطئون ويصيبون . قلنا لكم : صدقتم وهذا هو المطلوب .

ويبقى بعد ذلك كله هـوان الإنسان فى توراة الكهان ..؟!!

مال اليهودى حرام ..ومال الأجنبى مباح .؟!

الحلال حلال . والحرام حرام ولاعبرة بحال الشخص المعامل بهما . فليس فى منهج العدل الإلهى حلال وحرام يتبدلان بالنسبة للشخص الذى تكون معه المعاملة ، بصرف النظر عن عقيدته وجنسه ، ولكن التوراة المقدسة التى

يدعى بعض الناس أنها ماتزال على الصورة التى أنزلها الله بها على موسى (عليه السلام) ، لكن هذه التوراة تهدر تلك « القيمة » التشريعية من حساباتها ، وتبيح من حرمات الأجنبى ــ غير اليهودى ــ ما تجزم بحرمته بالنسبة لليهودى .

دليل هذا ما تراه فى سفر التثنية الإصحاح الثالث والعشرين الفقرتين [١٩ ــ ٢٠] وهاك نصهما :

« لاتقرض أخاك بربا : ربا فضة أو ربا طعام ، أو ربا شيء ما ، مما يقرض بربا .

للأجنبى تقرض بربا .؟! ، ولكن لأخيك لاتقرض بربا ؟! لكى يباركك الرب إلٰهك فى كل ماتمتد إليه يدك فى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها ..؟!

علة تحريم الربا معروفة ، وهى أن لايستغل ذو المال حاجة المحتاجين إليه . فالمقترض لايقترض بربا إلا تحت تأثير ضغط شديد عليه من العوز والفاقة . وإذا استدت حاجته إلى المال قبل اقتراضه مهما أجحفت به شروط المرابى المستبد ؛ ولهذا حرم الله الربا ، وتوعد المرابين بمحق ثرواتهم لإذلالهم عباد الله ، وأكلهم أموالهم بالباطل .

وقد اعترفت التوراة بالظلم الواقع على المقترض بربا من المرابى الجشع . اعترفت به فى حق الإسرائيلى فحسب ، وحرمت على اليهودى أن يقرض أخاه اليهودى بربا مهما اختلف نوعه ..

أما بالنسبة للأجنبى مطلقا ــ أى غير اليهودى ــ فالتوراة تبيح لليهودى ، إن لم تكن آمرة إياه ــ أن يقرض الأجنبى بربا أيا كان نوعه . ربا فضة ، أو ربا طعام . وقد جعلت التوراة إقراض الأجنبى بربا إحدى دعامتين تستوجبان البركة من الرب الإله . والدعامة الثانية هى ــ طبعا ــ أن يتلطف اليهودى مع أخيه اليهودى فيقرضه قرضا حسنا لاربا فيه ..؟!

استعلاء الشعب اليهودى على جميع شعوب الأرض ..؟!

وتعد التوراة الشعب اليهودى بأنه هو سيد شعوب الأرض ، والمستعلى عليها . ينزل الرب الإله عليه بركات السماء ، ويفجر له بطون الأرض بالخيرات . فيسود ولايُسَاد ، ويَعْلو ولا يُعْلَى عليه ، ويُقْرِضُ المال — بربا طبعا — ولايَقْتَرِض هو من أحد .

ونسوق إليك نصاً بطوله من سفر التثنية كآخر عهد لنا به ، قد اشتمل على هذه الوعود المغرية . وعلى أكثر منها فاقرأه وتأمل :

« .... يجعلك الرب إلهك مستعليا على جميع قبائل الأرض ، وتأتى عليك جميع هذه البركات ... مباركا تكون فى المدينة ، ومباركا تكون فى الحقل ، ومباركة تكون ثمرة بطنك ، وثمرة أرضك ، وثمرة بهائمك ؟! نتاج بقرك ، وإناث غنمك ؟! مباركة تكون سلتك ، ومعجنك ، مباركا تكون فى دخولك ، ومباركا تكون فى خروجك ..؟!

«يجعل الرب أعداءك القائمين عليك مهزومين*أمامك ، فى طريق واحدة يخرجون عليك ، وفى سبع طرق يهربون أمامك .؟!

«يأمر لك الرب بالبركة فى خزائنك ، وفى كل ماتمتد إليه يدك . ويباركك فى الأرض التى يعطيك الرب إلهك يقيمك الرب **إلهك لنفسه شعبا مقدساً كما حلف لك** ... ؟!

« يفتح لك الرب كنزه الصالح السماء ؛ ليعطى مطر أرضك فى حينه . **ويبارك كل عمل يدك فتُقْرِضَ أمما كثيرة وأنت لاتَقْتِرِض** . ويجعلك الرب رأساً لاذَنَباً . وتكون فى الارتفاع فقط . ولاتكون فى الانحطاط...[١٠] »

لقد بلغت النعرة العنصرية فى هذا المقطع النهاية فى الغلو والإغراق . ورفعت الشعب اليهودى إلى الذروة فى التكبر والغرور .

١٠ — الإصحاح (٢٨) الفقرات (١ — ١٤) مع الحذف اليسير .

فلم يخلق الرب السماء إلا من أجل إدرار البركات عليهم ، ولم يخلق الأرض إلا من أجل إفراز الخيرات بين أيديهم ، متع الحياة الدنيا ، والمال هى لهم وحدهم .والغنى والثراء ، مضمون لهم بصكوك مقدسة . حتى أبقارهم ، وأغنامهم محظوظة مثلهم .

أما الشعوب الأخرى — كل الشعوب — فيهربون أمام هذا الشعب المقدس فى سبع طرق . ولكن يهربون إلى أين ؟!

إلى الهاوية — طبعا — مادام الربالإلههو الذى يطاردهم من أجل إسعاد شعبه المقدس ..؟!

عزرا ..وتأكيد النزعة العنصرية :

رأينا إلى أى مدىً أصل سفر التثنية النزعة العنصرية الحاقدة فى قُلوب وأفكار بنى إسرائيل ، حتى صارت جزءاً مقدساً من عقيدتهم الدينية .

ويأتى سفر عزرا بعد سفر التثنية فيؤكد ، مثل غيره تلك النزعة الحاقدة ، ويردد ما تكرر فى سواه . وقد اخترنا للقارىء مقطعاً واحداً من سفر عزرا ، تظهر فيه العقيدة العنصرية بوجه سافر بشع وإليك ذلك المقطع :

« والآن فماذا نقول ياإلهنا بعد هذا ؛ لأننا قد تركنا وصاياك التى أوصيت بها عن يد عبيدك الأنبياء قائلا :

« إن الأرض التى تدخلون لتمتلكوها هى أرض متنجسة بنجاسة شعوب الأراضى برجاستهم التى ملأوها بها من جهة إلى جهة بنجاستهم ؟!

والآن فلا تعطوا بناتكم لبنيهم ، ولاتأخذوا بناتهم لبنيكم ؟!
ولاتطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد . لكى تتشددوا وتأكلوا خير الأرض . وتورثوا بنيكم إياها إلى الأبد » ؟![١١]

---

١١ — الإصحاح (٩) الفقرات (١٠ — ١٢) .

إن نجاسة الشعوب غير اليهودية لم تكن مقصورة على ذواتهم وطعامهم وشرابهم ، ولكنها تعدتهم ــ فى نظر التوراة ــ إلى الأراضى التى كانوا يعيشون فيها .

وليس أمام الشعب اليهودى إلا أن ينقص على تلك الشعوب ــ ومعه الرب إلهه ــ فيبيدوهم ثم يمتلكوا أرضهم ويطهروها منهم ، ويتوارثوها ، هم وأبناؤهم إلى الأبد ..؟!

وقبل أن يتم لهم ذاك الفتح فعليهم أن يعتزلوا تلك الشعوب فلا يصاهروهم ، ولايطلبوا سلامتهم وخيرهم ؛ لأنهم شعوب نجسة لحما ، ودماً ، وأرضاً ..؟!

سفر أشعيا :

ويسهم أشعيا فى تلك الوعود الخادعة ، التى يسيطر بعدها بنو إسرائيل على شعوب الأرض . ونقدم من وعوده اثنين لهما صلة بما نقول ، فى الوعد الأول أظهر أشعيا« الرب الإله » بقائد مرور يقف على قمة مشرفة على جميع الشعوب . فما يكاد يرفع يده على تلك الشعوب حتى تنهض ــ المسكينة التى لارب لها فى التوراة ــ وتعمل حسبما أشار إليها الرب الإله قدوس إسرائيل .

وأطمع فى أن يشترك القارىء معى فى هذا الفهم ، وبعد اطلاعه على النص الآتى :

« هكذا قال السيد الرب : ها إنى**أرفع إلى الأمم يدى** ،وإلى الشعوب **أقيم رايتى** .فيأتون بأولادك فى الأحضان ؟ وبناتك على الأكتاف يحملن . ويكون الملوك حاضنيك ؟ وسيداتهم « تكون » مرضعاتك ..؟!

بالوجوه إلى الأرض يسجدون .؟! ويلحسون غبار رجليك فتعلمين (يخاطب أورشليم) أنى أنا الرب الذى لايخزى فتنظروه ؟!.... وأنا أخاصم مخاصمك (يخاطب شعب اليهود) وأخلص أولادك . وأطعم ظالميك لحم أنفسهم ؟! ويسكرون بدمهم ... فيعلم كل بشر أنى أنا الرب مخلصك وفاديك

عزيز يعقوب[١٢]» ؟! إلى هذا الحَدِّ يُدِلِّل الرب الإله قدوس إسرائيل : يدلل شعبه المختار ، فيجمع قرب تحقيق الوعد . يجمع الأمم والشعوب ، ويرفع لهم يده ، وينصب لهم رايته ، فإذا هم فى خدمة الشعب المقدس يتنافسون الملوك وزوجاتهم غلمان ، وخدم ، وحشم لقطعان الشعب المقدس . فالملك حاضن ، وزوجته مرضعة لأطفال الشعب المقدس . الأولاد يأتون فى الأحضان ؟! والبنات يحملن على الأكتاف ...؟!

أفلست معى أيها القارىء فى أن أشعيا يظهر قدوس إسرائيل فى صورة « ضابط مرور » يرفع رايته ويلوح بيده ؛ فإذا بالأمم من غير اليهود تنطلق لخدمة اليهود ، حتى يسجد الملوك بوجوههم على الأرض ، ويلحسون غبار أحذية الشعب المقدس المحظوظ ؟!

ويصب الرب الإله قدوس إسرائيل ومخلصها . يصب جام غضبه على الأمم والشعوب غير اليهودية فيجعل طعامهم لحوم أنفسهم ؟! ويسكرهم بشرب دمائهم ؟!

وأعدالقارىءبأنى سأكتفى بالنص الآتى من سفر أشعيا . تاركا ما عداه ، وما أكثر ماعداه . ولكن فيما قدمناه ، بالإضافة إلى هذا المقطع « الوعدى » الآتى صورة واضحة على تصور التوراة المقدسة عن « الإنسان ».

« بنو الغريب يبنون أسوارك .؟! وملوكهم يخدمونك .؟!

وتفتح أبوابك دائما ، نهاراً وليلا لاتغلق ؛ ليؤتى إليك بغنى الأمم ، وتقاد ملوكهم.؟!

« لأن الأمة والمملكة التى لاتخدمك تبيد ، وخرابا تخرب الأمم ؟! مجد لبنان إليك يأتى[١٣]. السرو والسنديان والشربين معاً لزينة مكان مقدس . وأمجد موضع رجلى .؟!

---

١٢ ــ أشعيا : الإصحاح (٤٩) الفقرات (٢٤ ــ ٢٦) مع الحذف .

١٣ ــ لاتنسى أن جنوب لبنان هو « جنة عدن » فى التوراة ..؟! .

« وبنوالذين قهروك يسيرون إليك خاضعين .؟!

وكل الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميك ؟! ويدعونك مدينة الرب صهيون قدوس إسرائيل .[14]

« ... أجعلك فخرا أبديا فرح دور فدور . وترضعين لبن الأمم . وترضعين ثدى ملوك . وتعرفين أنى أنا الرب مخلصك ووليك عزيز يعقوب ؟![15]

« عوضا عن النحاس آتى بالذهب . وعوضا عن الحديد آتى بالفضة وعوضاً عن الخشب بالنحاس ، وعن الحجارة بالحديد . وأجعل وكلاءك سلاما . وولاتك برا .؟!

« لايسمعُ بعد ظلم فى أرضك ولاخراب أو سحق في تخومك ... لاتكون لك بعدُ الشمس نوراً فى النهار ؟! ولا القمر ينير لك مضيئاً[16] ؟! بل الرب يكون لك نوراً أبدياً وإلهك زينتك .. وشعبك كلهم أبرار إلى الأبد يرثون الأرض . غصن غرسى . عمل يدى لأتمجد الصغير يصير ألفاً ؟! والحقير أمة قوية . أنا الرب فى وقته أسرع به[17] » ؟!

فى هذا الوعد يقرر أشعيا تسخير جميع شعوب الأرض فى خدمة إسرائيل من بناء الأسوار ، وخدمة الملوك ، وأن الرب سيهيىء كل أسباب الغنى والثراء لشعبه المختار ، المتميز على جميع الخلق ؛لأنه من سلالة يعقوب . ففضلا عن امتصاص ثروات الأمم ، يكثر الرب لهم المعادن بمدينة صهيون المقدسة ، ويمجد الرب موضع رجله فيها ، لأنه سيقيم فيها إلى الأبد وسط بنى إسرائيل والأمة التي تمتنع عن خدمة الشعب المختار تبيد وتهلك وخرابا تخرب على حد تعبير أشعيا التوراة ..؟!

---

١٤ ـــ الحطاب هنا لأورشليم ويتضمن الشعب اليهودى المختار ..؟! .

١٥ ـــ كناية عن أكل ثروات الأمم من غير اليهود ..؟! .

١٦ ـــ معنى هذا الكلام : أنه عندما يتحقق الوعد للشعب المختار ، لايكون فى حاجة لنور الشمس بالنهار ولا لضوء القمر بالليل . بل الرب الإله هو نوره وضوؤه ؟! .

١٧ ـــ أشعيا : الإصحاح (٦٠) الفقرات (١٠ ـــ ٢٢) مع حذف يسير .

ويعيش الشعب المختار فى مدينة قدسه ، مستغنيا عن نور الشمس وضوء القمر ؛ لأن الرب الإله قدوس إسرائيل المقيم فى وسطهم ، سيكون لهم نوراً بالنهار وضَوْءاً بالليل . وشعب المدينة كلهم أبرار أطهار قديسون ؛ لأنهم من نسل يعقوب ، وليسوا من أنسال الأمم النجسة الملعونة .

ويكثر الرب الإله ذلك الشعب المقدس ، فالصغير منهم ينجب ألفا .؟! والحقير يصبح أمة عظيمة .؟!

ولكن متى يأتى هذا الوعد ؟!

لقد تورط كثير من أنبياء التوراة فوعدوا بنى إسرائيل بقربه منذ آلاف السنين ولكنه لم يأت ؟!

أما أشعيا فلم يحدد زمنا لتحقيقه بل قال على لسان الرب الإله « أنا الرب فى وقته أسرع به » ؟!

لقد عوَّم أشعيا ، أو عوَّم الكهان الذين زوروا كلام أشعيا عوَّموا ذلك الوعد ، وجعلوا زمن وقوعه سرا من أسرار الرب الإله فى وقته المعلوم يسرع به ..؟!

وهكذا ، وهكذا تقدم نصوص التوراة المقدسة تصورها عن الإنسان . وتجيب فى وضوح على ذلك السؤال الذى كنا قد صدرنا به هذا المبحث .

هل نجحت التوراة فى تصورها عن الإنسان ؟! أم سقطت مثل سقوطها فى تصورها عن « الله » وملائكته ورسله ؟!

نعم . لقد أجابت تلك النصوص على ذلك السؤال . أجابت فصدقت فى الإجابة . وكانت إجابتها هكذا :

« لقد سقطت التوراة فى تصورها عن الإنسان سقوطا عظيما ؛ لأنها لم تعرف للإنسان حقا ، أو عرفت ولكنها سلبت منه ذلك الحق » ؟!!

الإنسان فى التوراة ..إنسانان ؟!

تشطر التوراة الإنسان شطرين لاثالث لهما :

الأول :إنسان يهودى من نسل يعقوب ، ولابد أن يكون من نسل يعقوب . وهذا الإنسان هو « السيد » الرب ربه وحده ..والسماء مخلوقة من أجله ، والأرض جنة رضوانه .. هو البار وحده وهو المستعلى وحده ، وهو المتسلط وحده ، الموعود بإرث الأرض ومن عليها وما عليها وما فيها ..

وهو المبارك أينماحل ، وحيثما ذهب . ومباركة ـــ مثله ـــ غنمه وأنعامه ومواشيه .

هو الشعب المقدس المختار المحبوب . والرب له وحده هو قدوسه ومخلصه ومطهره وجامع شتاته ومكثر عدده والمنتقم من عدوه حتى تخلو الأرض له فيقيم مملكته « الخالدة » الرب يسكن فيها . وشعبه من حوله يتأمرون ويتسلطون ، وتزهى أورشليم فى سندس العروس ، ويفرح الرب بخلاص شعبه المختار ، إنه قدوس إسرائيل ـــ وحدها ـــ وعزيز يعقوب الكريم النسل المبارك الذرية .؟!

الثانى : إنسان غير يهودى ، وليس من نسل يعقوب . إنسان من أى شعب من شعوب الأرض ، مهما كان جنسه ولونه وعقيدته ودينه وموطنه . أو هو إنسان « كل من عداإسرائيل » وهذا الإنسان هو الحقير ، الوضيع ، النجس ، الدنس ، الملعون ، المغضوب عليه من الرب إله إسرائيل وقدوسها وفاديها . هو الإنسان الذى لارب له ولا إله . بل خلق هكذا « شيطانيا » فى أرض غيره ،وهذا الإنسان هو الذى يصب عليه الرب « حمو غضبه » ويسل عليه سيف نقمته ، ويسلط عليه الوحوش ، والزنابير ؛ فتطردهم أمام الشعب المبارك فى سبع طرق . فيهلكون ويفنون ؟!

ومن بقى منهم فهو خادم لإسرائيل : الملوك منهم يحضنون أولادهم ،

ويحملون بناتهم على الأكتاف . وزوجات الملوك ترضع أطفال إسرائيل والسادة والعلية منهم يسجدون تحت موطىء قدمى كل يهودى مقدس ، ويلحسون غبار أحذيتهم .؟!!

ومن يأبى خدمة إسرائيل من الأمم فهلاكا يهلك ، وخرابا تخرب مدنهم وتصبح مخابىء للوحوش الردئية ، ومجامع لبنات آوى . ومرتعاً للحيات والثعابين[18] .؟!

خيرات تلك الأمم خبز لإسرائيل ، وأرضهم إرث أبدى لهم . وأولادهم عبيد تتناقل « ملكيتهم » الأجيال المقدسة تناقل الميراث الشرعى وتأكل الأمم لحوم أبدانها .؟! وتسكر بشرب دمائها ؛لأن الرب الإله قدوس إسرائيل ، وعزيز يعقوب ، وفادى الشعب المقدس ، ومخلصه آت فى حمو غضبه على تلك الأمم ذوات الأدناس ؟! وذوات الأرجاس ..؟!

آت ليطهر الأرض منهم ، ويقيم مسكن قدسه بين شعبه المقدس (اليهود) ، وترقص أورشليم فى ثياب الفرح ، ويدار منها أمر الكون كله ، وتغلق أبوابها فلا يدخلها أغلف — يعنى نصرانيا — ولانجس (يعني مسلماً) ؛ لتعلم جميع الأمم أن الرب الإله قدوس إسرائيل ، قد أقام بينهم ..؟! وإلى الأبد ..؟!

وقد ضاعت أمام هذا التصور كل حقوق الإنسان من غير اليهود . فإذا تجاوزنا الرجس والدنس واللعنة الحَالّة على كل بنى الإنسان من جميع شعوب الأرض ، التى تعمقها التوراة ، أو مزورو التوراة فى عقول اليهود وعقائدهم ويشئهم على هذه المبادىء المضللة أحبارهم وكهنتهم مند نعومة الأظفار إلى أن يشبوا ،ويشيبوا عليها . إذا تجاوزنا كل ذلك ، فإن أبرز حقوق الإنسان ضائعة فى التوراة .

---

١٨ — كل هذه الألفاظ التى تقرأها فى هذا المقطع الأخير واردة فى توراة القوم المقدسة فى أسفار مختلفة فلا تظن أننا ابتدعناها عليهم ؟! .

فأين المساواة - مثلا - وأين العدالة - مثلا ثانيا - فى مسألة الربا المتقدمة : لأخيك لاتقرض بربا . للأجنبى تقرض بربا ...؟!

وأين المساواة والعدالة فى أن اليهودى لو اعتذر وباع بيته ليهودى آخر فإنه إذا رد إليه الثمن قبل مرور عام على البيع رجع إلى بيته . وإذا مضت السنة ولم يرد إليه الثمن صار البيت المبيع ملكا خالصا لليهودى المشترى ويتوارثه أبناؤه من بعده .

أما إذا كان المشترى أجنبياً ، فإن اليهودى البائع يرد إليه الثمن متى وجده ، مرت سنة أو سنتان أو ثلاث ، فتطاول الزمن لايُفِيتُ إرجاع ملكه ولو بعد أحيان طويلة .. أين العدالة والمساوة فى هذا يامن تقرأ ..؟!

وليت الأمر يقف عند هذا الحد من الغبن ؛ لأن التوراة تنص على أن من حق اليهودى البائع بيته لأجنبى إذا أراد أن يرد ملكيته إليه . فله الحق أن يحاسب الأجنبى على السنين التى قضاها فى البيت المبيع ، ويقدر لها أجراً ، ثم يخصم قيمة الأجر من أصل الثمن ، ويؤدى إليه ماتبقى إن كان قد تبقى له شىء ..؟! أين العدالة والمساواة فى هذا ياعشاق الحق ؟! وأين العدالة والمساواة فى أن « الأغلف » أى النصرانى ، و « النجس » أى المسلم لايدخل مدينة الرب « القدس » بعد أن يسيطر عليها الشعب اليهودى ؟!

أين العدالة والمساواة فى هذا .؟! بل وأين الحرية التى جعلها « الله » الحقُ حقا للإنسان كالهواء والماء عليها قوام حياته؟!

وأين الحرية والعدل والمساوة حين يبطش الرب إله إسرائيل بشعوب الأرض ، ويذلهم من أجل شعبه المختار « اليهود » ويصبح الغرباء بناة لأسوار مدينة اليهود ، وحراثا لأرضهم . وكرامين[19] لحدائقهم وملوك الشعوب يحضنون أولادهم ، ويحملون بناتهم على أكتافهم ويلحسون غبار أحذيتهم ، ويسجدون تحت موطىء أقدامهم . وسيدات المجتمع الغريب - أعنى زوجات الملوك

---

١٩ ــ كرامون تقابل كلمة « بستانيون » التى هى فى العامية « جناينية » ؟! .

والرؤساء والأعيان – يصبحن مرضعات لأطفال بنى إسرائيل ؟!

أين المساواة . وأين العدالة ، وأين الحرية فى ذلك .

وأين المساواة ، وأين العدالة ، وأين الحرية ، فى أن المرأة الغريبة إذا سبيت فى حروب الشعب المقدس وأراد سابيها أن يتزوجها فتحلق شعر رأسها ، وتجرد من ثيابها وتبكى أباها وأمها شهراً قبل أن يدخل سابيها عليها ..؟!

وأين العدالة والحرية والمساواة فى أن اليهودية إذا تزوجت من أجنبى أصبحت نجسة ومدنسة وحقيرة ، فلا تأكل طعام اليهود لئلا تدنسه إلا إذا مات زوجها الأجنبي ؟!أو طلقها وعادت إلى بيت أبيها فإنها تصبح طاهرة لمفارقتها الأجنبى ؟! ولكن الويل لها إذا أنجبت من ذلك الأجنبي . فإن نجاستها تصبح نجاسة أبدية حتى لو مات زوجها أو طلقها ؟!

وأين العدالة والمساواة ، بل وأين الحرية فى أن ابن اليهودى إن تزوج ابنة الغريب تنجس منها . واليهودية إذا تزوجت ابن الغريب تنجست منه ؟!

وأين الحرية والعدل والمساواة حتى أمام الرب قدوس إسرائيل حين يجعل جميع شعوب الأرض وثرواتهم خبزاً لشعبه المختار ؟!

وأين .. وأين .. وأين ..؟!

إن الإنسان ضائع فى التوراة .. وحقوقه مهدرة . بل إن التوراة لم تكد تعترف بوجود إنسان غير اليهودى المنحدر من نسل يعقوب وهى لاتتصور قيام مملكة اليهود« الموعودة » إلا بافتراض أمرين تجاه الإنسان الغريب لابد من حدوث أحدهما ، أو لابد من حدوثهما معا :

* إفناء جميع شعوب الأرض بحد السيف ..؟!

* أوصيرورتهم عبيداً لبنى إسرائيل أسياد الكون ..؟!

ذلك هو المصير الذى ينتظرنا نحن – الذين لم نكن يهوداً من نسل يعقوب ..؟!

إن الذى تحمله التوراة لنا – نحن الغرباء – أخطر علينا من لو تحول نصف الكرة الأرضية إلى قلعة سلاح مدمر فتاك ، يصوب نحونا فى أى حين ..؟! فما فى التوراة يكفى لنسف العالم – من غير اليهود – فى لحظات لو آل الأمر – لاقدر الله – إليهم ..؟!

لأن الذى تضمره لنا التوراة سلاح من نوع فريد ، سلاح يوقده حقد القلوب . وطمع النفوس ، وحب السيادة من سيد يرى لنفسه كل الفضل ، ولايرى لغيره إلا الذل والهوان ..؟!

فقل لى بربك لوخلت الأرض من تشريع عادل يضع الإنسان من حيث هو إنسان فى المكان الذى وضعه فيه بارئه ، ويصون حقوقه ، ويحمى حرياته . فماذا يكون مصيرنا « نحن الغرباء » أو « الأجانب » أو « الأنجاس الأدناس » ؟!!

أتقول لنا رب اسمه الكريم .. التوراة تقول : لارب لكم . فالرب قدوس إسرائيل وحدها ..؟!

أتقول لنا أرض نفر إليها .. التوراة تقول : لاأرض لكم بل هى أرض إسرائيل ؟!

أتقول لنا كرامة وقوة ومنعة نلوذ إليها ؟! التوراة تقول : لاكرامة ولاقوة ولامنعة وإنما ذلك لإسرائيل ؟! ليس لنا فى التوراة إلا الإفناء أو الإستعباد ؟!!!

ماذا لو لم يكن إلا التوراة ..؟!

ها نحن أولاء قد فرغنا من إيجاز القول حول تصور التوراة عن أعظم أسس الإيمان :

الله – الملائكة – الرسل –الإنسان .

وها أنتذا أيها القارىء قد صحبتنا فى الدراسة من أول كلمة فيها إلى الآن . وكانت نتيجة ما تقدم من هذه المباحث إلى الآن هى الآتية

أولاً . أن التوراة لم تعرف لله حقه ، ومعرفة حق الله هى قطب الإيمان الصحيح . ولو كان الله – سبحانه – كما تصوره التوراة لما استحق ولاءً ولا

تقديراً ولاعبادة من أحد : لايستحق ذلك من غير اليهود ؛ لأنه عدو لغير اليهود ، وهو فى النهاية إما أنه يدمر الأمم من غير اليهود ، وإما أن يجعلهم عبيداً وإماء وخدما لليهود ..؟!

ولايستحق ذلك من اليهود أنفسهم لو كانوا يعقلون ؛ لأن التوراة وإن جعلته حليفا ونصيراً لليهود ، فهى فى الوقت نفسه تنزله إلى مرتبة البشر وليس من « المعقول » أن يعبد بشرٌ بشرا ..؟!

ثانياً : أن التوراة لم تعرف لملائكة الله حقهم . فجعلتهم يأكلون ويشربون كما يأكل البشر ويشربون ، وجعلت رئيسهم « جبريل (عليه السلام) » يقوم فى الغواية والتدليس بدور الشيطان ، وملائكة الله فوق هذا التصور الوضيع . ولو كان الملائكة كما تصورهم التوراة لما كانوا مثلا أعلى فى الطهارة ، ولما كانوا يستحقون ذلك المعنى الجميل الذى قرره الوحى الحق – القرآن الأمين – فى حقهم .

ثالثا : أن التوراة لم تعرف لرسل الله حقهم ، ولم تصن للنبوة شرفها وقدسيتها فأدخلت فى شرف النبوة من ليس بنبى من الدجالين ، والحالمين ، والعرافين وأفسحت المجال لحواء فدخل فى النبوة منها الجم الغفير ، وكان الأنبياء فى تصور التوراة يعدون بالآلاف فى وقت واحد . كما جعلت « التعرى » والانطراح على الأرض بابا من أبواب النبوة ، حتى اختلط الحابل بالنابل ، وضاعت بين ركام الباطل وَضَاءَةُ الحق وإشراقه ..؟!

ومن ثبتت نبوته منهم لطخت التوارة سيرتهم الوضيئة . فجعلت منهم المخادع الكاذب المحتال ، وشارب الخمر حتى التعرى ، والزانى والقاتل وعابد الأوثان والمرتد عن عقيدة التوحيد ، ومستشير الجن والشيطان فى أمور الرسالة .

بل جعلت منهم الزانى بمحارمه ، بناته ، وبحليلة ابنه . وجعلت منهم من لعن نفسه ، ولعن اليوم الذى ولد فيه ، وتمنى لو كان بطن أمه قبرا له فلم ير الحياة

ولم تره الحياة ؟! [٢٠]

وجعلت منهم من يعبد الله ليحقق له مطلبا ..فلما لم يحقق الله له مطلبه رجع عن عبادته وقال : لِمَ أصوم وقد مات الولد الذى كنت أصوم ليطيل الله أجله[٢١] ..؟!

هذا ما تصف ببعضه التوراة أنبياء الله ورسله . ولو كانت النبوة كما تفهمها التوراة وتصورها للناس ، ولوكان الأنبياء والرسل كما تصورهم التوراة للناس ، لما كانوا قدوة حسنة لأحد ، ولما كانوا رسل هدى – فعلا – ولما صلى عليهم أحد ولاسلم ، ولما وجب على قوم طاعة رسولهم .ولكان الرسل « عصابة من الأشرار » ولو كان الرسل كما تصفهم التوراة لكانوا فى حاجه إلى رسل آخرين « أتقياء أنقياء أطهار » يهدونهم إلى صراط الله المستقيم

رابعا : أن التوراة لم تعرف للإنسان حقه ، فجعلت منهم سيداً نبيلا مطاعا طاهراً ، وجعلت منهم عبيداً وضعاء أنجاساً ، لارب لهم ، ولا عزة ولا كرامة . الذل مأواهم ، والدمار مصيرهم ، وغضب الرب مصبحهم وممسيهم . مالهم وثرواتهم تنهب نهبا ، ومدنهم وقراهم تدمر تدميراً . أنهارهم تجف وأشجارهم تذبل ، وأنسالهم توطأ بالأقدام بإشارة واحدة من « الرب الإله قدوس إسرائيل ، وعزيز يعقوب » يتم كل شيء . فتسقط كل الممالك وتقام « مملكة اليهود » إلى الأبد بعد أن يقيم الرب فى وسطهم ..وإلى الأبد كذلك ..؟!

تلك هى التوراة ، وتصوراتها عن أسس الإيمان ؟! فماذا كان سيكون لو خلت الأرض من وحى الله الحق « القرآن العظيم » ولم يكن فيها إلا التوراة ؟! الذى كان سيكون أن العالم كله سيعود إلى « عهد الطواطم »

فمنهم من يلتمس له « إلها » من الكواكب ؟!

---

٢٠ ـــ انظر سفر أرميا : الإصحاح (٢٠) الفقرات (١٤ ـــ ١٨) .

٢١ ـــ ورد هذا فى حق داود (عليه السلام) : انظر سفر صموئيل الثانى الإصحاح (١٢) ففرة (٢٢) ومابعدها .

ومنهم من يلتمس له « إلٰها » من الطيور والحيوانات ..؟!
ومنهم من يلتمس له « إلٰها » من الرموز وظواهر الطبيعة ..؟!
ومنهم من يعبد النار ، أو الماء ، أو النبات والأشجار ، أو ينحت له تماثيل من الصخر ويدعوها أربابا من دون الله ..؟! ولو فعلوا لكانوا معذورين ، ولطبق الله فيهم قانونه العادل .
﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾[٢٢]

وذلك لأن التوراة لم تستطع أن تقيم حجة الله على عباده . ولم يكن « الرب » فيها هو « الله » رب العالمين الموصوف بكل كمال والمنزه عن كل نقص ..؟!

ولم يكن « الوحى » فيها هو « وحى الله » الحق فى صدقه وجلاله وهيبته وسلطانه وقوة حجته وإشراق بيانه ، وعفة ألفاظه وشرف معانيه وعالمية دعوته ..؟!

ولم تكن ملائكة « الرب » فيها هى « ملائكة الله الحق » عباداً مكرمين ومثلا أعلى فى الوجود ..؟!

ولم يكن رسل « الرب » فيها هم « رسل الله الحق » المصطفين الأخيار ، والأسوة الحسنة فى العقيدة ، والقول ، والعمل ، ونزاهة السلوك ، وحب الفضيلة والعفة ، والطهارة ، والنقاء ، والصدق ، والإخلاص ، والأمانة ..؟!

ولم يكن الإنسان فيها هو الإنسان الذى خلقه .. الله الحق فاطر السموات والأرض ، وحمله فى البر والبحر والجو ، ورزقه من الطيبات ، وكرمه ، وفضله على كثير مما خلق .

ولأن التوراة لاتصنع عقيدة صحيحة من عقائد الحق ، بل هى ضد كل عقيدة صحيحه من عقائد الحق ..؟!

ولأن التوراة لم تقم صرح الإيمان ، وإنما قوضت صرح الإيمان ؟! ولأن التوراة لم تنصر حقا ، وإنما التوراة تهدم كل حق ؟! ولهذا كله ، وبغير هذا التوراة عاجزة كل

---

٢٢ ــ الإسراء آية ١٥ .

العجز عن رسم الطريق الصحيح الموصل إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وثوابه وعقابه ..؟!

وإذا كانت التوراة قد تناولت بعض قضايا الإيمان [الله - الملائكة - الرسل . وضع الإنسان فى الوجود] وعرضتها فى صور مشوهة مخالفة للواقع ؛ فإنها أهملت قضية من أبرز قضايا الإيمان ، وهى ثمرة لكل ما تقدم فلم تقم لها وزنا .

فليس فى التوراة ذكر ذو شأن عن الآخرة والجنة والنار ، سوى جنة عَدْن التى يذكرونها - وعلى قلة - باعتبار خروج آدم وحواء منها ، لاباعتبار أنها مآل المتقين ، ولاباعتبار وجوب الإعداد لها . وهم يرونها حسب الأوصاف الواردة فى التوراة ــ أنها جنوب لبنان . ولهذا كثر الوعد فى التوراة بأيلولة لبنان كلها لليهود ، ولكن فى الدنيا لافى الآخرة ..؟!

ومفهوم الثواب فى التوراة مثل مفهوم العقاب ، محصوران فى الحياة الدنيا . فالعلو فى الأرض ، وإذلال الأمم ، وامتلاك المال والثروات ، وكثرة الإنتاج الحيوانى ، والزراعى ، هذا هو ثواب الطاعة عندهم ، بل إنهم يتصورون أن الريح هى التى ستحيل لهم الحبوب دقيقاً فاخراً ، وهى فى سنابلها قبل حصدها وجمعها . وذلك كله سيتحقق يوم يحقق لهم الرب إلههم الوعد بقيام مملكتهم فى كل الأرض .. وهم ينتظرون تحقيق هذا الوعد إلى الآن أما العقاب فهو التشتت فى الدنيا والفقر . وحصر العقاب والثواب فى هذين المفهومين يوحى بأن اليهود لايؤمنون بالحياة الآخرة . أو لايعولون عليها فى شيء فدورة العمل وثوابه وعقابه فى التوراة لاتتعدى الحياة الدنيا بحال ..؟!!

إن التوراة - الآن - ليست وحياً . فما أبعد مابين الوحى وبين التوراة .. وإذن فلابد من « إسقاطها » من « مجالات الإيمان » ومن يؤمن بأنها «وحى » فقد جهل « الوحى » وضل عن « الإيمان » وكفر بالعقل ، وكفر بالعلم ..؟!

وإنما هى مصدر من مصادر التاريخ التى لم تقم على منهج منظم . فقد جمعت إلى مادة التاريخ مقاطع من التشريع ، والتفلسف فيما وراء الطبيعة ، وضمت إلى كل أولئك نبذا عن العلم : الفلك ، والزراعة ، والتطبب ، والنثر الفنى

والشعرى ، والوهم ، والخيال ، والخرافة ..؟! والتنبؤ والتنـجيم ، والابتهال ، وإن لم يخل من شطحات الوهم والخيال ..؟!

إنها مصدر من مصادر التاريخ « نعم » وينبغى أن ينظر فيه على حذر ، وأن يتزود الراجع إليه بكل ملكات التمييز والنقد حتى لايختلط عليه حق بباطل . فما أكثر ماسردته من باطل ..؟!

إنها مصدر من مصادر التاريخ . ولكنه مكتوب من وجهة نظر واضعه . فخلا من التجرد الموضوعى لنقل الواقع بأمانة المؤرخ . وتصويره بدقة الصادق . مصدر بشرى من مصادر التاريخ يخضع لكل ما تخضع له أعمال البشر من رد ونقد .

تلك هى العقيدة الصادقة فى التوراة . ومن يرى فى التوراة أكثر من أنها مصدر تاريخ بشرى مزج حقا بباطل ، وصدقا بكذب وهما فى حاجه إلى تمييـز ، من يرى فيها أكثر من هذا فقـــد خاب وخسر وضل عن سواء السبيـــل ، وعـــــن سواء الاعتقاد ..؟!





الفصل السابع

تصورات التوراة .. بين الماضى والحاضر

أستشعـــــر ـــ الآن ـــ ولست أدرى إن كنت على جانب من الصواب ـــ أن القارىء قد يجول بخاطره سؤال أو تساؤل فحواه :
إن تلك التصورات التى تقدمت فى التوراة عن الله ، وعن الملائكة ، وعن النبوة والأنبياء ، وعن الرسل ، وعن الإنسان ، وعن مبدأى الثواب والعقاب ، أوالحياة الآخرة . إن تلك التصورات قد مضى عليها حتى الآن زهاء ثلاثة ألاف سنة . أفما يجوز أن يكون اليهود قد تحللوا من بعض تلك التصورات واستقامت نظرتهم إلى تلك الحقائق على وجه لم يلمهم فيه أحد .؟!

أو بعبارة أوجز وأوضح : أليس من الجائز أن اليهود قد صححوا عقائدهم الموروثة ، ولم يبق لديهم إلاكفرهم بعيسى وبمحمد (عليهما الصلاة والسلام) ، وهما النبيان اللذان بعثا بعد أنبياء العهد القديم ؟!

إننى استشعرت هذا السؤال ، وكان من الممكن أن نطوى ذكره ، ولكنى رأيت من واجب الأمانة فى البحث أن أسجله ، وأن أجيب عليه ، لتكون الصورة واضحة وأمينة وكاملة عن الفكر اليهودى ، والدين اليهودى ، وعن اليهود أنفسهم قديما وحديثا . ولتفى هذه الدراسة بالهدف المرجو منها وهو « ليست اليهود على شىء » وهو حكم أصدره عليهم من قديم قرناؤهم النصارى . وسجله القرآن الأمين منذ أربعة عشر قرناً مضت .

وقفة بين يدى الإجابة :

قبل الإجابة على السؤال نقف وقفة أراها ذات دلالة ، صحيح أن تطاول الزمن على تلك التصورات لهو كفيل بأن يَلْفِتَ أنظار أصحابها إليها ، ويضاف إلى عامل الزمن عامل آخر أهم من مجرد الزمن المتطاول . وأعنى به التقدم فى

العلوم ، وتطور الفكر ، ويقظة العقل ، وظهور الاتجاهات النقدية الفاحصة لكل ما خلفه السلف من تراث وعلوم وفنون ، شملت حتى نصوص الوحى وتوجيهات الرسل . وتكوين حصيلة ثقافية نتج عنها عقل ذكى مثقف متمرد أحيانا . فأخضع كل شيء للبحث والتمحيص العلمى الدقيق ولم يعد يقبل القول أو المبدأ أو العقيدة إلا بعد إخضاعها لما يشبه التجارب العملية ذات النتائج اليقينية أو ما تقارب اليقين ..؟!وتحت تأثير هذه العوامل تبدلت كثير من النظريات التى كانت – قبل – من البدائه المسلمات .

★ فالعناصر الأولية كانت عند القدماء **أربعة** : نار وماء . وتراب وهواء ثم قفزت فى عصر التطور العلمى إلى أكثر من **مئة** عنصر أو فلز .

★ والأرض كانت عند القدماء **مسطحة** .وأصبحت فى حقائق العلم المعاصر **كروية**

★ والأرض كانت عند القدماء **مركز الكون** ، وأصبحت فى البحث العلمى المعاصر واحداً من أفراد **المجموعة الشمسية** .

★ والرعد كان عند القدماء **صوت عصى الملاك يزجر السحاب** .. فأصبح فى حقائق العلم ظاهرة من **ظواهر الطبيعة تحدث بتدفق الهواء بشدة يملأ الفراغ الحادث بين سحابتين كانتا ملتصقتين** .

★ والشمس كانت عند **القدماء تندفن تحت الأرض مدة تساوى زمن ظهورها فى الأفق** . فأصبحت فى الواقع المعاصر وباستدلالات العلم **لا تغيب عن الأفق أبدا** .و... و ... و .. و ... و ..

لقد استجاب كثير من الناس فصححوا ماورثوه على ضوء المعارف الحديثة . وكانوا على حق فيما فعلوا . وإلا لعاشوا غرباء وهم بين أهليهم وعشائرهم .

ولكن اليهود لم يستجيبوا لنداء العقل ، وهدى العلم ، وكان حريا — وهم يصمون آذانهم عن نداء العلم . ويغمضون أبصارهم عن هدى العلم – كان حريا بهم أن يقفوا عند الحد الذى أوصلتهم إليه التوراة ، أو أوصلهم إليه

محرفو التوراة . ولوأنهم فعلوا لقلنا أن لديهم مسكة من عقل ، وشيئا من إجلال العلم . ولكنهم عموا وصموا وأضافوا إلى أوزار القدماء وأضاليلهم ، عبئا ثقيلا من التخريف والتزييف ، أو ما هو أشنع من التخريف والتزييف .

ولكن .. كيف ؟!

ذلك ماسوف نراه في الإجابة على ذلك السؤال . أخذاً من أوثق مصادرهم ، ومن أوثق ما كتب لهم وعليهم .

الإجابة على السؤال

ذلك التراجع المفترض في السؤال ، والذى تدعو إليه – بعد تطاول الزمن – طبيعة العصر الفكرية والعلمية ، والثقافية ، والعقلية ..

ذلك التراجع لدى اليهود مستحيل ..وألف ألف مستحيل . ومن أهم أسباب الاستحالة أن تلك التصورات واردة في التوراة .. والتوراة هى الشريعة الأم عند اليهود ،أو هكذا كان ينبغي أن تكون [(١)].

والتجرؤ على كتاب شريعة يقال أنها باقية على صورتها التى نزل بها الوحى إلى الآن ، ليس بمستطاع [(٢)].

والواقع المحسوس يقول : إن اليهود قد أبقوا خرافات وأكاذيب التوراة المحرفة على ما هى عليه . ولم يمسوها بسوء . وبذلك تشهد كل مراجعهم الدينية ومراحل تفكيرهم بعد انقطاع النبوات عنهم قبل وبعد المسيح عليه السلام .

وأبرز المصادر التى تمثل الفكر اليهودى العام ومراحله بعد التوراة هى :

١ – **المشنا** : وهو أول شرح أو تعليق على نصوص التوراة ، وكتاب المشنا بمثابة أصول أو متون لما بعده .

٢ – **الجمارا** : وهو شرح أصول المشنا ومتونه .

---

١ ـــ اليهود مذ وضعوا التلمود يقدمونه على التوراة إلى الآن ..؟! .

٢ ـــ ليس بمستطاع . خبر « التجرؤ ـــ وقد طال الفصل بينهما فلزم التنويه .

٣ - **التلمود** : وهو أهم مراجع اليهود الدينية ، ومعناه باللغة العبرية « التعليم » وهو متكون من الكتابين السابقين : المشنا وشرحها الجمارا مع ما جد من تعديلات الحاخامات وشروحهم وإضافاتهم واليهود يسمونه بـ : « الشريعة الشفوية » ويدعون أنه موحى به إلى موسى (عليه السلام) وأن إضافات الحاخامات إنما هى وحى وإلهام كذلك ..؟!

والتلمود عندهم أهم من التوراة ومقدم عليها فإذا اختلفت التوراة والتلمود اعتبر ما جاء فى التلمود وأهمل ما جاء فى التوراة ..؟!
كما يقدمون شروح وأقوال الحاخامات على أقوال موسى عليه السلام ..؟![3]

٤ - بروتوكولات حكماء صهيون . وهو أحدث كتاب يهودى بعد التلمود وقد وضعه قادة إسرائيل وكبار مفكريهم ، بيد أنه ليس كتاب دين وإنما هو مخطط وضع ليسير العمل اليهودى العالمى على هداه وصولاً إلى هدفهم « الأسطورى » وهو السيطرة على شعوب العالم أجمع فإذا صرفنا النظر عن المشنا والجمارا باعتبارهما قد دمجا فى التلمود فإننا سنعتمد فى نقل الشواهد على التلمود والبروتوكولات فحسب[4]. والله وَلِيُّنَا .

ولنسرفى الإجابة على نسق أسس الإيمان الأربعة التى عرضنا لتصورات التوراة فيها . ثم نردف بها موقفهم من الحياة الآخرة .

أولا ــ : **الجديد عن «الله » فى الفكر اليهودى اللاحق**

لقد أضاف الفكر اليهودى إلى خرافات التوراة فى تصورها عن « الله » خرافات أخرى أكثر سخافة مما جاء فى التوراة .
ومن ذلك :

---

٣ ــ انظر كتاب : التلمود تاريخه وغاياته » للأستاذ ظفر الإسلام خان مطبوعات دار النفائس ــ بيروت ــ لبنان ط الثانية ١٩٧٦ م .

٤ ــ كتاب » البروتوكولات تحت يدنا وسنقل منه مباشرة . أما التلمود فسننقل من كتب نقلت عنه ، وسنشير إليها فى موضعها ــ إن شاء الله ــ وسوف نستعين بكتب أخرى عنيت بنشر الوثائق اليهودية المختلفة قديما وحديثا ..

القمر يحتج على الله ..؟!

جاء فى التلمود أن القمر احتج على الله – سبحانه – وقال له : لقد خلقتنى أصغر من الشمس[٥] ؟!

فأذعن الله لذلك واعترف بخطئه (سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيرا) وقال الله : اذبحوا لى ذبيحة أكفر بها عن ذنبى ؟! لأنى خلقت القمر أصغر من الشمس ؟!

فانظر كيف وصل بهم الجهل والطيش . فنسبوا الخطأ إلى« الله – سبحانه – ثم نسبوا له الإثم . وأنه أمر بذبح ذبيحة ليكفر بها عن ذنبه (؟!)

إلى هذا الهذيان السخيف وصل الجهل باليهود . بل وإلى أبعد من هذا الحد . وفى أى شيء . ؟ فى كتاب يقدمونه على التوراة ، ويَدَّعُون أنه شريعة موحى بها إلى موسى عليه السلام ؟!

والله يتعلم التلمود مع الملائكة وملك الشياطين ..؟!

يحدد اليهود فى التلمود برنامج عمل يومى لله ..؟! . وإليك النص حرفيا :

« إن النهار اثنتا عشرة ساعة : فى الثلاثة الأولى منها يجلس الله ويطالع الشريعة – يعنى التوراة – وفى الثلاث الثانية يحكم ؟! . وفى الثلاث الثالثة يطعم العالم ..؟! وفى الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب (أعوذ بالله من سخطه) مع الحوت ملك الأسماك ..؟!!!!!!

إنه لا شغل لله فى الليل غير تعلمه التلمود مع الملائكة ومع ــ أسموديه ــ ملك الشياطين فى مدرسة فى السماء ثم ينصرف أسموديه منها بعد صعوده إليها

---

٥ ــ الكنز المرصود فى قواعد التلمود : تأليف الدكتور روهلنج الفرسى وترجمة الدكتور يوسف حنا نصر الله (ص ٥١) .
كما أشار إليها الأستاذ ظفر الإسلام خان فى كتابه السابق (ص ٧٥) .

كل يوم[٦] » ؟؟؟!!

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا . أيقول هذا الكلام عاقل ..؟ لا والله ، ولا المجانين يقولونه . وإنما كهنة اليهود الذين مسخ الله أسلافهم قردة وخنازير ..!!

وإذا تجاوزنا عن بعض التخريف ، فكيف يطالع الله الشريعة والشريعة هى التوراة ، وهم يَدَّعُون أن توراتهم –الآن– وحى من عند الله ؟!

أفليس الله هو الذى أنزلها – على حسب زعمهم – فكيف يطالعها وهو المُوحِى بها ..؟!! هل نسيها ياترى ..؟!

وكيف يتعلم التلمود ؟! أليس التلمود – كما يقولون زوراً – هو الشريعة الشفوية التى أنزلها الله على موسى ..؟!

فكيف يتعلمه إذن ؟! أم أن اليهود هم الذين يوحون من الأرض إلى السماء ؟!

وملك الشياطين لماذا يتعلم التلمود ، ؟! ومع الله ..؟!

ومن هو أستاذ تلك المدرسة العلوية مادام الله – سبحانه – تلميذاً فيها .. ثم الملائكة ؟!

هذا اللغز لايحل إلا أن يقولوا : إن أستاذها حاخام من حاخامات اليهود ..؟!

أقسم لك بالله فاطر السموات والأرض ، أنى أكف عن ذكر ما هو بين يدى من تخريفهم عن « الله » سبحانه – حرجا من شناعة ما يقولون ، ويالهلاكهم ممايقولون وماذكرت منه إلا أخفه ، وللضرورة ذكرت ماذكرت . ولايسعنى بعد هذا ، كما لايسعك – أيها القارىء الكريم – إلا أن نردد قول

٦ – الكنز المرصود فى قواعد التلمود (ص ٤٩) .

موسى (عليه السلام) فيهم والذى حكاه القرآن الأمين :

﴿ قال رب إنى لاأملك إلا نفسى وأخى . فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾[7] إى وربى إنهم لقوم فاسقون .

ثانيا :ـــ الجديد عن « الملائكة» فى الفكر اليهودى اللاحق :

قرر كهنة اليهود أن الأجرام السماوية هى صالحو الملائكـــة ، وأن الملائكـــة – جميعا – يجهلون اللغتين : السريانية والكلدانية فعلى اليهودى إذا طلب منهم شيئا أن لايطلبها بإحدى هاتين اللغتين[8] وأن ملكا قد تزوج إنسية فولدت له الملك « عوج بن عنق » وكان ضخما جداً فبلغ طول قدمه أربعين ميلًا وأدركه طوفان نوح فلم يستطع نوح حمله معه فى السفينة . فركب عوج على ظهر الثور الذى يحمل الأرض[9] ؟!

ومن خرافات التلمود عن الملائكة :

كان للملائكة رئيس قديم اسمه « ميتانزون » ولكن ملاكا آخر اسمه « إمبائيل » ضربه بالنار فمات.[10]

ثالثا :الجديد عن الأنبياء فى الفكر اليهودى اللاحق :

يروى التلمود أن إبراهيم (عليه السلام) كان أكولاًشريباً . فكان يأكل بمقدار مايشبع ٧٤ شخصا . ويشرب بمقدار شربهم .

ويقولون إن السرير الذى كان ينام عليه إبراهيم هو « ضرس » كان قد خلع من فم الملك « عوج » فصنع منه إبراهيم ـــ عليه السلام ـــ سريرا لأن ضرس عوج كان ضخما جداً ..؟!

---

٧ ـــ المائدة آية ٢٥ .

٨ ـــ الكنز المرصود (ص ٥٣) .

٩ ـــ التلمود : تاريخه وتعاليمه (ص ٨٢) وعوج هو ملك الشامان وهى مرتفعات الجولان الحالية الواقعة شمال فلسطين .

١٠ ـــ نفس المصدر (ص ٨٠) .

وتروى وقائع التلمود أن موسى (عليه السلام) لما أراد قتل الملك « عوج » سلط الله نملة فحفرت حفرة عميقة وقع فيها« عوج » فانتهز موسى (عليه السلام) هذه الفرصة وأخذ بلطة طولها عشرة أذرع وقفز موسى فى الهواء بمقدار عشرة اذرع واستطاع أن يضرب « عوج » فى عرقوبه فمات[١١]؟!

ومما يحتوى عليه التلمود فى شأن عيسى بن مريم (عليه السلام) هذه الفقرة : « أن يسوع الناصرى موجود فى لجات الجحيم ؟! وأن أمه مريم ولدته من العسكرى باندارا بمباشرة الزنا .. وأن الكنائس النصرانية هى بمثابة قاذورات . وأن الواعظين أشبه بالكلاب النابحة[١٢] »

التلمود ألغى كل شرائع أنبياء بنى إسرائيل :

هذا التلمود الذى وضعه كهنة اليهود فى أجيال متعاقبة قد ألغى كل الشرائع التى جاءت بها الأنبياء . وهكذا يحل الكهنة محل رسل بنى إسرائيل ، وعلى رأسهم موسى عليه السلام :

« إن الأساس الكلى الذى يقوم عليه القانون الثانى أو الشفهى هو عدم الالتفات لما صرَّح به موسى فى التوراة[١٣] »؟!

وإن دلت هذه النقول على شىء فإنما تدل على أن اليهود بعد عهد التوراة لم يقدموا على تلطيخ سيرة الأنبياء ، بل إنهم ألغوهم من الوجود ؟!

رابعاً : الجديد عن « الإنسان » فى الفكر اليهودى اللاحق :

لقد زاد اهتمام اليهود – بعد التوراة – بعدائهم للإنسان . وقد تعدد نشاطهم فيه بصورة مذهلة جداً . والذى بين أيدينا الآن من صور ذلك النشاط تكفى لإخراج مجلدات ؛ لأنها فعلا مسطورة فى مجلدات وتفسير هذا النشاط يسير . فاليهود لم يعد بينهم أنبياء يزورون سيرتهم ، ولاهم مهتمون بإبادة

---

١١ ــ الكنز المرصود (٥٩) .

١٢ ــ التلمود : تاريخه وتعاليمه (ص ٤٣) هامش .

١٣ ــ الأدب العبرى (٤٠) د. جوزيف باركلى .

الملائكة . وما قدمته التوراة عن « الرب» كان كاف لوضعه فى قفص محكم الغلق يجعله ربا لبنى إسرائيل وحدهم ، حيث أنهم شعبه المختار المقدس من بين جميع الشعوب .

وإنما يخاف بنو إسرائيل من الإنسان الذى يرونه فى كل مكان ذهبوا إليه . ولهذا توجه كل نشاطهم لاحتقار الإنسان من غير اليهود ؛ ولوضع الخطط الفكرية والعملية للقضاء عليه نهائيا . رغبة فى تحقيق الوعد الذى ينتظرونه باستيلائهم على الكون كله .

ونظراً لكثرة الوثائق التى تسجل هذا العداء الدموى ؛ نكتفى بالنماذج الآتية ، فهى شديدة الدلالة على أن اليهود يرون أنفسهم أسياد العالم . ومن عداهم فهم عبيد لهم ورقيق مكبل بأغلال الذل والهوان :

«مسموح غش الأمى وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش . ولكن إذا بعت أو اشتريت من أخيك اليهودى شيئاً فلا تخدعه ولاتغشه»[14]

هذه قاعدة من قواعد التلمود ..؟!

«إن الله لايغفر ذنبا ليهودى يرد للأمى ماله المفقود . وغير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب»[15] ؟!

قاعدة تلمودية أخرى ..؟!

والمراد بالأمى هنا هو غير اليهودى . فهو أمى أو أممى ، أو جوى أو أجنبى . كل هذه الكلمات المراد منها غير اليهود . والمفاضلة بين اليهودى وغير اليهودى سارية كذلك على « مواشيهم » فثور اليهودى إذا نطح ثور الأجنبى فلا شيء على اليهودى ولا على ثوره ؟!

لكن إذا نطح ثور الأجنبى ثور اليهودى فإنه يعاقب الثور وصاحبه الأجنبى ؟!

---

١٤ ــ الكنز المرصود (ص ٧٥).

١٥ ــ السنهدرين : المحكمة الدستورية العليا لليهود . (ص ٦٧) .

« لحم الأجانب لحم حمير .. ونطفتهم نطفة حيوانات غير ناطقة . أما اليهود فقد تطهروا بوقوفهم على جبل سيناء »[16]

« على اليهودى أن يقتل كل من تمكن من قتله — يعنى من الأجانب — وإذا لم يفعل فقد خالف الشرع »[17] ؟!
قاعدة تلمودية واجبة التنفيذ ؟!

هذا قليل من كثير مما هو مسطور فى تلمود اليهود . وفيه كذلك لايجوز للطبيب اليهودى أن يعالج مريضا من الأجانب إلا بقصد الحصول على المال .. ؟!

إذا حلف اليهودى لأحد الأجانب على شيء فليس بلازم أن يفى له باليمين ولا ذنب عليه قط . ؟!

إذا وجد اليهودى أجنبياً فى حفرة فى الأرض فعليه أن يغلق عليه الحفرة ليموت .. ؟!

جهنم دار عذاب للأجنبى فقط ، ولاسلطان لها على أموات اليهود ..؟!

أما السعى للسيطرة على كل شعوب العالم . فاقرأ معى هذا النص :

« وعندما نتمكن من نجاح مخططاتنا هذه ستكون ساعة الصفر قد أزفت . فتزحف جيوشنا للميادين المعينة لها .. ونزيل الدول المنهارة عن طريقنا . ثم نعلن للعالم انتصارنا ونفرض عليه سيادتنا تحت ظل الدولة العالمية الموحدة ، وعلمها ذى النجمة المقدسة : magen David ويعد ذلك سنمحو كل أثر للمدنيات العريقة ، ونحرق كل المؤلفات غير اليهودية دون استثناء ، وسنفرض على العالم سافتنا .. ونقضى على اللغات المستعملة الآن ، وسنرغم الشعوب على دراسة اللغة « اليديشية » ونختص نحن باللغة العبرية الأصيلة لغة السادة

١٦ — الكنز المرصود (٨٤) .
١٧ — الكنز المرصود (٨٥) .

والشعب المختار .. ونلقن العالم تاريخنا وحده »[18] ؟!!

وأمامى الآن نشرة من النشرات الدورية التى توزعها إحدى « الهيئات » اليهودية . توزعها على اليهود فى كل مكان لتذكرهم بوعد الرب « يهوه » رب الجنود القبلى « إله إسرائيل » كما تصوره لهم كتبهم المقدسة .

أمامى ــ الأن ــ هذه النشرة وهاأنذا أقتطف منها بعض الفقرات ذات الصلة العميقة بموضوع البحث :

« ياأبناء الشعب المختار . تحياتنا الصادقة لكم ، وبعدها نقول : نحن على يقين من أنكم تلتهبون شوقاً لبلوغ اليوم الذى يلتئم فيه شملنا . ونسترد فيه هويتنا الحقيقية . **هذا اليوم الذى يتعرف فيه العالم على سادته الحقيقيين** » ؟!

« واعلموا أن جهودنا ومساعينا لن تذهب سدى .؟! وسترون عما قريب **كيف أن شعوب العالم ستخر ساجدة على أقدامنا** ... واعلموا أن الموعد قد اقترب فأبشروا بالخلود . وعما قريب سترون **ملك صهيون وقد امتلك زمام أمم الأرض قاطبة** ... وعندئذ سينتهى انتظاركم الممل البغيض ، وتستعيضون عنه بالسعادة بالأبدية ،، ؟!

« وكل هذا بفضل المناهج والدراسات التى وضعها لنا **مشيختنا**[19] والتى بدأت تتحقق شيئا فشيئاً . واعلموا أن العهود المظلمة التى عشنا فيها تحت ظل العبودية والظلم قد وَلَّتْ إلى الأبد .. ؟! وأن قطعان الماشية التى تسمى نفسها شعوب العالم بدأت أخيراً تخضع لنا وتنحنى لرغباتنا »[20] ؟!

---

١٨ ــ هذا النص جزء من رسالة ضخمة كتبها الحاخام جوهاشيم برنز وهى وثيقة سرية يشرح فيها المخطط السرى لليهود ، وقد عثرت عليها المخابرات الأمريكية ونشرتها مجلة « الصليب والعلم » عام ١٩٥٥ م واللغة البديشية هى اللهجة الألمانية للغة العبرية . راجع كتاب : مكايد اليهودية عبر التاريخ (٤٢٢) للأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة .

١٩ ــ المقصود من المشيخة هنا هم مفكرو بنى إسرائيل الدين وضعوا البروتوكولات المتقدم دكرها .

٢٠ ــ انظر كتاب : مكايد يهودية (ص ٤٣٧) للأستاذ عبد الرحمن حسكة .

تأمل هذه المقتطفات ، وقارن بينها وبين نصوص التوراة فى هذا الشأن ، وقد قدمنا لك قدرا وافياً منها . وانظر هل تسفر المقارنة عن فروق بين حاضر اليهود وماضيهم فى نظرتهم إلى الإنسان من غير اليهود . ؟! أم أن الوضع هو هو لم يتغير من الخطأ إلى الصواب ؟!

كاتب هذه الدراسة لايرى فرقا فى الهدف . وإنما الفرق فى السلوك .

فقديما كان لايوجد سوى الجانب الفكرى للنظرية . أما الآن فقد ترجم اليهود كل أفكارهم حول الإنسان إلى عمل .. وعمل منظم وخطير . ؟!

وفكرة التعصب العنصرى ما تزال تتحكم فى تصرفات الدولة الدينية لليهود إلى الآن .

فهم مايزالون يعتقدون أن تزاوج اليهود باليهوديات يضفى على نسلهم عبقرية فريدة تثير الحسد لدى شعوب الأرض ؛ لأن المولود اليهودى من أب وأم يهوديين يتكون من دم نقى خالص.[٢١]

وقد رفض رجال الدين اليهودى إبان حكومة جوريون زواج يهودى من فتاة أمريكية تهودت على يد أستاذ لها ، بحجة أن الفتاة وإن كانت يهودية الديانة فهى ليست إسرائيلية ..؟!

كلمة عن البروتوكولات :

أما بروتوكولات حكماء صهيون فهى تخطيط دقيق نحو السيطرة على العالم وقد اكتشف أمر هذه البروتوكولات فجأة وعلى غير إرادة منهم ونشرت لأول مرة على يد الأستاذ القدير سرجى نيلوس سنة ١٩٠٢ باللغة الروسية . وقد ضمن اليهود بروتوكولاتهم الخطط القريبة والبعيدة المدى ، بدءاً من الخطوة الأولى التى سيخطونها سعيا وراء الهدف الأعلى ، وانتهاء بالوضع الذى ينبغى أن يكون عليه « ملكهم » يوم يستولون على العالم .

٢١ ــ التوراة : تاريخها وغاياتها (٩٣) ترجمة سهيل ميخا .

ونضع أمام القارىء المقطع الأخير من البروتوكول الأخير (الرابع والعشرين) ففيه دلالة ذات خطر :

« ولكى يكون الملك محبوبا ومعظما من كل رعاياه يجب أن يخاطبهم جهاراً مرات كثيرة . فمثل هذه الإجراءات ستجعل القوتين فى انسجام : أعنى قوة الشعب وقوة الملك اللتين قد فصلنا بينهما فى البلاد الأممية (غير اليهودية) بإبقائنا كلا منهما فى خوف من الأخرى .. ؟!

ولقد كان لزاما علينا أن نبقى كلتا القوتين فى خوف من الأخرى ، لأنهما حين انفصلتا وقعتا تحت نفوذنا .

....

إن قطب العالم فى شخص الحاكم العالى : World - Ruler . **الخارج من بذرة إسرائيل** .ليطرح كل الأهواء الشخصية **من أجل مصلحة شعبه** . إن ملكنا يجب أن يكون مثال العزة والجبروت » [٢٢] ؟!

هذا ما تيسر نقله ، ولاأظن أن القارىء فى حاجة إلى زيادة تأكيد من أن الاتجاه الذى وضعه محرفو التوراة من القديم قد تحول لدى اليهود فيما بعد وإلى الآن إلى عقيدة راسخة لديهم . فهم الآن يسعون فى جد إلى تحقيق الوعد المقدس بسيادتهم على العالم ، إما بالإفناء ، وإما بالغلبة والسيطرة عليه .

وهم الآن كالملاكم الخبيث الذى يسدد لمنافسه ضربات خفيفه أو يسالمه أحيانا . لارحمة به ، ولكن لِتَحَيُّنِ الوقت المناسب فإذا هو منقض عليه بسرعة لتسديد الضربة القاضية . والقاضية إلى الأبد .. ؟!

ذلكم هم اليهود . ماضيا ــ وحاضراً ــ ومستقبلا . فهل من أذن تسمع وقلب يعى . وحراس يستيقظون ؛ لتظل الأفعى فى جحرها ، حتى يفعل اللهامراً كان مفعولا . ؟!

---

٢٢ ــ بروتوكولات حكماء صهيون : ترجمه إلى اللغة العربية الأستاذ محمد خليفة التونسى .

فكرة الحياة الآخرة عند اليهود

من يطلع على أفكار اليهود عن الجنة والنار يكاد يجزم بأنهم لايؤمنون بالآخرة إيمانا حقيقيا . وهذا الفرع مهمل فى الدراسات التى يقوم بها الباحثون فى اليهودية . وهى من أهم المسائل التى ينبغى أن يركز عليهاالباحثون المعاصرون ؛ لأن الإيمان بالآخرة هو المختبرالصادق لمعرفة المؤمن من غير المؤمن على الإطلاق .

ونقدم هنا مَا جَدَّ من فكرة الجنة والنار عند اليهود بعد عصر التوراة . أعنى فى أسفارهم اللاحقة وعلى رأسها التلمود . وإليك بعض تصوراتهم عنها :

« مساحة مصر أربعمائة ميل طولا وعرضا . وأرض الموريين تكبر مصر ستين مرة . والمعمورة ــ يعنى كل الأرض المسكونه ــ تكبر أرض الموريين ستين مرة . والجحيم أكبر من الجنة ستين مرة »[٢٣] .

ويذهب التلمود إلى أن نار جهنم لاسلطان لها على مذنبى اليهود ولاسلطان لها على تلاميذ الحاخامات ؟!

وقال أحد مكونى التلمود : لاحساب بعد انفصال الروح عن الجسد الذى فنى . فالجسد هوالمسئول عن الذنوب ولايمكن مساءلة الروح بشأنه .

وقال بعضهم : الجنة لاأكل ولاشرب ولازواج فيها[٢٤] ... بل الصالح سوف يجلس وعلى رأسه تاج ويستمتع برونق الكنيسة وقالوا فى التلمود :

النعيم مأوى الأرواح الزكية ، وقد وضع النبى إلياس يوما جبة أحد الحاخامات هناك فتعطرت من أوراق الأشجار وبقيت فيها تلك الرائحة العطرية ، وبسببها كانت تساوى ٣٠٠فرنك[٢٥] ..؟! . وقالوا :

---

٢٣ ــ الأدب العبرى للدكتور جوريف ماركلى (٢٨ ــ ٢٩)

٢٤ ــ المصدر السابق (٣٠ ــ ٣١) .

٢٥ ــ الكنز المرصود (٦٢) .

لايدخل الجنة سوى اليهود أما الجحيم فهى مأوى الكفار ــ يعنى غير اليهود ــ ولانصيب لهم فيها إلا البكاء ..؟!

ويوجد فى كل محل فى النار زيادة على ذلك ستة آلاف صندوق ، فى كل صندوق منها ستة آلاف برميل ملأى من الصَّبِر (بفتح الصاد وكسر الباء) أى العلقم .. ؟!

والجحيم أوسع من الجنة ستين مرة ؛ لأن الذين لايغسلون سوى أيديهم وأرجلهم كالمسلمين ، والذين لايختتنون الذين يحركون أصابعهم كالمسيحيين يبقون هناك خالدين » (٢٦)

والخلاصة :

تكاد مصادر اليهود الدينية تغفل الحديث عن الحياة الآخرة أو تقيم شأنا للثواب والعقاب الأخرويين ، وفى مقدمة هذه المصادر التوراة . أما المصادر اللاحقة فلا تتحدث حديثا جاداً عن الجنة والنار ــ كما مر بنا ــ وأعمالهم ومخططاتهم كلها حتى العصر الحاضر تفيد أن الثواب الوحيد الذى ينتظره اليهود هو قيام مملكتهم الأرضية . والسيطرة على العالم ..؟!!

التبشير وصلته بالنزعة العنصرية عند اليهود :

ليس لدى اليهود تبشير بالمعنى المعروف عند أقرانهم النصارى بل هناك اختلاف كبير بينهما .

فالتبشير عند النصارى يرتكز على دعامتين إحداهما ــ فى الواقع -وسيلة للأخرى .

الدعامة الأولى : الطعن الموجه إلى العقيدة المنافسة لعقائدهم وهى ــ غالبا ــ الإسلام . فجهود المبشرين المسيحيين لاتكف عن الطعن فى الإسلام ،

---

٢٦ ــ المصدر السابق (٦٣) يعنى المسلمين لا يتطهرون إلا بالوضوء فقط . والمسيحيون علف لايختتنون ويعبدون الصليب . وهذا جهل من واضعى التلمود بالإسلام ففيه الغسل الكلى من الجنابة سوى الوضوء .

والتشكيك حوله فى الرسول ــ عليه السلام ــ وفى الرسالة ــ وفى أتباعها الأوائل الذين كان لهم دور عظيم فى نصرة الإسلام . والطعن فى القرآن العظيم ما وسعتهم الحيلة ، ومناهجهم فى هذه المجالات معروفة يرددها الخلف عن السلف من رجال الدين المسيحى ، ومن بعض المفكرين المجندين لخدمة هذا الغرض وهم من يعرفون بـ : المستشرقين ، الذين ضاعفوا من جهودهم منذ أوائل القرن التاسع عشر إلى الآن : تأليفا وإذاعة ونشرا فى الصحف .

الدعامة الثانية :الترغيب للدخول فى المسيحية ومفارقة العقيدة المبشر ضدها . وقد اتبعت ، وماتزال تتبع عدة وسائل لتحقيق هذا الهدف . وتستخدم فيه مقادير هائلةمن الأموال ، والهدايا العينية ، عن طريق المستشفيات والملاجىء والمؤسسات الخيرية ، والإرساليات والمعاهد العلمية . إلخ ..إلخ كل هذا بغية التنصير ، فإن لم يكن تنصير فيكفى أن يشكك المسلم ــ غير الواعى ــ فى عقيدته .

هذا هو مفهوم التبشير لدى الكنائس المسيحية شرقية وغربية بالنسبة للعقيدة المخالفة لهم ، ولهم تبشير آخر داخلى هدفه تحويل المسيحى من مذهب إلى مذهب مسيحى آخر . ولكنه لايولى من العناية مثلما يولى التبشير الخارجى المتقدم ذكره ، وبخاصة الموجه ضد المسلمين والإسلام .؟!

التبشير لدى اليهود

أما التبشير لدى اليهود ، إن صحت هذه التسمية ، فهو لايهدف إلى دخول غير اليهودى فى الديانة اليهودية ؛ لأن اليهود ــ بحسب عقيدتهم ــ لايحبون أن يدخل فى دينهم أحد من غير بنى إسرائيل ، ولايحبون أن يخرج أحد من بنى إسرائيل من اليهودية إلى دين آخر .

وهذا ــ على الأقل ــ إجراءضرورى يتمسكون به مادام الأمر ــ أعنى أمر سيادة العالم وقيادته لم يؤل إليهم ــ والسبب وراء هذا كله هو اعتقادهم أن قيادة العالم ستؤول إليهم فعلا . ولو قدر أن أحداً من غير بنى إسرائيل دخل فى اليهودية فمعنى ذلك أنه سوف يشاركهم بحكم يهوديته فى تلك السيادة ــ

وهو فى الواقع أممى غريب عن دمهم الطاهر ، وعرقهم النقى كما يزعمون . ؟ ومشاركة الأجنبى لهم فى تلك السيادة العليا أمر محظور ، لامرة واحدة ، ولكن آلاف المرات . إذ كيف ينال الوعد المقدس أجنبى ليس من نسل يعقوب ، والوعد خاص بنسل يعقوب دون من سواهم .؟!

وكيف يدخل أغلف – أى مسيحى – أو نجس – أى مسلم – كما يزعمون فى زمرة الأطهار البررة ، ويكون فرداً من أفراد شعب الله المختار ، وهم بنو إسرائيل ، وبنو إسرائيل وحدهم ولهذا فإن هدف اليهود من التبشير هو الطعن فى العقيدة المخالفة لهم : المسيحية والإسلام . الطعن لمجرد الطعن ، وليعيش المسيحى والمسلم هكذا فارغا من عقيدته ؛ لأن فراغه من العقيدة سوف يسهل عليهم التهام العالم عندما يحين الوقت المناسب للقيام بالانقلاب المدمر لصالح شعب الله المختار . ومن هنا أصبح العمل على « الإلحاد » ونشره . والانحطاط الخلقى والفوضى وزعزعة العقائد لدى الشباب ، أصبح العمل على تحقيق تلك الأهداف برنامج عمل يومى يخططون له ويمارسون تنفيذه . وإن شئت فارجع إلى كتاب بروتوكولات حكماء صهيون لترى بنفسك كيف يهتم اليهود بالعمل على تحقيق هذه الأهداف . والوسائل التى يتبعونها فى شأنها . وقد ظهر من هذا كله أن كل شىء عند اليهود يعتمد على التعصب العنصرى بغية الوصول إلى سيادة العالم أجمع ..والله من ورائهم محيط .





الدكتور عبد العظيم المطعنى

الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي

القسم الثانى

الأناجيل



تمهيـد

في الفصول المتقدمة كان همنا إثبات تحريف التوراة . وقد ظهر لنا من كل الوجوه ، ومـن أدلـة يقينيـة قاطعـة أن التـوراة محرفـة ـــ معدلـة ـــ مزورة ـــ مزيفة . ولا أظن أن من صاحبنا في هذه الدراسة ، وتابع ما ذكرناه بوعي ، يكون عنده أدنى استعداد لقبول دعوى من يدعى أن التوراة التى بيد اليهود الآن غير محرفة ، وأنها باقية على نفس الصفـة التى أنزلها الله بها على موسى عليه السلام .

وإذا جاز لى أن أعطى مثلا من جهتى ، فإنى ـــ ورب السموات والأرض ـــ لا أقبل تلك الدعوى ، ولو كنت أنا وحدى الرافض إياها ، وكان القائل بها جميع من في الأرض . لو صح هذا الفرض . ومالذلك من سبب إلاتضافر البراهين القواطع على تحريف التوراة وتزويرها . وليس أمام العاقل إلا واحد من اختيارين :

أحدهما : إما أن يرفض التوراة لزيفها وباطلها ويحتفظ بإيمانه الصحيح بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والثواب والعقاب فيحظى بالسعادة في الدنيا والآخرة .

والثاني : وإما أن يقبل التوراة ويخسر إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله ويومه الآخر وثوابه وعقابه ؟! فيخسر عاجل أمره وآجله . !!

وقضية الإيمان هى أُس الوجود كله ، فليست هى عند العاقل موضع مجاملة ، ولا هى مجال مخاطرة أو مغامرة حتى يفرط فيها تحت أى مؤثر ولو كان مؤديا إلى الموت ، فما أرخص الثمن وما أغلى المشترى ؟!

وأرانا ـــ بعد ماتقدم ـــ ملزمين بالتعرض لدعاوى أخرى مماثلة :أثارها واضعوا الرواية الهزلية « الباكورة الشهية في الروايات الدينيه » .

وتلك الدعاوى هى :

١ ـــ ادعاء سلامة الإنجيل من التحريف .. ؟!

٢ ـــ ادعاء « ألوهية عيسى بن مريم » عليه السلام .. ؟!

٣ ـــ نفى نبوة محمد ﷺ .. ؟؟!

٤ ـــ نفى الإعجاز عن القرآن الحكيم وإدعاء أنه مقتبس من التوراه والإنجيل ؟؟! ولواضعى الرواية الهزلية شبه مضحكة جداً ، ومسلية جداً فى هذه الدعاوى . الأربع حتى ليخيل إليك وأنت تقرأ ماكتبوا ، أن القوم إما أن يكونوا قد سلبت منهم عقولهم فراحوا يهذون هذيان المخمور أو المحموم .. ؟!

وإما أن يكونوا قد تصوروا ـــ واهمين ـــ أن الناس قد سلبت منهم عقولهم ، وتوقعوا أن هذيانهم هم ـــ هذيان واضعى الرواية الهزلية ـــ قد يؤثر فيهم ـــ فى الناس ـــ فيصدقون أن الأبيض أسود ، والأسود أبيض ، أو أن الولد أكبر من أبيه بسنتين[1] ..؟!

وها نحن أولاء نتصدى لدعاواهم تلك ، كما تصدينا لدعاواهم السابقة بجانب التوراة . حتى عريناهم ـــ لاأقول من ثيابهم ـــ وإنما أقول : حتى عريناهم **من ظلهم** ، فذهبوا مع توراتهم المقدسة إلى حيث يذهب من خر من السماء فتخطفه الطير .. أو تهوى به الريح فى مكان سحيق .. ؟!

○○○○○

---

١ ـــ مرت بنا هذه القضية فى نصوص التوراة بين يهورام وابه أحزيا ..؟

الفصل الأول
دعوى سلامة الإنجيل من التحريف

بعد أن ملأ واضعو الرواية الهزلية مائة وستين صفحة فى محاولات لاهثة للدفاع عن « توراة اليهود » خيلت إليهم أوهامهم ، أو أملت عليهم شياطينهم أنهم قد نجحوا فى مسعاهم بالنسبة للتوراة ، فراحوا فى خفة ونزق يحملون عليها الإنجيل فقالوا :

« وعدم تحريفها ــ يعنون التوراة يقضى بعدم تحريف الإنجيل ، لاتفاقهما ــ يعنون التوراة والانجيل ــ معا فى القصد والغاية ، كما لايخفى على المدقق النبيه »[1] !!!

وظاهر من كلامهم كله أن واضعى الرواية الهزلية لم يقصدوا بكلامهم إلا السذج والعوام والدهماء من الناس . أما من له دراية بكتابهم المقدس بعهديه توراته ــ وأناجيله فإنهم لايتوقعون أدنى توقع أنهم يجدون إلى التأثير عليهم سبيلا . وحسبك من عدو يخشى مواجهة الفرسان من خصمه ، ولا يبغى الغلبة إلا على الضعفاء ..!!

وواضعو الرواية الهزلية إنجيليون ــ نصارى ــ مافى ذلك من شك ، ودفاعهم عن التوراة دفاع اضطرارى ، حملتهم عليه أكبر غلطة فى التاريخ وقع فيها النصارى منذ فجر المسيحية . حيث اعتبروا التوراة جزءًا من الكتاب المقدس ..؟! واليهود أصحاب التوراة لاتجد أحداً فى الدنيا أشد عداء للنصارى منهم ، فقد حاربوا المسيح فى حياته ، ودفعوه إلى الصلب لولا أن نجاه الله منهم ، وإن كان النصارى يعتقدون أنهم صلبوه فعلا ، ويقيمون على هذه

---

١ ــ الباكورة الشهية فى الروايات الدينية (١٦٠).ط باللغة العربية .

العقيدة صلب ديانتهم ، بعد أن أحاطوها بفلسفات غريبة حملتهم على الافتراء على الله ورسوله عيسى عليه السلام ، وعلى غير عيسى أيضا . واليهود قبل محاولتهم صلب عيسى عليه السلام واجهوه هو وأمه منذ ولادته بأقذع السباب ، ورموا أمه بالبهتان ، وافتروا عليهما ــ المسيح وأمه ــ افتراء عظيما .. ؟! ثم هم إلى الآن يضمرون للنصارى كل حقد ويطلقون عليهم أنهم غلف أنجاس ... ؟!

؛ لأنهم تركوا شريعة موسى عليه السلام ومنها الختان .. ؟!

ومع كل هذه المفارقات ، وكل هذه العداوة يضطر النصارى للدفاع عن توراة اليهود ، لأنهم بنوا عليها صحة أناجيلهم . ولو أنهم سلموا بصحة الطعون الموجهة إلى التوراة ، لانهدمت أناجيلهم تواً . وهذا من علامات السخط على هؤلاء المدافعين ، حيث يرون الدفاع عن عدوهم اللدود شرطا لصحة ماهم عليه . وهذه ورطة لايجدون عنها فكاكا ، على حد قول الشاعر :

ومن نكد الدنيا على المرء أن يرى ... عدواً له ما من صداقته بد

بيد أن الوضع لايقتصر بالنسبة لهم على معاناة هذه الورطة ، وإنما يتجاوزها إلى ورطة أخرى ــ هى فى الواقع ــ أخطر على وجودهم الدينى من الأولى ، وهى أن الدفاع عن صحة التوراة يقتضى الإيمان بها ، والإيمان بالتوراة من قبل النصارى يقتضى التسليم منهم لليهود بسلامة موقفهم ــ موقف اليهود فيما يقولون وما يفعلون ــ ، ومعنى هذا أن اليهود على حق فى إنكارهم للمسيح ، إنكاراً لايتعلق بنفى الرسالة ــ عنه فضلا عن الألوهية المدعاة ــ وإنما يتعلق بوجود المسيح نفسه أو عدم وجوده . واليهود إنما ينكرون وجود المسيح نفسه . فهو لم يجىء ولم يبعث ولم يحاربوه ؟! وليت شعرى ماالذى كان سيبقى للمسيحين من المسيح والمسيحية التى يرعدون ويزيدون بها الآن إذا كان اليهود على حق فى ذلك الإنكار ؟!

فكان الأولى أن يواجه النصارى اليهود ، لا أن يواجه النصارى المسلمين

ومعتقداتهم ، ويتلمسوا سلامة التوراة ــ لتسلم اليهودية ، ثم سلامة الإنجيل ، لتسلم النصرانية ، **على حساب ــ أو قل على أنقاض ــ الإسلام ، وكتاب الإسلام ، ورسول الإسلام ، ثم المسلمين أنفسهم .. ؟!**

وماداموا هم قد اختاروا هذا الطريق . فإننا نقول لهم **متفرقين ومجتمعين : أهلا وسهلاً نحن لها** . فلن يخيفنا اجتماعكم ولن نأبه بافتراقكم . سواء كان عليكم أو كان لكم . وواجبنا أن نرد باطلا رفعتموه ؟!

ونقيم الحق الذى هضمتموه ؟! نقيم هذا الحق بحق مثله ، ولانجادل عن باطل بباطل مثله . والفروق بين المنهجين غير خافية على من كان له ذرة من عقل ، أو مثقال من تمييز وسلامة فطرة . ؟!

الأناجيل .. بنات التوراة .. ؟!

أنتم تقولون : إن صحة سلامة التوراة تقتضى صحة سلامة الأناجيل لاتفاقهما فى القصد ، والغاية . تلك علة صحة الأناجيل عندكم حيث حملتموها على صحة التوراة . وحسنا كان ذلك منكم ؛ لأنكم به قد اختصرتم لنا طريق الرد عليكم فى هذه الدعوى « الفرعية » ولذلك فإنه يكفينا أن نقول لكم ، أو نقول للقارىء الذى استهدفتموه بروايتكم الهزلية ، التى حملكم شناعة ما فيها من باطل أن لاتضعوا عليها أسماءكم ، أو اسم من ينوب عنكم فخرجت إلى الأيدى دعية زنيمة لا أبا ولا أم لها .

يكفى أن نقول : ها نحن قد بينا بدلالة العقول والنقول والواقع ، وبدلالة شهادات رجال منكم قدماء ومعاصرين ، وبدلالة مواقف طوائفكم من التوراة واختلاف نسخها من طائفة إلى أخرى ــ اختلافا شمل الكم والكيف معاً .. ؟! ــ

قد بينا من خلال ذلك كله ، ومن غيره أن توراتكم المقدسة :

محرفة ــ مزورة ــ مغيرة ــ مبدلة تسىء إلى الله ، والملائكة ،

والنبوة ، والأنبياء ، والرسل ، وتهدد كرامة الإنسان ـــ ومنهم أنتم ـــ ، وأن الإيمان بها كفر والكفر بها هو الإيمان .

وهذه الحقائق ـــ المسلمة ـــ قد كذبت دعواكم بسلامة التوراة من التحريف والتبديل ، ومادام قد ثبت كذب دعواكم هذه ؛ فإنه يستلزم كذب دعواكم بسلامة الأناجيل ؛ لأن الأناجيل بنات التوراة . وما يثبت للأم من خصائص الجنس ، وطبائع الوراثة يثبت للبنات لا محالة ، مع اختلاف درجات التأثر والتأثير . ومثلما خضعت أسفار التوراة لغايات بشرية دعت إلى تزويرها ، خضعت الأناجيل لمثل تلك الغايات البشرية فدعت ـــ كذلك ـــ إلى تزويرها .

وهنا تتمثل أمام العقلاء حقيقة يشق على العقل الارتياب فيها ، وهى أن الواقع « النصى » للأناجيل شبيه إلى أبعد حدود التقارب بالواقع « النصى » لأسفار التوراة ، فى أن جهوداً بشرية أضفت على تينك الوثيقتين اللتين أصلهما « الوحى » مسحة شديدة القتامة ، وأجرت فى عروقهما دماء ملوثة ليست من فصيلة دمائها ، فتعفن هيكل الجسم كله ، وطغى الفاسد فيه على الصالح فازورت عنه أبصار المبصرين . ؟!

اختلاف القصد والغاية .. بين التوراة والأناجيل (٢) ؟!

ادعى واضعوا الرواية الهزلية فيما نقلناه عنهم آنفا أن المقاصد والغايات فى التوراة والأناجيل المتداولة الآن واحدة ، لم تختلف من كتاب منها إلى الآخر . وهذه دعوى ظاهرة البطلان ، وبطلانها ثابت من الواقع « النصى » لكل منهما .

وها نحن أولاء نشير إلى بعض الفروق الواضحة بينهما ؛ لنثبت للقارىء كذب هذه الدعوى وبطلانها :

---

٢ ـــ نلفت نظر القارىء أن يستشعر ـــ دائما ـــ أننا لم نرد التوراة والإنجيل اللذين أنزلهما الله على موسى وعيسى عليهما السلام . وإنما نريد مابيد اليهود ومابيد النصارى الآن وهما مختلفان عن الموحى بهما حقا اختلافا كبيرا ..؟! .

١ ــ الرب فى التوراة واحد ، ولكنه رب إسرائيل وحدها « رب الجنود » يهوه أو أدوناى قدوس إسرائيل . وعزيز يعقوب . ؟!

والرب فى الأناجيل « ثلاثة » : الأب ــ والإبن ــ وروح القدس .. ؟!

٢ ــ الرب في التوراة « لاهوت كله » والرب في الأناجيل « لاهوت + ناسوت » ؟!

٣ ــ التوراة تنزل « الرب » ليقيم فى مسكن قدسه فى أورشليم أو عاصمة ملك بنى إسرائيل (؟!) والأناجيل تنزل « الرب » وتدخله رحم امرأة وتمشيه على الأرض فيأكل ويشرب ، ويشعر بالألم ، ويركب الحمار ، والسفينة إلخ .. إلخ .

٤ ــ الرب فى التوراة مقاتل مدجج بالسلاح يفنى الأمم ويهلكها أمام شعبه المختار . ؟!

والرب فى « الأناجيل » أعزل من كل سلاح ، ذليل ، مهان ، محتقر ، مطارد ، مهزوم ، يسلمه ضعفه فى النهاية إلى « الموت » صلبا مع الأشرار ، ويدفن مع الأشرار ؟!!

٥ ــ الغاية الكبرى فى التوراة هى قيام مملكة بنى إسرائيل ، شعب الرب المختار ، وسيطرتهم على جميع أمم الأرض ــ ومنهم النصارى ــ إما بالقتل والإبادة ، وإما بالاستعباد والاسترقاق ، والذل والاضطهاد . بيد أن التوراة تخطىء الطريق الذى رسمته للوصول إلى تلك الغاية .

والغاية الكبرى فى الأناجيل الدخول فى ملكوت الله ، وهو الوصول إلى الرضوان الأبدى في السماء ، ولكن الأناجيل تخطىء الطريق الذى ترسمه للوصول إلى هذه الغاية ، مثلما أخطأت التوراة .

٦ ــ خطأ الطريق فى التوراة ، حيث ترى أن الذى سيوصلها إلى ذلك هو « رب الجنود » الإله القبلى لإسرائيل ، وهذا « الإله القبلى » غير موجود ، ولكن الموجود هو « الله الحق » رب الناس جميعاً ، الذى لا يقبل إلا الطيب ، ولايرفع الا كل تقى مؤمن من عباده .يعبد الله مخلصا ، ويعرف لملائكته وكتبه

ورسله حقهم ، ولا يزكى على الله أحداً من خلقه ؟!

وخطأ الطريق فى الأناجيل هو أنها ترجو ماترجو من رب « مثلث » مكون من ثلاثة أجزاء ، وهذا الرب غير موجود ولكن الموجود هو الله الواحد الأحد فى الذات والصفات والأفعال ، الذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .. ؟!

٧ ــ التوراة ترى النعم المادية العاجلة هى المبدأ والمصير ، وتلغى شأن الروحيات إلغاءً ، حتى « الله » لم تساعدهم أنفسهم على الإيمان به إلا أن يروه هكذا جهرة .

والأناجيل تلغى قيم النعيم العاجل إلغاءً ، حتى كأن الدنيا لم تكن ، وتدعو إلى الإقامة فى « مجد الأعالى » وكأن الدنيا لم تخلق للإنسان ؟!!

٨ ــ التوراة من حيث المبدأ تدعو إلى « لطم خد البرىء » ؛ لأنه نجس أو أغلف إن كان من غير بنى إسرائيل . والأناجيل من حيث المبدأ أيضا تدير خدها الأيمن لمن يلطمها على خدها الأيسر .. ؟!!

٩ ــ فى التوراة شعب مختار هو نسل يعقوب ، لم تخلق الدنيا إلا له ، ولم تكتب السيطرة إلا له . ؟!

وفى الأناجيل شعب الرب يسوع ، وهو وحده لم تخلق أمجاد السماء إلا له ؟!

١٠ ــ فى الأناجيل مدار الفلاح كله على الإيمان بعقيدة الصلب والفداء ، والمجرم هو « اليهود » ، والتوراة تخلو من هذا المبدأ ، وتقيم مكانه العقيدة فى المنقذ المخلص الذى لم يأت حتى الآن من قبل « رب الجنود » منقذ الشعب المختار ؟!

هذه عشرة فروق فى كليات المبادىء بين التوراة والأناجيل ، مع فروق أخرى كثيرة فى المسائل التشريعية . فكيف يقال إن المقاصد والأهداف فى

العهدين واحدة ؟!

وعلى المرتاب فى صحة ماأثبتناه أن يرجع إلى التوراة والأناجيل ، فسيجد إذا أنعم النظر فروقا كثيرة فوق مانقول ، وإن كان ماقيل كافيا فى دحض دعوى المخالفين .. ؟!

الأناجيل .. فيها مايكفى .. ؟!

قلنا إننا لو أحببنا الاختصار الذى هيأه لنا منهج واضعى الرواية الهزلية فى استدلالهم على صحة الأناجيل ، حيث حملوا صحتها على صحة التوراة التى أثبتنا بطلانها . لو أحببنا ذلك الاختصار لكان فيما أجملناه وفاء بالمقام وأى وفاء !! ولكننا لن نقنع باختصار الرد المكافىء لاستدلالهم ، وإنما نريد أن نضع بين يدى القارىء وطلاب الحق صوراً حية ، وشواهد ناطقة ، من الواقع « النصى » للأناجيل . فالأناجيل ــ بصرف النظر عما تقدم ــ فيها مايكفى لإثبات تزييفها وتحريفها وزيادة ولكل شىء آفة من جنسه كما يقولون .

إنجيل واحد .. لا أربعة أناجيل .. ؟!

نعم . إنجيل واحد واجه به عيسى عليه السلام (عبد الله ورسوله) ، واجه به قومه المرسل إليهم ، وليست أربعة أناجيل . وهذه أولى الخطوات التى يخطوها مخالفو النصارى فى الاحتجاج عليهم ؛ لأن النصارى يمتلكون ــ الآن ــ أربعة أناجيل ، ويدعون أن كلا منها يقص قصاً واقعياً حياة المسيح عليه السلام ، من ساعة ولدته أمه إلى أن كانت نهايته المحتومة ، بعد أن لبث بين قومه ماشاء الله له أن يلبث ..

ولو كانت تلك الأناجيل قد تناوبت قص حياة المسيح فيما بينها ، بمعنى أن يختص كل واحد منها بجانب من جوانب حياة المسيح عليه السلام ثم يتوقف ، ويتناول الأنجيل الثانى جانبا آخر ثم يتوقف ، وهكذا الثالث والرابع ، لو كان الأمر كذلك لما وجدنا منفذا واحداً نواجههم به فى مسألة التعدد من

حيث هى ، ولكن الواقع يرينا أن كل إنجيل منها يتناول حياة المسيح كلها من ألفها إلى يائها . وهذا من أكبر العوامل الحاملة على الريب فى صحة ماعليه القوم .

ولو كانت تلك الأناجيل قد التزمت منهجا واحداً فى عرض الأحداث لضاقت هوة الخلاف معهم ولم يكن أمام المخالف إلا أن يقول لهم : كفاكم إنجيل واحد منها ، ولا داعى للتمسك بها كلها ، مادامت الصورة واحدة ؛ لأن تحصيل الحاصل مما أجمعت العقول والنقول على بطلانه ؟!

ولكن الواقع « النصى » لتلك الأناجيل يسفر عن اختلاف عميق فيما بينها ، يصل أحيانا كثيرة إلى درجة التناطح ، وأحيانا أخرى إلى درجة التناقض ، بمعنى أن إثبات مافى أحدها يقتضى نفى مافى سواه نفيا قاطعا . وبمعنى آخر أن أحد الأمرين واقع .. والثانى مكذوب .

ولو كان الاختلاف الوارد فى الأناجيل متعلقا بأمور يمكن وقوعها لكان الأمر يسيراً . ولكن تلك الأناجيل قد اتفقت على شيء لم يدعه عيسى عليه السلام لنفسه ، ولايقره عقل لو ادعاه ولا جرت به سنة الله فى رسله . وهنا يبلغ الخطب مداه ، وتغوص به الأناجيل فى خضم الباطل حتى تغيب عن الأنظار .. ؟!

الواقعة صحيحة .. والتصوير خيال .. ؟!

واقعة وجود المسيح : رسالته ، واضطهاد اليهود إياه حقيقة راسخة من حقائق الإيمان ، لايرتاب فيها إلا كافر بالله ورسالاته . ولكن عرض الأناجيل لتلك الواقعة قد جنح الى أبعد حدود الزيف والشقاق ؟!

الأناجيل .. وملحمة رولان

رأينا فى صدر هذه الدراسة كيف أن الباحثين المعاصرين فى نصوص التوراة قد شبهوها بملحمة رولان ، من حيث أن لكل منها أصلاً واقعيا ، ولكن الخيال قد جسم الأحداث المتصلة بتلك الواقعة الحقيقية ، وأضاف إليها

الكثير من عندياته حتى ضخم الواقعة نفسها .

وكان قصد أولئك الباحثين الموضوعيين أن يبينوا إلى أى مدى تدخل العمل الخيالى فى ملحمة رولان ، وإلى أى مدى تدخل العمل البشرى فى نصوص التوراة .

وهذا التشبيه سوغ لهم أن يقولوا : إن أسفار التوراة أشبه ماتكون بنشأة الأدب الشعبى لدى أمة من الأمم ، حيث تضم كميات هائلة من الأساطير إلى الواقعة الحقيقية المقصوصة ، وتنمو تلك الأساطير عبر الزمن بمساعدة عمل الذاكرة البشرية أو الشعبية التى تتكفل بروايتها ونقلها من جيل إلى جيل .فإذا دونت فى رواية أو قصة شمل التدوين نفس الأصل الواقعى مع ماأضيف إليه من الخرافات والأساطير حتى تغيب الحقيقة فى ذلك الزحام .. ؟!

وقد أصاب أولئك الباحثون « لب الصواب » فى تلك المقارنات ، ولكننا نقول إنه قد كان من الأجدر بهم أن يطبقوا ذلك النهج على « الأناجيل » كما طبقوه على « أسفار التوراة » ووجه الشبه بين الإثنين « التوراة والأناجيل » قائم فلكل منهما واقعة حقيقية . وفى كل منهما أعمال ضخمة من « كفريات » الخيال . وتزييف الواقع . ؟!

وبين التوراة والأناجيل رباط آخر لايكاد ينفك أبداً عن شعور من يقرأهما ؛ لأن فى كل فقرة منهما شواهد قوية على ذلك الرباط . وإذا أردت أن تجرب بنفسك فما عليك إلا أن تعمد إلى أى إصحاح.من إصحاحات التوراة فتقرأه فى تأن ، ثم تعود فتعمد إلى أى إصحاح من إصحاحات الأناجيل فتقرأه كذلك ، فإنك فى هذه الحالة تحس إحساساً يملأ عليك كل جوانب نفسك بأن الذى تقرأه وتطالعه إنما هو كلام بشر مثلك ، لا كلام وحى نزل من لدن الحكيم الخبير ؟!

فبين كلام الوحى الخالص ، وبين ماتقرأه فى توراة القوم وأناجيلهم فروق عظيمة .

وبين المعانى التى هى من خصائص الوحى الخالص ، والمعانى التى تراها فى نصوص ماتقرأه من التوراة والأناجيل مابين النور والظلام ، أو مابين السماء والأرض . ؟!

وإن أردت وثوقا مما نقول فاعمد — بعد ذلك — إلى قراءة أية آيات من الوحى الخالص الذى تكفل الله بحفظه (القرآن الأمين) وقارن ماقرأته منه ، بما قرأته من سواه ماأمكنتك المقارنة فى أى وجه من الوجوه ، فإنك — لاريب — سترى — جلال الوحى ، وصدقه ، وهيبته ، وروعة بيانه ، وشرف معانيه ، بينما سيزداد إحساسك ببشرية كل من التوراة والأناجيل .. ؟!

كما سترى أن التوراة والأناجيل أقحمت فى تصوراتها أموراً كثيرة جداً لاشأن للوحى بها . ولا شأن لها — هى — بالوحى والتوراة تفوق الأناجيل فى هذا الشأن بقدر كبير .. ؟!

وقد ساعدها على ذلك الامتداد الطويل للفترة التى تقص وقائعها وتعدد مصادرها .

هدفان يسبقان التحريف

ألمحنا فى الفصول السابقة عن الهدف الذى حمل اليهود على تعديل التوراة وتزييفها . والأناجيل مثل التوراة — كذلك — فى هذا المجال ، فقد تقدم على تحريف « الإنجيل » الأصلى الموحى به من الله إلى عيسى عليه السلام هدف بشرى حمل النصارى على تحريف « الإنجيل » فى أناجيل متعددة ، اختار منها رجال الدين المسيحى فى عصر متأخر عن ظهورها أربعة فحسب ، وحكموا ببطلان ماعداها من أناجيل لايعلم حقيقتها إلا الله علام الغيوب .

والهدف الذى حمل النصارى على ذلك التحريف هو التمهيد لترشيح المسيح عليه السلام ليكون إلاها ، أو « ابن الله » الوحيد ، تعالى الله عما يقولون ، وإن كانوا ليقولون إثما وبهتانا عظيما .

مولد الهدفين

لكل من الهدفين اللذين حملا على تحريف التوراة والإنجيل مولد معروف ، فالهدف الحامل على تحريف التوراة ظهر أو ولد فى القرن السادس قبل مولد المسيح عليه السلام (إبان النفى البابلى) وظل يؤدى دوره طوال أربعة قرون أو تزيد . وقد أجمع كل الباحثين الموضوعيين فى تاريخ تدوين التوراة ومراحله .

وبعض المحدثين منهم ، وهم من قرنائهم المسيحيين يتقدمون بمولد تحريف التوراة إلى ماقبل هذا التاريخ بزمن طويل . وقد تقدم القول على هذا مفصلا فى الفصول السابقة .

أما الهدف الذى حمل النصارى على تحريف « الإنجيل » فى أربعة أناجيل معتمدة لدى الكنائس الآن . فهذا مانقدم عنه جملاً وافية من البحث فيما يأتى :

متى ولد .. وعلى يد مَنْ .. ؟!!

لقد تقدمت الإشارة إلى حقيقة الهدف الذى حمل النصارى على تحريف الإنجيل ، وهو : **تأليه المسيح عليه السلام** .. ؟! وما يترتب على هذا التأليه من عقائد وسلوك .

وولادة هذا الهدف كانت عقب خاتمة رسالة المسيح عليه السلام ، ويمكن تحديد نشوئها وتطورها من بداية النصف الثانى من القرن الأول للميلاد (٣).

وهذه الفترة قد ولدت فيها اليهودية ـــ المسيحية كما تقدم ، وقد احتدم فيها الصراع بين الطوائف المختلفة فبجانب اليهودية ـــ المسيحية كانت توجد

---

٣ ـــ بعض الباحثين يؤرخ ظهوره بـ عام ٣٨ م وفى هذا التحديد نظر ..!

نزعتان : اليهودية الخالصة ، ثم المسيحية التى تأخذ فى تأسيس نفسها يوما بعد يوم ، حتى وصلت إلى ماهى عليه الآن بين كل الطوائف الكنسية .

أما قبل هذا التاريخ فإن صورة عيسى عليه السلام ، وحقيقة رسالته لم تكن قد تطرق إليها شيء مما يفسدها . فحواريوه كانوا شهود عيان لها . وهم مشهود لهم بالتقوى والصلاح فى أوثق مصادر الوحى ، ولكن تحت العوامل التى جدت فيما بعد قد شوهت سيرتهم وأُنطقوا بمالم يقولوا تمهيداً لذلك التحول الخطير الذى أصاب المسيحية فى القرون اللاحقة . ؟!

ذلك هو مولد الهدف بالاعتبار الزمنى . فما من كاتب قديم أو حديث قد حاد عن هذا التحديد ، أوتشكك فيه .

فعلى يد مَنْ ولد هذا الهدف ؟!

سؤال خطير ، والإجابة عليه تحتمل الإطالة إلى أقصى مدى .. وتحتمل الإيجار فى كلمات قصار . ولكننا لن نسير على أى من النهجين : لن نطيل إلى أقصى مدى ، ولن نوجز إلى أقل صور الإيجاز ، بل سننحو منحى وسطا بين الإطالة والإيجاز ؛ لأننا لانريد أن نرسل القول على عواهنه ، ولكننا سنقيم الدليل تلو الدليل على كل مانذكره ، ومن مصادر أهل الكتاب أنفسهم حتى لايتهمنا أحد بالتجنى على القوم فيما نواجههم به .



الفصل الثانى

بولس .. هو المسئول الأول .. ؟!

كانت المسيحية قبل بولس بيضاء نقية ، فأخذ على عاتقه قلبها وتشويه مبادئها ، ولم يفارق الحياة حتى قام بإجراء « عمليات جراحية » خطيرة فى هيكل الرسالة والرسول . عمليات تغيرت بسببها كل الملامح الأصلية فى المسيح ـــ عليه السلام ـــ ، وفى حقيقة دعوته الخيرة الكريمة .

ونضع أمام القارىء جملة قصيرة عن مولده ، ونشأته ، وجنسيته ، وعقيدته ، فذلك أمر مهم ، وبخاصة لأن له صلة عميقة بالدور الذى قام به تحت ظلال المسيحية والمسيح .

« ولد واضع اللاهوت المسيحى (بولس) فى طرسوس من أعمال كليكيا حوالى السنة العاشرة من التاريخ الميلادى ، وكان أبوه من الفريسيين [١] ، ونشأ ابنه على هذه الشيعة الدينية المتحمسة .. وكان والده مواطنا رومانيا ، فأورث ابنه هذا الحق .. وأكبر الظن أن اسم بولس كان هو اللفظ اليونانى المرادف للاسم العبرى شاؤل . ولهذا ظل الاسمان يطلقان (عليه) منذ طفولته [٢] »

هذا المقطع الذى نقلناه عن مسيحى مشهور يضع أمامنا ثلاث حقائق مهمة :

أولاها : أن بولس وأباه يهوديان إسرائيليان .

وثانيتهما : أنهما ينتميان إلى طائفة الفريسيين الذين عرفوا بانشقاقهم وتمردهم .

---

١ ـــ مرت هذه الكلمة « الفريسيون » كثيراً فى هده الدراسة وأذكر القارىء بأنها كلمة يونانية معناها : المنشقون كما تقدم . فبولس وأبوه من طائفة المنشقين الذين طالما تذكر الأناجيل معارضتهم للمسيح عليه السلام .

٢ ـــ قصة الحضارة (حـ ١١ ص ٢٤٩) لول ديورانت المعروف .

وثالثهما : أن بولس مع احتفاظه بيهوديته كان يتمتع بالجنسية الرومانية ، ويوضح بولس نفسه بعض ملامح ماضيه فيقول :

« أنا فريسى ابن فريسى على رجاء قيامة الأموات »[٣] قلنا إن الفريسى هو المنشق ، فماذا كان موقف بولس من اليهودية قبل أن يصبح مسيحياً ؟ مادام هو فريسياً منشقاً .. ؟!

يقول بولس مجيباً :

« فإنكم سمعتم بسيرتى قبلا — يعنى فى اليهودية — فى الديانة اليهودية ، إنى كنت اضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها[٤] » ؟؟

«أنا الذى كنت قبل مجدفا (كذابا) ومفتريا ومضطهداً »[٥] إن أقوى مايدان به الإنسان إنما هو اعترافه عن نفسه ،وحين يكون ذلك الاعتراف صادراً طواعية عن النفس ، ولم يقع المعترف تحت تأثير أى ضواغط أو تهديد فإن الاعتراف يكون ذا معنى عميق ؟!

وها هو ذا بولس يعترف عن ماضيه إبان كان يهوديا . فقد كان مفتريا مجدفا دأب على قول الباطل ، محاربا لله ، متلفا لدور عبادته ، والإتلاف الوارد فى عبارة بولس ليس هو الإتلاف المادى ، وإذن لهان الخطب ، بل المراد الإتلاف الفكرى بغرس الشقاق والتمرد فى عقول المتدينين ، وهو فى هذا مفرط كما يقول عن نفسه ، وسيرته تلك ليست سيرة مفتعلة يريد أن يصل منها إلى موقف ، وإنما سيرة معروفة مشهورة ، بدليل أنه يتوجه إلى مخاطبيه ويقول : لقد سمعتم بسيرتى من قبل .. ؟! فهم إذن شهود على صدق مايقول عن ماضيه . وهذه الأقوال ترويها أسفار العهد الجديد المقدس فى كل من أعمال الرسل ، ورسائل بولس نفسه الذى أطلق على نفسه وصف : بولس

---

٣ — أعمال الرسل : الإصحاح (٢٣) فقرة (٦) .

٤ — رسالة بولس إلى غلاطية : الإصحاح (١) فقرة (١٣) .

٥ — رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس الإصحاح (١) فقرة (١٣) .

الرسول ، واعتمدت الدوائر الكنسية هذا الوصف فيما بعد ، وتلقت أقواله بالإعظام والإكبار ؟!

واعتبروه مؤسس المسيحية بلا نزاع ... ؟!

موقف بولس من المسيحية

لم يختلف موقف بولس من المسيحية عن موقفه من اليهودية ، فقد كان فى بادىء الأمر عدواً لدوداً للمسيح والمسيحية . ومن أخطر مايدل على ذلك عبارة وردت عن لوقا فى أعمال الرسل عقيب حديثه عن قتل استفانوس[٦] الذى كان بولس (شاؤل) شاهداً واقعة قتله يقول لوقا :

« وكان شاؤل راضيا بقتله . وحدث فى ذلك اليوم اضطهاد عظيم للكنيسة التى فى أورشليم (القدس) فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ماعدا الرسل . وحمل رجال أتقياء استفانوس ، وعملوا عليه مناحة عظيمة . وأما شاؤل (بولس) فكان يسطو على الكنيسة ، وهو يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساء ، ويسلمهم إلى السجن[٧] .. ؟!

بلغت معاداة بولس للمسيحية ! — على حد رواية لوقا — أنه لم يكتف بسروره على من يقتل منهم بسبب عقيدته ، ولكنه كان كرجل شرطة عنيف متسلط ظلوم ، يسطو على مافى الكنيسة وعلى من فيها . كما يدخل البيوت ويروع الآمنين ويخرج من فيها من الرجال والنساء ويسوقهم إلى سجن . ؟!!

فهو قد أتلف كنيسة الله فى ظل اليهودية من قبل ؟!

وها هو ذا الآن يتلف كنيسة الله فى ظل المسيحية من بعد ؟!

بل ويعتدى على المسيحيين فيخرجهم من بيوتهم ويضعهم فى السجن ؟ لم يقنع باليهودية ، كما لم يقنع بالمسيحية فماذا كان يريد هذا الرجل

---

٦ — استفانوس أحد المضطهدين المسيحيين فى عصر بولس قبل إعلان موقفه الجديد من المسيحية .

٧ — أعمال الرسل (٧ — ٦٠) و (٨ — ٣) .

(السفاح) ؟!

هل كان محباً للزعامة والرياسة والخلود الدنيوى ؟ فهو يبحث له عن دور يحقق له مآربه ، فلما أعياه ذلك فى مجالات الخير لجأ إلى الشر ؟!

جائز وما بقى من سيرته يقوى هذا الاحتمال ، أو يوجب ذلك الجواز .
وبعد قليل سنورد له نصا غريباً هو مفتاح السر فى كل هذه المعميات ؟!

بولس يلبس مسوح الكهان ؟!

لم يطل التفكير بالرجل (بولس ـــ شاؤل) حتى اهتدى أو هداه شيطانه إلى طريق الذيوع والشهرة . ولكن بركوب الشر والضلال والإضلال معاً . لا باتخاذ الخير مطية إلى ماأراد .. ؟!

هداه شيطانه إلى أن يتمسح فى ركب المسيح ، وأن يصبح علماً من أعلام المسيحية الحديثة أو المستحدثة ، أو قل أن يصبح **علمها الأعلى** بعد المسيح عليه السلام ؟!

ولكن كيف الوصول إلى هذه المرتبة العزيزة المنال ؟ فماضى الرجل وحاضره ـــ معاً ـــ لايؤهلانه لرقى هذه الدرجة ، فتاريخه فى اليهودية معروف . وموقفه من المسيحية أعرف ؟ فمن كان سيصدقه لو أنه تفوه بما فى النفس المخبوءة ؟! وهو مع هذا كله لم يكن من حواريى المسيح عليه السلام .

على أن ذكاءه لم يعجز عن اختراع حيلة يصل من خلالها إلى ماتكنه نفسه ، وتفتح له قلوب الناس قبل آذانهم ، وتجعلهم يتساقطون صرعى حول شراكه الخداعة كما تتساقط الهوام يُعشيها العمى ، فتهوى فى جحيمه المتأججة . ؟!

ويحسن بنا ـــ الآن ـــ أن نصع نص أعمال الرسل الذى يسفر عن تلك الحيلة أمام القراء ، ليأخذوها من النص مباشرة ، فهو حجة دامغة على شعوذة الرجل وهذيانه !؟ وهاكم النص بتمامه :

« أما شاؤل (بولس) فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلا على تلاميذ الرب (يعنون المسيح ؟!) فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق ، إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالًا أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم (؟!) وفي ذهابه حدث أنه اقترب من دمشق ، فبغته أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض . وسمع صوتا قائلا له : شاؤل (بولس بولس) لِمَ تضطهدنى ؟!

فقال : من أنت ياسيد ؟

فقال الرب : أنا يسوع الذى أنت تضطهده .. ؟!

فقال : يارب ماذا تريد أن أفعل ؟!

فقال له الرب : قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل .. ؟!

وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً ؟! فنهض شاؤل (بولس) عن الأرض ، وكان وهو مفتوح العينين لايبصر أحداً . فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق . وكان ثلاثة أيام لايبصر ولا يأكل ولا يشرب [8]..؟؟

وتمضى الرواية فتقول : إن تلميذا للمسيح كان بدمشق فى ذلك الحين واسمه حنانيا . جاء إليه المسيح ، وأمره أن يذهب إلى بولس ، ويكلله بالرسالة ، ويشفى بصره . ثم دار بين حنانيا وبولس هذا الحديث « فمضى حنانيا ودخل البيت ، ووضع عليه يديه وقال : أيها الأخ شاؤل (بولس) ، **قد أرسلنى الرب يسوع الذى ظهر لك فى الطريق الذى جئت فيه لكى تبصر وتمتلىء من الروح القدس ؟!**

فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور ، **فأبصر فى الحال** وقام

---

٨ ــ أعمال الرسل : الإصحاح (٩) الفقرات (١ ــ ٩) .

واعتمد ... وجعل يكرز (يبشر ويعظ) فى المجامع بالمسيح : **أن هذا هو ابن الله** »[9] ؟؟

هذه رواية لوقا فى أعمال الرسل عن الحيلة التى قفز بها بولس إلى موضع الصدارة في التاريخ الكنسى حتى لقب ببولبس الرسول وعنه . لاعن عيسى عليه السلام نشأت واعتمدت المسيحية المستحدثة فى أصولها وفروعها وفروع فروعها .

على أن بولس نفسه قد روى هذه الحكاية الطريفة فى أعمال الرسل أيضا فاستمع اليه :

« ولما كنت ذاهبا إلى دمشق فى ذلك بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة ، رأيت فى نصف النهار فى الطريق ... نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أبرق حولى وحول الذاهبين معى ، فلما سقطنا جميعاً على الأرض سمعت صوتا يكلمنى ويقول باللغة العبرانية : شاؤل شاؤل لماذا تضطهدنى .. ؟!

فقلت أنا : من أنت ياسيد ؟!

فقال : أنا يسوع الذى أنت تضطهده ؟! ولكن قم وقف على رجليك ؛ لأنى لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادما وشاهدا بما رأيت ..[10] » ؟!

تلك هى « لعبة » بولس كما يصورها هو نفسه ، وكما صورها لوقا من قبل ؟!

ونحن إذا سلمنا ــ جدلا ــ بصحة هذه الواقعة ، فلن نسلم بصدق الرجلين فيما سرداه . فأحدهما كاذب ــ بلاريب ــ فضلا عن كذبهما الموضوعى فى القصة كلها .

---

٩ ــ نفس المصدر الفقرات (١٧ ــ ٢٠) مع الحذف .

١٠ ــ أعمال الرسل : الإصحاح (٢٦) الفقرات (١٢ ــ ١٧) مع الحذف .

* فلوقا يقرر أن الذى سقط على الأرض هو بولس نفسه . أما المسافرون معه فظلوا فى وعيهم يسمعون صوت « الرب » ولايرونه .. ؟!

وبولس يختلف مع لوقا اختلافا عميقا حيث يقرر أنه هو و الرجال المسافرون معه قد سقطوا على الأرض .. ؟!

* ولوقا يقرر أن بولس قد أصيب بالعمى لمدة ثلاثة أيام ولم يبرأ من عماه إلابيركة تلميذ المسيح حنانيا الذى أرسله إليه .. ؟!

بينما بولس ينفى ــ من واقع روايته ــ هذا الحدث نفياً قاطعا .. ؟!

* ولوقا يقرر أن تكليل بولس بالرسالة كان بوساطة التلميذ حنانيا ، أما بولس فيقرر أن هذا التكليل حدث من « الرب » مباشرة إثر قيامه من صعقته ، وفى نفس المكان الذى وقعت فيه الإغماءة .. ؟!

ولعمرى إن هذا ليس بالشيء الهين أمام العقل والفكر .. ولكن الذى يخفف علينا من وقعه أن طول معاشرتنا للكتاب القدس (؟!)

قد روضتنا على مواجهة هذه « التناقضات » فهذا هو شأن الكتاب المقدس فى كلا عهديه .. خلط وتمويه .. تنافر وتدافع ؟! والشيء من معدنه لايستغرب كما يقال ؟!

حيلة واهية .. لو تصدى لها عاقل ؟!

بهذه الحيلة حمل بولس المسيحية على رأسه ، ووضعها فى المكان الذى أراد أن يضعها فيه ، ليكون هو قطبها الوحيد بعد عيسى عليه السلام .

ونحن لانعجب لبولس وهو يحتال مايحتال . لأنه لم يرض عن اليهودية حين لم يجد له فيها دوراً تحمله اليهودية على أكتافها بسببه ؟! ولم يرض عن المسيحية حين لم يكن له فيها دوراً . ولكن لما أوجد الدور بحيلته تلك صار ــ ولو بلسانه ــ فى مقدمة آبائها ومؤسسيها ولا أكاد أشك فى أن بولس هذا

المسمى (شاؤل) فى العهد الجديد) ؟! قد استعار حيلة « إرساليته » هذه من قصة شاؤل القديم الذى وردت قصته فى أسفار التوراة باستفاضة ، حيث كان على خلاف كبير مع كل من داود عليه السلام وصموئيل .

وقد مر بنا هناك فى الحديث عن مفهوم النبوءة والأنبياء عند اليهود ، كما جاء فى التوراة أن شاؤل لما رأى الناس يتنبأون بالجملة تحت إشراف صموئيل خلع ثيابه ، وانطرح على الأرض طول النهار وطول الليل ، ثم صار نبيا .. ؟!

إن شاؤل العهد الجديد تجمعه بشاؤل العهد القديم علاقة التسمية ؟!

وهو ـــ بلاريب ـــ عالم بما فى التوراة من طرق التنبؤ ، فاختراع قصة انطراحه على الأرض وتكليم المسيح إياه ، مكللا له بروح القدس فأصبح نبياً هاديا للأمم ، كما تحدد فى مرسوم نبوته ـــ الوهمى ـــ الذى أصدره الرب إبان واقعة انطراح شاؤل الثانى ـــ بولس ـــ على الأرض .. ؟!

والحيلة ـــ كما ترى ـــ واهية هشة ، لاتعزى إلا إلى الشعوذة والكذب فهما وحدهما أبواها .. ؟!

هذه الحيلة الواهية لو تصدى لها عقل حين تفوه بها بولس لقضى عليها فى إبانها ، ولقضى على بولس نفسه . فهى دعوى كاذبة مصدرها الوهم المريض المشبوه .!

ونحن لانعجب لبولس ، فهو مصدر لمثل هذه « الأباطيل » وإنما نعجب كل العجب لأولئك الذين وقفوا مسلوبى التفكير أمام فرية بولس هذه حتى كبلتهم بأغلالها .. !!

ونعجب كل العجب لأباء الكنائس ورجال الدين المسيحى ومجامعهم المسكونية كيف يطئطئون رءوسهم ويغمضون أعينهم إلى الآن أمام هذا الزعم

الوهمى الذى بدَّل وجه المسيحية الجميل ، وقلب كل حقائقها .. ؟!

نعجب لهم ؛ لأن من بينهم رجالًا ذوى حظ وافر من الثقافة والعلم والعقل والذكاء ـــ ومع هذه المواهب كلها لايجرؤون على التصدى لواقعهم العقدى والدينى المورث . وإنه لواجب عليهم أمام الله وأمام أنفسهم . وإلا فستقع عليهم مسؤلية التقصير ، وإنها لمسئولية خطيرة لو كانوا يعلمون .

نعم . نحن لاننسى أن كثيراً من العلماء قاوموا هذا الفساد ، وتبعهم كثير من العامة . ولو قدر لتلك الصحوة أن تجتاز مراحل طفولتها لأتت بالخير العميم . ولكن الكنائس ومعها « السلاطين » قد أصابوها بالشلل ، وقضوا على ثمارها وهى يانعة حلوة المذاق ، جذابة اللون[١١] ؟!

بولس .. يتحدث عن أخلاقه

قلنا آنفا أن بولس كان يبحث له عن دور يخلده ويعلى قدره بين الناس ، وبسبب انعدام ذلك الدور قاوم اليهودية كما قاوم المسيحية فى أول أمره معها . ذلك ماقلناه آنفا . وقد اطلعنا على نص لبولس نفسه ، له دلالتان مهمتان جداً :

أولاهما : تأكيد ماأوردناه من احتمال أن بولس كان يبحث له عن دور يلمع من خلاله .

وثانيتهما : وصف أخلاق بولس حتى وهو يبشر بالمسيحية الجديدة التى كان هو أبا عذرتها .

وإليك ذلك النص :

« استعبدت نفسى للجميع لأربح الجميع (؟!) فصرت لليهود كيهودى

---

١١ ـــ قاومت الكنيسة هذه الصحوة ، وأطلقت عليها إسم : الهرطقة ، وأقامت لأصحابها محاكم التفتيش المشهورة ، التى كانت تصدر أحكاما قاسية على ناقدى النصرانية ، ومنها الحرق بالنار طائفة فطائفه

لأربح اليهود ؟! ، وللذين تحت الناموس[12] كأنى تحت الناموس ؟! وللذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس ؟! مع أنى لست بلا ناموس ؟!

صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوماً ؟! وها أنذا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكا فى الإنجيل»[13] ؟!!!

بولس ــ كما يتحدث عن نفسه هنا ــ رجل لاخلاق ، ولا مبدأ له ، إلا أن يتلون بكل لون حسب المقام الذى يواجهه . فهو يهودى مع اليهود ، وناموسى مع الناموسيين ، وبلا ناموس مع الذين بلا ناموس .

والهدف من ذلك هو الخداع ليربح هو كل من يكون بينهم ، ليكونوا من أتباعه وتلاميذه ؟!

والهدف من ذلك الهدف : هو أن يكون شريكا فى الإنجيل هكذا والله ؟!

والهدف من ذينك الهدفين : هو أن يكون لبولس دور فى الوجود .. دور وأى دور ؟!

إنه رجل يعبد الشهرة ، ولو كان ذلك على حساب المسيح ورسالته ، وعلى حساب العقل ، وكل القيم الفاضلة .

ورجل مثل بولس ، كيف يتخذه أقوام عقلاء هاديا ورسولا ، وهو صاحب أشنع أكذوبة راجت وتروج بين الناس ؟!

أو بين فريق من الناس .؟ عجبا والله وأى عجب .. !!

---

١٢ ــ الناموس : القانون ، أو القواعد فى العقيدة والسلوك) .

١٣ ــ قصة الحضارة : (حـ ١١ ص ٢٦٣) لول ديورانت .

بولس يرسم هيكل المسيحية المستحدثة

كبرى العقائد السائدة فى المسيحية الآن ـــ هى :

١ ـــ بنوة المسيح لله سبحانه ؟!

٢ ـــ ألوهيته حيث اختلط اللاهوت فيه بالناسوت ؟!

٣ ـــ موت المسيح وصلبه فداء للبشرية من خطيئة أبيها آدم، وقيامه من بين الأموات فى اليوم الثالث ، ورفعه إلى السماء بعد أربعين يوماً .

٤ ـــ ألوهية الروح القدس[١٤] ..؟!

فما هو أثر بولس فى تكوين تلك العقائد وذيوعها .. ؟!

ذلك مانعرض له الآن . على أننا سنستقى مانقول من رسائل بولس نفسه ، فهى أقوى إلزاما من روايات الآخرين عنه . وإليك البيان :

جاء فى صدر رسالة بولس إلى أهل رومية :

« بولس عبد ليسوع المسيح ، المدعو[١٥] رسولاً ، المفرز لإنجيل الله الذى سبق فوعد به بأنبيائه فى الكتب المقدسة ؟ **عن ابنه الذى صار من نسل داود من جهة الجسد . وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة** بالقيامة من الأموات ... ؟!

« أولا أشكر إلهى يسوع المسيح .. فإن الله الذى أعبده بروحى فى إنجيل ابنه شاهد لى كيف بلا انقطاع[١٦] »

---

١٤ ـــ لبولس إضافة أخرى للمسيحية ، سنرجىء الحديث عنها الآن لنذكرها فى موصعها من هذه الدراسة إن شاء الله .

١٥ ـــ هذا الوصف « المدعو » أراد به نفسه ، حيث يدعى أنه رسول من قبل عيسى عليه السلام ليبشر بالإنجيل .

١٦ ـــ رسالة بولس إلى أهل رومية : الإصحاح (١) الفقرات (١ ـــ ٤ ـــ ٨ ـــ ١٠) .

هذا النص ـــ على قصره ـــ يتضمن ثلاث عقائد من كبرى عقائد المسيحية المعاصرة ، وهى :

١ ـــ بنوة عيسى لله ، سبحانه وتعالى عما يقولون ؟!

٢ ـــ حلول اللاهوت (روح القدس) فى الناسوت (جسد عيسى) ؟!

٣ ـــ القيامة من الأموات بعد الصلب حسب عقيدتهم . ؟! ولكنه لم يحدد مدة لبث عيسى فى القبر بعد صلبه المزعوم . وجاءت الأناجيل من بعده فحددت المدة بثلاثة أيام وثلاث ليال ، على اضطراب وقع فى رواياتهم من إنجيل إلى آخر .

وكل هذا ليس مهما الآن ، ولكن المهم هو أن يدرك القارىء سبق بولس فى وقت مبكر إلى اختلاق هذه الأباطيل الثلاثة المتقدم ذكرها . فتعال نمضى مع بولس فى اختلاقاته من خلال نصوصه :

« وأما الآن ، فقد ظهر بر الله بدون الناموس ، مشهوداً له من الناموس والأنبياء ، بر الله بالإيمان بيسوع المسيح ، إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون ؛ لأنه لافرق ، إذ الجميع أخطأوا ، وأعوزهم مجد الله ؟!

متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح ، الذى قدمه الله **كفارة بالإيمان بدمه ؛ لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة** »؟![١٧]

وفى هذا النص ـــ مع قصره كذلك ـــ يختلق بولس **خرافة الفداء والكفارة** ، بسفك دم المسيح على الصليب(؟!) وأنه بذلك قد قدم الله دم ابنه فداء للخطيئة الموروثة عن آدم ؛ لإظهار بره وحبه لخلقه .. ؟!

عناصر التركيبة .. جاهزة

فها نحن لم نتجاوز رسالة بولس الأولى لأهل رومية ، ولم نتجاوز

---

١٧ ـــ رسالة بولس لرومية : الإصحاح (٤) الفقرات (٢١ ـــ ٢٥) .

إصحاحها الرابع ، حتى وجدنا عناصر التركيبة التى صنع منها النصارى « **ثالوثهم المقدس** » جاهزة :

الله الاب ـــ والله الابن ـــ والله الروح القدس .. ؟!

وهى نفس العناصر التى يرددها آباء الكنائس وقساوستها ورجال دينها من مختلفى الدرجات .حتى فلسفة هذه « التركيبة » الغريبة قد وضعها بولس وهى : اتحاد اللاهوت بالناسوت[(١٨)] .؟! وما ترتب عليها ، هل للمسيح طبيعة واحدة لاهوتية أو ناسوتية ، أوله طبيعتان : لاهوتية وناسوتية ، حتى هذه الفلسفة مستقاه ومستولدة من خرافات بولس وتهويماته الغريبة .

وتكرر لبولس فى رسالته هذه ، وبقية رسائله الأربع عشرة نصوص أخرى ، كلها تدور حول هذا الخط الذى رسمه للمسيحية المستحدثة . ولكن بعض النصوص قد تستلهم منه معنى جديداً ،وهو الآن أحد مظاهر الاعتقاد عند رجال الدين المسيحى وأتباعهم . فمثلا يعتقد النصارى أن روح المسيح ـــ عليه السلام ـــ قد حلَّت فى تلاميذه من بعده ، ثم حلَّت فى الكهان النصارى ورجال الدين من بعد حلولها فى التلاميذ ، وبذلك أصبح رجل الدين المسيحى ذا سلطة روحيةنافذة على كل الأتباع الذين يعتقدون مثل اعتقادهم .

فرجل الدين يحل ويحرم ، ويغفر ويحرم ، وهو فى كل هذا صاحب حق ؛ لأنه يمثل روح الرب يسوع ، ولأن يسوع قد قال فى بعض الأناجيل ـــ المزورة طبعا ـــ مأأحللتموه على الأرض حل فى السماء ، وماربطتموه فى الأرض ربط فى السماء .

وإذا كانت هذه هى منزلة تلاميذ المسيح ، فإن ورثتهم وهم كهنة المعبد مثلهم ، لهم حق فى التشريع أينما وجدوا بدون أية شروط ، فيكفى أنهم كهنة ورجال دين .

---

١٨ ـــ اللاهوت نسبة على غير قياس للألوهية ، والناسوت نسبة ـــ كذلك ـــ إلى الناس ، زاعمين أن عيسى قد جمع بين العنصرين : الإلهى والناسى . فهو إله بالروح ، وإنسان بالجسد ، هكذا يقولون .

هذه الفوضى كلها كان الباعث عليها نصوص قالها بولس فى رسائله المختلفة ، فصدق بها القوم ، أو وجدوا فيها مغنما وهوى للنفس ، ونسجوا حولها بيوت العنكبوت ؟! . ومن تلك النصوص :

« وإن كان روح الذى أقام يسوع من الأموات ساكنا فيكم . فالذى أقام المسيح من الأموات سيحيى أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم » ؟!

فهل يخالجك ريب ــ أيها القارىء الكريم ــ فى أن بولس هو الذى استحدث المسيحية المعاصرة : لحمتها وسداها ، بل وملامح وجهها السافر المكشوف . بقيت بعض الكلمات التى يرددها رؤساء المعابد ونوابها ، ويلهج الوعاظ الكنسيون مثل : المجد ــ ذبيحة الفداء ــ محبة الله ببذل دم ابنه الوحيد للتبرير . من لطم خدك الأيمن فأدر له الأيسر باركوا لاعنيكم ، أحبوا مبغضيكم . إلخ . إلخ .

هذه الكلمات وغيرها قد حفلت بها رسائل بولس من قبل ظهور الأناجيل بزمن طويل . وإليك صوراً منها :

« ولكى يبين غنى مجده على آنية رحمة قد سبقها فأعدها للمجد »[١٩] ؟!

« فأطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة ، مرضية عند الله .. »[٢٠] ؟!

« لأن الله بين محبته لنا ونحن بعد خطاة ، مات المسيح لأجلنا ، فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب »[٢١] ؟!

« فإن جاع عدوك فأطعمه ، وإن عطش فاسقه ؛ لأنك إن فعلت هذا

---

١٩ ــ رسالة بولس لرومية : الإصحاح (٩) الفقرة (٢٣) .
٢٠ ــ المصدر السابق : الإصحاح (١٢) الفقرة (١) .
٢١ ــ نفس المصدر : الإصحاح (٥) الفقرة (٨ ــ ٩) .

فإنك تجمع جمر نار على رأسه »[٢٢] ؟!

وقبل أن نكتفى بما نقلناه عن بولس من نصوصه المباشرة ، فإن نصا واحداً أراه يلح على القلم ـــ والله ـــ ليكون له نصيب من الذكر الهادم لصاحبه هنا . وهو قول بولس عن نفسه :

« وأظن أنى أنا أيضا عندى روح الله »[٢٣] ؟!

قال بولس هذا الكلام بعد أن فرغ من وضع بعض التشريعات الأسرية فى مجال الزواج والرهبنة والعنوسة .. ومقام التشريع الذى لانص فيه من الوحى ، إما أن يكون اجتهاداً ، وإما أن يكون احتلاقا من عند صاحبه . وبولس يدعى أنه رسول ، فقد قال بصريح القول :

« ألست أنا رسولا ؟! ألست أنا حراً؟! أما رأيت اليسوع المسيح ربنا .. »[٢٤] ؟!

فكيف يقول بعد ذلك : « وأظن أنى أنا عندى روح الله » ؟!

هذا النص تبقى له دلالته على أن بولس قد شعر بضعف مزر وهو يشرع مايشرع ، فلوح بـ « إرساليته » على سبيل الظن لا على سبيل القطع ومافيك يظهر على فيك كثيراً ، وإن كنت ضابطا قديراً . ؟!

بولس وأسرار الكنيسة

للكنيسة عند رؤسائها ، وآبائها وكهنتها ، وأتباعها ، أسرار معمول بها فى كل مجمع كنسى ، مثل : التعميد ، واستمرار التعميد ، والزيت المقدس ، والزواج المقدس ، والعشاء الربانى ، والكفارة ، والشفاء . وهذه الأسرار هى

---

٢٢ ـــ نفس المصدر : الإصحاح (١٢) الفقرة (٢٠) .

٢٣ ـــ نفس المصدر : الإصحاح (٧) الفقرة (٤٠) .

٢٤ ـــ رسالة بولس لأهل كورنثوس : الإصحاح (٩) الفقرة (١) .

مورد تمويل الكنيسة وسدنتها ، والسلم الذى يصعد عليه الكهنة على رقاب الأتباع ويسيطرون على ضمائرهم وعقولهم ، وكثيراً مادارت بسبب هذه الأسرار معارك فكرية وعضلية . ورجال الدين المسيحى يقدمون أرواحهم فداء لهذه الأسرار ؛ لأنها إذا زالت تهدمت الكنائس على رءوس آبائها وسدنتها ، وذهب سلطانها وسلطانهم من الوجود .

فهل لبولس دور فى اختلاق هذه الأسرار ــ ياترى ــ أم هى وليدة التطور الكنسى بعد بولس ورسائله وتعاليمه ؟!

كاتب هذه الرسالة يكاد يجزم بأن بولس ضليع جداً فى لفت الأنظار إلى هذه الأسرار . وعلى منهجنا الذى التزمناه فإنى لاأسوق القول على عواهنه ، ولا أتجنى على أحد حتى ولو كان خصما لدوداً فقد علمنا ديننا أن لايحملنا خلافنا مع أحد على ظلم ذلك « الأحد » أو التقول عليه بهتانا وزوراً . وبعد فإننى أضع بين يدى القارىء نصا آخر لبولس ، تاركا له حرية الاستنباط والحكم : أبولس ضليع فى اختلاق تلك الأسرار أم غير ضليع ؟! وإليك النص بالتمام والكمال :

العشاء الربانى

العشاء الربانى سر من أسرار الكنيسة السبعة ، وكان أول من دعا إليه بولس . منذ جاء فى رسالته إلى أهل كورنثوش : « إن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها (قتل) أخذ خبزا ، وشكر ، فكسره وقال خذوا وكلوا . هذا هو جسدى المكسور لأجلكم . اصنعوا هذا لذكرى » ؟!

ثم يقول بولس : ثم قال لهم الرب يسوع بعدما تعشوا : « هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى . اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى ، فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب ــ يعنى نفسه ــ إلى أن يجىء » .

ومايزال المسيحيون إلى الآن يغمسون الفطير المكسر بالخمر فى ذكرى المسيح كل عام ، فالخبز المكسر هو رمز جسد المسيح المحطم على

الصليب ــ كما يعتقدون . أما الخمر فرمز إلى دم المسيح المسفوح ، وبعضهم يعتقد أن الكاهن يحول ــ فعلا ــ الخمر إلى دم المسيح حقيقة ، كما يحول الخبز إلى جسده ؟!!

فأين ذهبت العقول ياترى . ألست معى فى أن بولس كان شيطانا غروراً ، تسبب فى إضلال بلايين البشر على مر العصور ؟!

وبم تصف قوما يأكلون جسد رسولهم أو ربهم ميتا ، ثم يشربون دمه ؟!. ياقوم ألا منكم رجل رشيد ..؟!

« وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً؟! فوضع الله أُناساً فى الكنيسة :

أولا : رسلًا .. ؟! ثانيا : أنبياء .. ؟! ثالثا : معلمين ثم قوات ؟! وبعد ذلك مواهب شفاء ؟! أعوان تدابير ؟! وأنواع السنة ؟!

ألعل الجميع رسل ؟! ألعل الجميع أنبياء ؟! ألعل الجميع معلمون ؟! ألعل الجميع أصحاب قوات ؟! ألعل للجميع مواهب شفاء ؟! ألعل الجميع يتكلمون بألسنة ؟! ألعل الجميع يترجمون ؟ ولكن جدوا للمواهب الحسنى . وأيضا أريكم طريقا أفضل »[٢٥] ؟!

لم يكن بولس فى هذا النص ــ كما أرى ــ أول داع إلى ماعرف بعد بأسرار الكنيسة وكفى . ولكنه أشار إلى النظام الدرجى الذى تراعيه الكنيسة بين رتب سدنتها بادئا بأعلى درجة : « الرسل » ومنتهيا بالمكرزين الذين لاتتعدى وظيفتهم مجرد الكلام . ؟!

وبين أعلى رتبة وأدناها ، وضع المعلمين وذوى المواهب أهل الشفاء ؟!

ولكنه عاد فاحترس بأن هذه الدرجات لايشغلها أى أحد ، وإنما يشغلها

٢٥ ــ رسالة بولس لأهل كورنثوس : الإصحاح (١٣) الفقرات (٢٧ ــ ٣١) .

من اجتمعت لديهم خصائص ، تحدث هو عنها فى الإصحاح الثالث عشر الذى يلى الإصحاح الذى ورد فيه هذا النص مباشرة . هذا النص صالح بأن يستولد منه آباء الكنيسة مايشاءون من الألغاز والأسرار . أليس لديهم كلمة « مواهب » ، وهى كلمة ثرية صالحة للمط والاستيلاد بلا حساب ؛ فهى « مواهب » وليست موهبة واحدة ؟!

هذا هو بولس باذر بذور المسيحية المستحدثة ، ومتعهد سقيها . لقد أقام مسيحيته على أنقاض « مسيحية المسيح » عليه السلام ، تلك الدعوة الطاهرة البريئة . هدمها بولس ؛ لأنها لو استمرت كما هى على صفائها ، ونقائها ، وطهارتها ، وصدقها لما وجد بولس لنفسه دوراً يخلد به ذكره . ؟!

هدمها ليقيمها من جديد حسب هواه وأضا ليله وليكون شريكا فى الإنجيل كما قال هو عن نفسه ، فإذا به ينفرد بملكيتها وبملكية الأناجيل . فالمسيحية المعاصرة مسيحية بولسية ، والأناجيل المعاصرة أناجيل بوليسية ؛ لأنها تؤرخ لبولس وأضاليله .. ؟!

أما المسيح عيسى بن مريم عبد الله ورسوله ، فهو برىء كل البراءة مما ألصقه به بولس وأشياعه ، قدماء ، ومعاصرين[٢٦].. ؟!

من أين استقى بولس هذه الأفكار .. ؟!

هذا مقطع مهم من مقاطع هذه الدراسة . وبالنسبة لدور بولس بالذات .

فقد أثبتنا فى وضوح أن ماترده الكنائس الآن من أصول الاعتقاد المسيحى إنما هو من صنع بولس فى رسائله المعدودة من أسفار العهد الجديد (المسيحى) ، فهل هى من بنات أفكار بولس الخالصة ، أم أن بولس استقاها من مصادر أخرى ؟! وماهى تلك المصادر ؟!

وفى إجابتنا على هذه التساؤلات سنجعل أقوال أهل الكتاب أنفسهم هى

---

٢٦ — سنذكر قريباً رأى كاتب مسيحى دائع الصيت ، يؤيد فى وضوح ماقلناه الآن .

الهادى إلى الإجابة ، بل هى الإجابة نفسها ، ولن نذكر رأيا قاله أحد المسلمين ؛ لأننا نواجه القوم بسلاحهم ، فهو ألزم فى إقامة الحجة عليهم فتعال نتابع ماقالوه :

بولس ناقل .. لامبتكر .. ؟!

نحن نعلم أن بولس كان يهوديا فريسيا منشقا على اليهودية . ومن شأن المنشق أن يهتم بما انشق عنه ليهدمه لا ليبنيه فبولس بحكم هذه النزعة عالم بالتوراة ، بل مستظهر لأبرز تعاليمها ، ولاشك أن حصيلته منها قد أهلته ليكون ذا خطر فى موقفه الجديد من المسيحية ، عارفا من أين تؤكل الكتف . وعلى طريقة كهنة التوراة صاغ هو رسائله ، وواجه الناس بتعاليمه . وليس من اليسير إهمال دور التوراة فى تكوين بولس وفكره ، بل وصياغته .. ؟!

ويضاف إلى هذا عاملان آخران : هما نشأته فى ظلال الحكم الرومانى وأنظمتهم ، وصلته باللغة اليونانية وبعض معارفهم . وتنص المصادر التي اهتمت بسيرته على أنه لم يتلق تعليما راقيا منتظما ، وإنما كانت ثقافته « اتفاقية » مهوشة ، ساعده على « استعمالها فيما أراد » ذكاء حاد فطر عليه . فقضى به على نفسه وعلى آخرين لايحصيهم عدداً إلا الله .

مصادر نقل بولس

أولا : موت الابن الإله وقيامه من القبر : ؟!

قدمنا أن بولس ولد فى طرسوس . وفى منشأ بولس هذا كانت تشيع بعض العقائد الخفية التى يدين بها أصحابها سراً بعيداً عن الناس .

ومن تلك العقائد عقيدة كان يؤمن أصحابها بأن « الله » الذى يعبدونه قد **مات من أجلهم** ، ثم قام من قبره ، وأنه إذا دُعى بإيمان حق ، وصحب الدعاء الطقوس الصحيحة استجاب لهم ، وأنجاهم من الجحيم ، وأشركهم معه فى موهبة الحياة الخالدة المباركة . ؟ !

ذكر هذه المقالة ول ديورانت المسيحى ، فى الفصول التى كتبها عن بولس . ثم قال بعدها بالحرف الواحد :

« وهذه الأديان الغامضة الخفية هى التى أعدت اليونان لاستقبال بولس ، وأعدت بولس لدعوة اليونان »[٢٧]

ولنا أن نقول فى يقين : إن بولس كان على علم بهذه الأديان الخفية ، التى آمنت بموت المعبود من أجل عابديه ؟! وبولس نشأ فى طرسوس ، ثم عاد إلى بلاد اليونان بعد دخوله فى المسيحية التى استحدثها ، فهو إذن استقى فكرة موت المعبود من تلك الأديان ، ثم أدخلها فى صلب مسيحيته ، بعد أن أضاف إليها ماأضاف .. !!

ثانيا : وراثة الخطيئة وخرافة الفداء :

ويقول ديورانت المسيحى المعروف ـــ وهو يكتب عن مصادر مسيحية بولس : ـــ

« ولعله تذكر السنة اليهودية والوثنية ، سنة التضحية الفدائية للتكفير عن خطايا الناس .

أما هذه الأسس فأهمها : أن كل ابن أنثى يرث خطيئة آدم ، وأن لاشيء ينجيه من العذاب الأبدى إلا موت ابن الله ؟! ليكفر بموته عن خطيئته[٢٨].. ؟!

بولس يهودى عريق ، وكانت اليهودية تؤمن بإرث الخطيئة عن آدم ، كما تؤمن بموت ابن الله (؟!) تكفيراً عن الناس ، هذه العقيدة ـــ وإن كانت وثنيـة خالصة ـــ فإن اليهود لم يسلموا منها ، ويمكن أن نطلق عليها أنها من العقائد الهامشية عندهم ، ولكن بولس تلقفها وتولى كبرها ، وأقام عليها صلب

٢٧ ـــ قصة الحضارة (حـ ١١ ص ٢٥٠) وماقبلها .
٢٨ ـــ المصدر السابق (٢٦٤) .

مسيحيته المستحدثة كما ترى .. ؟!

ويذكر مترجمو قصة الحضارة فى هامش الصفحة المشار إليها أن اليهود القدماء ، والكنعانيين ، والمؤابيين ، والفينقيين ، والقرطاجنيين ، وغيرهم من الشعوب كانت تؤمن بهذه الخرافة ، وأنها مرت عندهم بمراحل ، ولكنها ماتزال تذكر على مر الأجيال .

وهذا كله يوحى بأن بولس لم يبتكر شيئا ، مما جعله عقائد راسخة فى المسيحية المستحدثة ، فالذى يعزى إليه منها هو الدعوة إليها ، وترددادها ، مخالفاً بذلك يهوديته القديمة ، ومبادىء المسيح نفسه عليه السلام ؟!

ثالثا : التثليث والاتحاد .. ؟!

بقى من صلب العقائد التى أقام عليها بولس هيكل المسيحية ، عقيدة الآب والابن والروح القدس ، واتحاد هذه العناصر ، أو الأقانيم الثلاثة ، فى إله واحد . وهذه العقيدة كانت شائعة ومعروفة فى الفلسفات التى سبقت عصر بولس بزمن طويل . وها نحن ننقل ملخصا لما قيل فيها من كتاب المستشرق ليون جوتيه : [٢٩]

يقول جوتيه :

« كان أفلاطون أول من أدرك تلك المشكلة ، وأول من أدرك هذا الحل ، الذى وجب على العقل الإغريقى فيما بعد أن يجتمع نهائياً عليه . أعنى عقيدة ثلاثة أقانيم ، أو عقيدة التثليث ؟!

هذا المذهب أو هذه العقيدة التى تمثلها عقل أفلاطون ــ وإن كان إدراكها إدراكا ــ فيه نوع غموض ــ.. فمن السهل إدراك الغرض منها :

الاحتفاظ لله بالكمال المطلق ، والبراءة من التغير يجعله يضع بينه وبين

٢٩ ــ اسم الكتاب : المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية . والكتاب ليس تحت يدنا ولذلك فإننا ننقل من فقرة مترجمة منه نشرها الأستاذ الدكتور محمد أبو زهرة فى ذيل كتابه « محاضرات فى النصرانية (٤٣ ــ ٤٥) » الطبعة الخامسة ــ دار الفكر العربى .

العالم وسيطين(؟!) يعتبران دونه خارجين عنه ، وعلى نحو ما داخلين فيه(؟!) صادرين عنه ، دونه فى الكمال .

... أول هذين الوسيطين : العقل . وثانيهما : الروح الإلهية . وهكذا كان التزاوج بين العقيدة اليهودية ، والفلسفة الإغريقية لم ينتج فلسفة فقط . بل أنتج معها دينا أيضا . أعنى ــ الكلام هنا لجوتيه نفسه ــ المسيحية ، التى تشربت كثيراً من الآراء والأفكار الفلسفية عن اليونان ؟!

ذلك أن اللاهوت المسيحى مقتبس من نفس المعين الذى كانت فيه الأفلاطونية الحديثة . ولذا تجد بينهما مشابهات كبيرة ، وإن افترقا أحيانا فى بعض التفاصيل ، فإنهما يرتكزان على عقيدة التثليث ، والثلاثة الأقانيم واحدة فيهما .

أول هذه الأقانيم : هو مصدر كل كمال .. وهو الذى دعاه المسيحيون الآب ؟ والثانى : أو الابن هو الكلمة . والثالث : هو دائما الروح القدس »[٣٠].

لقد حرصنا على نقل نفس الترجمة العربية ، ولم نذكر العبارات الإيضاحية التى تطوع بها المترجم ، ووضعها بين علامات مميزة ، وهدفنا من هذا هو أن نواجه القوم بأقوال محققيهم هم ، مع استبعاد كل اجتهاد أو نص إسلامى نعتمد عليه اعتماداً كليا فى الاستدلال .

وماذكره الأستاذ ليون جوتيه كافٍ فى الكشف عن استعارة مسيحية بولس من الفلسفات والعقائد السابقة ، على النحو الذى بيناه .

وعلاقة بولس باليونان ومعارفهم ــ حتى لغتهم ــ أمر مقرر وثابت . وترداد هذه المصطلحات فى رسائله المتعددة دليل على أنه هو أول من أدخلها على المسيحية ، واقتدى به مؤلفو الأناجيل من بعده .

---

٣٠ ــ أشار مترجم الكتاب إلى أن هذه الفقرات موضعها بالأصل المترجم هو من (ص ٧٠ إلى ص ٩٤) أى أنها فقرات مختارة .

وحتى لفظ الرب الذى كان يكثر بولس من إطلاقه على المسيح عليه السلام ، يجزم ول ديورانت بأن بولس استعاره من الطقوس اليونانية ــ السورية ، ففى تلك الطقوس كان يطلق لفظ : كوريوس (الرب) على ديونشس الميت المفتدى[٣١].

. ومعنى هذا أن بولس لم يكن يقصد من كلمة (الرب) معنى السيد ، كما هو متبادر إلى الذهن . بل كان يقصد منها دلالتين :

ميت + مفتد أى منقذ مخلص ..؟!

إن غرابة الأفكار التى أدخلها بولس على المسيحية لم يجاره عليها من بقى من حواريى المسيح الصادقين ، ولكنه كان يتمرد عليها متبعاً فى ذلك الطريقة السوفسطائية فى الجدل .. وقد خلف حواريو المسيح من يقول لبولس :

إذا كان عيسى إلهاً فلماذا رضى بالقتل ؟! وكان جواب بولس هو الذى يردده البعض الآن :

« إن المسيح قد قتل ليفتدى بموته العالم الذى استحوذ عليه الشيطان ، بسبب خطيئة آدم . فكان لابد أن يموت ليحطم أغلال الموت ، ويفتح أبواب السماء لكل من نالوا رضوان الله[٣٢] » ؟!

لقد وصفت أسرة المسيح عليه السلام وحواريوه الذين بقوا بالقدس ، وصفوا بولس بأنه خائن لفكر المسيح ، وعلل الباحثون المعاصرون من المسيحيين وصف بولس بالخيانة بقولهم : إنه كون المسيحية على حساب هؤلاء الذين جمعهم المسيح من حوله لنشر تعاليمه ، وبأنه لم يعرف المسيح فى حياته[٣٣] .

---

٣١ ــ قصة الحضارة (حـ ١١ ص ٢٦٤) .

٣٢ ــ المصدر السابق (٢٦٥) .

٣٣ ــ دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة (٧٣) للأستاذ موريس بوكاى .

وهذا المعنى يتكرر كثيراً فى كتابات المسيحيين المعاصرين ، ممن جرؤا على الإفصاح بملاحظاتهم التى أدركوها على واقع المسيحية المعاصرة . ومنهم عبد الأحد داود . فقد ذكر فى كتابه « الإنجيل والصليب » كلاما ، فيما نقله عن المؤرخ المشهور ويلز جاء فيه :

« من العسير أن تجد أية كلمة تنسب — فعلا — إلى عيسى فسر فيها مبادىء الكفارة والفداء ، أوحض أتباعه على تقديم القرابين ، أو اصطناع عشاء ربانى »[٣٤] .

وإذا كان ويلز يتشكك فى « مشروعية » الكفارة والفداء وبعض الطقوس ، فإن ديورانت يوجه نفى المشروعية إلى صلب العقيدة اللاهوتية نفسها ، التى اختلقها بولس ، فيقول :

« ولقد أنشأ بولس لاهوتا لانجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض فى أقوال المسيح . وكانت العوامل التى أوحت إليه بالأسس التى أقام عليها ذلك اللاهوت هى انقباض نفسه وندمه . والصورة التى استحال إليها المسيح فى خياله[٣٥] »

وكان ديورانت قد انتهى قبل ذلك إلى تصوير الآفات التى أصابت المسيحية على مراحل مختلفة ، متأثرة بالضغوط الاجتماعية والسياسية والدينية . صور ذلك فى عبارات قصيرة عميقة الدلالة ، وذلك نصه :

« كانت المسيحية حسب تعاليم المسيح وبطرس **يهودية** ، ثم أصبحت فى تعاليم بولس **نصف يونانية** ، وأضحت فى المذهب الكاثوليكى **نصف رومانية** ، ثم عاد إليها **العنصر اليهودى والقوة اليهودية** حين دخلها المذهب البروتستانتى[٣٦] » ؟!

---

٣٤ — انظر هامش (ص ٨) .

٣٥ — قصة الحضارة (حـ ١١ ص ٢٦٣) .

٣٦ — نفس المصدر (حـ ١١ ص ٢٤٨) .

وجل الباحثين المسيحيين الكبار الذين كتبوا فى تاريخ المسيحية يعتبرون جميع ماطرأ عليها انتصاراً على المسيح نفسه ، وعلى بطرس تلميذه المخلص الأمين .

وقد ساعد على « تخمير » أفكار بولس ، واستساغة سمع الناس لها ــ كما يقرر أكثر من واحد ــ عاملان :

أحدهما : أن الإنجيل الحقيقى الذى جاء به المسيح عليه السلام كان لم يدون فظل تراثا شفهيا تردده الألسنة ، وكان من بقى من تلاميذ المسيح الصادقين مشغولين بدعوة الناس إلى أصول الإيمان ، ولم يتنبهوا إلى خطر بولس ومفترياته . ومن كان يتصدى له منهم كان بولس ينتصر عليه بقوة جدله .

وثانيهما : انتشار العقائد والطقوس الوثنية . وهذه قد قللت من خطر مايقوله بولس ؛ إذ لم يدرك عامة الناس الأسس الواهية التى أقام عليها بولس دعوته .

والقائلون بهذا يقررون أن بولس ظل مائة سنة بعد وفاته لم يذكره أحد ولكن « اختمار » أفكاره فى الأذهان بعثها من جديد أقوى مما كانت عليه فى حياته . ولكنهم لم يذكروا أسباب ذلك البعث ودوافعه ، ولماذا تغلب فكر بولس بعد وفاته بمائة سنة على ماعداه ، بل لماذا تغلب على الخط الذى اختارته الكنيسة قبل ذلك ، وكانت تعتبر دعوة بولس مناهضة لها فى حياته ؟!

مالسر فى ذلك كله ؟! لم أجد ــ فيما أتيح لى الاطلاع عليه ــ تفسيرا لهذا الانتصار الساحق الذى سجله فكر بولس بعد وفاته بمائة سنة كاملة . وهو انتصار قد اكتسح أمامه كل الأفكار المعارضة له ، ولم يتصالح مع واحد منها . ولذا فإننا نحاول ــ فيما يأتى ــ الإجابة على كل ماتقدم ، مستمدين خلاصتها من إضافات بولس نفسه إلى « المسيحية »، التى أخذ على عاتقه غرسها وإنماءها .

سببان وراء هذا الانتصار

نعتقد أن وراء انتصار المسيحية البولسية على المسيحية ــ المسيحية . سببين هامين أكسباها فى نظر اللاحقين عمقاً جديداً لم يعرف لها فيما قبل . وكانت الفترة اللاحقة لموته والتى قدرها الباحثون بمائة سنة كما تقدم ، قد أظهرت حاجة المسيحية إليهما ، أو بعبارة أدل وأصدق : أظهرت حاجة القائمين على المسيحية وكنائسها إليهما ، فلم يملكوا حق الاختيار أمامهما بين القبول أو الرفض ، لشدة ضغط الحاجة إليهما ، فسارعوا إلى القبول ، تحقيقا للآمال التى بنوها عليهما .

ومن الممكن أن نطلق على أحد السببين أنه « سياسى »، وعلى الثانى أنه « روحى اجتماعى » . وإليك الحديث عن كل منهما على حدة .

السبب السياسى : عالمية المسيحية

المسيح عليه السلام لم يأت برسالة منفصلة كل الانفصال عن رسالة موسى عليه السلام ، وإنما جاء برسالة هى امتداد لشريعة موسى والأنبياء الذين تلوه . ونستدل على القوم بما جاء فى نصوصهم المقدسة التى يؤمنون بها ، وأول مايفجؤك منها ماجاء فى إنجيل متى :

« لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ماجئت لأنقض ، بل لأكمل ... » »[٣٧]

ثم يقول لحوارييه الاثنى عشر موضحا لهم المهمة التى أرسل هو من أجلها :

« ... إلى طريق أمم لاتمضوا ، وإلى مدينة السامريين لاتدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة »[٣٨]؟!

---

٣٧ ــ الإصحاح (٥) الفقرة (١٧) .

٣٨ ــ متى : الإصحاح (١٠) الفقرتان (٥ ــ ٦) .

على أن الواقع العملى لحياة المسيح وتلاميذه لمن أقوى الدلائل على أن رسالة عيسى عليه السلام كانت محصورة فى نطاق موضوعى ، ونطاق مكانى ، فهى من ناحية الموضوع : محصورة فى نطاق شريعة موسى عليه السلام ، بالتعديل فى أحكامها ، أو الإضافة عليها ، ولم يكن صاحب رسالة مستقلة عن شريعة موسى من جميع الوجوه .

ومن الناحية المكانية : فقد كانت محصورة فى المدن والقرى التى كان بنو إسرائيل يتجمعون فيها ، فهو رسول إليهم لا إلى غيرهم . ومن يقرأ الأناجيل الأربعة المتداولة الآن يرى رحلات عيسى عليه السلام محصورة فى ذلك النطاق . فالناصرة ، وأورشليم ، والجليل ، وضفاف نهر الأردن ، وجبل الجليل والزيتون ، وأريحا وكفر ناحوم ، تلك البقاع التى كان عيسى عليه السلام يدعو ويعظ فيها إنما هى دور مقام لبنى إسرائيل . ومسارح حياة ومراتع عيش .. !

ولكنه لم يدخل مدينة السامريين ، لاهو ولاتلاميذه . أما تلاميذه فإن النص المتقدم صريح فى نهيه إياهم عن دخولها . وأما هو ففى إحدى رحلاته تجاوز مدينة السامريين ولم يدخلها ، كما جاء فى الأناجيل . وكان يقصر رسالته على خراف بيت إسرائيل الضالة . ؟!

والذين كانوا يجادلونه من فريسيين ، وصدوقيين ، وناموسيين ، إنما هم يهود . ولانحصار رسالته فى بنى إسرائيل ، وكثرة حديثهم عنهم أطلقوا عليه أنه « ملك اليهود » الجديد ، وهى نفس المكيدة التى دبرها ضده اليهود ووشوا بها عليه عند الحاكم الرومانى « بيلاطس » وغيره من كبار رجال الرومان ، وذلك يقصد أن يوغروا صدور الرومان عليه ، إذ كانوا يرون أنهم هم وحدهم الحكام والملوك ؟!

وبهذه التهمة قدم عيسى عليه السلام للمحاكمة ثم صلب ؟!

أجل : لقد كانت رسالة عيسى عليه السلام رسالة محدودة الزمان

والمكان والموضوع . هكذا كانت فى حياته ، وهكذا ظلت بعد نهايته ، وهكذا فهمها كبار تلاميذه ، أنها الحلقة الأخيرة فى سلسلة رسالات بنى إسرائيل الطويلة ، التى بدأت ــ بحق ــ بموسى عليه السلام ، وانتهت بعيسى عليه السلام .

وظلت الشريعه بعده عليه السلام (يهودية ــ نصرانية) ، أو (موسوية ــ عيسوية) .. واليهودية هى الأم ، أما تعديلات عيسى عليه السلام ، فتعد ملامح طفيفة ألحقت بالصورة ولم تمس « الهيكل » فى شىء . صحيح أن عيسى عليه السلام جال جولات لها أثر كبير بين اليهود ، وكاد يجلو كل الصدأ الذى خيم حول شريعة موسى . ويقيم أمر التوراة من جديد بعد ذلكم التحريف الخطير الذى أصابها على أيدى كهنتهم وكتابهم ، ولو قدر لتلك الدعوة أن تعيش فى صورتها الحقيقية لما خرجت عن اليهودية إلا بمقدار ماأدخلته عليها من تعديلات ، أو بعثته فى قلوب بعض أتباعها من روح ، وحياة .

المفهوم الجديد للمسيحية فى أعمال بولس

لوشاء القدر أن يؤخر وجود بولس للقرن العشرين الميلادى مثلا ، لكان رجلا سياسيا ذا مطامع واسعة ، تدرجه فى نظام مرضى الشهرة العالميين ، الذين يحلمون بتكوين « امبراطوريات » يكونون هم المتربعين على عروشها ، والآمرين الناهين ، أصحاب الكلمة الأولى والأخيرة فيها . ففيه من الصفات مايؤهله لهذا المنصب من خداع ، وتمويه ، ونفاق ، وذكاء ، وسعة حيله ، وعمق خيال . وهى صفات لها رواج فى دنيا المناصب والسياسة ، إلا من عصمه الله .

أجل .. هذه العوامل هى التى حدت ببولس أن يسطو على مسيحية المسيح عليه السلام ، ويخضعها لأهوائه هو نفسه ، وأطماعه . فنادى بعالمية المسيح والمسيحية ، واخترق بها ــ فى أعماله ــ حدود الزمان والمكان ، والجنس . فلم تعد ــ على يديه ــ رسالة موقوتة إلى خراف بيت إسرائيل

الضالة ، ولم يعد كفر ناحوم ، ولا أورشليم ، ولاأريحا ، ولا ضفاف الأردن ، ولا جبلا الجليل والزيتون ، ولاالناصرة ، مسرحا لها . بل طوف بهـا فى أرجـاء الأرض كما أتيح له ، وأضفى عليها صفة العالمية ، وأخذ يدعو إليها ـــ حتى الوثنيين أو الأممين ـــ الخارجيين عن مفهوم إسرائيل شعب الله المختار ؟ والذى يقرأ رسائله التى بعث بها إلى المدن اليونانية والأوروبية وغيرهـا ، يدرك هذا فى وضوح . تلك الرسائل التى تشبه إلى حد كبير خطب بعض الزعماء السياسيين ، حرص بولس على أن يكرر فيها ـــ دائما ـــ المعانى الجديدة التى ألحقها بالمسيحية ، واستولت على كل اهتماماته ، استجابه لمطامعه الدفينة ؛ ليكون شريكا ، فى الإنجيل كما صرح هو عن نفسه . وننقل فيما يلى فقرات ذات أهمية كبرى بالنسبة لهذا الفرع من الدراسة :

أولا : من رسالته إلى أهل رومية :

« أشكر إلاهى يسوع المسيح من جهة جميعكم أن إيمانكم يُنادىٰ به **فى جميع العالم** ؟! » الفقرة (٨) من الإصحاح الأول .

« ليكون لى ثمر فيكم أيضا كما فى **سائر الأمم** . إنى مديون **لليونانيين والبرابرة** . للحكماء والجهلاء .. مستعد لتبشيركم أنتم فى رومية أيضا .. لأن قوة الله للخلاص لكل من يؤمن (؟!) **لليهودى أولا . ثم لليونانى** .. » الفقرات (١٣ ـــ ١٧) من نفس الإصحاح مع الحذف .

« ... الكلمة قريبة منك فى فمك وفى قلبك . أى كلمة الإيمان التى تكرز بها ـــ أى تبشر ـــ ؛ لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع ، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت ؛ لأن القلب يؤمن به للتبرير ؟ والفم يعترف به للخلاص ؛ لأن الكتاب يقول : **كل من يؤمن به لايخزى** ؟!

لأنه لافرق **بين اليهودى واليونانى** ؛ لأن ربا واحداً للجميع غنيا لجميع . الذين يؤمنون به » ؟! الفقرات (٨ ـــ ١٢) الإصحاح العاشر .

« **فإنى أقول لكم أيها الأمم بما أنى رسول للأمم لعلى أغير أنسبائى**

وأخلص أنا منهم » ؟! الفقرتان (١٣ ــ ١٤) الإصحاح الحادى عشر .

ثانيا : رسالته لأهل غلاطية

« اعلموا أن الذين هم من الإيمان **أولئك هم بنو إبراهيم** .

والكتاب إذ سبق رأى أن الله بالإيمان يبرر الأمم سبق فبشر إبراهيم أن فيك تتبارك **جميع الأمم** » ؟! الفقرات (٧ ــ ٨) الإصحاح الثالث .

تعقيب على ماتقدم من النصوص :

واضح أن بولس علل عالمية المسيحية بأن للأمم ربا واحداً ، فكذلك وعده بالتبرير يشمل كل الأمم . هذا فيما نقلناه عنه من رسالة رومية . وهو يعنى بالرب الواحد المسيح طبعا ؟!

أما نصه فى رسالة غلاطية ، فقد علل فيه عالمية المسيحية من حيث أن اليهود لاصواب معهم فى قصر الوعد على بنى إبراهيم وحدهم ــ يعنون أنفسهم ــ حيث أن يعقوب المسمى « إسرائيل » المنسوبون هم إليه ، هو ولد إسحق ، وإسحق ولد إبراهيم .

فنفى بولس الصلة : « **البيولوجية** » بين إبراهيم وبنيه ، ووضع مكانها الصلة « **الإيمانية** » فكل مؤمن ــ عنده ــ بالرب يسوع وصلبه فداء للبشرية ، وبنوته لله (سبحانه) وقيامته من الأموات ، كل من آمن بهذا فهو من بنى إبراهيم ، ويستحق الخلاص من الخطيئة الموروثة ، ويتبرر بالفداء .. ؟!

هذا .. ولو أننا اقتصرنا على ماتقدم من نصوص للدلالة على أنه هو وحده أول من أخرج المسيحية من رسالة مؤقتة إقليمية إلى مفهوم « عالمى » لم يدعه المسيح نفسه ، ولا حواريوه الصادقون ، لو اقتصرنا على تلك النصوص لكان ذلك وافيا ونائبا عما لم نذكره من أقواله المشابهة .

ولكننا نزيد الموقف وضوحاً ، فستأذن القارىء فى نقل نص آخر له كان

بولس أطول فيه باعا ، وأوسع حيلة ، وأعمق حجة ، وإليكه بتمامه من رسالة بولس لأهل أفسس :

« لذلك اذكروا أنكم أنتم — أيها الأمم — قبلا فى الجسد المدعوين غرلة من المدعو ختانا مصنوعة باليد فى الجسد . أنكم كنتم فى ذلك الوقت — **يعنى فى اليهودية قبل مبعث المسيح** — بدون مسيح أجنبيين عن رعوية إسرائيل — **يعنى عن رعاية بنى إسرائيل** — وغرباء عن عهود الموعد — **يعنى وعود إله إسرائيل بالسيادة على جميع الأمم** — لارجاء لكم ، وبلا إله فى العالم (؟!)

ولكن الآن فى المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلا بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح ؛ لأنه هو سلامنا الذى جعل الاثنين واحداً — **يعنى** جمع **اليهود مع غير اليهود** — ونفض حائط السياج المتوسط ؟! أى العداوة . مبطلا بجسده — يعنى بموته مصلوبا[٣٩] ناموس الوصايا بفرائض لكى يخلق الاثنين فى نفسه إنسانا واحداً جديداً صانعا سلاماً . ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله (؟!) بالصليب قاتلا العداوة له ؟!

فجاء وبشركم بسلام — أنتم البعيدين والقريبين — ؟!

لأن به لنا كلينا قدوما فى روح واحد إلى الآب[٤٠] . فلستم إذن بعد غرباء ولا بلا رعية ، مع القديسين ، وأهل بيت الله ، مبنيين على أساس الرسل والأنبياء . ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية ، الذى فيه كل البناء مركبا معاً ينمو هيكلا مقدسا فى الرب ، الذى فيه أنتم أيضا مبنيون معاً مسكنا لله فى الروح[٤١] » ؟!

---

٣٩ — المراد من الناموس والكتاب والرسل والأنبياء ماورد فى التوراة ؟!
٤٠ — الآب كلمة يونانية معناها « الله » فاستعملها النصارى بالمعنى الوالدى .
٤١ — الإصحاح (٢) الفقرات (١١ — ٢٢) من رسالة أفسس .

وتعقيب على هذا النص :

ألفت نظر القارىء أولاً إلى أننا تدخلنا فى النص المنقول بوضع عبارات تفسيرية قصيرة لبعض التراكيب الغامضة ، وهدفنا منها استرسال القارىء فى فهم النص بغير معاودة أوتوقف . وقد وضعنا تلك التفسيرات بين شريطتين ، كما وضعنا تحتها خطا تمييزاً لها عن بعض جمل النص الموضوعة بين شريطتين كذلك ، أما دلالات النص نفسه فهى :

أولا : اجتهادات متكلفة استهدف بولس منها الاستدلال على عالمية المسيحية ، وقد اتبع فى ذلك منهجا غامضا أشبه مايكون بالألغاز والأحاجى ، حتى بدت استدلالاته فيه غير ذات معنى ؟!

وإلا فما معنى أن المسيح صير الاثنين واحداً فى جسده ؟! وما معنى أنه أبطل الناموس والوصايا فى فرائض ؟! وماهى تلك الفرائض التى حلت محل الناموس والوصايا ؟! إن كان يريد بها الإيمان بالمسيح على شرطه المتقدم ، فإن الإيمان وحده يظل دعوى بلادليل . ولانفع فى إيمان بغير عمل . والعمل لابد فيه من ناموس (شريعة) ؟!

وإن أراد بها غير الإيمان فإنه لم يبينها . وعلى كل احتمال فإن بولس هنا يدور ويلف حول أوهامه ؟!

ثانيا : إنه عاد فقال : إن القريبين — اليهود — والبعيدين — الأمم غير اليهود — أصبحوا جميعهم مبنيين على أساس الرسل والأنبياء . والرسل والأنبياء هم الناموس الذى قد أبطله عيسى — على زعمه — بدمه وروحه . فكيف ساغ لبولس أن يبنى وحدة الأمم داخل بيت الله على أساس باطل مهدوم ؟!

وكيف ساغ له أن يجعل المسيح حجر الزاوية فى أساس رسل وأنبياء قد هدمهم هو — أى المسيح على زعم بولس — بجسده ودمه ؟!

ثالثا : وهل يستطيع فقهاء المعانى وخبراء الأساليب أن يصلوا إلى معنى

معقول من قول بولس : **الذى فيه كل البناء مركبا معاً ، ينمو هيكلا مقدسا فى الرب ، الذى فيه أنتم أيضا مبنيون مسكنا لله فى الروح ؟!!!**

لقد كان بولس ــ هنا ــ واسع الحيلة فى استكراه الكلمات ، فجاء التركيب غريبا غرابة معناه .

رابعا : استغل بولس اعتقاد اليهود فى الختان ، وجعله من علامات التطهير ، ومن دعائم العهد المقدس بين إله إسرائيل وبين شعبه المختار . مع أن الختان إن لم يصاحبه إيمان صحيح وعمل طيب فهو لغو ، لايوجب لصاحبه فضلا ؟!

خامسا : استمال بولس الشعوب غير اليهودية حيث صورها فى ظل النواميس اليهودية كما مهملاً لاراعى له ، ولارجاء ، بل ولاإله .

أما هو فقد أدخلهم ــ بمزاعمه ــ إلى حظيرة القديسين ، فأصبح لهم رعاة ورجاء وإله ؟!

هذه هى عالمية المسيحية .كما يصورها بولس فى أقواله . وبقى جانب مهم فى هذا المجال ، وهو أفعاله وسلوكه جريا على فلسفته الجديدة . وإلى القارىء نقدم صوراً منها .

سلوك بولس وأعماله :

لقد قام بولس فى سبيل نشر مسيحيته بأعمال جسام متنقلا بين الولايات فى أروبا وآسيا .

فقد أحس اليهود بخطره فأوعزوا إلى حاكم دمشق بالقبض عليه ، فوضعه بعض أعوانه فى سلة ، وهربوه إلى بلده طرسوس . فظل بها ثمانى سنوات . ثم عاوده الحنين إلى مباشرة عمله ، فسافر إلى **أنطاكية** ، ومنها أبحر إلى **قبرص** ومنها إلى **برجا** ، وعاد إلى أنطاكية مرة أخرى حتى ضيق عليه الخناق ، ورجم حتى ظنوا أنه مات ، فتركوه فسافر إلى **دروبى** ، ولسترا بآسيا الصغرى ، ثم إلى

إسكندرية ترواس ، والتقى فيها بلوقا كاتب أحد الأناجيل ، فصار لوقا تلميذاً وفيا لبولس ، وسافرا إلى مقدونية ، وهناك ألقى عليهما القبض لغرابة مايقولان ، ولكن بولس استطاع الخلاص ؛ باستعماله حقه كمواطن روماني ، ووصل إلى تسالونيكى ، ومنها إلى أثينة ، وكورنثة ، وعاد إلى أورشليم ، ثم إلى تسالونيكى وبيريه ، وظل فى كل هذه البلاد وغيرها يدعو إلى مسيحيته الجديدة ، ويخطب الناس فى الأسواق ، وفى الهياكل ، حتى زج به فى السجن أخيرا ومات عام ٦٧ من الميلاد فى بعض الروايات .

فانظر كم تحمل من المشاق ووعثاء السفر فى سبيل نشر أوهام تلقفها من هنا وهناك ، وكان الناس يقاومونه فى كل مكان ذهب إليه .

لم يرض عنه اليهود ؛ لخروجه على نواميسهم ، ولم يرض عنه المسيحيون الخلصاء ، لتزويره عقيدتهم . عاش مغضوبا عليه من الله ومن الناس إلا القليل الذى وقع فى شراكه الخادعة ؟!

وبمساعى بولس هذه انطمست معالم اليهودية والمسيحية ، كما فصلت المسيحية عن اليهودية ، حيث أبطل الختان ، وأجاز العمل فى السبوت ، وأبطل عبادة الهيكل ، وزور كل مااستطاع تزويره منها .

السبب الروحى الاجتماعى : الفصل بين الديانتين وسلطة رجال الدين

وهذا هو السبب الثانى من أسباب بعث المسيحية البوليسة بعد وفاة داعيها بمائة عام . فقد كان فى فصل المسيحية عن اليهودية كسب عميق الأثر لدى رجال الدين المسيحى ، إذ أصبح لهم سلطان مستقل عن اليهود . لولاه لضاع المجد الروحى على آباء الكنيسة المسيحية . فاليهود لهم سابقة ضاربة فى أعماق التاريخ فى ممارسة الطقوس والكهانة ، فأى نصيب كان سيكون للنصارى لو ظلت الديانتين ملتصقتين ؟ هذه واحدة .

والثانية : فقد أضفت المسيحية البولسيةعلى رجال الدين المسيحى ثوبا

فضفاضاً من التسلط على مصائر الأتباع وعقولهم وأرواحهم . وهذا الحق قد تكفلت به الأسرار الكنسية السبعة التى تقدمت الإشارة إليها .

وسبب ثالث وسيط .. ولكنه مهم

قدمنا الحديث عن سببين كبيرين لانتشار مسيحية بولس بعد وفاته بقرن كامل ، وهما : عالمية المسيح ، وفصل المسيحية عن اليهودية والأسرار الكنسية . وبقى سبب ثالث وصفناه بأنه وسيط ، ولكنه فى الوقت نفسه مهم ، لأنه ذو خطر .

فأى رجل ذو مذهب أو فكر ، وإن كان فاسداً ، فإنه ينبغى أن يعمل حساب السلطة الحاكمة التى يبث مذهبه أو فكره بين رعاياها . وإلا فإن هذه السلطة الحاكمة ستطيح به وبمذهبه وفكره فى غمضة عين إذا أحست خطرا يتهدد كيانها من ذلك المذهب أو الفكر .

وبولس كان ذكيا إلى أبعد الحدود ، كما كان منافقا خداعا إلى أبعد الحدود فى آن واحد .

لأنه لم يتجاهل حساب السلطة ،ولكنه لم يعادها فى مسيحيته ، التى كان يؤمل لها الانتشار ، ويرجو من ورائها الخلود فى دنيا الناس ، موافقين ورافضين . ؟!

فمثلما فتح شهية رجال الدين لتقبل مسيحيته ، فتح شهية رجال السلطة ، ولكن لا للسكوت عنها ، وإنما لحمايتها ونصرها مااستطاع .؟!

فجعل طاعة السلطان واجبة على أتباع مسيحيته ، كوجوب طاعة الرب يسوع سواء بسواء ، حتى ولو كانوا ظالمين عتاه . فأطلق على « السلاطين » وصف السادة ، وعلى الرعايا وصف العبيد ، وللسلطان على رعاياه ما للسيد على عبيده .

وإن كنت فى ريب مما نقول فهاك نصوصه فى ذلك ، نذكرها لك مع

مراجعها لتطلع عليها بنفسك إن شئت :

« أيها العبيد ، أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة فى بساطة قلوبكم كما المسيح ؟! لابخدمة العين كمن يرضى الناس ، بل كعبيد المسيح ، عاملين مشيئة الله من القلب ، خادمين بنية صالحة ، كما للرب ليس للناس ؟!

عالمين أن مهماعمل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبداً كان أم حرا (٤٢) » ؟!!

« جميع الذين هم عبيد تحت نير فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام ؛ لئلا يفترى على اسم الله وتعليمه . والذين لهم سادة مؤمنون لايستهينوا بهم ؛ لأنهم إخوة ، بل ليخدموهم أكثر ، لأن الذين يتشاركون فى الفائدة هم مؤمنون ومحبوبون بهذا علم ووعظ »(٤٣).

« ذكرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين ، ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح ، ولا يطعنوا فى أحد ... (٤٤) » ؟!

تلك هى الأسباب التى أدت إلى بعث مسيحية بولس بعد قرن كامل من وفاته ، وهى أسباب لا أظن أن باحثا منصفا يقلل من قيمتها .

فقد أرضى بولس كل الشرائح ذات الخطر فى مقاومة دعوته .

أرضى جميع الشعوب غير اليهودية ؛ لأنهم تصوروا أنه يخرجهم — بحق — من عزلتهم ؛ ويرد عليهم كرامتهم التى استلبها اليهود منهم . ؟!

* وأرضى رجال الدين المسيحى ، بعد أن حقق لهم الاستقلال عن اليهود ، وقطع حبل التبعية عنهم ، وهيأ لهم « الجو » داخل الكنيسة ، حيث

---

٤٢ — رسالة بولس إلى أهل أفسس : الإصحاح (٦) الفقرات (٥ — ٧) .
٤٣ — رسالو بولس إلى ثيموثاوس : الإصحاح (١) الفقرات (١ — ٢) .
رسالة بولس إلى تيطس : الإصحاح (٣) الفقرة (١) .

سكب فيهم روح المسيح ، فهم مسحاء وإن طال الزمن ، متسلطون على عقول الناس وقلوبهم ، يهبون الجنة ويمنحون الغفران ؟!

* وأرضى رجال الحكم والسياسة ، بعد أن جعلهم أربابا ، وجعل الرعية عبيداً لهم . سعادتهم فى طاعتهم العمياء ؟!

لقد أسال بولس ـــ بدهائه وخبثه وباطله ـــ لعاب الجميع لمسيحيته ، وماذا على بولس إن خسر اليهود وحدهم ، وكسب جميع الأمم ؟؟ !



الفصل الثالث

بين يدى وضع الأناجيل

كانت أفكار بولس المتقدم ذكرها قد سبقت وضع الأناجيل جميعا ، ومنها الأربعة المعتمدة لدى النصارى الآن . فقد كان الشائع قديما أن أول الكتابات الإنجيلية لم تظهر إلا بعد عام ٧٠ من الميلاد ، وحياة بولس ونشاطه الدينى كان قد بدأ من وقت مبكر ، من نهاية المسيح عليه السلام ، وقد رجحنا القول الذاهب إلى أن نشاطه بدأ فى عام ٥٠ ميلادى ، واستبعدنا بدأه قبل ذلك التاريخ ، والذى يحدده بعضهم بعام ٣٨ ميلادى ، وقلنا إن هذا البدء المبكر جداً فيه نظر ، إذ يعقب نهاية المسيح مباشرة ، فليس من الممكن التسليم بهبأن بولس بدأ بتحريف المسيحية فى ذلك الوقت ، وحياة المسيح الحقيقية كانت معالمها وضيئة فى أذهان معاصريه . فلابد من فترة زمنية تسمح بالانتقال مما هو حق خالص إلى باطل منحول ؟!

فإذا وضعنا فى الاعتبار أن بولس توفى فى ٦٧ ميلادى فمعنى هذا أن الإنجيل الأول الذى وضع عام ٧٠ ميلادى كان من أحد مصادره رسائل بولس وفكر ه بلا أدنى ارتياب ؟!

أما المصادر الأخرى فلاتخرج عن :

١ ــ الرواية الشفوية التى كان يتناقلها الناس عن حياة عيسى عليه السلام ، مع مأأصابها من إضافات لم يسلم منها حدث ترويه الذاكرة على مدى طويل .. ؟!

٢ ــ خيال الكاتب نفسه ، وبواعثه الفكرية ، وتحيزه للمبادىء التى يتبناها ويروج لها . ؟!

ويترتب على هذا أن الأناجيل اللاحقة كانت أكثر تأثراً بهذه المصادر

كلها ، وفى مقدمتها رسائل بولس وفكره ؟!

هذا الحقائق التى لم تخل منهاكتابات القوم عن تاريخ تحرير نصوص أناجيلهم كانت تكفينا جداً فى دحض دعواهم بأن الأناجيل لم تحرف ، وأنها تمثل بصدق حياة المسيح الحقيقية ، وأن واضعيها شهود عيان على مايقولون ؟!

ولكنهم خطوا ــ مشكورين ــ إلى أبعد من هذا الحد الذى قلت إنه يكفينا فى المواجهة . وكان فى خطوهم الجديد إضافة قوة جديدة إلى موقفنا ، وتوهين جديد لموقفهم فى دعواهم تلك أفتدرى ماذا قالوا ؟!

قالوا إن أول كتابات إنجيلية لم تظهر قبل عام ١٤٠ ميلادى . أى أنهم أخروا ظهور الأناجيل إلى مابعد سبعين سنة على التاريخ المتقدم وهـذا يرجح إلى أقصى مدى قوة تأثير المصادر التى أشرنا إليها فى تحرير الأناجيل ، وبخاصة أثر الرواية الشفوية والأسطورية ، بعد رسائل بولس التى إن لم تكن أفادت محررى الأناجيل فى الصياغة ، فقد أمدتهم بالفكرة وفلسفتها ؟ !

وهذا ليس بالشيء الهين .

وندلى فيما يأتى برأى الاستاذ موريس بوكاى ، الذى استمده من بحوث علماء معاصرين ممن كتبوا فى هذا المجال ، بموضوعية ونزاهة بارزتين . ؟!

والأستاذ بوكاى يقدم لرأيه بهذا السؤال :

« ومن المسموح به أن نتساءل : ماكان يمكن للمسيحية أن تكون عليه بدون بولس » ؟! ثم يجيب :

« ونستطيع فى هذا المقام أن نقيم افتراضات كثيرة ، ولكن فيما يخص الأناجيل فليست هناك مجازفة كبيرة فى أنه لولا جو الصراع بين الطوائف التى ولدت بسبب انشقاق بولس لما حصلنا على الكتابات التى فى حوزتنا اليوم (يقصد الأناجيل) . إن هذه الكتابات **الخصامية** ــ كما يصفها الأب

كانينجسر ـــ قد ظهرت فى فترة صراع حاد بين الطائفتين ـــ يقصد الطائفة اليهودية ـــ المسيحية ، والطائفة المسيحية الخالصة ـــ وانبعثت من حشد كتابات عن المسيح . ففى هذا العصر شكلت المسيحية ـــ البولسية بعد نصرها النهائى ـــ مجموعة نصوصها الرسمية ، أى « القانون » الذى يستبعد كل الوثائق الأخرى ، التى لم تكن توافق الخط الذى اختارته الكنيسة ..[1] » .

وإذا كان رأى الأستاذ بوكاى منقولا عن كتابات مسيحيين غربيين ، فإن المسيحيين الشرقيين لهم أو لبعضهم آراء لاتقل فى قيمتها عما ارتآه الرواد الغربيون . وكلها تلتقى عند هدف واحد هو اعتماد الأناجيل على مكر بولس وأفكاره .

ومن الشرقيين من يضيف جديداً فى هذا الشأن ، فيقرر أن الأناجيل الأربعة المعتمدة الآن لدى الطوائف المسيحية كتبت اعتماداً على العقائد التى كانت سائدة قبل تحريرها . فوجود العقائد كان سابقا على وجود الأناجيل . وكان المفروض أن تؤخذ العقائد من الأناجيل لأن تبنى الأناجيل على العقائد ، وإلا أهدرت فيه الأناجيل باعتبار أنها ليست مصدراً صحيحاً للدين المعتمد عليها . ؟!

والذين يقررون هذه الحقائق لاينفكون يكررون تأثر الأناجيل الأربعة المعتمدة برسائل بولس وعقائده ، والرواية الشفهية لحياة المسيح . ويؤكد بعضهم أن رسائل بولس . وسفر أعمال الرسل الذى كتبه تلميذه لوقا ، وهما ليسا من حواريى المسيح ، ورسائل يوحنا ، ويعقوب ، وغيرهما كان يطلق عليها قبل تحرير الأناجيل أنها « مذكرات الرسل » وهذا أضفى عليها هالة من الثقة ، ليست هى أهلا لها ؛ لأن بولس ولوقا لم يريا المسيح ، ولاهما من تلاميذه ، وأن ماينسب إلى يوحنا ، ويعقوب وغيرهما من تلاميذ المسيح الحقيقيين ليس موثوقا فيه البته ؛ لأن أسبق تلك الأعمال هى رسائل بولس التى

---

١ ـــ دراسة الكتب المقدسة (٧٣ / ٧٤) .

لم يذكر فيها دليلًا واحدا على صحة مايقول ، من كلام المسيح نفسه ، وكل ماكتب بعدها اعتمد عليها وقلدها . ؟!

وأن سفر أعمال الرسل إنما كتبه لوقا تلميذ بولس ، فحاول أن يرد الجميل لأستاذه ؛ لأن لبولس يداً طولى على لوقا ، فتعاون الرجلان (الأستاذ والتلميذ) على أن يعظم كل منهما من شأن الآخر[٢] .

موجز ماتقدم :

إن حصيلة ماتقدم فى سطور تسفر عما يأتى :

١ ـــ إن رسائل بولس ومذكرات لوقا قد سبقت تحرير الأناجيل الأربعة بزمن طويل .

٢ ـــ إن بولس ولوقا ليسا من حواريى المسيح ولاهما قد رآياه فى حياته .

٣ ـــ إن بولس ولوقا قد جامل كل منهما الآخر على حساب المسيحية الصادقة .

٤ ـــ إن الأناجيل الأربعة كتبت لتأييد عقيدة موجودة قبل تحريرها ، فهى قد أخذت من تلك العقائد ، ولم تؤخذ تلك العقائد منها .؟!

٥ ـــ إن مصادر مادة الأناجيل الأربعة لاتخرج عن رسائل بولس ، ومذكرات لوقا ، والرواية الشفهية لحياة المسيح بعد نهايته بأكثر من مئة عام ؟!

٦ ـــ ومما ينبغى الوقوف عليه ، أن هذه الحقائق يقررها كتاب ومؤلفون وباحثون مسيحيون معتدلون . فهى إذن شهادات حق لاتحامل فيها ، وجهها بعض القوم فى حقائق دينهم .

٧ ـــ وينتج من هذا كله أن الأناجيل الأربعة المعتمدة الآن : متى ، ومرقس ،

---

٢ ـــ راجع فى هذه النقول كلها كتاب « يسوع المسيح » ص ١٨ ومابعدها لبولس إلياس وكتاب : (الإنجيل والصليب) ، ص ١٤ ، ٢١ لعبد الأحد داود . ودراسة الكتب المقدسة ص ٧٦ .

ولوقا ، ويوحنا ، ليست شهادات عيان عن حياة المسيح عليه السلام ، وإنما هى ذات طابع أسطورى روائى أدبى ، فينبغى عدم الأخذ بها حرفيا . ؟!

وإلى هذه الحقيقة المرة الحلوة يشير الأب كانينجسر بقوله :

« لم يعد واجبا الأخذ بحرفية الأحداث الواردة عن المسيح فى الأناجيل ، فهى كتابات ظرفية أو خصامية ، يذكر واضعوها أقوال جماعة كل منهم عن المسيح [٣] »

ويضيف المؤلف الذى نقل رأى الأب كانينجسر هذا فيقول :

« وفيما يختص بقيامة المسيح ، يشير الأب كانينجسر إلى استحالة أن يعطى أى كاتب من كتاب الأناجيل لنفسه صفة الشاهد العيان »

وألفت نظر القارىء مرة أخرى إلى أن هذه المقالات والأوصاف والحقائق المعطاة عن الأناجيل ، إنما ننقلها نقلا أمينا من مصادرها المسيحية . ولم نقحم رأيا واحداً من مصدر إسلامى ، أو لكاتب مسلم ، حتى لايظن أحد بنا سوءاً ، وأننا نتحامل على القوم أو نفترى على عقيدتهم شيئاً ؟!

وأعتقد أن القارىء لاينكر علينا حقنا فى التعليق على تلك الآراء والنصوص المنقولة عنهم ، وكوننا نعلق على الكثير منها ، فهذا لايقدح فى موضوعية البحث . بل إن ذلك التعليق لهو من أوجب واجباتنا فى هذه الدراسة ، التى نستهدف منها دفع المزاعم التى يضفيها القوم على عقائدهم ونصوصهم المقدسة ، بقصد هدم عقيدتنا نحن ، أو التشكيك فيها ، ليقيموا لهم صروحاً على أنقاض الإسلام : كتابه ، ورسوله ، وعقائده . وإذا كانوا هم البادئين ـــ دائما ـــ بمهاجمة حصوننا . فإن أحداً ـــ أيا كان شأنه من الإنصاف أو الاعتساف ـــ لايملك ذرة من صواب إذا هو لامنا إذا نحن باشرنا حقنا ـــ أو قل واجبنا ـــ فى الدفاع عن حوزتنا .. !؟

---

٣ ـــ انظر هذا الرأى والتعليق عليه فى « دراسة الكتب المقدسة » ص ٦٨ .

وسنطوى هنا مرحلة من الشكوك جد خطيرة ، تتعلق بتاريخ تحرير الأناجيل . مثل اختلافهم حول العصور التى ظهرت فيها ، واللغات الأولى التى كتبت بها ، وإلى أى اللغات ترجمت منها ؟ ومثل اختلافهم فى الأشخاص الذين قاموا بتحريرها ، هل هم فعلا المنسوبة إليهم ، أو هم أشخاص آخرون حرروها ونسبوها إليهم . ؟! إن كل هذه الاختلافات قائمة إلى الآن عند القوم ، وهى كلها تبين إلى أى مدى يعتمد القوم فى عقيدتهم على أساس ضعيف . ومما ينبغى إدراكه دائما : أن كتاب الأناجيل الأربعة منهم اثنان يتفق النصارى على أنهما ليسا من حواريى المسيح ، وهما : مرقس ولوقا . ! ومنهم اثنان آخران يتفقون على أنهما ـــ باسميهما ـــ من حواريى المسيح ، وهما : متى ويوحنا ، ثم يتشككون : هل هما فعلا محررا الإنجيلين المعروفين باسميهما : إنجيل متى ، وإنجيل يوحنا . أم أن الكاتبين شخصان آخران ، نسباهما زوراً إلى هذين الحواريين ؟!

إننا سنتجاوز هذه المرحلة ، مكتفين بالإشارة إليها على نحو ما مر .

وسنعرض لمرحلة أخرى من الشكوك ، قبل التعرض للواقع النصى للأناجيل . وذلك لأهمية تلك المرحلة التى ستراها الآن وهى :

الأناجيل .. إلهام أم وحى ... ؟!

الدين من حيث أنه دين له أصول ، وله فروع ومن أصول الدين :

الحقائق التى يجب الإيمان بها . بل إن هذه الحقائق لهى أصول أصول الدين ، وليست أصولاً فقط ؛ لأنها الدعائم الكبرى التى يشاد عليهاالبناء ، أو هى أسس تلك الدعائم قبل أن تكون دعائم . وأدق هذه الأصول وأجلها خطراً : هو ماغاب عنا ، وعلا على عمليات التجريب ، فلم يقع تحت حس ظاهر ، وهو مايعبر عنه الفلاسفة بـ « ماوراء الطبيعة » أو « الميتافيزيقا » .

أما فروع الدين ، ونقصد به هنا الجوانب **التشريعية** من **حل** ، **وحرمة** ، **ووجوب** ، **وجواز** ، **وندب** ، فهى تابعة لتلك الأصول ومبتناة عليها .

وواضع الدين الصحيح هو ــ دائما ــ الله ؛ لأنه صاحب **السلطة** العليا فى الوجود كله ، وهى كلمة تلتقى مع معنى الدين فى أدق معانيه وأكملها .

وهو وحده صاحب الكلمة الأولى والأخيرة فى تحديد وتقرير الحقائق الإيمانية ، وبوجه خاص فيما كان وراء الطبيعة ، أو الميتافيزيقا .

ووسيلة : إعلامنا بتلك الحقائق عن الله : إنما هى « الوحى الموثق » . أو إخبار رسول ثبتت رسالته يقينا ، فلم يحم حولها شك من طلاب الحق ، وسليمى الفطرة .

ويشترط فى أدلة تلك الأصول أن تكون يقينية قاطعة ، لم يتطرق إليها شك أو احتمال . وهذا هو المعنى بتلك القاعدة الأصولية الجامعة : « الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال » .

أما الفروع فقد يجوز فيها ، أو فى بعضها ، أو فى بعض أوضاعها ، أن يحكم فيها الدليل الموصوف بأنه « قطعى الثبوت ظنى الدلالة » ، أو ما هو أقل منه درجة فى بعض الأحوال .

وهدفنا من هذه المقدمة أن نقول : إن أصول الدين ، وخاصة الحقائق الإيمانية التى لاتقع تحت حس ظاهر ، لابد فيها من الدليل اليقينى القطعى ، وهذا الدليل لايمكن أخذه إلا من نص مكافىء له . بمعنى أن يكون النص « قطعى الثبوت »، ليس فيه أدنى ارتياب. وإلا فلا يصلح لأن تقوم عليه عقيدة ، أو ينتزع منه أصل من أصول الدين .

هذه حقائق مسلمة ، لاتختص بها ملة دون أخرى ، أو يقدرها عقل دون آخر ؛ لأنها بديهة من بدائه الفكر الموضوعى ، وهو عالمى السلطان ، لاتختص به أمة دون أمة .

والنصارى يعتبرون الأناجيل مصدر دينهم ، والدعائم الأولى التى يقيمون عليها عقائدهم . فهل ــ ياترى ــ تلك الأناجيل تتمتع عندهم بهذا السلطان ؟

أعنى هل نصوصها عندهم هم قطعية الثبوت ، حتى ينتزعوا منها أدلة يقينية قطعية الدلالة ؟!

أم أنها عندهم ــ وهم المؤمنون بها ــ تحتمل الإثبات ، والنفى ، والأخذ ، والرد ؟!

إننا هنا سنحتكم إليهم ، وهم الذين سيغنوننا عن الإجابة كما أغنونا عنها فى كثير مما سلف .

ومصدرنا فى الإجابة هو كتاب « استحالة تحريف الكتاب المقدس » ، الذى أصدرته ــ منذ أربع سنوات ــ كنيسة القديسة ماريانا بمصر بالهرم . وهو خلاصة دراسات ألقيت بتلك الكنيسة على شبابها . وشارك فى تحريرها : البابا شنودة ، بابا الاسكندرية ، وبطريرك الكرازة المرقسية . واشترك معه ثلاثة من كبار رجال الدين المسيحى فى مصر .

والكتاب ــ كما ترى ــ وثيقة لايستهان بها ، ولذلك فإن ماورد فيه بخصوص هذا الموضوع حجة ملزمة لكل مسيحى فى كل مكان .

ثلاثة آراء متعارضة ؟!

تضمن كتاب « الاستحالة » المذكور ثلاثة آراء فى كيفية تدوين الأناجيل ، كل رأى منها يدفع الآخر ويبطله ؟!

الرأى الأول : الأناجيل وحى منزل من عند الله على عيسى :

فى هذا الرأى يجزمون بأن الأناجيل وحى منزل من عند الله . وراحوا يستدلون على هذا القول بآيات من القرآن الحكيم ، منها قوله تعالى (المائدة ــ ٤٧) :

﴿ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ﴾ ومنها قوله تعالى (الحديد ــ ٢٧) :

﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا ، وقفينا بعيسى ابن مريم ، وآتيناه الإنجيل ﴾ ؟!

واستدلال القوم ــ هنا ــ بهاتين الآيتين يفيد أمرين :

أحدهما : أن الإنجيل منزل من عند الله .

وثانيهما : أن عيسى عليه السلام متلق للإنجيل ، مبلغ به ، شأنه فى ذلك شأن أى رسول . ونحن معهم فى هذا ، بل إن هذه هى عقيدتنا ، ولكن فى الإنجيل الذى أنزله الله على عيسى دونما سواه .

الرأى الثانى : الإنجيل وحى منزل من عند الله على الحواريين ؟!

وبين هذا الرأى وسابقه اتفاق واختلاف :

الاتفاق فى أن القوم مايزالون يقولون : ان الإنجيل وحى من الله .

والاختلاف : فى أن الموحى إليه فى الرأى الأول هو عيسى عليه السلام . أما فى هذا الرأى فإن الموحى إليه هم الحواريون ؟!!

ثم يعودون فيستدلون بآية من القرآن الحكيم ، وهى قوله تعالى :
﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى ﴾ المائدة (١١١) .

وهنا نقول لهم : إذا كان الموحى إليه هم الحواريون ، فما هو دور عيسى إذن ؟ هل كان رسولا بلا وحى ؟! وكيف أصبح له حواريون ؟ وبأى معيار تصح هذه التسمية ؟!

ثم : ماهى عقيدتكم فى كتابكم المقدس ، وعلى من نزل ، وإلام يبقى لديكم هذا الشك والتردد ؟!

إن الخطوة الأولى لكم قد أبطلتموها بالخطوة الثانية ، وأنتم تبحثون عن مصدر كتابكم وعن الطريقة التى وصل بها إليكم . كل مانرجوه منكم أن تسجلوا لنا وعليكم هذه « القفشة » فإن لها معنى عميقا .. ؟!

وللقارىء ـــ حتى الآن ـــ أن يلحظ هذه الحقيقة ، وهى : أن القوم احتفظوا ـــ من خلال هذين الرأيين ـــ احتفظوا **بنصف الحق** .. ؟!

حيث أبقوا على الإنجيل وصف الوحى ، وأضاعوا **نصف الحق الآخر** ؟!

حيث ترددوا على مَنْ كان الوحى ؟ أعلى عيسى عليه السلام ، أم على حوارييه[٤] ؟! .

الرأى الثالث : الإنجيل ليس بوحي قطعاً .. ؟!

ولم نكد نمضى خطوات بعد هذين الرأيين المتدافعين ، حتى نرى مؤلفى كتاب « الاستحالة » يخرون من السماء إلى الأرض دفعة واحدة ، و بلا مقدمات ، حيث يعودون فجأة ويقولون : إن الذى يعتقد أن الإنجيل موحى به من عند الله فهو مخطىء ، وتقول لهم : لماذا مخطىء ؟ فيقولون لك : إن الإنجيل ليس بوحى ـــ هكذا والله ـــ وتسألهم فماذا هو إذن . ؟!

فيجيبونك بقولهم ـــ الذى ننقله بالنص من كتابهم المذكور ـــ :

« فالإنجيل ليس كما يتصور البعض[٥] ، أنه كتاب أوحى به للسيد المسيح ؟! بل هو رسالة أعدها المسيح للعالم ، ووعظ بها بفمه الطاهر ؟!

فالسيد المسيح لم يأخذ هذه الرسالة مكتوبة ، كما أنه لم يكتبها . ؟!

وإنما عملها شفويا لتلاميذه المختارين ، وأرسلهم إلى جهات مختلفة لينشرونها ، **ويعلمون**[٦] غيرهم ؟! ولذلك دعوا رسلا ، ووعدهم بالروح القدس

---

٤ ـــ إن جهل القوم باللغة هو الذى ورطهم إلى لحاهم فى هذه الورطة ، فالوحى المنصوص عليه مع الحواريين ليس المراد منه الوحى بمعنى أن الله أنزل عليهم كتابا ، بل المراد منه الإلهام ، والهداية ، كقوله تعالى ﴿ وأوحى ربك إلى النحل ﴾ وقوله ﴿ وأوحينا إلى أم موسى ﴾ ؟!

٥ ـــ المراد بالبعض هنا : المسلمون .

٦ ـــ صحة هذين الفعلين : ليشروها ويعلموا . ولكن جهل القوم بالنحو هنا واضح .

ليعلمهم كل شيء ... فأخذوا يبشرون الجميع بالإنجيل فى كل مكان ، ويقدمون لهم رسالة الخلاص بما يلائم عاداتهم ولغاتهم ، وحسب إرشاد الروح القدس لهم . ؟!

فليس معنى هذا وجود أربعة أناجيل كما يعتقد البعض[٧]، إنما هو إنجيل واحد له أربع صور لتكون الشهادة قوية »[٨] ؟!!

قارن بين ما قاله القوم هنا ، وماقلوه منذ قليل . واسأل نفسك هل يمكن أن يصدر هذا التناقض العجيب من رجل له عقل وفكر ، ويحترم عقله وفكره ؟ لا والله . فالعقل لايثبت الشيء وينفيه فى لحظة واحدة . قبلا قالوا الإنجيل موحى به إلى عيسى من عند الله . ثم قالوا فى نفس اللحظة إن الموحى إليه هم الحواريون ؟!!

وهنا يقولون :

من يقل الإنجيل وحى فهو مخطىء ، لأن عيس عليه السلام لم يتلق الإنجيل من أحد ، ولم يكن مكتوبا ولاهو كتبه . وإنما هو رسالة شفوية أعدها المسيح للعالم . ووعظ بها التلاميذ شفويا ، وحملها التلاميذ شفويا ، وبلغوا بها العالم . ووهبهم عيسى روح القدس يرشدهم .. ؟!

والإنجيل ليس أربعة أناجيل ، وإنما هو إنجيل واحد ، كتب بأربع لغات ، حسب حاجة الناس ، أوله أربع صور ؟! لماذا : لتكون الشهادة قوية ؟!

القوم هنا كاذبون .. كاذبون . ماداموا يقولون بالشيء وضده ، بل ونقيضه وإذا كان الإنجيل ليس وحيا ، فلماذا قالوا إنه وحى ، واستشهدوا على ذلك بآيات من القرآن . ؟! أضعفت ذاكرتهم إلى هذا الحد ؟! بعض الناس يقولون فى نصح الكاذبين : « إذا كنت كذوبا فكن ذكوراً » أى قوى الذاكرة ،

---

٧ ـــ أى المسلمون ؟! .

٨ ـــ استحالة تحريف الكتاب المقدس (٦٩) وماقبلها .

حتى لاتورط نفسك .

والقوم كان حريا بهم أن يعملوا بهذه النصيحة ، ولكنهم للأسف كذوبون غير ذكورين . ولو أنهم تذكروا رأيا مما قالوا لما تورطوا فى غيره ؟!

وفى كلامهم هذا سقطة هووا بها إلى الحضيض فى نظر كل عرف وعقل .. ؟!

وهى قولهم : « إنما هو إنجيل واحد له أربع صور لتكون الشهادة قوية » ؟!

ولإيضاح هذا نقول :

إن الواقعة المشهودة هى حياة عيسى عليه السلام ، والأحداث التى وقعت خلالها .

والشهود عليها هم كتاب أو واضعو الأناجيل الأربعة : متى : مرقس ، لوقا ، يوحنا .

وشهادة كل واحد منهم هو إنجيله المنسوب إليه ، فإنجيل متى هو شهادته ، وإنجيل مرقس هو شهادته ، وإنجيل لوقا هو شهادته ، وإنجيل يوحنا هو شهادته ، والساحة أو المحكمة التى تؤدى فيها هذه الشهادات هى العقل والعلم ، والواقع ، أو هؤلاء الثلاثاء هم هيئة المحكمة .

فمتى تكون الشهادة قوية ياترى ؟!

الذى عليه العقلاء فى كل عصر ومصر أن الشهادة تكون قوية إذا كانت أقوال الشهود الأربعة متطابقة . وتبلغ القوة أعلى درجاتها إذا كان التطابق تماما . وتكون الشهادة ضعيفة إذا اختلفت أقوالهم ؟ أما مؤلفو كتاب « استحالة » تحريف الكتاب المقدس ، فهم على عكس مايراه العقلاء فى كل عصر ومصر ؛ إذ يقررون أن الشهادة تكون قوية إذا اختلفت أقوال الشهود

وتضاربت إلى حد النفى والإثبات .

ذلك هو منطق القوم العجيب . ؟ أفلا ترى ـــ معى ـــ أنهم قد هووا إلى الحضيض فيما قالوا .

والقوم معذورون ، وسيظل هذا حالهم ، ماداموا يتمسكون بأن هذه الأناجيل تروى ـــ فعلا ـــ أقوال المسيح ، ووقائع حياته ؛ لأن الواقع النصى لهذه الأناجيل مضطرب كل الاضطراب ، والدفاع عن « الباطل » لايكون إلا بباطل مثله .

ولذلك فإنهم كما تراهم قد ذروا أناجيلهم فى الهواء ، فهى عمل شفوى فى شفوى ، وروح القدس شفوى كذلك ، إنهم يوسعون الدائرة خشية تطويق الخصوم لهم فعمدوا إلى الافتراء والكذب على حد قول الشاعر :

لى حيلـــة فيمـــن ينـــم   وليس فى الكـذاب حيلة
من كان يخلـق مايقـــول   فحيلتـــى فيـــه قليلـــة ؟!

ولكننا نقول لهم : إن توسعتم فقد تبددتم وهذا انتصار لنا ؟! وإن تجمعتم فقد أحصرتم وهذا ـــ كذلك ـــ انتصار لنا .. ؟!

وإن اعترفتم بأنكم أخطأتم فهذا ـــ أيضا ـــ انتصار لنا ؟!

فصاحب الحق منصور دائما .. وذو الباطل مهزوم دائما . تلك هى سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ؟!

مقارنة بين الرأى الثالث وماقبله :

آراء مؤلفى كتاب « الاستحالة » فى كيفية تدوين وصول الإنجيل إليهم هى :

١ ـــ وحى من الله إلى عيسى عليه السلام .
٢ ـــ وحى من الله إلى الحواريين .. ؟!

٣ ــ ليس وحيا من أحد إلى أحد ، وإنما هو عمل شفوى فى شفوى ؟!

وقد علقنا على الرأى الأول ، فقلنا : إن القوم قد احتفظوا فيه بالحق لو أنهم استمروا عليه ؟!

وعلقنا على الرأى الثانى ، بأنهم احتفظوا فيه بنصف الحق وأضاعوا النصف الآخر ؟!

أما تعليقنا على الرأى الثالث ، فإننا نقول فيه :

« إن القوم قد أضاعوا الحق كله .. فلم يحتفظوا منه بشىء قط ؟!

ورأيان آخران متعارضان

تبين من الآراء التى قدمتها كنيسة القديسة دميانة بالهرم بمصر ، ممثلة لوجهة النظر العليا للكرسى البابوى بالإسكندرية .. ؟ تبين من تلك الآراء أن الأناجيل « ليست قطعية الثبوت » ، بدليل اختلافهم حول منشئها ومولدها وكيفية وصولها إليهم . ولو لم يكن فى المسألة إلا تلك الآراء الثلاثة لكان ذلك كافيا فى نزع كل ثقة عن النصوص الإنجيلية . فليست هى ــ إذن ــ أهلاً لتكون مصدراً لعقيدة أو أصولا لدين .

ومع هذا فإن فى الموضوع رأيين آخرين ، كلا منهما يبطل الآخر . بل إن التسليم بأحدهما يلقى التسليم بماعداه ، سواء كان الذى « ماعداه » هو الرأى المقابل له ، أو واحداً من آراء الكرسى البابوى بالإسكندرية . وإليك الحديث عن الرأيين الآخرين .

الأناجيل ... إلهام

يذهب فريق من أهل الكتاب (النصارى) إلى أن كتبهم المقدسة (الأناجيل الأربعة + أعمال الرسل + الرسائل) إلهامية ، وليس لها مصادر غير الإلهام ، فواضعوها كتبوها بإلهام من الله .. ؟! ونستأذن القارىء فى وقفة

قصيرة مع الإلهام قبل مناقشة القوم فى دعواه لأناجيلهم .

بين الإلهام أو الوحى :

الإلهام يلتقى مع الوحى فى وجه ، ويختلف معه فى وجه آخر ، يلتقى معه فى المصدر ، فمصدر الوحى والإلهام هو الله .

ويختلف معه فى الكيفية ، فالوحى يكون بوساطة ملك — فى الغالب — ينقل الكلام الموحى به إلى الرسول الموحى إليه ، ويكون بصوت محدد مسموع .

أما الإلهام فيكون **بإلقاء الله الكلام** الذى يريد إيصاله إلى الملهم مباشرة بدون ملك ناقل ، وبدون صوت مسموع .

ودعوى الإلهام ممن يدعيه غير مقبولة ، مالم يقع دليل قاطع على إثباته . وهذا الدليل يكون واحداً من اثنين :

إما معجزة تجرى على يد مدعى الإلهام ، تكون موافقة لمراده أمام من ينكر دعواه ، وإما صدق الكلام الملهم به — دائما — صدقا لايتخلف أبداً .

ولانريد أن نطيل فى هذه القضية ، وإنما نوجز الحديث عن بطلانها فى الخطوات الآتية :

أولاً : إن دعوى الإلهام هذه ليست موضع اتفاق بين النصارى ، ولا بين الطوائف المؤمنة بالأناجيل ، فمنهم من رفضها ، وفى مقدمة الرافضين جماعة لايستهان بها من علماء انجلترا[٩]، ومنهم من تشكك فى حقيقة الإلهام كلها بالنسبة للأناجيل . على أن إجماعهم — لو كانوا قد أجمعوا عليه — ليس حجة ولا هو دليل ؛ لأن الإلهام لايثبت بمجرد الإجماع .
ثانيا : مع دعوى بعضهم الإلهام لم يستطيعوا أن يقيموا دليلا واحداً على

---

٩ — راجع نصهم ومصدره فى كتاب « محاضرات فى النصرانية » ص ٩٧ للمرحوم محمد أبو زهرة .

صحته ، ولأن الذين يدعون لهم الإلهام لم يدعوه هم لأنفسهم ـــ حين كتبوا ماكتبوا ـــ ماعدا بولس ، الذى كان يزعم أنه يتكلم بلسان « الرب » حيناً ، وعن لسانه هو حيناً آخر .

وقد عرفنا بولس وحقيقته ، فهو ليس تلميذاً من تلاميذ المسيح ، وإنما لبس ثوب المسيح بخرافة كانت حرية أن تضع بولس ـــ لو تصدى له عاقل ـــ فى عداد الدجالين ، وكذلك فإن من ادعوا لهم الإلهام لم يذكروا لهم أو لأحد منهم معجزة واحدة جرت على يديه تصديقا لدعواه ..

والإلهام لايكون إلا لرسول ، ولم يأت رسول بعد عيسى عليه السلام ، إلى مبعث إمام المرسلين ﷺ .

ثالثا : إذا تجاوزنا خطى الدفاع الأول والثانى السابقين ، فإن أمامنا الآن خط دفاع ثالثا ، ليس فى مقدرة مدعى الإلهام اختراقه ، أو الوقوف أمامه ، ولهذا الخط أهمية ليست للخطين السابقين . فهما ذوا طابع جدلى صرف ، أما الثالث فذو طابع علمى تجريبى وهو :

دلالة نصوص الأناجيل على نفى الإلهام

قلنا ـــ ويقول معنا الحق ، والعلم ، والعقل ـــ : إن الكلام الملهم لايكون إلا صادقا صدقا مطلقا ، لايأتيه الباطل قط . فلو سلمنا للقوم بأن كتبهم إلهام ، وفتحنا أمامهم الطريق فى خطى الدفاع الأول والثانى ، ثم أخذنا عينات للفحص من نصوصهم التى ادعوا إلهاميتها ، فإن نتيجة الفحص ستقول بأعلى صوت : لاليس الأناجيل إلهاما ، ولاحتى شبه إلهام ؟!

ونكتفى ـــ هنا ـــ بمثال واحد من عينات الفحص ، إذ سنعود إليها فيما بعد بالتفصيل .

واقعة القبض على عيسى عليه السلام

لما ضاق اليهود ذرعا بعيسى عليه السلام ، تآمروا للقبض عليه وقتله

صلبا . ولكن كيف عرفوا مكانه ، وهو كان يتخفى عنهم ، وماكيفية القبض عليه ؟!

نستمع إلى اثنين من أصحاب الأناجيل يرويان لنا هذه الواقعة .

فهذا متى يقول :

« وفيما هو يتكلم ، إذا يهوذا أحد الاثنى عشر قد جاء ، ومعه جمع كثير ، بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة ، وشيوخ الشعب والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلا : **الذى أقبله هو هو أمسكوه**.[10] فللوقت تقدم إلى يسوع وقال : السلام عليك ياسيدى . **وقبله** . فقال له يسوع : ياصاحب لماذا جئت ؟ حينئذ تقدموا ، وألقوا الأيادى على يسوع ، وأمسكوه »

هذا مايرويه متى . ويقول يوحنا فى نفس الواقعة : « وكان يهوذا مسلمه يعرف الموضع ؛ لأن يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه ، فأخذ يهوذا الجند ، وخداما من عند رؤساء الكهنة ، والفريسيين ، وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح ، فخرج يسوع ، وهو عالم بكل مايأتى عليه ، وقال لهم من تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصرى ! قال لهم يسوع أنا هو ؟! وكان يهوذا مسلمه واقفا معهم : فلما قال لهم أنا هو ، رجعوا جميعا ، وسقطوا على الأرض ، فسألهم أيضا : من تطلبون ؟ فقالوا : يسوع الناصرى . أجاب يسوع : قد قلت لكم إنى أنا هو ، فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون ، ليتم القول الذى قاله : إن الذين أعطيتنى لم أهلك منهم أحداً »[11]

المقارنة بين الروايتين

الحادثة المقصوصة فى روايتى متى ويوحنا هى حادثة القبض على المسيح عليه السلام .

---

١٠ ـــ إنجيل متى : الإصحاح (٢٦) الفقرات (٤٧ ـــ ٥٠) .

١١ ـــ إنجيل يوحنا : الإصحاح (١٢) الفقرات (٢ـــ ٩) .

والمفروض حسب مزاعم النصارى : أن كلا من متى ويوحنا ملهم ، أى يتكلم عن إلهام من الله . ؟!

ولكن حين نقارن بين الروايتين يظهر فى يقين قاطع أن الإلهام ـــ على الأقل ـــ منفى عن واحدٍ منهما ، من غير تعيين ؛ لأن الروايتين متعارضتان ، والتعارض بينهما فى أكثر من موضوع ؟!

* فمتى يقول : إن يهوذا اتفق مع اليهود بأن الذى يسلم عليه ويقبله بفمه هو المسيح ، فمتى قبل أحداً من الموجودين ، فهو هو فليقبضوا عليه . وفعلا استمر متى فى الرواية ، حتى تم القبض على المسيح ، بنفس العلامة التى أعطاها يهوذا لليهود ؟!

* ويوحنا يقرر أن المسيح نفسه حينما داهمه الجنود بقيادة يهوذا ، سألهم من تطلبون ؟ فقالوا : يسوع الناصرى ، فاعترف لهم بأنه هو يسوع ، وأسلم نفسه لهم ؟!!

* متى يقول : إن الجنود الذين أخذهم يهوذا للقبض على المسيح كانوا من عند رؤساء الكهنة ، **وشيوخ الشعب** .

* ويوحنا يقول : إنهم من عند رؤساء الكهنة **والفريسيين** .

* متى يسكت عن حادثة سقوط الجنود ومعهم يهوذا على الأرض لما عرفوا المسيح .

* ويوحنا يروى هذه القصة ، ويزيد أن المسيح طلب من الجنود أن يتركوا تلاميذه ، ويأخذوه هو وحده ؟! ذلك هو الاختلاف بين الراويين . فأحدهما ـــ قطعا ـــ كاذب . ولكن بدون تعيين . وإذا كان كاذبا بطلت دعوى الإلهام بالنسبة له « قطعاً » ؛ لأن النصارى يدعون الإلهام للاثنين معاً . ؟!

وإذا بطلت دعوى الإلهام بالنسبة للكاذب ، بطلت كذلك بالنسبة للصادق . ولكن لماذا ؟! لأن النصارى — كذلك — يدعون الإلهام للجميع . ونفيه عن أحدهم يقتضى بطلان الدعوى بالنسبة للآخرين . حتى ولو كانوا صادقين ؟! وتلك هى مهمة : العقل والعقلاء .. ؟! ؛ لأنه ليس كل صادق ملهما . أما كل ملهم فصادق بلا نزاع .. !!

الأناجيل .. تصوير لحياة المسيح كل حسب مارآه

ويبقى رأى آخر ، يقول فيه مدعوه ، وهم كثر : إن الأناجيل الأربعة تواريخ صادقة عن حياة المسيح ، وكاتبوها شهود عيان على مايقولون ؟!

وأصحاب هذا الرأى يعللون الاختلافات التى بين الأناجيل الأربعة بأن كل واضع إنجيل كتب ماشاهده ، ورآه من المسيح نفسه . وهؤلاء يظنون أنهم قد أزالوا كل غموض حول الأناجيل ، ورفعوا كل الشكوك المتعلقة بها . وممن يذهب هذا المذهب بعض المجامع الكنسية . فهذا الرأى يمثل وجهة النظر الرسمية لآباء الكنائس وروادها .

ونذكر فيما يلى فقرة مهمة من « **الدستور العقائدى للتنزيل** » الذى أصدره المجمع المسكونى ، الذى انعقد فيما بين عامى ١٩٦٢ — ١٩٦٥ بالفاتيكان . وفيها يقولون :

« إن كنيستنا المقدسة الأم قالت وتقول بحزم وثبات دائمين : إن هذه الأناجيل الأربعة التى تأكد تاريخيتها دون أى تردد (؟!) تنقل بشكل أمين — فعلا — أقوال وأفعال المسيح طيلة حياته بين البشر لخلاصهم الأبدى ، وإلى أن رفع إلى السماء .. إن الكتاب الدينيين إذن يؤلفون الأناجيل بشكل يسمح بإعطائنا دائما عن المسيح **أموراً حقيقية ومخلصة** » ؟!

وقبل أن نعلق على هذا الرأى « الرسمى جداً » نضع بإزائه نصاً آخر مكافئا له فى الدرجة ، أصدره أكثر من مائة متخصص فى العلوم اللاهوتية من الكاثوليك ، والبروتستانت ، ونشر عام ١٩٧٠ فى مقدمة الترجمة الجديدة

للأناجيل . وقد جاء فيها :

« إن الأناجيل التى قد أصبحت رسمية ـــ فيما بعد ـــ لم تعرف إلا فى عصر متأخر ، رغم أن تحريرها قد تم فى بداية القرن الثانى .. ؟ وحسب الترجمة المسكونية ، فقد بدأ ذكر الروايات التى تنتمى إلى هذه الأناجيل فى نحو منتصف القرن الثانى ، ولكن يكاد يكون عسيراً القول بما إذا كانت هذه الاستشهادات قد تمت بعد الرجوع إلى النصوص المكتوبة التى كانت تحت يد الكتاب ، أم أنهم قد اكتفوا بذكر أجزاء من التراث الشفهى ، اعتماداً على الذاكرة »

ويردفون قائلين : « إنه لاتوجد على أية حال أى شهادة تقول بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية قبل عام ١٤٠ م » (١٢) .

التعليق على الرأيين :

إن مجرد النظر إلى نص المجمع المسكونى فى دستوره العقائدى للتنزيل الصادر عام ١٩٦٥ يريك أن المجمع أرسل القول على عواهنه ، ولم يقدم أى دليل على ثبوت تاريخية الأناجيل ، والتسليم للمجمع فى مدعاه لايملكه عاقل أبداً . ونرى أن المجمع قد ورط نفسه إلى حدٍ كبير حين يقرر أن واضعى الأناجيل يقدمون حياة المسيح فعلا ، ويروون عنه أموراً حقيقية . ويكفى فى بيان هذه الورطة أن نذكر القارىء بالاختلاف الخطير ، الذى وقع بين روايتى متى ويوحنا لواقعة القبض على المسيح ، وكيف يمكن أن يكون مايرويه الكاتبان واقعا وأمراً محققا . ولو كان الأمر مقصوراً على ماورد فى تلك الروايتين لهان الخطب .. ولكن الأناجيل مشحونة ـــ كما سنرى ـــ بمثل ذلك الاختلاف . بل وبأشنع منه . وهذا ينزع عن تصريح المجمع كل معقولية وثقة .

---

١٢ ـــ انظر كتاب « دراسة الكتب المقدسة » ص ٧٥ ومابعدها .

أما النص الوارد فى مقدمة الترجمة الجديدة للعهد الجديد ، فقد اعتمد كاتبوه على حقائق علمية ، ونفوا نفياً قاطعا أن تكون هذه الأناجيل قد وجدت قبل عام ١٤٠ م ، كما يتشككون فيما إذا كان واضعو الأناجيل قد رجعوا إلى نصوص مكتوبة عند تحريرها ، أم أنهم اعتمدوا على مجرد ماترويه الذاكرة .

وهذا النص يدفع فى وضوح مايراه الدستور العقائدى الصادر عن المجمع المسكونى المشار إليه . وهكذا فما من رأى يقوله جماعة منهم إلا ووقف أمامه رأى آخر يعارضه وينفيه ؟!

ثبت بجملة الآراء لديهم

يتقرر مما سبق أن جملة الآراء المعروفة ، والتى يقول بها النصارى أنفسهم فى طريقة وصول الأناجيل إليهم هى :

١ ـــ الأناجيل موحى بها من عند الله إلى عيسى عليه السلام .

٢ ـــ الأناجيل موحى بها من عند الله إلى الحواريين لا إلى عيسى ؟!

٣ ـــ الأناجيل ليست وحيا ، ولا هى مكتوبة ، ولكنها مواعظ شفوية ؟!

٤ ـــ الأناجيل إلهام من الله إلى الحواريين وغيرهم ؟!

٥ ـــ الأناجيل ليست وحيا ، وإنما هى شهادات عيان لحياة المسيح ؟!

٦ ـــ الأناجيل كتبت بعد حياة المسيح عام ١٤٠ ميلادى ، واعتمد محرروها على الذاكرة .

٧ ـــ الأناجيل روايات تعبر عن وجهة نظر واضعيها ، وعقائدهم ، ومصدرها الخصومات بين الطوائف فطابعها أدبى صرف ، وليست هى وقائع تاريخية ؟!

ما من رأى من هذه الآراء إلا وله مثبت ونافٍ من النصارى أنفسهم ، فانظر إلى أى مدى يضطرب القوم فى أناجيلهم ، ومع هذا يتخذونها مصادر

لدين هم به مؤمنون ؟!

ومن زيادة الفائدة والإيضاح نذكر عبارة واحدة وردت فى الأناجيل ، ثم نخضعها لتنازع الآراء فيها على النحو الآتى :

أما العبارة فهى قول المسيح حسب زعمهم :

« أنا والآب واحد » (١٣)

* هذه العبارة كتبها كاتبها معبراً عن وجهة نظره هو فحسب ؟!
* هذه العبارة كتبت اعتماداً على الذاكرة وليس لها مرجع سواها ؟!
* هذه العبارة ليست وحيا ولا إلهاما وكلها شهادة عيان عن قول المسيح .
* هذه العبارة إلهام من الله إلى الحواريين ... ؟!
* هذه العبارة موعظة شفوية وليست وحيا من أحد إلى أحد ؟!
* هذه العبارة وحى من الله إلى الحواريين ... ؟!
* هذه العبارة وحى من الله إلى عيسى ... ؟!

ينبغى أن يلاحظ القارىء أن كل رأى من هذه الآراء السبعة ينفى ماعداه من آراء . وبهذا يتبين أن الأناجيل ــ اعتماداً على آراء أصحابها ــ فيها ــ ليست **قطعية الثبوت جزما** . وكيف تكون قطعية الثبوت مع وجود هذا الحشد الهائل من الخلاف حولها ؟ وكل نص ليس قطعى الثبوت فالاستدلال به باطل .. باطل ... باطل ؟!



١٣ ــ يعنى هو والله واحد ؟! .

الفصل الرابع

الواقع النصى للأناجيل

فى كل ماتقدم عن الأناجيل كانت الشكوك مسلطة عليها من خارجها ، أهى حقيقة تصور حياة المسيح عليه السلام ، وتحكى أقواله بصدق ؟!

أم هى دخيلة عليه كلها أوبعضها ؟!

وبعبارة أوضح : أيستطيع من يقرأ الأناجيل أن يخرج بصورة طبق الأصل لحياة عيسى وحقيقة رسالته ؟! أم أنه لايمكنه الوصول إلى تلك « الصورة الواقعية » التى بعث الله عيسى عليه السلام من أجلها ؟!

لقد أجبنا على تلك التساؤلات كلها ، من خلال أقوال أهل الكتاب أنفسهم (النصارى) ، ولم نقحم أية آراء للإسلام أو المسلمين ؛ لأن ماقدمه القوم عن « أناجيلهم » كاف فى إعطاء القارىء صورة أمينة فيما يتصل بسند النصوص الإنجيلية ، وصحة نسبتها للمسيح عليه السلام ، أو عدم الصحة .

إن الذى تقدم جانب مهم فى « البحث » ، وقد مر بنا ذلك الاضطراب « الخطير » الذى ينزع عن « الأناجيل » كل ثقة واطمئنان !

فإذا تجاوزنا تلك المرحلة « الخطيرة » التى هزت تاريخ روايات الأناجيل ، ومصادرها هزاً عنيفا ، تهرأت من عنفه « هيا كلها » فإننا أمام جانب أكثر خطورة ، وأعنف أثراً ، وهو « الواقع النصى » للأناجيل . فالقوم ، وإن أنكر بعضهم مالم يعجبهم من أقوال بعضهم الآخر فيما يتصل بتاريخ الرواية ومصادرها ، فإنهم لايستطيعون أن ينكروا « الواقع النصى » للأناجيل وتوابعها من أعمال الرسل ورسائلهم . فهم مجمعون على أنها « الأناجيل » والأعمال ، والرسائل ، ومعنى هذا أننا نناقشهم فى أمر « موجود » فعلا ، لا نختلف عليه ، نحن ، ولاهم ، من حيث أنه « واقع فعلى لنصوص الأناجيل والأعمال والرسائل » .

وهذا الواقع هو « المختبر العملى » لصحة الأناجيل ، أو فسادها وتحريفها . والنتائج المترتبة على فحص « تلك النصوص » ليست مجالاً للنفى أو التحايل وطبيعة العمل فى هذا الفرع هو :

هل الواقع النصى للأناجيل مؤتلف ، أم مختلف من إنجيل إلى إنجيل ، أو من فقرة إلى فقرة فى الإنجيل الواحد ؟!

وهل « معطيات » النصوص الإنجيلية مسلمة ــ دائما ــ أمام العقل والعلم والواقع ؟!

إن كانت ــ كذلك ــ لاتنافر ، ولا اختلاف ، ولاتناقض ، ولاتجافى ، ولا افتيات على العقل والعلم والواقع ، فهى ــ إذن ــ صادقة لاتحريف فيها .

وإن وجدت فيها تلك « الآفات » كلها أو بعضها ، فهى ــ إذن ــ مكذوبة ومحرفة . المسيح والمسيحية منها برآء .

هذه هى طبيعة العمل ــ هنا ــ فلنمض فيها ، ومن الله السداد .

١ ــ نسب المسيح عليه السلام

من أخطر المشكلات التى يواجهها مفسرو الأناجيل ، والمعلقون عليها ، ومع كثرة تحايلهم للتغلب عليها ، فإنهم لم يجدوا منها مخرجا إلى الآن ، ولن يجدوا منها مخرجاً إلى الأبد .. ؟!

وحين نطلق على مسألة نسب المسيح ــ عليه السلام ــ فى الأناجيل وصف « مشكلة » ، فإنما هى « مشكلة أم » تتفرع عنها مجموعة مشكلات أخرى ، كل منها مايزال قائما فى وجوه المبشرين والمعلقين ، حتى لجأوا فى تفسيرها وإخضاعها للمعقول إلى « بهلوانيات » ــ كما يقول الكاتب المسيحى المعاصر المعروف موريس بوكاى[1] ؟!

١ ــ انظر كتابه : دراسة الكتب المقدسة (١١٦) .

وقد عكف الكتاب المسيحيون المعاصرون على دراسة نسب المسيح عليه السلام ، الوارد فى إنجيلى متى ولوقا وأسفرت الدراسة عن وجود أخطاء جسيمة ، إذا ماقورنت شجرة نسب المسيح عند متى بشجرة نسب المسيح عند لوقا . وترتب على وجود تلك الأخطاء نتيجة مهمة للغاية ، سجلها بعضهم بكل أمانة وصراحة فى كتب طبعت بعده لغات ، ومنها اللغة العربية .

وها نحن أولاء نسجل هنا ــ فى إيجاز ــ جملة الأخطاء التى توصلوا إليها ، من خلال أحدث الدراسات التى أجروها فى نقد تواريخ **النصوص الإنجيلية** . **ثم نتبع ذلك بالنتيجة** المشار إليها آنفا .

أولا : الأخطاء :

١ ــ إن ذلك النسب الوارد فى إنجيلى متى ولوقا : هو فى الواقع نسب يوسف النجار (خطيب مريم) ، وليس نسب عيسى عليه السلام ، لأن عيسى لا أبا له من الرجال . فنسبه من جهة الرجال معدوم ؟!

والكاتبان (متى ولوقا) يعترفان بذلك ــ صراحة ــ ومع هذا فإنهما استمرا فى تدوين وقائع ، هما يعتقدان بطلانها من حيث حملها على المسيح عليه السلام . ؟!

ومن ذلك قول لوقا :

« ولما ابتدأ عيسى كان له نحو ثلاثين سنة ، وهو على **ماكان يظن** ابن يوسف . بن هالى . بن متثات ...[٢] » ؟!

كان يظن (هكذا) بالبناء للمجهول ، أى نسب عيسى على ماكان يظنه الظانون هو كذا وكذا ؟! وما دامت المسألة ظناً فلماذا متابعة ذلك الظن ، الذى تفيد عبارة لوقا نفسه بأنه ظن قد ثبت بطلانه ؟ .

---

٢ ــ إنجيل لوقا : الإصحاح (٣) الفقرات (٢٣) ومابعدها .

٢ ــ يختلف متى مع لوقا ، فيبدأ متى شجرة النسب من إبراهيم عليه السلام ، ولا يذكر اسما واحداً قبل إبراهيم[٣] ، بينما يبدأ لوقا شجرة النسب من آدم عليه السلام . ونزيد هنا على مالاحظة القوم أنفسهم : أن منهج متى يختلف اختلافا آخر عن منهج لوقا ، ذلك أن متى بدأ بإبراهيم عليه السلام ، وانتهى بعيسى عليه السلام ، بينما لوقا بدأ بيوسف (خطيب مريم) وانتهى الى آدم عليه السلام . أى أن متى بدأ بالغائب متدرجا إلى الحاضر (إبراهيم ــ عيسى) عليهما السلام ، ولوقا بدأ بالحاضر وانتهى متدرجا إلى الغائب (عيسى ــ آدم) عليهما السلام .

هذه ملحوظة عابرة ، وإن لم تدخل فى صلب النزاع ، فلها دخل فيه ؛ إذ تدل على عمل الخيال الذى ساد تدوين الأناجيل ، وهذا الخيال ــ كما سيأتى جزء من النتيجة التى أسفرت عنها دراساتهم النقدية لواقعية نصوص الأناجيل .!

٣ ــ فى الجزء الخاص بلوقا (من آدم إلى إبراهيم) يذكر لوقا عشرين اسما ، اذا ماقوبلت بالفقرة المناظرة لها فى أنسال آدم الواردة فى العهد القديم (التوراة : سفر التكوين) ، وجد بينهما اختلاف ، حيث لم تذكر التوراة قبل إبراهيم إلا تسعة عشر اسما هى :

آدم ــ شيث ــ أنوش ــ قينان ــ مهللئيل ــ يارد ــ أخنوخ ــ متوشالح ــ لامك ــ نوح ــ سام ــ إرفكشاد ــ شالح ــ عابر ــ فالج ــ داعو ــ سروج ــ ناحور ــ تارح . بينما لوقا يذكرهم عشرين . فكيف وقع هذا الاختلاف ، مع الدعوى بأن العهدين القديم والجديد متوافقان .. ؟!

ومما سجلته الدراسات النقدية عن لوقا أنه ذكر بعد إرفكشاد اسم « كاينام » ، على أنه ابن إرفكشاد ، ولم يرد هذا فى أى من نصوص العهدين القديم والجديد سوى لوقا .؟! فمن أين أتى لوقا بهذا الإسم ؟!

---

٣ ــ راجع إنجيل متى الإصحاح (١) الفقرات (١ ــ ١٧) .

٤ ــ ويختلف الكاتبان (متى ــ لوقا) فى عدد الأجيال ، أو بمعنى أدق الأسماء ، التى بين داود وعيسى عليهما السلام اختلافا عظيما ينزع عنهما كل ثقة .

فلوقا يذكر بين داود وعيسى عليهما السلام اثنين وأربعين اسما ، فيقع داود فى شجرة نسب لوقا حاملا رقم (٣٥) أما عيسى فيحمل رقم (٧٧) ، أما متى فيذكر بينهما سبعة وعشرين اسما ، ويحمل داود فى شجرة نسب متى رقم (١٤) أما عيسى فيحمل رقم (٤١) .. ؟!

والفرق بين الاثنين هو : ٤٢ - ٢٧ = ١٥ ؟! ويتساءل الباحثون المسيحيون المعاصرون فيقولون : من أين أتى لوقا بهؤلاء الأسماء الخمسة عشر ؟! وهذا على افتراض أن متى هو الصادق .. ولنا أن نتساءل معهم .

إن كان لوقا صادقا ، فكيف حذف متى الأسماء الخمسة عشر هذه ؟! أليس هما موحى إليهما بهذه الحقائق ؟ أو : أليساهما ملهمين على الرأى القائل بالإلهام ؟!

أو ــ أليساهما شاهدى عيان على رأى من يقول بهذا .. ؟!

إن المشكلة جد عويصة . فصدق لوقا يقتضى كذب متى ؟! وصدق متى يستلزم كذب لوقا . أمر لابد من الاعتراف به .

وبقى احتمالان آخران :

* أن يكون الاثنان صادقين .. وهذا مستحيل ، مستحيل ؟!
* أو يكون الاثنان كاذبين .. وهذا ــ مع الأسف ــ جائز ؟!

٥ ــ يرجح فريق من الباحثين المعاصرين صدق لوقا على متى . ؟! ويعللون هذا الترجيح على مالحظوه على منهج الرجلين فى سرد الأسماء . فلوقا قد بدا لهم يسرد الأسماء غير مراع فى سردها ترتيباً خاصاً .

أما متى فقد جعل عدد الأجيال من إبراهيم إلى داود عليهما السلام ١٤ جيلا . ومن داود إلى سبى بابل ١٤ جيلا آخرين ، ومن سبى بابل إلى المسيح عليه السلام ١٤ جيلاً كذلك ، فكان مجموع الأجيال كلها من إبراهيم إلى عيسى عليهما السلام ٤٢ جيلاً . ؟!

لهذا جزم الباحثون أن العدد ١٤ له اعتبار خاص عند متى ، لهذا فهو حريص عليه . وهذا الحرص من الممكن جداً أن يحمل متى على تعمد حذف الأسماء الزائدة ، حتى يمكن التوافق التام بين المجموعات الثلاث فى أن كلا منها تتكون من ١٤ جيلا ؟!

وأقول :

هذه ملاحظة جديرة بالتسجيل ، وينبغى الوقوف عندها ؛ لدلالتها القيمة فى موضوع البحث . فمتى عند القوم أنفسهم متهم بالتزوير . وهذا التزوير لم يحمله عليه إلا هوى نفسه ، وغرامه الشديد بتوافق مجموعاته الثلاث فى عدد معين (١٤) ، وقد يكون الواقع كذلك . ولكن الواقع لايهمنا بقدر مايهمنا هذا التصريح الجرىء من باحثين لم يحملهم ولاؤهم التقليدى للعهد الجديد (الأناجيل) على التماس فروض وحيل ليدافعوا بها عن (نص مقدس) بان لهم خطؤه . وهنا نورد هذا السؤال : كيف يكون متى ملهما ، أو موحى إليه ، أو شاهد عيان ، ينقل بأمانة وصدق أموراً حقيقية عن المسيح عليه السلام .. ؟! ألا تكفى هذه المؤاخذات كلها فى أن يقر الأباء الكنسيون بالحقيقة فيريحوا أنفسهم وأنفس أتباعهم ، ويبرأوا أمام من إليه المصير ؟!

٦ ــ ومن الأخطاء الفاحشة بين شجرتى النسب عند كل من متى ولوقا الاختلاف الواقع بين الأشخاص أنفسهم ، إذا ماقورنت الشجرتان . وهذا نموذج منهما :

نسب المسيح بعد داود عن كل منهما

١ ـــ حسب إنجيل متى	٢ ـــ حسب إنجيل لوقا
سليمان	ناتان .. ؟!
رحبعام	متاتا .. ؟!
أبيا	منا .. ؟!
أسا	مليا .. ؟!
بوشافاط	الياقيم .. ؟!
بورام	يونان .. ؟!
عزيا	يوسف .. ؟!
بوتام	يهوذا .. ؟!
أجاز	شمعون .. ؟!
حزقيا	لاوى .. ؟!

وقفة مع هذا الاضطراب :

قف أمام هذه المجموعة التى قوامها عشرة أشخاص فى كل من الشجرتين ، ثم قارن بين كل اسمين متقابلين تجدهما مختلفين غاية الاختلاف ،

فسليمان عند متى هو ناتان عند لوقا . ؟!
ورحبعام عند متى هو متاتا عند لوقا . ؟!
وأبيا عند متى هو منا عند لوقا . ؟!
وأسا عند متى هو مليا عند لوقا . ؟!
وبوشافاط عند متى هو الياقيم عند لوقا . ؟!

وهكذا بقيه العشرة ، بل وهكذا بقية الأجيال عند كل منهما ، حتى الوصول إلى عيسى عليه السلام .

وأنت خبير بأن عيسى عند متى يحمل الرقم (٤٢) بينما هو عند لوقا

يحمل الرقم (٧٧) بفارق ٣٥ جيلا بينهما حسب ماتقدم ؟!

فإذا كان الكاتبان موحى إليهما ، أو ملهمين ، أو حتى كانا شهود عيان كما يقول المجمع المسكونى ينقلان بكل أمانة وصدق أموراً حقيقية عن المسيح ، لو كان الرجلان ــ كذلك ــ فكيف يقع بينهما هذا الاختلاف العظيم ؟! الذى من ألزم نتائجه أن أحدهما كاذب لامحالة .. ؟!

٧ ــ ويتفق المعلقون ــ بعد ماتقدم ــ على أن متى قد أسقط أنسال يوارم الذى يحمل فى شجره نسب متى الرقم (٢٠) مخالفا بذلك ماجاء فى سفر أخبار الأيام الثانى من العهد القديم وهم :

أخاذ ياس ، ويواس ، وأماسيا .. ؟!

كما ارتكب متى مخالفة أخرى ، حيث قال : إن يكنيا هو ابن يوشيا . مخالفا بذلك ماجاء فى كتاب الملوك الثانى ، حيث جاء فيه : أن يوشيا ولد (الياقيم) ، والياقيم ولد يكنيا .

فيكنيا فى متى هو ولد يوشيا ، أما فى العهد القديم فهو ولد الياقيم ؟!

ويتفق المعلقون على « تصديق العهد القديم »، و« تكذيب » متى ؛ لأن صدق أحد المصدرين لايثبت إلا بتكذيب الآخر ، والمعلقون يميلون إلى تكذيب متى ، عملاً بمالحظوه عليه من « غرامه » بالعدد (١٤) ، الذى راح يعدل فى قوائم نسبه ، حتى يسلم له هذا العدد .. ؟!

٨ ــ وافيما يتعلق بلوقا فى الجزء الخاص به من آدم إلى إبراهيم عليهما السلام ، يتساءل المعلقون : هل من المعقول أن لايكون بين آدم وإبراهيم إلا ١٩ جيلاً ، كما جاء فى العهد القديم ، أو ٢٠ جيلا كما جاء فى العهد الجديد فى إنجيل لوقا . ؟! وقالوا إن هذه الفروض لاتتفق مع معطيات العلم الحديث .. ؟!

إن المعلقين هنا لايقصرون لومهم على لوقا وحده ، بل يتشككون حول

ماورد فيه ، وفى أسفار العهد القديم معاً ، ويقولون : إن لوقا قد استلهم نسبه من تحديدات التوراة ، وهو فى ذلك قد وهم .

ولايخالجنا ريب فى صدق هذه « النقود الموضوعية »، والذى يحق لنا تسجيله هنا ــ بناء عليها ــ أن هذه « المؤاخذات الهامة » تنزع ــ بقوة ــ الثقة عن الكتاب المقدس ــ قديمه وجديده ــ، وتقوض دعوى القائلين بسلامة الكتاب المقدس من التحريف والتبديل .. ؟!

وإذا لم يكن هذا تحريفا وتبديلا ؟! فما هو التحريف والتبديل ياترى .. ؟!

نوع من التحايل لهذه المشكلات :

باعتراف كثير من المفكرين المسيحيين فى العصر الحاضر أن موضوع نسب المسيح فى إنجيلى متى ولوقا لمن أخطر المشكلات التى تواجه رجال الدين المسيحى ، وأنهم أمام هذه الصعوبات راحوا يفترضون حلولاً جدلية للتغلب عليها ، حتى لاتبلغ الشكوك فى الأناجيل جميعا المدى الذى يسقطها « نهائيا » أمام المؤمنين بها . ومن أحدث ماقالوه مايأتى :

« إنه ليس المقصود هو شجرة نسب المسيح بتمامها ، وأن المبشرين ــ يقصدون واضعى الأناجيل ــ قد أسقطوا أسماء عن عمد . والذى يجب أن يدخل فى الحسبان هو ــ فقط ــ نية وضع الخطوط العريضة، أو العناصر الجوهرية لنسب المسيح ، بالاعتماد على الواقع التاريخى[٤] » .

وهذه المحاولة نفسها مثيرة للعجب . فكيف يتفق القول بأن المبشرين اعتمدوا على الواقع التاريخى ، مع هذا الاختلاف الشنيع فى كل شيء . إن الواقعة التاريخية الواحدة لاتقع على وجهين ، وإنما لها وجه واحد . ؟! والتسليم بهذه المحاولة غير مشروع ، إذ مايزال النقد الموضوعى يقول :

A. Tricot. Petit Dictionnaire du Nouveau Testament

هل الواقع التاريخى هو رواية متى ، أم رواية لوقا · أم هما معاً .. ؟!

« وليس فى النصوص مايسمح بهذا الغرض ، فنصوص الأنساب تعين بالتحديد أن فلانا ولد فلانا ، وأن هذا ابن ذاك ؟! وزيادة على ذلك ، وبالنسبة لما يسبق إبراهيم ــ عليه السلام ــ ،فقد نهل المبشر (لوقا) من العهد القديم ، الذى يعرض الأنساب على وجه لايسمح بانقطاع التسلسل . وعلى هذا فالجزء السابق على إبراهيم من نسب إنجيل لوقا يصبح غير مقبول فى ضوء المعارف الحديثة »[٥] ؟!

النتيجة :

أدت تلك النقود المتقدمة التى أشرنا إلى طرف منها إلى حقيقة كان ينبغى أن ينتهى المصير إليها .

وأبرز ماجاء فى النتيجة : أن الأمر بالنسبة إلى النصوص المقدسة التى تضمنتها الأناجيل يتعلق بصحة النصوص تاريخيا ، وبعدم صحتها . ؟!

أى أن المشكلة هى مشكلة « أصل » ،وليست مشكلة (فرع) ، ومعنى هذا أن الريب يتسلط على النصوص نفسها ، أهى صحيحة أم غيره صحيحة .. ؟!

وحتى الآن ، فإن المسألة لاتقبل احتمالا ، وبخاصة فى مسألة نسب المسيح عليه السلام . احتمال الصحة والبطلان كان قبل ظهور الدراسات النقدية الجادة . أما بعدها فإن تضارب متى ولوقا يقطع بالبطلان ، ولا يدع أى احتمال للصحة .. ؟!

هذا مايقوله القوم أنفسهم ، مع ملاحظة أن هذه الآراء إنما تصدر عن باحثين فرادى ، ومن بينهم من يشغل منصبا كهنوتيا أما المجامع الرسمية فإنها ماتزال تصر ــ مع هذا الاضطراب الخطير ــ على أن الأناجيل تنقل بأمانة

---

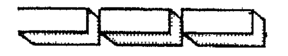
٥ ــ موريس بوكاى : انظر كتابه السابق (ص ١١٣) .

وصدق أموراً حقيقية عن المسيح لاريب فى وقوعها .. ؟!

وهذا الاختلاف بين الباحثين الأفراد ، وهم على جانب كبير من الصواب ، وبين المجامع الرسمية تفسيره واضح . فرجال الكنيسة ليسوا أقل إدراكا من غيرهم ، لخطورة تلك المشكلات ، وإنما الاعتراف بها سيهدم بين يوم وليلة سلطانهم على النفوس والعقول . فآثروا بقاء سلطانهم على الجهر بالحقيقة ، وإخلاص النصح لرعاياهم ، بل ولأنفسهم .. ؟!

وليس أدل على ذلك من موقف المجمع المسكونى الثانى من العهد القديم (التوراة وملحقاتها) ؛ حيث صرح بأنه يشتمل على صعوبات وشىء من البطلان . ؟! بينما تمسك بصحة الأناجيل على علاتها وآفاتها ؟!

لأن « بطلان العهد القديم » ، وإن كان للنصارى منه نصيب ضخم ، فإنه يضر بكهنة اليهود ، ولايؤثر فى سلطان رجال الدين المسيحى .. ؟!





الفصل الخامس

صور أخرى من التناقض

نحن الآن أمام صور أخرى جزئية تناقضت فيها الأناجيل ، وهى كثيرة ، ولكننا سنكتفى منها ببعضها ، لما فيه من قوة الدلالة على عدم واقعية النصوص الإنجيلية . وقبل إيراد تلك الصور يحسن بنا أن ننبه القارىء إلى موضوعات وردت فى الأناجيل ، وأخضعها الباحثون الموضوعيون من النصارى أنفسهم إلى النقد الجاد ، الذى قادهم إلى القول بأن الأناجيل إنما هى كتابات ظرفية وخصامية ، كانت تعبر فى كثير من الأحيان عن وجهة نظر كاتبيها وعقائدهم ، وإنها خضعت للخيال البشرى كثيراً .

وإزاء هذا خرجت مؤلفات مدرسة الكتاب المقدس بالقدس تثبت أن الأناجيل قد كتبت ،ونقحت، وصححت أكثر من مرة ، قبل ماهى عليه الآن . ويوصى الأب بينوا ، والأب بوامار ، وهما من رواد المدرسة المذكورة ، يوصيان قارىء الأناجيل أن يكون على استعداد ، وهو يقرأ الأناجيل ، أن لايسمع صوت المسيح المباشر من خلال قراءتها . وهى جملة — لعمرى — ذات معنى عميق أراد الأبوان بها أن المسيح عليه السلام يغيب كثيراً عن قارىء الأناجيل ؛ لأنها لاتصور حقائق حياته تصويراً أمينا .. ؟!

وتلك الموضوعات التى ننبه القارىء إليها إذا أراد المزيد من معرفة الحقائق هى :

١ — **روايات الآلام** . وهو المقطع الخاص بالآلام التى تعرض لها المسيح ، حسب روايات الأناجيل ، فقد وقع فيها خلط جسيم من مصدر إلى مصدر .

٢ — **إهمال يوحنا لواقعة تأسيس القربان المقدس** . وهو المقطع الخاص بالعشاء الأخير للمسيح وتلاميذه ، فقد أهمل يوحنا رواية هذا الحدث ، مع أن الأناجيل الأخرى التى ذكرته تصور يوحنا نفسه بأنه كان يجلس إلى جانب

المسيح .. فكيف يهمله إذن ؟!

أن الباحثين قد رجحوا أن لايكون إنجيل يوحنا المعروف باسمه من تأليف يوحنا الحوارى ، وإلا لما أهمل رواية القربان ؟!

والراجح ــ عندهم ــ أن مؤلفا مجهولا قد وضع هذا الأنجيل ونسبه ــ زوراً ــ إلى يوحنا الحوارى[1] .. ؟!

٣ ــ **ظهور المسيح بعد قيامته** « تقص ثلاثة من الأناجيل : هى متى ، ويوحنا ، ولوقا ، قصة قيامة المسيح بعد صلبه ــ على حد زعمهم ــ وتختلف فيما بينها اختلافا عظيما فى رواية الأحداث ، سواء فى ذكر الأسماء التى شهد أصحابها ظهور المسيح ، وهل كان بينهم ملاك ، وكم مرة ظهر المسيح ، وتختلف هذه الأناجيل مرة أخرى مع ماجاء فى رسالة بولس إلى أهل كورنثوس (١٥ ــ ٥ ــ ٧)[2] ، فى تحديد عدد مرات ظهور المسيح ، ويختلف سفر أعمال الرسل لمؤلفه لوقا مع ماجاء فى رسالة بولس أيضا . وهذا قد حمل باحثا مسيحيا جادا على أن يندد « بالخوارق الطنانة والطفولية فى بعض الأناجيل المزورة »[3] ؟!

٤ ــ **صعود المسيح** : وتضطرب الأناجيل ــ كذلك ــ فى مسألة صعود المسيح . فيهملها متى ويوحنا ، ويذكرها مرقس ولوقا ، وهما يختلفان اختلافا كبيرا فى تصويرها . لذلك جزم الأب روجى بأن عبارة مرقس (كذا) ليست نصا صحيحا . وهو نص كتب وأضيف بعد ذلك ، حتى وإن كانت الكنيسة تعتبرها قانونية ؟!

٥ ــ **أحاديث المسيح الأخيرة :**

ويتساءل المعلقون المعاصرون من المسيحيين أنفسهم عن هذا الفصل ،

---

١ ــ تأمل عزيزى القارىء هذا الكلام فله فى هذا المجال قيمته .. ؟!

٢ ــ العدد الأول يشير إلى الإصحاح . والثانى والثالث الفقرات .

٣ ــ مقدمة إلى الإنجيل (١٨٢) للأب روجى .

إذ لم يرد إلا فى إنجيل يوحنا . أما متى ولوقا ومرقس ، فلا ذكر له فى أناجيلهم مع أن قصة الوداع الأخير ، ووصايا المسيح الروحية لتلاميذه جزء مهم جداً — كما يرى المعلقون — من حياته ، فلماذا تركه هؤلاء الثلاثة ؟ ثم يقول المعلقون بالحرف الواحد :

« هل كان النص موجوداً أولاً عند المبشرين الثلاثة الأولين (متى — مرقس — لوقا) ؟!

ألم يحذف فيما بعد؟! ولماذا ؟! ولنقل قولاً إنه لايمكن الإتيان بأية إجابة . فاللغز مستغلق تماما بالنسبة لهذه الثغرة الكبيرة فى رواية المبشرين الثلاثة الأولين »[٤] ؟!

نصوص متعارضة لايمكن الجمع بينها

تشيع فى الأناجيل نصوص تتعارض بقوة فيما بينها ، لدرجة تقطع كل أمل فى التوافق بينها ، ونصوص أخرى ذات معان متنافرة مرذولة ، لايمكن قبولها ، أو الاعتقاد فيها دينيا . وذلك سمة من سمات الوضع والخيال البشرى غير المنضبط وفيما يلى صور منها :

نسبة الدينونة للمسيح ونفيها عنه :

يمثل إنجيل يوحنا قمة التناقض فى هذا الفرع من الدراسة . فهو حينا يثبت الدينونة للمسيح ، وحينا ينفيها عنه ، جاهلاً — أو متجاهلا — ماسبق أن قرره فهو يقول مرة :

« إن الآب لايدين أحداً ،بل قد أعطى كل الدينونة للابن »[٥] ؟!

ويقول أخرى :

---

٤ — راجع فى هذه المآخذ كلها كتاب : دراسة الكتب المقدسه (١١٧ — ١٢٥) .

٥ — يوحنا : الإصحاح (٥) الفقرة (٢٣) .

« وأعطاه سلطانا ليدين أيضا لأنه ابن الإنسان »[٦] ؟!

ويقول ثالثة :

« فقال يسوع : لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لايبصرون »[٧] ؟!

في النصوص الثلاثة المذكورة يثبت يوحنا دينونة العالم كلها قد صارت إلى المسيح . أى أن « الله » ـــ سبحانه ـــ قد رفع يده عن الكون ، ليتولى المسيح مسئولية الحساب والثواب والعقاب ؟!

ولكن يوحنا يعود فينفى ماأثبت ، إذ يقول :

« لأنه لم يرسل الله ابنه ؟! إلى العالم ليدين العالم ؟! بل ليخلص العالم »[٨] ؟!

ويقول :

« وإن سمع أحد كلامى ، ولم يؤمن ، فأنا لاأدينه ؛ لأنى لم آت لأدين العالم ، بل لأخلص العالم »[٩] ؟!

ويقول :

« لأن ابن الإنسان قد جاء لكى يطلب ويخلص ماقد هلك »[١٠] ؟!

---

٦ ـــ يوحنا : الإصحاح (٥) الفقرة (٢٨) .

٧ ـــ يوحنا : الإصحاح (٩) الفقرة (٤٠) .

٨ ـــ يوحنا (٣ / ١٧) العدد الأول يشير إلى الإصحاح . ومايليه يشير إلى رقم الفقرات فى الإصحاح نفسه .

٩ ـــ يوحنا (١٢ / ٤٧) العدد الأول يشير إلى الإصحاح . ومايله يشير إلى رقم الفقرات فى الإصحاح نفسه .

١٠ ـــ يوحنا (١٩ / ١٠) العدد الأول يشير إلى الإصحاح . ومايليه يشير إلى رقم الفقرات فى الإصحاح نفسه .

تعقيب :

هذا هو موقف الأناجيل ، وهى المصادر الأصلية للنصرانية المعاصرة ، تختلف — أو قل تتناقض تناقضا واضحا — فى مسألة إثبات الدينونة لعيسى عليه السلام ، ونفيها عنه ، وهى نصوص متكافئة فى الإيجاب والنفى والدرجة ، أى أن الكنيسة تعتبرها كلها نصوصا قانونية . فكيف يقيم المؤمنون بها عقيدة عليها ؟!

أيأخذون بنصوص الإثبات — كما هو المعتقد عندهم — ؟! أم يأخذون بنصوص النفى ؟! وهم فى كلتا الحالتين محجوجون من جانب خصومهم ، بل ومن جانب أنفسهم أيضا ؟!

لأنهم إن أخذوا بنصوص الإثبات — وهم قد فعلوا — فقد أهملوا نصوصا أخرى متكافئة معها فى أنها قانونية مقدسة ؟!

وإن أخذوا بنصوص النفى — وهم لم يأخذوا بها — ووجهوا بمثل ما ووجهوا فى القسم الأول ؟! وليس من المأزقين مخرج ، فهم محجوجون على أى وجه كانوا .. ؟!

وتفسير هذا الاختلاف — فيما أفهم — يرجع إلى أن كاتب هذا الإنجيل كان ينسى ماكتب فى موضع ، فيثبت ضده فى موضع آخر ، مستجيبا لخاطرة نفسية عرضت له . ولو كان هذا الإنجيل وحيا أو إلهاما لما وجدنا فيه هذه التناقضات وغيرها كثير . فأين سلامة الإنجيل من التحريف ياترى ؟!

شهادة المسيح حق .. شهادة المسيح ليست بحق .. ؟!

ومن هذه الصور أن الأناجيل تذكر مرة : أن شهادة المسيح حق ، ثم تعود فتقول : إن شهادته ليست بحق (هكذا) . فهذا يوحنا ينقل عن المسيح — عليه السلام — قوله :

« فأجاب يسوع ، وقال : إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق ؛ لأنى

أعلم من أين أتيت ، وإلى أين أذهب »[١١].

ثم قوله : « أنا هو الشاهد لنفسى ، ويشهد لى الأب الذى أرسلنى »[١٢] إن مؤدى هذين النصين هو « حقية » شهادة المسيح عليه السلام ، وليت الأمر اقتصر على ذلك ، فيوحنا نفسه يورد بعد هذا قول المسيح :

« إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقاً . الذى يشهد لى هو آخر ، وأنا أعلم أن شهادته التى يشهدها هى حق »[١٣] ؟!

تعقيب :

هذاالتضارب الخطر لايمكن نسبته إلى المسيح عليه السلام . فالأنبياء معصومون من الخطأ فى التبليغ أو التخليط فيه فيوحنا ــ قطعا ــ كاذب فى أحد القولين ، أو فى كليهما . فلا مانع أن يكون المسيح عليه السلام لم يقل شيئا مما ذكر ، ولا مانع أن يكون قال : فشهادتي حق . أما أن يقول : فشهادتى ليست حقا ؟! فإن عشرات الموانع تقف دونه ، فضلا عن أن يكون قاله مع القول الأول .. ؟!

المسيح يضع السلام على الأرض .. المسيح لايضع سلاما بل ناراً .. ؟!

شاع عن المسيح عليه السلام أنه رسول السلام . والواقع أن الرسل جميعا رسل سلام ، وليس المسيح وحده هو رسول سلام ، ونحن من جانبنا ــ أعنى المسلمين ــ نملك من النصوص الداعية إلى السلام والمواقف العملية أضعاف أضعاف ماترويه الأناجيل ــ على علاته ــ عن المسيح عليه السلام . وهذه قضية شرحها يطول ، فلندعها الآن على رجاء أن يوفق الله للكتابة فيها .

ومع ذلك الاشتهار ، فإن الأناجيل فيها ما يقوض هذا الفهم حتى لتتخيل

١١ ــ إنجيل يوحنا (٨ / ١٤) .
١٢ ــ إنجيل يوحنا (٥ / ٣١ / ٣٢) .
١٣ ــ إنجيل يوحنا (٥ / ٣٤) .

(عيسى الأناجيل)[١٤] رأس فتنة لايريد إلا تفريق العالم بل الأسرة الواحدة .

فمع أن تلك الأناجيل تصف حينا عيسى عليه السلام بالوداعة والتسامح والحب ، تعود فتتحدث عن « عيسى آخر » يفرق بين أفراد الأسرة ، ويشعل فى العالم النار غير خاسر شيئاً .. ؟!

فهى تروى عنه مرة قوله :

« سمعتم أنه قيل عين بعين ، وسن بسن . وأما أنا فأقول لكم : لاتقاوموا الشر . بل من لطمك على خدك الأيمن ، فحول له الآخر أيضا ؟!ومن أراد أن يخاصمك وأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا ؟! ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب مع اثنين ... سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم .. »[١٥] .

هذا مانقلوه عنه — حسنا — ثم ماذا .. ؟!

كنا نتمنى أن تحتفظ الأناجيل بهذا — مع مالنا عليه من تحفظات — ولكنها ذهبت إلى النقيض منه . فأساءت إلى « المسيح » وأساءت إلى نفسها ، درت أم لم تدر .

فقد جاء فى إنجيل متى نفسه ، وهو راوى النصوص المذكورة ، بعد ذلك بقليل مايهدم ماذكره هنا . فاسمع إليه يروى عن المسيح :

« لاتظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض ؟! ماجئت لألقى سلاما ؟! بل سيفا »[١٦] ؟!

١٤ — اذكر القارىء هنا بما سبق فى المقدمة ، من أن الأناجيل تتحدث عن « عيسى خاص بها » ، نحن لانعرفه ، وإنما نعرف عيسى بن مريم عبد الله ورسوله الذى لم يكن بدعاً من الرسل ، ولم يخرج عن المنهاج الإلهى المعروف .

١٥ — متى (٥ / ٣٨ — ٤٥) .

١٦ — متى (١٠ / ٣٤) .

ثم يروى عنه قوله :

« فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه . والابنة ضد أمها . والكنة ضد حماتها »[١٧] ؟!

ثم يروى لوقا عنه ماتقشعر منه الجلود ؛ إذ يقول :

« جئت لألقى ناراً على الأرض ؟! فما أريد لو أضرمت ولى صبغة أصطبغها . وكيف أنحصر حتى تكمل ؟ أتظنون أنى جئت لأعطى سلاما على الأرض ؟!

كلا .. أقول لكم . بل انقساماً ، لأنه يكون من الآن خمسة فى بيت واحد ، منقسمين ثلاثة على اثنين ، واثنين على ثلاثة ؟!

ينقسم الأب على الابن . والابن على الأب . والأم على البنت ، والبنت على الأم . والحماة على كنتها ، والكنة على حماتها »[١٨] ؟!!

وللقارىء أن يتساءل ـــ ونحن معه ـــ من أى المجموعتين نفهم حقيقة المسيح . ؟!

أمن المجموعة الأولى ، فيكون كريما ، متسامحاً ، ودوداً ، طيب الشمائل ، عطر الذكرى ؟!

أم من المجموعة الثانية ، فيكون فتانا ، باذر فرقة ، وباعث دمار ومشعل نار ؟!

إن كلتا المجموعتين قانونية مقدسة . هكذا يصفها القوم فأيهما هى « الصادقة » ؟!

إن المشكلة ليست مشكلتنا ، فنحن لدينا من الوثائق المقدسة ـــ

---

١٧ ـــ متى (١٠ / ٣٥) .
١٨ ـــ لوقا (١٢ / ٤٩ / ٥٣) .

بحق ـــ مايضع المسيح عليه السلام فى مكانه اللائق به بين رسل الله الأطهار الأخيار المصطفين ، الذين لم يكن لهم من هدف ، إلا هداية البشر ، وتحقيق الخير لهم فى الدنيا والآخرة . فليمحص القوم ما بيدهم ، وليستجيبوا لنداء الحق قبل فوات الأوان ؟!

نصوص تناقض العهد القديم

العهد القديم هو كتاب اليهود ، واليهود لايعترفون بعيسى عليه السلام ، ولا بالملة التى تنسب إليه ، وكل الكنائس والأديرة والقباب التى يعظمها المسيحيون ـــ قديما وحديثا ـــ فى الشرق والغرب والشمال والجنوب يراها اليهود وهماً من الأوهام ، ومع هذا فإن النصارى يدافعون عن « عهد » اليهود ، ويدعون أن الأناجيل متوافقة مع أسفار العهد القديم توافقا تاما .

ووضعو الرواية الهزلية قد زعموا هذا ، ودونوه فى روايتهم ، ولكنك حين تقارن بين العهدين يظهر لك ـــ بوضوح ـــ أن دعوى تلك « الموافقة » كاذبة ، مثلما كذبت كل دعاواهم . وها نحن أولاء نورد براهين أخرى على كذب دعواهم ، وعلى صحة مانقول ..[١٩]

ونوجز الحديث هنا ، فنقدم نصا واحداً فيه الدعوى والدليل .

فقد جاء فى إنجيل متى قوله :

« وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق .

وأما أنا فأقول لكم : من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزنى ، ومن تزوج مطلقة فإنه يزنى ؟! .

* أيضا قد سمعتم أنه قيل للقدماء : لا تحنث بل اوف للرب أقسامك .

وأما أنا فأقول لكم : لاتحلفوا ألبته ..؟! .

---

١٩ ـــ سبق أن تحدثنا عن عشرة فروق عظيمة بين العهدين القديم ، والجديد فارجع إليها إن شئت (ص ٢٧٧) من هذا البحث .

، سمعتم أنه قيل : عين بعين وسن بسن .

وأما أنا فأقول لكم : لاتقاوموا الشر » ؟! .[20]

أوجه التناقض :

في هذا النص بفقره الثلاث يناقض العهد الجديد العهد القديم فى التشريعات الآتية :

١ ـــ الموسوية تجيز الطلاق لأى سبب ، وبلا أى سبب ، أما العيسوية فتمنع الطلاق إلا لعلة الزنا .. ؟! .

٢ ـــ الموسوية تجيز الزواج من المطلقة ، ووردت فى التوراة وقائع تفيد هذا عمليا ، أما العيسوية فلا تجيز الزواج منها ، بل تجعل الرجل الذى يتزوج بمطلقة زانيا ..؟! .

٣ ـــ الموسوية تجيز الحلف ، وتوصى بالوفاء به ، أما العيسوية فتمنع الحلف مطلقا .. ؟! .

٤ ـــ الموسوية تقر القصاص : عينا بعين . وسنا بسن ، أما العيسوية فتلغى القصاص إلغاءً تاما ..؟! .

هذا مايؤخذ من هذا النص ، ونضيف إليه مخالفتين أخريين وردتا فى غير الأناجيل كرسائل بولس ، وهما :

٥ ـــ الموسوية تحتم الختان ، وتجعله من علامات العهد بين الشعب المختار والرب إلهه . أما العيسوية فتلغى ذلك الختان إلغاءً تاما ، وتقيم « التعميد » مقامه ؟!

٦ ـــ الموسوية لاتبشر بالدين بين « الأمميين » غير اليهود ، أما العيسوية فتدعى أسفار العهد الجديد أنها عالمية لكل الناس .

---

٢٠ ـــ انظر إنجيله (٥ / ١٣ ، ٣٣ ـــ ٣٤ ، ٣٨ ـــ ٤١) .

[21]
هذا وغيره كثير وكثير كتحليل العمل يوم السبت . فهل بعد هذه المخالفات يجوز لعاقل أن يدعى « التوافق » التام بين العهدين ؟!

وإذا قال قائل بهذه الدعوى فهل يصح عند عاقل تصديقها ؟! ليقولوا مايحلو لهم . ولكن ليعلموا أن لنا عقولا نفرق بها بين الخطأ والصواب ، ولنا ـــ كذلك ـــ من فوق العقول عاصم بالغ الأمر والرشاد .

ونصوص معانيها مرفوضة

وتشيع فى الأناجيل ظاهرة أخرى ، هى وليدة الوضع والخيال ، فكثيرا ماتطلع فيها على نصوص لاتملك إلا أن ترفض معانيها جملة وتفصيلا ؛ لأنها معان باطلة كل البطلان . ومن ذلك مايروونه عن المسيح ـــ عليه السلام ـــ وهو يتحدث عن نفسه ، مقارنا إياها بالأنبياء والرسل السابقين :

« قال لهم يسوع : أيضا الحق الحق أقول لكم ، إنى أنا باب الخراف جميع الذين أتوا قبلى هم **سراق ولصوص**، ولكن الخراف لم تسمع لهم . أنا هو الباب ، إن دخل بى أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى . السارق لايأتى إلا ليسرق ويذبح ويهلك . وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة ، ويكون لهم أفضل . أنا هو الراعى الصالح ؛ والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف . وأما الذى هو أجير وليس راعيا الذى ليست الخراف له فيرى الذئب مقبلا ويترك الخراف ويهرب ، فيخطف الذئب الخراف ويبددها ، والأجير يهرب لأنه أجير ولا يبالى بالخراف ..»[22] ؟!

تعقيب : عمن يتحدث المسيح – عليه السلام – فى هذا المقطع الذى يرويه عنه يوحنا ؟! ومن هم الذين أتوا قبله !؟

هم – قطعا – الأنبياء والرسل ؛ لأنهم من نفس الدرجة التى كان عليها

---

٢١ ـــ السبت عطلة مقدسة فى العهد القديم ، ولكن المسيح كما تروى الأناجيل عمل فيه ، ولما عارضه الفريسيون استشهد لهم بواقعة مماثلة من نبى الله داود . وعلى كل فتحليل العمل فى السبوت مخالفة صارخه بيں العهدين .

٢٢ ـــ إنجيل يوحنا (١٠ ـــ ٧ / ١٣) .

عيسى ، عليهم – جميعا – السلام .

ولو ثبت – فعلا – أن عيسى هو قائل هذا الكلام لثبت بناء عليه مايأتى :

١ – إن عيسى يصف جميع الأنبياء والرسل الذين جاءوا قبله بأنهم سراق ولصوص ..؟! واللص إنما يأتى ليذبح ويهلك ؟!

٢ – وأنهم لم يكونوا مخلصين فى رعاية خرافهم ، فهم إذا رأوا الذئب مقبلا هربوا ، وتركوا الذئب يفتك بالخراف ..؟!

٣ – وأنهم كانوا « مزيفين » ،فهم ليسوا باب الخراف ، لذلك فإن الخراف لم تسمع لهم ..؟!

٤ – وأنهم ليسوا رعاة صالحين لأنهم « أجراء » ؟!

٥ – أما عيسى وحده . فهو باب الخراف .. والراعى الصالح ، والباذل نفسه دفاعا عن الخراف .. وهو وحده ينجو الداخل منه ، ويجد مرعى ..

٦ – وعيسى وحده جاء ليكون للخراف حياة ، ولها أفضل ؟! هكذا يصور إنجيل يوحنا المسيح عليه السلام ، فلم يسلم منه المسيح ولا أتباع المسيح ؟! ولا الأناجيل ؟!

★ لم يسلم منه المسيح ؛ لأنه نسب إليه التطاول على إخوانه الرسل ،ورماهم عن لسانه بأقذع السباب ..؟!

★ ولم يسلم منه أتباع المسيح ؛ لأنه لم يجد لهم شبها إلا « الخراف »

★ ولم تسلم منه الأناجيل ؛ لأنها تروى عن عيسى « ما جئت لأنقض الناموس ، بل لأكمل » والناموس هو شرائع الأنبياء من قبله . ولو ثبت أن عيسى عليه السلام قال هذا الكلام – فعلا – لم يكن ناقضا للناموس فحسب ، ولكنه قد هدمه هدماً .؟!

إنه لمن المحال أن يصدر عن عيسى عليه السلام هذا الكلام . وإنما هو من وضع مؤلف الإنجيل ، ليطوع العقيدة للمزاعم التى أخذت تنمو فيما بعد ، بأن عيسى وحده هو مخلص العالم ، لأنه قدم نفسه فداء لخرافه ، وتأخذ كلمة الخراف – هنا – معنى جديدا ، بحيث تشمل العالم كله ، مادام هو مخلص العالم ..؟!

إن إنجيل يوحنا هو آخر الأناجيل تدوينا ، فهو إذن أقرب الأناجيل إلى عهد « ترقية المسيح إلى درجة إله » بمرسوم بشرى صادر عن مجمع نيقية الذى انعقد عام ٣٢٥ م ، ووقع على قرار الترقية إلى درجة إله٣١٨ أسقفا ..؟!!!

إنه قرار أصدره مَنْ لايملك لمن لا يستحق ..؟!

أكل الجسد ..وشرب الدم

ومن هذه النصوص ذات المعانى المرفوضة بكل اعتبار : ماترويه الأناجيل الأربعة عن المسيح ، من أنه أمرهم أن يأكلوا جسده ؟! ويشربوا دمه ..؟! وهى النصوص التى اعتمدتها الكنيسة فى تأسيس القربان المقدس ، أو العشاء الربانى ، الذى سبقت الإشارة إليه . وإليك تلك النصوص :

جاء فى إنجيل متى :

« وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز ، وكسر ، وأعطى التلاميذ وقال : خذوا ، كلوا : هذا هو جسدى . وأخذ الكأس ، وشكر ، وأعطاهم قائلا : اشربوا منها كلكم ؛ لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين ، من أجل مغفرة الخطايا » ؟![٢٣]

وجاء فى إنجيل مرقس :

« وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزاً ، وبارك ، وكسر ، وأعطاهم ، وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدى . ثم أخذ الكأس ، وشكر ، وأعطاهم ، فشربوا منها كلهم ، وقال لهم : هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين »![٢٤]

وجاء فى إنجيل لوقا :

« .. وأخذ خبزاً ، وشكر ، وكسر ، وأعطاهم ، قائلا : هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم . اصنعوا هذا لذكرى ، وكذلك الكأس أيضا بعد العشاء ، قائلا : هذه

---

٢٣ ـــ الإصحاح (٢٦) الفقرات (٢٦ ـــ ٢٨) .

٢٤ ـــ الإصحاح (١٤) الفقرات (٢٢ ـــ ٢٤) .

الكأس هى العهد الجديد بدمى الذى يسفك عنكم »؟! [٢٥]

اما يوحنا فيورد هذا المعنى بطريقة تختلف عن طريقة هذه الأناجيل الثلاثة ، فهى تجعل هذا الكلام صادراً عن المسيح فى حفل العشاء الأخير ، الذى تناوله مع تلاميذه ،أما يوحنا فيورده ضمن خطبة للمسيح ، يخاطب فيها جماعة من اليهود . فيقول يوحنا عن لسان المسيح :

« الحق أقول لكم : من يؤمن بى فله حياة أبدية . أنا هو خبز الحياة . آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا . هذا هو الخبز النازل من السماء ،لكى يأكل منه الإنسان ولايموت ؟! أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء . إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد . والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى ، الذى أبذله من أجل حياة العالم .....

الحق الحق أقول لكم : إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه ، فليس لكم حياة فيكم ..؟!

من يأكل جسدى ..ويشرب دمى .. فله حياة أبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير ؟! لأن جسدى مأكل حق ؟! ودمى مشرب حق . من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فى الأرض وأنا فيه »[٢٦]

ويعلق يوحنا على هذا ، فيقول :« قال هذا فى المجمع وهو يعلم فى كفر ناحوم » ؟!

وقفة مع هذه النصوص :

لدينا الآن ملاحظتان على هذه النصوص ، نريد أن نشير إليهما ؛ لنتجاوزهما إلى ماهو أهم :

إحدى الملاحظتين : هو ذلك الاختلاف الواضح فى سرد أحداث العشاء

---

٢٥ ــ الإصحاح (٢٢) الفقرات (١٩ ــ ٢٠) .

٢٦ ــ الإصحاح (٦) الفقرات (٤٧ ــ ٥٨) مع حذف يسير .

الأخير لدى واضعى الأناجيل الأربعة ، حيث لم يتفقوا فى صوغ الأحداث ، وترتيبها .

وثانيتهما : الاختلاف الواضح بين كل من متى ، ومرقس ، ولوقا من جهة ، وبين يوحنا من جهة أخرى . فالثلاثة الأولون يذكرون أن تبريك الخبز والخمر حدث فى حفل العشاء الأخير الذى حضره عيسى مع تلاميذه .

أما الرابع ـــ يوحنا ـــ فيقول : إن ذلك التبريك حدث فى حفل جامع بمجمع كفر ناحوم ، حيث كان المسيح يعظ ويعلم الجميع ، ومنهم طائفة من اليهود كان المسيح يوجه كلامه إليها .

وهذا الاختلاف يحتاج إلى ذكاء من المدافعين عن « قانونية الأناجيل وقدسيتها » ، فالأمر يهمهم هم . أما نحن فيكفينا تسجيله وضمه إلى قوائم استشهاداتنا على تحريف الأناجيل .

أما المهم فنلخصه ـــ كذلك ـــ فى أمرين :

الأول : كيف يمكن بأى حال أن تتحول لقمة من الفطير ، وقطرة من الخمر إلى جسد إنسان ، ودم إنسان . أفى الأمر سحر ..؟ وحتى لو كان فإن السحر لايؤثر على حقائق الأشياء ، فيغير طبيعتها ، ومبلغ أمره أنه خداع وكفى .؟!

والثاني : كيف يكون طعام يتناوله إنسان ، وخمر يحتسيه إنسان هو خبز الحياة الأبدية ؟! .

إن رضوان الله الدائم لاينال إلا بالتكاليف الشاقة ، ومجاهدة النفس وحملها على الصعاب . أما أن يكون طريق الحياة الأبدية هو أكلا وشربا لأشياء تشتهيها النفس ، أو تغرم بها ، فهذا بعيد عن مفهوم التكليف ، غريب جداً عند العقل ، مقحم إقحاما على حقيقة الدين ؟! وهب أن كلا من الخبز والخمر تحولا فعلا إلى جسد المسيح ودمه فكيف يكون أكل أمة لجسد رسولها أو حتى « ربها » ؟!. وشربها لدمه مانحا إياها حياة أبدية ..؟! .

اللهم إنا نبرأ إليك مما يقولون ، ونلوذ بهديك من أن نضل ونخزى .

ذلكم هو الواقع النصى للأناجيل، مثل الواقع النصى للتوراة :

شكوك من الخارج ..؟!
وأباطيل من الداخل ..؟! .

وإن موقف مارتن لوثر ــ رجل الإصلاح الدينى المعروف ــ من الكتاب المقدس بعهديه : توراتاته ، وأناجيله ، لحرى بأن نتوج به رأس هذه الدراسة ، فهو موقف خطير جداً ، لوفقهه القوم لأتموا الخطوات التى كان قد بدأها « لوثر » فى العصر الوسيط ..! .

* كان موقف « لوثر » من التوراة وملحقاتها هو « الرفض التام » شكلا وموضوعا ، فأراح واستراح .؟! .

* وكان موقف « لوثر » من الأناجيل هو هذا **القرار الخطير** :

« **الأناجيل والعقل : يجب أن يفسح أحدهما الطريق إلى الآخر . فإما أن نؤمن بالعقل ونكفر بالأناجيل** (؟!!) **وإما أن نؤمن بالأناجيل ونكفر بالعقل**[٢٧] (؟!!) .

تقرير خطير نضعه بدورنا أمام رجال الكنيسة ، ونحن نعتقد أن من بينهم رجالاً لايقلون عن « لوثر » فهما وإدراكا ، وأن من بينهم رجالاً يؤمنون بالعقل ، ولاينقصهم إلا الإعلان عن ذلك الإيمان ، ولكن شبح محاكم التفتيش يخيفهم كيفما فكروا ، فهم من هذا الجانب « معذورون » ، ولكن « الإيمان » بالمبدأ الحق إذا صادف عزيمة قوية وقلبا شجاعاً جهر به صاحبه ، ولو لقى المنون ..؟! .

إن العذاب فى الدنيا ، أو الموت فيها غير ضار . فالموت لابد آت وإنما الضار هو موت « الآخرة » وكثيرا مااتخذ « الأبرار » عذاب الدنيا وموتها سلما

٢٧ ــ قصة الحضارة (حـ ص) ول ديورانت .

لحياة الآخرة . وإن الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون .

إن العقيدة التى لا تحتضن العقل والعلم ، وتعيش فى نفور معهما ، لهى عقيدة عليلة الصدر ، كسيرة الجناحين . فكيف تطير..؟! .

إن واجب أحرار الكنيسة أن يصالحوا بين هذا « الثالوث » : العقل والعلم والإيمان . فهو بطبيعته ملتئم ، لا أن يؤلفوا بين ثالوث هو بطبيعته مختلف ؟! .





الفصل السادس

دعوى « تأليه » المسيح .. ؟!!

من الموضوعات التى أثارها واضعو الرواية الهزلية دعوى « تأليه » المسيح (؟!) والدفاع عن « الثالوث » المقدس ؟! مع دعوى أن مجموع « الثالوث » واحد .. ؟!

ودعوى هذا « التأليه » باطلة فى العقل ، والنقل ، والواقع ، مثل كل الدعاوى التى يدعيها القوم . وكان من الممكن إغفالها ، فلم تعد هى فى حاجة إلى دليل ينفيها . ولكن دفعا لكل الأوهام التى أوردها واضعو الرواية الهزلية ، آثرنا أن نناقشها هنا ، وفاء بحق القارىء علينا . وسندير الحديث عنها من خلال ثلاثة محاور :

الأول : فلسفة القوم فى دعوى التأليه والتثليث .

الثاني : موقف نصوصهم المقدسة من هذه الدعوى .

الثالث : نشوء ... « الشبهة » وتطورها التاريخى .

ونعقب على هذا كله بتعليق وافٍ يبين الخطأ الشنيع الذى يرتكبه القوم فى عقيدتهم .

فلسفة القوم فى « التأليه » ؟!

يقول النصارى إن « عيسى » إله ، ويروجون لهذه « المقولة » ، بأمرين لاثالث لهما :

الأول : ولادته من أم من غير أب .. ؟!

الثاني : قيامه بمعجزات لم تعرف لغيره .. ؟!

والأمر الأول تترتب عليه إضافات ، سنعرض لها من خلال مناقشته .

وهو ــ لهذا ــ عندهم إله ؛ لأنه ابن الله ــ تعالى الله عما يقولون ــ اتحد فيه العنصر الإلهى « اللاهوت » بالعنصر الناسى « الناسوت » ، فهو بالروح إله ، وبالجسد إنسان ، فله طبيعتان ، متحدتان ، متمايزتان ، غير ممزوجتين : طبيعة إلهية ، وطبيعة ناسوتية .

مناقشة الأمر الأول : الولادة بدون أب

إن دعوى القوم هنا واهية ، أوهى من بيت العنكبوت . ونحن مع تسليمنا بولادة « عيسى » من غير أب بيولوجى لانسلم لهم بهذا المدعى ــ عقلا ــ فضلا عن أننا لانسلم به نقلا . ولنسق حجة القوم فى قياس ــ كما يتوهمونه هم ــ فنقول على لسانهم :

عيسى ولد من غير أب ، وكل مولود من غير أب فهو إله ، النتيجة عيسى إله ؟!

ونقول لهم : إن النتيجة فاسدة ــ لأن المقدمة الكبرى وهى : وكل مولود من غير أب فهو إله .. فاسدة كذلك ، وذلك باتفاقنا جميعاً ؛ لأنها لو لم تكن فاسدة للزم أن يكون قد تقدم على عيسى إلهان من البشر ، واحد منهما أحق بالألوهية من عيسى بنسبة ٥٠ ٪ والثانى مساو له إن لم يكن أرجح منه كفة فى هذا المجال .

والبيان : أنتم متفقون معنا بأن آدم أبا البشر ــ عليه السلام ــ قد خلقه الله من « تراب » من غير أب ولا أم بيولوجيين ، فهو إذن أحق أن يكون إلهاً لو كانت مقدمتكم الثانية صادقة ، أحق من جهتين : من جهة الأب ، ومن جهة الأم ؛ لأنه لا أبا له ولا أم . وأنتم مع هذا لم تقولوا إنه « إله » هذه واحدة .

أما الثانية : فإنكم تقرون معنا بأن « حواء » أم البشر خلقها الله من آدم ، ولا أم لها باتفاق ، هذا إذا اعتبرنا آدم ــ جدلاً ــ أبا لحواء ، مع رفض هذا الفهم عقيدة وواقعا . حواء مخلوقة من ذكر بلا أنثى ، مع أن طبيعة « التولد » تكون من ذكر وأنثى . وأنتم حين تخلف عنصر « الذكورة » فى خلق آدم اعتبرتم ذلك « التخلق » دليل التأليه . فعليه يلزمكم حسب مقاييسكم أن تمنحوا

حواء درجة « الألوهية » كما مر . ولكنكم مع هذا لم تقولوا لا بألوهية آدم ، ولا بألوهية حواء ، وهذا هو دليل بطلان مقدمتكم الثانية : وكل مولود من غير أب فهو إله . ومادامت المقدمة باطلة عقلا ، وواقعا لزم على بطلانها بطلان النتيجة . فعيسى غير إله إذن ؟!

فليست ولادة عيسى من غير أب صالحة لرفعه « إلاها » وليس أمر خلقه من أنثى بدون ذكر بأعجب من خلق آدم ، مع تخلف العنصرين : الذكورة والأنوثة ، ولا بأعجب من خلق حواء ، بل خلق حواء من ذكر دون أنثى أدخل في باب العجب والإعجاز من خلق عيسى عليه السلام من أنثى بدون ذكر ، ووجه الأعجبية هنا أن « الأنوثة » هي محل « التولد »،أما الذكورة فليست هي محلا « للتولد والحمل والوضع » وعلى هذا فإننا نرتب هذه الظواهر الثلاث ترتيبا تنازليا فنبدأ بالأدخل في باب الإعجاز ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه ، فيكون الترتيب صحيحاً ، لايستطيع منصف عاقل أن يختلف معنا حوله إلا إذا تخلى عن عقله . وحينئذ فلا كلام لنا معه ؛ لأننا لانوجه كلامنا إلا إلى العقلاء .. ؟! والترتيب هو :

١ ــ خلق الله آدم من غير ذكر وأنثى .
٢ ــ خلق الله حواء من ذكر بدون أنثى .
٣ ــ خلق الله عيسى من أنثى بدون ذكر .
٤ ــ خلق من عداهم من البشر من ذكر وأنثى .

فخلق آدم أعلى درجات الإعجاز وأعجبها ، ثم خلق حواء ، ثم خلق عيسى ، الذي يليه في الترتيب خلق الناس جميعاً .

فعلام يتمسك النصارى بأن ولادة عيسى « المعجزية » هي دليل على أنه « إله » ، مع أن هذه العلة وجدت في خلق آدم على وضع لم يعرف لغيره ، ووجدت في خلق حواء على وضع هو أدخل في باب الإعجاز من وجودها مع خلق عيسى عليه السلام .. ؟!

وبهذا القياس الواضح ينهار السبب الأول ، الذى استولده النصارى خرافة « تأليه » المسيح عليه السلام .. وإلا لكان غيره ممن سبقه أحق منه بذلك « التأليه » الموهوم .. ؟!

الكلمة والروح :

ويضيف النصارى إلى ذلك الدليل الذى انهار اعتبارين آخرين ، وهما : كون المسيح عليه السلام موصوفا ـــ فى القرآن الحكيم[1] ـــ بأنه **كلمة** من الله **وروح** منه . فهل ورود هذا فى القرآن الأمين مفيد لهم فى صحة مدعاهم أن المسيح إله .. ؟!

أم أن القوم واهمون كل الوهم ، حين استشهدوا بالقرآن على هذا المدعى ؟!

دعنا نرجىء الجواب إلى مابعد فحص الدليل الذى استندوا إليه .

فهم ذكروا قوله تعالى :

﴿ إنما المسيح عيسى ابنُ مريمَ رسولُ الله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروحٌ منه ..[2] ﴾

هذا بعض مااستشهدوا به . فأخذوا من الآية الحكيمة : الكلمة والروح ، وأدخلوهما فى « مؤهلات التأليه » لعيسى عليه السلام ؟! والقوم محجوجون بما ذكروا من عدة وجوه ، مايدخل معنا الآن منها وجهان :

أحدهما : ماهو معنى « وكلمته ألقاها إلى مريم » ؟! وبدون تعمق فى الإجابة نذكر خلاصة هذا المعنى :

إن الله ـــ جل فى علاه ـــ ربط إيجاد الكائنات بمؤثرين يجتمعان تارة ، وينفرد أحدهما تارة أخرى :

المؤثر الأول : حدوث المسبب ـــ غالبا ـــ عند حدوث السبب . مثل وجود

---

١ ـــ استشهاد المبشرين ببعض ماجاء فى القرآن على صحة مدعياتهم مزلق خطير لهم ، نكتفى ـــ هنا ـــ بمجرد التبيه عليه . أما مواجهتهم به ، وبما يقتضيه فلنا وقفة خاصة معه فيما يأتى إن شاء الله .

٢ ـــ النساء الآية (١٧١) .

الحرارة عند وجود الشمس فى الأفق ، ومثل حدوث الحمل بجنين عند تلقيح ذكر لأنثى . وقد يوجد السبب ـــ التلقيح مثلا ـــ ولايوجد المسبب ـــ الحمل بالجنين ـــ ؛ لأن الله لم يقدر ذلك ؟!
ووجود المسببات عند وجود أسبابها لايثير عجب إنسان ، لكثرة جريان العادة به ، مع أنه لم يخل من حكمة وتدبير .

المؤثر الثانى : قول الله للشيء المراد إيجاده : كن ، فيكون بدون وسائط من الأسباب المباشرة ، فيحدث المسبب من غير سبب قريب . وهنا يثير « الإيجاد » الدهشة . والمعجزات التى أجراها الله على يد رسله ، أو من أجلهم كلها ترجع إلى هذا « المنهج » .

وهذا المؤثر « كن فيكون » هو فى الواقع شرط لايتخلف فى كل « إيجاد » حتى مع وجود السبب « العادى » ؛ إذ السبب العادى كالتلقيح بالنسبة للحمل غير كاف وحده فى « إيجاد » شيء ، ولايوجد به شيء إلا مع وجود « كن فيكون » .

أما « كن فيكون » ، فغير مفتقر قطعا لمؤثر آخر معه ، مهما كان ؛ لأن « كن فيكون » متضمن لصفتين من صفات الله العلى القدير ، وهما : الإرادة ، والقدرة . وليس بعد هاتين الصفتين سبب فى إيجاد أو إعدام .

ولعظمة هذا المنهج فى إيجاد الأشياء وإعدامها نوه عنه القرآن العظيم كثيراً ، كما ترى ذلك فى النصوص الآتية : [٣]
﴿ إنما قونا لشيء إذا أردناه أن نقول له : **كن فيكون** ﴾ . [٤]
﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له : **كن فيكون** ﴾ . [٥]

---

٣ ـــ ليس فى هذا خروج عن المنهج الذى التزمناه فى هذه الدراسة ، من إقصاء النصوص الإسلامية عن محاورة الخصوم ؛ لأنهم هم قد بدأوا يستشهدون بها . فليسمعوا ـــ إذن ـــ منها مالاطاقة لهم به ، وعليهم أن يلتزموا بالنتائج التى تؤدى إليها ..

٤ ـــ النحل (٤٠) .

٥ ـــ يس (٨٢) .

﴿ فإذا قضى أمراً فإنما يقول له : **كن فيكون** ﴾.[6]
﴿ وإذا قضى أمراً فإنما يقول له : **كن فيكون** ﴾.[7]
﴿ إذا قضى أمراً فإنما يقول له : **كن فيكون** ﴾.[8]
وبناء على ماتقدم فإن معنى قوله تعالى :

﴿ وكلمته ألقاها إلى مريم ﴾ أى قوله : « **كن** » وليس لها معنى سواها يرتفع به عيسى عليه السلام إلى درجة إله ؟! ويؤكد هذا إلى درجة اليقين أن ورود هذا الأمر « **كن** » جاء فى معرض الحديث عن عيسى عليه السلام مرتين :

الأولى فى قوله تعالى : ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون . ماكان لله أن يتخذ من ولد . سبحانه ، إذا قضى أمراً فإنما يقول له : **كن فيكون** ﴾.[9]

والثانية فى قوله تعالى : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم : خلقه من تراب ، ثم قال له **كن فيكون** ﴾.[10]

ذلك هو معنى « كلمة الله التى ألقاها إلى مريم »، فلا حجة لهم إذن فى جعلها دليلا على « تأليه » عيسى عليه السلام . ولو صح لهم الاستدلال بها لكان كل شيء وكل أمر — موجوداً أو معدوماً — آلهة ؛ لأن كل موجود — غير الله — قيل قبل وجوده « **كن** » فكان . وكل معدوم بعد وجوده قيل قبل إعدامه : **كن** ، فكان ، أى العدم .

وفى هذه الحالة يبطل « ثالوث القوم الأقدس » ؛ لأن عدد الآلهة سيكون مساوياً لعدد الموجودات والمعدومات .. ؟!
لاتقولوا — أيها الخصوم — إن هذا قرآن ، ونحن غير مؤمنين به ؛ لأننا نقول

٦ — فاطر (٦٨) .
٧ — البقرة (١١٧) .
٨ — آل عمران (٤٧) .
٩ — مريم (٣٤ / ٣٥) .
١٠ — آل عمران (٥٩) .

لكم : أنتم الذين بدأتم بالاستدلال به ، ففتحتم لنا باب استعمال هذا « السلاح » الذى لا طاقة لكم به . ونحن كنا ومازلنا منصفين لكم . فلما لم تستشهدوا به في دعواكم السابقة لم نشهره في وجوهكم . وواجهناكم بسلاح خفيف مثل سلاحكم ، أما وقد لجأتم أنتم إلى استعمال : السلاح الثقيل ، فها هنا نواجهكم مع فارق عظيم بيننا وبينكم . فأنتم لم تحسنوا حمل هذا السلاح (القرآن العظيم) ، ولن تكونوا — ماهرين — فى استعماله ؛ لأنه سلاحنا نحن ، لم تنتجه « ترساناتكم » ، فلن تحرزوا به نصراً .

ولو كنا استعملنا معكم هذا « السلاح » من أول الأمر ، لحققنا الانتصار — من الجولات الأولى ، ولما طالت « المعركة » بيننا إلى هذا الحد من « الطول والضخامة » .
واسمحوا لنا أن نهمس فى آذانكم بهذه الهمسات :

* لماذا أهملتهم صدر الآية التى استشهدتم بها (إنما المسيح) ولماذا أهملتم عجزها .. ؟!

* ولماذا سكتم عن الآية التى تلتها . ؟! والآيتان معاً تتحدثان عن موضوع واحد ، هو حقيقة عيسى عليه السلام ، وماطرأ عليها من تحريف من قبلكم . وها نحن نضع نصى الآيتين أمام القارىء ليشترك معنا فى فهم موقفكم ، وليحكم عليكم أولكم : ونصا الآيتين هكذا :

﴿**ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولاتقولوا على الله إلا الحق** ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه . **فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة . انتهوا خير لكم . إنما الله إله واحد . سبحانه أن يكون له ولد ؟ له مافى السموات ومافى الأرض . وكفى بالله وكيلا** . لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ، ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ، ويستكبر ، فسيحشرهم إليه جميعاً﴾[11]

١١ — النساء (١٧١ — ١٧٢) مع ملاحظة أن الأجزاء المكتوبة بالخط الأسود قد حذفها القوم من الآية الأولى . أما الآية الثانية فلم يذكروها قط ..؟! .

السبب واضح :

لن يطول البحث عن سبب الحذف لهذه النصوص . فالقوم معذورون ؛ لأنهم لو ذكروا صدر الآية لافتضح أمرهم ، فماهم إلا مغالون فى دينهم ، والغلو هو الكذب الفاحش . فكيف يقرون بهذا الحق المر المذاق . ؟!

ولو ذكروا عجز الآية لانهارت ــ باعترافهم ــ دعوى ولدية المسيح لله ــ سبحانه ــ ، ثم دعوى « الثالوث الأقدس » ، ولو انهارت هاتان الدعويان ــ باعترافهم ــ لما بقى لهم من شيء يدعون أنه « عقيدة » مستقلة ، تصلح لاستمرار دين هم عنه يدافعون ؟!

ولأن الله يطالبهم فى عجز الآية بأن يؤمنوا بالله ورسله ، ومنهم عيسى عليه السلام . ومعنى هذا أن القوم غير مؤمنين لا بالله ؛ لأنهم ثلثوه ، ولا بالرسل (غير عيسى) ؛ لأنهم دعوا إلى التوحيد ، ولا بعيسى نفسه (عليه السلام) ؛ لأنهم كفروا به ولم يؤمنوا ، حيث دعوه إلهاً ، وماهو بإله »

أما الآية الثانية فحذفوها ؛ لأنها تجعل المسيح « عبداً » ، وهم يدعونه إلهاً .؟! وهذا التصرف يبين إلى أى مدىً يتوارى القوم خلف ضعفهم وأهوائهم .

ورود الكلمة غير مختص بعيسى عليه السلام :

وبقيت همسة أخرى نوجهها للقوم ، وهى أن ورود « كلمة الله » لم تختص بها سيرة عيسى عليه السلام ، بل وردت فى سيرة يحيى بن زكريا عليهما السلام ، وكان ورودها فى جانبه أسبق من ورودها فى جانب عيسى عليهما السلام . وهذا هو الدليل :

﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله ، وسيداً ، وحصوراً ، ونبياً من الصالحين ﴾ (١٢)

١٢ ــ آل عمران (٣٩) .

فلماذا يكون لها اعتبار مع عيسى ، ولا اعتبار لها ـــ عند القوم ـــ مع يحيى ؟! فيكونان إلهين معاً ، ويكون المجموع أربعة ، لا ثلاثة ، كما هو معتقدهم .. ؟!

قد يقولون : إن ورود الكلمة مع عيسى يختلف عن ورودها مع يحيى فهى مع عيسى معطوفة على الخبر (رسول الله وكلمته) ، ومع يحيى متعلقة بالحال « مصدقا بكلمة من الله » ومع عيسى « معرفة بالإضافة » « وكلمته » ، ومع يحيى منكرة « بكلمة منه » والخبر والمعرفة أقوى من الحال والنكرة إذا قالوا هذا قلنا لهم :

لايهم .. لأن كلا من الخبر والحال صفات ، ومن الأحوال مايلزم لزوم الأخبار فلا يفارق صاحبه ، ومن الأخبار مايفارق صاحبه فراق الأحوال(١٣). وحال يحيى هنا ملازم له لزوم الخبر المخبر عنه ؛ لأنه رسول ، والرسول مصدق دائما .

أما التنكير فليس بلازم أن يكون ـــ دائما ـــ أقل شأنا من التعريف ، فمن دلالة التنكير التعظيم ، وقد جاء ذلك فى أفصح الكلام ، وهو كلمة شيء فى قوله تعالى :

﴿ يأأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾(١٤)
ومنه التنكير الذى جاءت عليه الكلمة فى جانب يحيى عليه السلام ، أى مصدقا بكلمة عظيمة ؛ لأنها من الله ؟! فعليكم أن تعاملوا يحيى وعيسى عليهما السلام معاملة واحدة ولاتمنحوا عيسى ماتحرمون منه يحى .

وهبوا أننا سلمنا لكم بفروق بين التعبيرين ، ولكنها فروق لاتجرد يحيى

---

١٣ ـــ الأصل فى الأخبار اللزوم ، والأصل فى الأحوال الانفكاك . وقد مثل العرب للأحوال اللازمة بقولهم : حلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها ، لأن أطولية رجلى الزرافة لازمة لها . أما الخبر المفارق فكقولنا : الطفل نائم ، لأن نومه سيزول ويصحو .

١٤ ـــ الحج (١) .

من كل حقوقه عندكم . فاعتبروه على الأقل « نصف إله » ، ولاتهدروا قيمة الكلمة معه . وهما ابنا خالة ــ كما تعلمون ــ ، أم أنكم تستكثرون على ابن خالة « الإله » أن يكون « نصف الله » ؟!!

معنى « كلمة » روح

يفسر العلماء الروح هنا بالنفخة التى نفخها جبريل فى « جيب » مريم رضى الله عنها ، أما إضافتها إلى الله « منه » فلأنها روح وحياة حصلت عن طريق النفخ المأمور به من الله ، ولم تحملها « نطفة » ذكر ، وليست معنى جزءا من الله ، كما يدعى المبطلون . وقد جرت هذه الإضافة مع غير « الروح » الموصوف بها عيسى عليه السلام ، كما أن « الروح » نفسها قد وقع الحديث بها على غير عيسى كذلك .

أما الإضافة : ففى قوله تعالى : ﴿ وسخر لكم ما فى السموات ومافى الأرض جميعا منه ﴾ الجاثية ــ ١٣

فلو كانت هذه « الإضافة » تفيد الجزئية لكان كل ماسخره الله لنا فى السموات والأرض أجزاء منه ، ولكانت كلها « آلهة » ، حتى الطعام الذى نأكله ، والماء الذى نشربه ، والملابس التى نرتديها ، والدواب التى نمتطيها ، ولما اقتصر الأمر على عيسى وحده ، كما يدعى المبطلون .(١٥)

وأما ورود كلمة « الروح » مع غير عيسى عليه السلام ، فقد جاء فى عدة مواضع ، منها : ماكان الحديث فيها عن جبريل عليه السلام ، وذلك فى موضعين هما :

﴿ نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين ﴾ .(١٦)

---

١٥ ــ فى تفسير الألوسى قصة طريفة حول هذه الآية ومايفهمه النصارى منها : راجع الجزء السادس (٣٤) من تفسيره لسورة آل عمران .

١٦ ــ الشعراء آية ١٩٢ ــ ١٩٤ .

وقوله تعالى : ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر ﴾.[17]
ومنها ماجاء فى شأن القرآن الكريم نفسه فى قوله تعالى :
﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾.[18]
ومنها ماجاء فى شأن آدم عليه السلام فى قوله تعالى :
﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾.[19]
ولو كان الأمر كما يدعى النصارى لكان جبريل إلها ؛ لأنه الروح الأمين ؟!
ولكان القرآن ــ كذلك ــ إلها ؛ لأنه روح من أمر الله ؟!
ولكان آدم إلهـاً ؛ لأن الله نفخ فيه من روحه . بل وأمر الملائكة بالسجود له .
بل ولكنا كلنا آلهة ؛ لأننا أبناء آدم ، وأبناء الإله لابد أن يكونوا مثله آلهة . ؟!

وهذه كلها فروض جدلية باطلة ، ينسحب بطلانها على الأساس الذى تولدت عنه هذه الفروض . وهو فهم النصارى للروح ، والإضافة المتعلقة بها ، فى قوله تعالى « وروح منه » فهو فهم باطل ، وباطل كل مانتج عنه من فروض .

إذن فلا دليل للنصارى من الآية التى استشهدوا بها على « تأليه » المسيح عليه السلام ، ولا من « ولادته المعجزية » كما يدعون . وبقى أمامنا من أدلتهم معجزاته العجيبة ، التى عملها كما يقولون ، ولم تكن لأحد غيره . فهل هم على صواب فيما يدعون منها ، أم هم على خطأ كعادتهم .. ؟!

معجزات المسيح ليست أجل من معجزات إخوانه الرسل

ونبدأ بهذا السؤال : ماهى معجزات المسيح عليه السلام التى عرف بها ؟!
والجواب :
إبراء الأكمه والأبرص ــ النفخ فى الطين الذى على هيئة الطير ، فيكون

١٧ ــ القدر آية ٣ ــ ٥ .
١٨ ــ الشورى آية ٥٢ .
١٩ ــ ص آية ٧٢ .

طيراً بإذن الله ـــ إحياء الموتى بإذن الله . الإنباء عن بعض الغيوب بإذن الله . وتلك هى حكمة الله مع رسله . فدعوى الرسالة من عند الله ليس بالأمر الهين الذى يسهل تصديقه لدى المرسل اليهم . فأيد الله رسله بأمور خارقة للعادة والعلم والعقل ، يجريها على أيديهم لإلزام المرسل إليهم بالحجة ، فى أن الله قد أرسل فعلا من أجرى المعجزة على يديه ، وإلا لما امتاز عنهم بما يرون . فعليهم أن يسمعوا له ويطيعوه .

ولم يخل نبى ولارسول من هذه المعجزات التى الله ـــ وحده ـــ هو فاعلها ؛ من أجل تصديق من يدعى النبوة ، حتى تصبح « الدعوى » بعد معاينة تلك المعجزات « دعوة » واجبة الطاعة ، ومن يكذب بها فقد قامت عليه الحجة ، وانقطعت عليه الأعذار .

وفى هذا المجال تستوى معجزات عيسى عليه السلام مع معجزات إخوانه من الرسل السابقين . فليست لمعجزات عيسى « خصائص » ترفعه فوق أولئك الإخوان المختارين . وهنا نقرر حقيقتين :

أولاهما : مامن معجزة أيد الله بها عيسى ، إلا وأيد بها بعض الرسل السابقين عليه .

والثانية : إن من معجزات الأنبياء السابقين على عيسى ماهو أدعى للعجب وإثارة الانتباه من أرفع معجزات عيسى قدراً ، عليهم جميعا صلوات الله وسلامه . وهذا هو البيان :

١ ـــ إحياء الموتى : لم يختص عيسى عليه السلام بهذه « الخارقة » بل منَّ الله بها من قبل على إبراهيم وموسى عليهما السلام . فإبراهيم أحيا الله من أجله أربعة من الطير ، فى تلك « التجربة » الإيمانية العميقة ، والتى يقصها القرآن الأمين فى قوله تعالى :

﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى ؟! قال : أو لم تؤمن ؟ قال بلى ، ولكن ليطئمن قلبى . قال : فخذ أربعة من الطير ، فصرهن إليك ، ثم

اجعل على كل جبل منهن جزءًا ، ثم ادعهن يأتينك سعيا ، واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ [٢٠] .

أربعة من الطير . أربعة جماعات أم أربعة أفراد . العلم لله . المهم فى الموضوع أن إبراهيم عليه السلام ذبحهن ، وفرقهن على رءوس الجبال ، ثم دعاهن ــ كما أمره ربه ــ فجئنه يسعين سعيا ، كأنهن لم يذقن الموت . وهذه هى قدرة الله .

وأما موسى فقد أمات الله له جماعة من بنى إسرائيل ، ثم أحياهم من أجل التصديق به . وهذا ماجاء فى القرآن الأمين فى قوله تعالى :
﴿ وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ [٢١]
وأحيا له الميت الذى وردت قصته مع قصة البقرة ، التى أمر الله بنى إسرائيل بذبحها . وإلى هذا يشير قوله تعالى :
﴿ فقلنا اضربوه ببعضها ، كذلك يحيى الله الموتى ، ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ [٢٢]

بل إن الله أمات رجلا وحماره ، ثم أحياهما ، لمجرد أن الرجل تعجب كيف يحيى الله قرية كانت قد ماتت . وأشير إلى هذه القصة فى قوله تعالى :
﴿ فأماته الله مئة عام ثم بعثه ... ﴾ [٢٣]

ونخلص من هذا كله إلى نتيجة لايملك أن يجادلنا حولها أحد ، وهى : أن معجزة إحياء الله الموتى لم يختص بها عيسى عليه السلام من بين سائر الرسل ، حتى يقال إن معجزاته لم تعرف لأحد سواه . وإذا بطلت هذه الدعوى

---

٢٠ ــ البقرة (٢٦٠) .
٢١ ــ البقرة (٥٥ / ٥٦) .
٢٢ ــ البقرة (٧٢) .
٢٣ ــ البقرة (٢٥٩) .

بطل مابنى عليها من ادعاء « التأليه » لغير الله !

٢ ـــ الخلق والتكوين :

ومعجزة الخلق والتكوين ، وسريان الحياة فيما ليس بحى ، لم يختص الله بها عيسى من دون إخوانه . بل كما أيده بها أيد بها رسوله الكريم موسى عليهما السلام . فالعصى التى بيمينه انقلبت حية تسعى مرتين : مرة وهو يناجى ربه ، عقب عودته من « مدين » إلى الأرض المقدسة ، والتى يسجلها القرآن الأمين فى قوله تعالى :

﴿ وماتلك بيمينك ياموسى ؟ . قال هى عصاى : أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ، ولى فيها مآرب أخرى . قال : ألقها ياموسى . فألقاها فإذا هى حية تسعى ﴾(٢٤)

ومرة عند تحديه سحرة فرعون ، فى تلك المباراة الجامعة بين باطل السحر وحق الرسالة ، والتى يسجلها القرآن ـــ كذلك ـــ فى قوله تعالى :

﴿ قالوا : ياموسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى . قال : بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى . فأوجس فى نفسه خيفة موسى . قلنا لاتخف إنك أنت الأعلى . وألق مافى يمينك تلقف ماصنعوا ، إنما صنعوا كيد ساحر ولايفلح الساحر حيث أتى ﴾(٢٥)

إن الإعجاز فى قلب العصى « حية » لايقل دهشة عن بعث الحياة فى هيكل مصنوع من الطين . فالعصى جماد ، والطين جماد . فهما إذن معجزتان متحدتا الدرجة . وإجراء بعث الحياة فى « الهيكل الطينى » بإذن الله على يد عيسى لايخرج عيسى عن كونه عبد الله ورسوله . كما لم يقل أحد بألوهية موسى لأن عصاه انقلبت حية وابتلعت حبال السحرة وعصيهم ، التى قد امتلأت بها « الساحة » ، ثم عادت عصى كما كانت لم تنقص ، ولم تزد ، ولم يضع

---

٢٤ ـــ طه (١٧ ـــ ٢٠) .

٢٥ ـــ طه (٦٥ ـــ ٦٩) .

منها شيء . وإنما الذى ضاع هو حبال سحرة فرعون وعصيهم ، وضاع فرعون نفسه وخاب وخسر .

وعصى موسى كانت مجمع أسرار لايعلمها إلاّ علام الغيوب : يضرب بها البحر مرة ، فتنفلق عبره « الطود العظيم » ، ويهرب الماء أمامها .. ؟!
ويضرب بها الحجر مرة ، فتتفجر منه « العيون » ، ويتدفق أمامها الماء .. ؟!
فهل هذه المعجزات « العظيمة » أقل فى قوتها وشدة تأثيرها من معجزات الله التى أجراها على يد عيسى عليه السلام ؟!
العقل والعلم والإيمان والواقع لايفرق بينها ، وليس بعد أحكام هذه المصادر للجدل مجال .
فإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، عليهم السلام سواء فى هذه « الخوارق » ، إلا عند من خرق الحق واشتط به هواه ؟!

٣ ــ علم الغيب : موانع العقل والعلم لاتعد ، والله حين يرسل رسولا يجرى على يديه من تلك « الموانع » القدر الذى يصلح لإيمان البشر ، والعلم بالغيب المكنون بكل أنواعه مما يمنع العقل والعلم التسليم به لمدعيه . فصلح بهذا الاعتبار أن يكون آية لرسول يستدل بها على صدقه . والغيب مع أنه لايعلمه إلا الله ، فقد يطلع بعض رسله ــ بقدر ــ على شيء منه ، حتى يعلم الناس أنهم فى دعواهم النبوة صادقون .
ولماجرى على يد عيسى عليه السلام شيء من ذلك تمسك به النصارى ، دليلا على « تأليه » عيسى ، وماهو بدليل .

ووجه تمسك القوم به أنهم يدعون أن عيسى أوحدى فى علم الغيب ، حيث لم يسبق ذلك ــ عندهم ــ لرسول آخر ؟!

فدعوى القوم ذات شقين : **أحدهما** علم عيسى بالغيب . **وثانيهما** : كونه أوحديا فيه لم يشركه فيه أحد .

ونحن لاننازع فى أصل الدعوى ، وإنما ننازع فى الشق الثانى ، وهو

ادعاؤهم انفراد عيسى به . فهذا الزعم باطل .. باطل .. وباعترافهم ..؟!

فالنصارى يؤمنون بأسفار العهد القديم « التوراة وملحقاتها » ، على أنها مصونة من التحريف ، ويعترفون بأن أنبياء العهد القديم — وبخاصة أشعيا وأرميا — كانوا ضالعين فى معرفة الغيب ، حتى أن واضعى الرواية الهزلية ، وهم نصارى ، يقولون : إن أشعيا وأرميا أخبروا بخراب مدن ، فخربت على الصفة التى ذكروها ، قبل وقوع الخراب نفسه بزمن بعيد .

ومن تلك المدن مدينة بابل ، ثم صور ، وأدوم ، وبنى عمون ، وأرض الفلسطينيين ، ثم مصر ..؟![٢٦]

ونحن ننقل هذا عنهم لندلل على أنهم يعترفون بأن علم الغيب قد كان معروفا لغير عيسى من الأنبياء الأسبقين ، وليس من همنا هنا مناقشتهم فى هذا المدعى ، فقد ناقشناه فيما سبق ، وبينا كذب بعض مااشتمل عليه العهد القديم من نبوءات ؟!

ومع أن القوم يعترفون بهذا لغير عيسى عليه السلام ، ولم يضفوا عليهم وصف « الألوهية » ، فقد انتقض مدعاهم من جهتين :

أولاهما : أن عيسى ليس بأوحدى فى هذا فغيره — كأشعيا وأرميا من أنبياء العهد القديم — عندهم — كانوا مثل عيسى يتنبأون ..؟!

الثانية : إن حصول التنبؤ لايضفى على صاحبه وصف « التأليه » ، وإن كان صادقا . وعلى هذا فيلزم القوم واحد من أمرين :

الأول : إما أن يقروا بعدم « أهلية » عيسى للتأليه مع حصول التنبؤ له .

الثانى : وإما أن يقروا بأن أشعيا وأرميا إلهان ، مثل عيسى ، فيصبح « شالوث الأقدس » بأشعيا وأرميا . يصبح ذلك « الثالوث » — « **الخاموس الأقدس** » ، فإن أبوا فلا معنى لمحاباة عيسى عليه السلام ، وظلم أشعيا وأرميا .

٢٦ — الرواية الهزلية (الباكورة الشهية فى الروايات الدينية) ص ٤٤ .

بهذا التقديم يثبت ماأشرنا إليه من أن مامن معجزة منَّ الله بها على عيسى عليه السلام إلا وقد منَّ على غيره من الرسل بها ..

ومعلوم أن القوم يستشهدون على ثبوث هذا لعيسى عليه السلام بما ورد فى القرآن الكريم ، من قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : ﴿ وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون فى بيوتكم .. ﴾ (٢٧)
فعليهم ـــ إذن ـــ أن يلتزموا بما يقرره القرآن فى شأنه ، ولو فى هذه المسألة بالذات .

ومما يقرره القرآن فى صدر هذه الآية قوله تعالى :

﴿ ورسولا إلى بنى إسرائيل ، أنى قد جئتكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه ، فيكون طيراً بإذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص ، وأحيى الموتى بإذن الله ... ﴾ (٢٨).

فهذه الآيات كلها المسيح فيها مجرد وسيط أما الفعل فهو لله سبحانه ، والتنبؤ بالغيب الذى مارسه عيسى عليه السلام جزء من الآية التى جاء بها من « ربكم » ، وحاصل بإذنه ، لا من عنديات عيسى عليه السلام .

يوسف عليه السلام .. والغيب

عرضنا آنفا إلي أن القوم يؤمنون بنبوءات أشعيا وأرميا ، من خلال إيمانهم بالتوراة . فكانا شريكين لعيسى فى ذلك التنبؤ ، وسقطت بذلك دعوى أوحدية عيسى فيه ، وقد ذكرنا تلك الحقيقة على علاتها لمجرد إلزام القوم بما جاء فى نصوصهم ، التى يدعونها مقدسة .

أما هنا فندخل ـــ نحن ـــ يوسف عليه السلام شريكا ثالثا لعيسى فى التنبؤ بالغيب ـــ بإذن الله ـــ أخذاً من أوثق المصادر السماوية ، وهو القرآن

---

٢٧ ـــ آل عمران (٤٩) .

٢٨ ـــ آل عمران (٤٩) .



عند القوم . فهو قد علم بالغيب ، مثل سابقيه . إنه كان بأرض الشام حين انفصلت العير من أرض مصر ، وبها قميص ولده يوسف . فملأ ريح يوسف وجدان أبيه ، فقال لمن حوله : ﴿إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾، فاعتبر القوم أن هذا « تخريف » من يعقوب ، ورموه بأنه مايزال فى ضلاله القديم ..؟!

ولكن نبوءة يعقوب تصدق ، مثلما صدقت نبوءة يوسف عليهما السلام . فهل يتسع صدر القوم ليستقبلوا يعقوب ويدخلوه فى زمرة « التأليه » الغيبى ، فيصبح « الثالوث » به « سابوعاً » ؟!

إن حقائق الإيمان وإن كانت ــ أحيانا ــ فوق مدارك العقل فإن للعقل دوراً فيها . والعقول المؤمنة لاتقف شلاء فى قبول الحقائق بلا تمحيص . فعلى القوم أن يعيدوا النظر فيما لديهم ، وسيهتدوا ــ إذا هم صدقوا ــ إلى الحق الذى يملأ القلوب حياة ونوراً . والعقول جلالاً وهيبة .

فالغيب لايعلمه إلا الله وحده . ومايروى عن بعض الرسل فإنه كان بإذنه هو ، وكشفه لهم . والقانون الذى يحكم هذا المبدأ هو قوله تعالى :

﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، وأحاط بمالديهم ، وأحصى كل شىء عدداً ﴾ (٣٠).

الغيب لايعلمه إلا الله . نعم هذا هو الأصل . وقد يكرم به بعض رسله . نعم . وهذا هو الاستثناء . وهو استثناء من أجل خدمة الرسل والرسالات . أما المبدأ أو المصير فمن الله وإليه ؟!

ومعجزات أكثر إعجابا ..؟!

ناظرنا فى الفصل السابق بين ثلاث معجزات أوتيها عيسى ، كما أوتيها

٣٠ ــ الجن (٢٦ ــ ٢٨) .

أنبياء من قبله ، وهى إحياء الموتى ـــ الخلق والتكوين ـــ الاطلاع على بعض « الغيب » بإذن الله . وانتهينا إلى أن عيسى عليه السلام مثل إخوته فيها ، فلم يزد عليهم شيئاً . وأبطلنا مابناه القوم على أن عيسى « إله » لأنه أوحدى فيها .

وكنا قد قلنا أن من بين معجزات الأنبياء الذين سبقوا عيسى عليه السلام ماهو أكثر إعجابا ودهشة من معجزات عيسى عليه السلام . وها نحن أولاء نفى ببيان ماقدمناه هناك .

نوح .. والطوفان

تختلف المعجزات من حيث الصورة ، والكيفية ، والأثر ، وإن اتحدت فى المنشأ والتفسير ، فكل معجزة ـــ صغيرة أو كبيرة ـــ ترجع إلى أصل واحد فى المنشأ . إنها كلها خوارق للقوانين الطبيعية ، تجرى بلا أسباب ظاهرة .

ثم تتفاوت فيما عدا ذلك .

فطوفان نوح عليه السلام كان آية كونيه كبيرة الحجم ، عظيمة الأثر ، رجل مغلوب يستنصر بربه ، فيستجيب له : يأمر سماءه فتمطر ؟ ويأمر أرضه فتتفجر الأرض عيونا . ماءان التقيا على أمر على قد قدر : ماء منهمر من السماء ، وماء متدفق من الأرض . ويعبر نوح هو ومن معه ومامعه بفلكه المشحون عباب المياه المتلاطمة فى أمان . إن المشهد رهيب .. رهيب .. يصوره القرآن من خلال حديثه عن سفينة نوح ، فيقول :

﴿ وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ... ﴾ [٣١] ؟! يالها من طامة لامة ، فى موج كالجبال ضخامة ، ولايبقى من الأرض جافا إلا « الجودى » مرسى ، سفينة نوح [٣٢] ..؟!

---

٣١ ـــ هود : ٤٢ .

٣٢ ـــ الغالب عند العلماء ، والذى تؤيده القرائن أن طوفان نوح كان عاما ، لم تنج منه بقعة إلا « الجودى » ، ومن هنا كانت ضخامة هذا الحدث العجيب .

ماأعظم هذه المعجزة ؟! وماأشدها رهبة فى النفوس وفى الخيال ، لايعادلها إحياء ميت ، أو تكوين طائر ، أو إنباء بغيب ، وإن كانت كلها معجزات كافية فى إثبات صدق من تجرى على يديه ، أو من أجله .

ولهذا فلا يتردد عاقل فى أن هذه المعجزة كانت أدعى للدهشة من غيرها .

سليمان .. وعرش بلقيس

معجزة فريدة ، لم تتكرر ، ولم يعرف لها مثيل فى تاريخ الأنبياء القديم . صحيح أن الله رفع الجبل فوق بنى إسرائيل كأنه ظلة . وصحيح أن جبريل عليه السلام قد اقتلع بقدرة الله قرية قوم لوط ، ورفعها عاليا حتى قيل : إن ملائكة السماء سمعت نباح كلابها ، ثم تركها تهوى مرة أخرى إلى الأرض ، فتحطمت ، وصار عاليها سافلها . صحيح كل هذا . فكم كان ياترى وزن الجبل ، ووزن القرية من الأطنان والأثقال الهائلة التى رفعت إلى « علُ » بلا حامل محسوس . إنها قدرة الله العظيمة هى التى فعلت . وماذلك عليها بعزيز .

هاتان المعجزتان إذا قورنت بهما معجزات عيسى عليه السلام ، كان لها من الروعة وقوة التأثير مما تتفطر منه القلوب ، وتسبح فى جلاله العقول أضعاف أضعاف مايحسه عند صدق أنبوءة ، أو إحياء ميت ، أو النفخ فى هيئة الطير من الطين فيكون طيراً بإذن الله .

فإذا جئنا إلى معجزة نقل عرش بلقيس من جنوب شبه الجزيرة إلى بلاد الشام فى أقل من طرفة بالعين ، والعرش عظيم عظيم ، ويمثل هكذا فى ذلك الوقت الوجيز ، والوجيز جداً . إنه ذرة من الزمن إن صح هذا التعبير ، يعبر خلالها عرش ضخم بالغ الضخامة ، ويستقر أمام نبى الله سليمان بدقائق ، نظامه و « ديكوراته » ، لم تصبه شروخ ولاعطب ، ولم يتبدل من هيئته شىء ، إذا استشعرنا هذه المعجزة « الباهرة » التى لم يتكرر مثلها أدركنا فى وضوح مقدار

العجب الذى يسيطر على أجواء النفس فينسيها زمانها ومكانها ..؟!

إن هذه المعجزة لتفوق أقوى المعجزات المادية أثراً ؛ لأن المعتبر فيها ليس مجرد نقل كتلة عظيمة الحجم عبر الفضاء البعيد ؛ بل إن المعتبر فيها عدة أمور ، كل واحد منها صالح لأن يكون إعجازاً لقوى البشر .

* ففيها : رفع العرش رأسيا من قراره إلى الفضاء .
* وفيها : نقل العرش أفقيا من أقصى جنوب شبه الجزيرة إلى شمالها الغربى .
* وفيها : المحافظة على دقة نظام العرش ، وهيئاته ، خلال تلك الرحلة الخطيرة .
* وفيها : انعدام الزمن ، حتى ليخيل إليك أن ذلك الحدث الضخم وقع خارجا عن مفهوم الزمن . فلا زمن له .

ولنسمع إلى القرآن الأمين وهو يشرح هذا الموقف الجليل ، وعرفان سليمان عليه السلام بجلال الفضل فيه :

﴿ قال يأأيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين . قال عفريت من الجن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ، وإنى عليه لقوى أمين . قال الذى عنده علم من الكتاب : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك . فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر . ومن شكر فإنما يشكر لنفسه . ومن كفر فإن ربى غنى كريم ﴾ (٣٣).

فليقارن العقل بين الأثر المدهش الذى تتركه هذه الواقعة العجيبة ، وليضع بإزائها أيا من المعجزات الثلاث : إحياء ميت ، أو تنبؤ بغيب ، أو نفخ فى هيئة طير من الطين فيكون طيراً بإذن الله . فهل تعادل واحدة منها فى جلال الأثر هذه الواقعة الفريدة .

إننا حين نقرر هذا لانغمط عيسى حقه ، فهو نبى كريم ، لقى العذاب

---

٣٣ — النمل (٣٨ / ٤٠) .

ألوانا من اليهود ، ولم يأن فى إبلاغ ماأوحى إليه من ربه . وقد أيده الله بمعجزات ألزمت بنى إسرائيل بالحجة ، وقطعت عنهم الأعذار ، فصلوات الله وسلامه عليه .

وإنما نريد أن نرد زيف القوم ، حين ادعوا أن معجزات عيسى فاقت كل معجزات الأنبياء . ولم يعملها أحد سواه .

ونحن نقول : لاعيسى ، ولا موسى ، ولاسليمان ، ولا أحد من الأنبياء ، قبل عيسى أو بعده ، فعل المعجزات بنفسه ، وإنما « الفاعل » هو الله . والرسل مفعول من أجلهم . ومعجزات كل رسول كانت تناسب عصره وقومه . ومع هذا فإن تلك المعجزات كانت تتفاوت فيما بينها قوة وأثراً . وليس ذلك التفاوت قادحاً فى واحدة منها ، فكلها وافية بالغرض ، ونحن بالجميع مؤمنون . ونعود فنؤكد أنه لاحجة للنصارى فى جعل معجزات عيسى « فريدة » تؤهله لدرجة « التأليه » فقد علمنا أن :

١ ـــ مامن معجزة أيد الله بها عيسى عليه السلام إلا وقد أيد بها فريقا من رسله ..؟!

٢ ـــ ومعجزات بعض الرسل أكبر أثراً وأدعى للإعجاب من معجزات عيسى عليهم جميعاً السلام . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .





الفصل السابع

موقف الأناجيل من دعوى « تأليه » عيسى

انتهينا فيما تقدم إلى أنه : لا ولادة المسيح عليه السلام ، ولا معجزاته ؛ بمفيدة للقوم فى دعوى « تأليه » المسيح عليه السلام . فولادته قد تقدم عليها ماهو أعجب منها ، ومعجزاته لم تخرج عن « مفهوم » معجزات إخوانه السابقين من الأنبياء والرسل . فما من معجزة منَّ الله بها على عيسى إلا وقد من بمثلها — تماما — على أنبياء قبله ، بل إن من معجزات غيره ماهو أقوى من معجزاته ، فى إثارة الدهشة ، والإعجاب ، والرهبة . ومع هذا فلم يدع أحد « تأليه » أولئك الأنبياء المتقدمين ، بحجة أنهم أصحاب معجزات فاقت قدرات البشر ، ومدارك عقولهم .

وبقيت أمامنا — الآن — مرحلة أخرى ، وهى الأناجيل التى تعد أحد المصادر العليا عند النصارى فى استلهام أصول دينهم وفروعه .

فما هو موقف تلك الأناجيل من هذه الدعوى ؟! هل ورد فيها نص صريح منسوب إلى عيسى قال فيه إنه إله ؟! .

لابد من فحص هذه المصادر « على علاتها » ، وكتابة تقرير أمين عنها ، يصور الواقع مع تفسيره لبيان ماعليه القوم من قوة أو ضعف .

لقد قرأنا الأناجيل الأربعة — مرات — قراءة فاحصة ، فلم نجد فيها كلمة واحدة أسندها الرواة إلى عيسى يقول فيها : إنه إله .[1] وإنما الرواة يسندون إليه أوصافا متنافرة ، لايمكن الجمع بينها بحال ، مهما أوتوا من قوة الجدل والتفلسف .؟!

ونذكر فيما يلى خلاصة أمينة لما ورد فى الأناجيل من أوصاف المسيح

١ — ليس هدفنا من البحث هنا وجود دليل من الأناجيل يغير من واقع عقيدتنا فى المسيح شيئا — نبى مرسل — وإنما الهدف أن الأناجيل — على علاتها — ليس فيها سند للقوم على دعوى التأليه .

عليه السلام ، ثم نناقش كل نص منها حسبما يقتضيه المقام .

١ ــ عيسى إنسان :

ورد وصف الأناجيل لعيسى عليه السلام بأنه « إنسان » فى مواضع متعددة :

يروى متى أن المسيح عليه السلام كان يعالج مفلوجا ، وكان مما قال له المسيح : يابنى ، مغفورة لك خطاياك . فسمع الفريسيون هذا الكلام ، فقالوا عن المسيح : هذا يجدف ؟!

فقال لهم المسيح كما يروى متى :

« لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم ؟ أيهما أيسر ؟ أن يقال مغفورة لك خطاياك ، أم يقال : قم وامش ؟ ولكن لتعلموا أن **لابن الإنسان** سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا » .[٢]

ولمتى أيضا :

« جاء **ابن الإنسان** يأكل ويشرب ، فيقولون : هو ذا **إنسان** أكول شريب خمر» ؟![٣]

ويروى مرقس نفس القصة التى رواها متى فى شفاء المفلوج ، ثم أورد قول المسيح :

« ولكن لتعلموا أن **لابن الإنسان** سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا » .[٤]

ويقول مرقس ــ كذلك ــ:

---

٢ ــ إنجيل متى : الإصحاح (٩) الفقرات (٢ / ٦) .
٣ ــ نفس المصدر (١١ / ١٦) العدد الأول رقم الإصحاح . والثانى رقم الفقرة .
٤ ــ إنجيل مرقس (٢ / ٩) .



« ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى ، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله » .(١١)

٢ ــ عيسى نبى مرسل :

ومثلما تعددت النصوص التى تصف عيسى عليه السلام بأنه إنسان ، تعددت النصوص التى تصفه بأنه نبى مرسل . ومن ذلك ماجاء فى إنجيل متى عن المسيح نفسه :

« من يقبلكم يقبلنى ، ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى ، من يقبل نبياً باسم نبى فأجر نبى يأخذ » . (١٢)

ويذكر مرقس نفس عبارة متى ، مع اختلاف يسير ، فيقول عن لسان المسيح عليه السلام :

« ومن قبلنى فليس يقبلنى أنا ، بل الذى أرسلنى » ؟!(١٣)

أما لوقا صاحب الإنجيل الثالث ، فيروى رد المسيح على الذين نصحوه بأن يخرج من أورشليم لأن هيردوس يريد أن يقتله . فكان رد المسيح كما روى لوقا :

« بل ينبغى أن أسير اليوم وغداً ومايليه ؛ لأنه لايمكن أن يهلك نبى خارجاً عن أورشليم » ؟!(١٤)

ويذهب لوقا إلى أكثر من ذلك ، فيروى نصا عن المسيح ، يقطع فيه المسيح بواحدانية الله ، وهو النص الذى يرد فيه المسيح على من دعاه قائلا : « أيها المعلم الصالح » ، فكان رد المسيح عليه السلام :

---

١١ ــ المصدر السابق (٨ / ٤٠) .

١٢ ــ الإصحاح (١٠) فقرة (٤٠) .

١٣ ــ الإصحاح (٩) فقرة (٣٧) .

١٤ ــ الإصحاح (١٣) فقرة (٣٣) .

« لماذا تدعونى صالحاً ؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد ، وهو الله » ؟![15]

أما إنجيل يوحنا فقد ورد فيه قول المسيح عليه السلام :

« لأنه ـــ أى الله ـــ لم يرسل ابنه (؟!) إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم » ؟! .[16]

كما يروى يوحنا أن مشاهدى بعض آيات المسيح قالوا :

« إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم » .[17]

وقفة مع هذه النصوص :

إن المفاد الوحيد الذى تشير إليه النصوص المتقدمة ، ينحصر فى هذين الوصفين :

١ ـــ المسيح إنسان .

٢ ـــ المسيح نبى مرسل .

ونحن لاننازع فى هذين الوصفين ، بل هما المعتقد الصحيح فى عيسى عليه السلام ، وهما يفيدان ـــ قطعا ـــ أن المسيح ليس إلهاً ، إذ لو كان إلهاً ، فلن يكون إنسانا ، ولا ابن إنسان ؟!

ولو كان إلهاً فلن يكون نبياً ، ولن يكون رسولاً . وها هو ذا يقول « الذى أرسلنى » ، فمن هو الذى أرسله ؟ هو « الله » . وهل « الله » يرسل « الله » مثله .؟!

وحتى لو كان ذلك ـــ ممكنا ـــ فإن « عيسى » إله من « الدرجة » الثانية ـــ إن صح هذا التعبير الجدلى ـــ وإلا لم يكن رسولاً لإله سواه ؟! وهذا يناقض مدعى القوم أن جميع « الأقانيم » الثلاثة : الآب ـــ الإبن ـــ الروح

١٥ ـــ (١٨ / ١٩) .

١٦ـــ (٣ / ١٧) .

١٧ ـــ (٦ / ١٤) ثم (٧ / ٤٠) : العدد الأول رقم الإصحاح والثانى رقم الفقرة .

القدس : متساوون فى السلطان . فكيف يكون الأقنوم الثانى « عيسى » مساويا فى السلطان لمن يرسله « الأقنوم الأول » ؟! .

إن الأناجيل ــ جميعاً ــ تخلو من كلمة واحدة قالها المسيح نفسه ، أو وردت فى « حواشى » واضعى الأناجيل تنص على أن المسيح قال : إنه إله ، أو قال واضعو الأناجيل عنه أنه « إله » .

بل إن الأناجيل تصرح بأن عيسى وهو يقاد إلى خشبة « الصلب » كان يدعو ويقول : **إلهى إلهى** . أو إلوى إلوى . نجنى من هول هذه الساعة ، أو لماذا تركتنى ؟! (١٨)

فكيف يكون إلهاً ، وله إله آخر ، وكيفِ يكون « مساوياً » فى السلطان . إذ لو كان كذلك لنجى نفسه ، ولما احتاج إلى أن يدعو من ينقذه من هول الساعة ؟! كما ورد فى الأناجيل أن عيسى كان يصلى ويدعو . والصلاة لاتكون إلا من « مربوب ضعيف » لرب قوى .؟!

أوصاف أخرى للمسيح

وردت فى الأناجيل أوصاف أخرى للمسيح ، تختلف عن الأوصاف التى تقدمت . ومن تلك الأوصاف :

ابن الله ــ الرب ــ وترتب على الوصف الأول أن الأناجيل تنسب إلى عيسى كثيرا وصف « الله » سبحانه بأنه أبو المسيح ، فيقول : الأب أو « أبى الذى فى السماء » .

وهذان الوصفان : ابن الله ــ الرب يسوع ، (١٩) أضاف إليهما النصارى واقعة « رفع عيسى » إلى السماء ، فخيل إليهم أنهم عثروا فيه على كل

١٨ ــ انظر إنجيل متى (٢٧ / ٤٥ ــ ٤٦) .
وإنجيل مرقس (١٥ / ٣٤) .

١٩ ــ نكتفى بالإشارة إلى الأوصاف « دون ذكر النصوص الواردة فيها اختصاراً ، ولأنها مشهورة » ، فليست فى حاجة إلى التدليل عليها من نصوصهم المتعددة فى هذا المجال .

« مؤهلات » « الألوهية » .

وفى الواقع أن هذه الشبه الثلاث : ابن الله ـــ الرب يسوع ـــ الرفع إلى السماء ، ليس فيها مايرقى بعيسى إلى درجة « التأليه » ، والدليل على ذلك مصطلحات القوم أنفسهم من جهة ، وعدم اختصاص عيسى بالوصفين : ابن الله ـــ والرب . وعدم اختصاصه بواقعة الرفع إلى السماء . وإليك البيان .

معنى ابن الله فى الأناجيل وفى قاموس الكتاب المقدس ..؟!

لامعنى لابن الله فى اللغة . إذ ليس لله ابن ، حتى يكون له معنى فى الكلام ؛ وإنما معنى هذه الكلمة يجب الرجوع فيه إلى استعمالات الأناجيل وحدها ، إذ لا وجود له فى غيرها .

وبالرجوع إلى « الأناجيل » يتبدد الوهم الذى يخيم على عقول القوم ، وينهار مابنوه عليه ، لأنه لايلزم من إطلاق وصف ابن الله على السيد المسيح أنه إله .

ولن نحتج على القوم بغير مالديهم هم ، ولن نضع لهم على « المائدة » إلا طعاما هم صانعوه ومنضجوه . ولنا فيه مصدران :

أحدهما : قاموس الكتاب المقدس ، وهو كتاب عُنى بشرح معانى الكلمات الواردة فى العهدين القديم والجديد ، واشترك فى وضعه علماء متخصصون من رجال الدين المسيحى وأساتذة ضالعون فى دارسة الألفاظ اللاهوتية . فهو إذن حجة ملزمة لهم ، فالكتاب معترف به كنسيا ومتداول بينهم فى الشرق والغرب .

أما المصدر الثانى : فهو الواقع النصى للأناجيل نفسها . وسنرى أن شروحات قاموس الكتاب المقدس يؤيدها الواقع النصى للأناجيل . وهما معاً : شروحات القاموس ، والواقع النصى للأناجيل ، يُنافيان تماماً ـــ وعلى طول الخط وعرضه ـــ عقيدة « تأليه » المسيح بناء على زعم أنه ابن الله حقيقة ؟! وإليك البيان .

المعنى فى القاموس :

جاء فى قاموس الكتاب المقدس فى شرح كلمة أبناء الله مايلى :

« أبناء الله . استعمل هذا التعبير ـــ أبناء الله ـــ فى العهد الجديد عن المؤمنين بالله بنوع خاص . فيصبح المؤمنون أبناء الله بالميلاد الجديد .. إنهم مولدون من الله بالمعنى الروحى » .

هذا ماقاله ـــ بل أجمع عليه ـــ محررو الكتاب المقدس . فليس لله عندهم ابن واحد ، بل أبناء . وليس معنى البنوة ـــ عندهم ـــ المعنى البيولوجى (الإنجاب المادى) ، بل معناها : الإيمان بالله . فالبنوة هنا مجازية وليست حقيقية .

وهذا التعبير ـــ أبناء الله ـــ الذى ورد فى العهد الجديد يقابل التعبير الذى ورد كثيراً فى العهد القديم للدلالة على هذا المعنى ، وهو « جماعة الرب » . فكل من « جماعة الرب » فى التوراة ،و «أبناء الله » فى الأناجيل تعنى الطائفة التى تؤمن بالله .

وهذا المعنى الذى أورده قاموس الكتاب المقدس تؤيده استعمالات الأناجيل ، فقد ورد فيها أن المسيح كثيراً ماقال فى خطاباته للمؤمنين أنهم أبناء الله . وأطلق على الله أنه أبوهم الذى فى السماء . ومن ذلك مثلا ماورد فى إنجيل متى من قول المسيح عليه السلام :

« طوبى لصانعى السلام ؛ لأنهم **أبناء الله** يدعون » ؟!

وماجاء من قوله :

« احترزوا أن تصنعوا صدقاتكم أمام الناس لكى ينظروكم . وإلا فليس لكم أجر عند **أبيكم** الذى فى السماء » ؟! .

وقوله :

« فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ماصنعت يمينك ، لكى تكون صدقتك فى الخفاء . **فأبوك** الذى يرى فى الخفاء هو يجزيك علانية » ؟! .

وغير ذلك كثير . وهذا يبطل مدعى القوم ؛ إذ لو كان الوصف بابن الله يفيد معنى « التأليه » لوجب أن يكون النصارى كلهم « آلهة » ، وليس عيسى وحده ، فكلهم موصوفون فى الأناجيل بأنهم أبناء الله ، وأن الله أبوهم الذى فى السماء . فلماذا — إذن — يخصون عيسى بالألوهية ، وهم شركاؤه فيها ؟! القياس يقتضى : إما أن يكونوا كلهم آلهة ، أو يكونوا كلهم — ومعهم عيسى — غير آلهة ؟!

ومعنى كلمة الرب :

لهذه الكلمة معنى فى اللغة ، ومعنى فى قاموس الكتاب المقدس .أما المعنى اللغوى : فإن كلمة الرب تطلق ويراد منها عند الإطلاق : الخالق ، الصانع ، المكون ، سبحانه و تعالى . فهى عند الإطلاق لايراد منها إلا الله ، وكذلك إذا أضيفت إلى ماهو من خصائصه ، كرب الكون ، ورب الناس .

وتضاف هذه الكلمة إلى معان أخرى ، فيراد منها غير الله ، كرب الدار ، أى مالكها . ورب الأمة ، أى سيدها . ورب الأسرة ، أى عائلها ؟! والإطلاق هنا مجازى .

ولهذا قال يوسف عليه السلام فيما حكاه عنه القرآن الأمين : ﴿ اذكرنى عند ربك ﴾ أى عند سيدك وهو عزيز مصر . ويوسف عليه السلام عبرانى يتكلم بلغة العبرانيين . فقوله المحكى — هنا — حجة .

وإذا رفض القوم هذه الدلالات واجهناهم بما جاء فى قاموس الكتاب المقدس ، الذى حرره علماؤهم وقساوستهم من شتى البقاع . فقد قالوا بالحرف الواحد :

« وقد تستعمل بمعنى سيد أو مولى دلالة على الاعتبار والإكرام » [٢٠] .

وعلى هذا فلا دليل للقوم فى إطلاق وصف « الرب » على المسيح بأنه

٢٠ — قاموس الكتاب المقدس (٣٩٦) .

إله ؟! ؛ لأن هذا التعبير لايفيد أكثر من تكريم المسيح بأنه سيد ، أو صاحب كذا ، كما فى « رب المجد » أى صاحب المجد .

فليس هناك ضرورة لغوية ، ولاضرورة دينية لاهوتية ،تحتم أن المقصود بوصف « الرب » أنه « إله » أو « ابن إله » .

بقى أمامنا شبهة الرفع إلى السماء . وهم كثيراً مايعبرون عنه بالصعود ، والفرق بين الاثنين واضح :

فالرفع لابد فيه من رافع ، وهو الله سبحانه ،تعالى . أما الصعود فلأنه فعل لازم فلا يحتاج إلا إلى الفاعل . فكأنهم يريدون أن يقولوا إن عيسى صعد بنفسه ؛ لأنه « إله » ، ولم يرفعه رافع .

وأيا كان الأمر ، فرفع عيسى إلى السماء وارد عندنا نحن المسلمين ، وليس معناه أنه « إله » أو« ابن إله » ، ولا دلالة فى الرفع على هذا الوهم . وليس عيسى وحده هو «المرفوع » إلى السماء .

وننقل للقارىء ـــ هنا ـــ ماذكرناه فى بحث سابق لنا ، ناقشنا فيه هذه الشبهة . فقد قلنا هناك :[٢١]

« ونكتفى هنا من جانبنا بإثبات ملحوظتين :

الأولى : إن أراد البابا بإيراده هذه الآية إثبات خاصية للمسيح عليه السلام ، لم يشركه فيها أحد من الأنبياء ، تمهيداً لما يبنونه عليها وعلى مثيلاتها من الحكم بربوبية عيسى عليه السلام ، رددنا عليه دعواه من وجهين .

الأول : إن الرفع قد صرح به فى القرآن الحكيم بعد إثبات التوفية ﴿ إنى متوفيك ورافعك إلىَّ ﴾[٢٢] ونبع اختلاف كبير بين العلماء والمفسرين . ففريق منهم يرى أن عيسى عليه السلام توفاه الله ـــ أولاً ـــ ثم رفعه إليه . وعلى هذا

---

٢١ ـــ مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه (٥٧ ـــ ٥٩) للمؤلف دار الأنصار بالقاهرة .

٢٢ ـــ آل عمران : ٥٥ .

فلا مزية لعيسى عليه السلام على إخوانه الأنبياء والمرسلين ؟!

الثانى : أن الرفع حدث له وهو حى . ووجهوا تقديم التوفية عليه — على الرفع — بأن التقديم مع حرف العطف « الواو » لايقتضى تقديم التوفية فى الترتيب الوقوعى ؛ لأن الواو لمطلق الجمع ، يعطف بها السابق على اللاحق ، واللاحق على السابق ، كما يعطف بها أحد المتصاحبين على الآخر ، وهذا لاخلاف فيه عربية . والقول بأنه رفع حياً هو الأرجح عندهم .

وحتى على هذا الرأى — كذلك — فلا مزية لعيسى عليه السلام فيه على جميع الأنبياء ، فقد اشترك معه فيه نبى الله إدريس عليه السلام ، فقد قال الله فى شأنه :

﴿ ورفعناه مكانا عليا ﴾ (٢٣).

وقال العلماء فى معناه : هو من رفعة المنزلة والقدر . أو الرفع إلى السماء . ورجحوا أنه رفع حيا إلى السماء بدليل أن الرفعة المقرونة بالمكان تكون رفعة فى المكان لافى الدرجة . ورجحوا أنه رفع حيا إلى الجنة ، أو إلى السماء .

يقول صاحب روح المعانى : « وأكثر القائلين برفعه حساً — حيا — قالوا بأنه حى لم يمت حيث رفع » (٢٤).

فها هو ذا إدريس عليه السلام قد اشترك مع عيسى عليه السلام فى خاصية الرفع إلى السماء ، سواء رفعا حيين أو متوفيين . ونحن لم نقحم آراء المفسرين على القوم إقحاما . ولم نلزمهم بالنص القرآنى ﴿ ورفعناه مكانا عليا ﴾ إلزاما . بل هم الذين قد بدأوا فاستشهدوا بآيات من القرآن ، كما قد استندوا إلى بعض

---

٢٣ — مريم : ٥٧ .

٢٤ — راجع فى هذه النقول : تفسير الفخر الرازى (حـ ٢١ ص ٢٣٣) وكشاف الزمخشرى (حـ ٢ ص ٥١٣) وروح المعانى (حـ ١٦ ص ١٠٦) وتفسير القرطبى (حـ ١١ ص ١١٧) والنسفى (حـ ٢ ص ٣٢) .

آراء المفسرين ، فمن حقنا هنا أن نواجههم بنفس السلاح الذى حاولوا « شهره » فى وجوهنا . والخلاصة :

إن مسألة « تأليه » المسيح ليس لها دلالة لا من الواقع ، ولا من معجزات السيد المسيح نفسه ، ولا من نصوص الأناجيل المقدسة ، ولامن رفع عيسى إلى السماء . فما هى إلا دعوى باطلة . موغلة فى البطلان ..؟!!



الفصل الثامن

نشأة فكرة « تأليه » عيسى وتطورها ..؟!

انتهينا فى المباحث السابقة إلى أن فكرة « تأليه » عيسى عليه السلام ليس لها سند عند القوم ، لامن الواقع ، ولا من العقل ، ولامن المعجزات التى أحيطت بمولده عليه السلام ، أو جرت على يديه ، ولامن الواقع النصى للأناجيل القانونية الأربعة ، التى اعتمدتها الكنيسة من بين أكثر من مئة إنجيل ، أخفيت كلها عن الأنظار ، وبقيت الأناجيل الأربعة المختارة ؛ لموافقتها لمصلحة الكنيسة ، وهوى القائمين عليها من رجال اللاهوت المختلفى المراتب والدرجات .. ؟!

وهنا يتولد سؤال خطير :

إذا كانت مصادر المسيحية تخلو من أية أدلة على « تأليه » المسيح ، فمن أين استقت هذه الفكرة ؟ ومتى ظهرت ؟ وكيف صار المسيح البشر الإنسان النبى الرسول ، كيف صار إلهاً .. ؟!

وفى السطور الآتية إجابات موجزة مشفوعة بالدليل والبرهان :

المسيحية من البياض إلى السواد .. ؟!

لقد عاش المسيح عليه السلام رسولاً نبيا ، أدى بكل أمانة وإخلاص الرسالة التى بعثه الله من أجلها ، فأخلص النصح لبنى إسرائيل ، وجاهد ليقيم بينهم أمر الله ، فضاقوا به ذرعا وناصبوه العداء ، حتى اقتادوه إلى خشبة « الصلب » ، لولا أن نجاه الله منهم ، وأوقع شبهه على من دل عليه ، فقتلوه ظانين أنه « المسيح » ، فارتكبوا إثم مقتله بنياتهم وأيديهم ، وباءوا بغضب من الله .

وظل حواريو المسيح مؤمنين به الإيمان الصحيح ، ومثلهم من آمن به

حق الإيمان من بنى إسرائيل .

وبعد غيبة المسيح ، وغيبة حوارييه عبث برسالته العابثون ، وكان فى مقدمة هؤلاء « بولس » ، على النحو الذى مر . فضل وأضل ، وسود وجه « العيسوية » البيضاء . ثم ماتت أفكاره السيئة ، وبعد مئة عام من موته—وهو بولس» — نفخ فيها الشيطان من جديد ، فعادت تفعل فعلها بين الناس ، ورأى رجال الدين المسيحى أن فى إحياء فكر بولس إحياء لهم ، فعملوا على نشره ، وتولوا كبره بين الناس .

ظل المسيح طول حياته رسولاً نبياً بشراً موحى إليه ، ولكن مقولة بولس فى المسيح أخذت تعاود الظهور مرة أخرى بعد وفاة بولس بمئة عام ، أى عام ١٦٧ من الميلاد تقريباً . وخلال المئة والخمسين سنة التالية لها تعرضت المسيحية والمسيحيون لاضطهادات بالغة من الرومان الوثنيين . وتعددت العقيدة فى المسيح خلال تلك الفترة حتى الربع الأول من القرن الرابع الميلادى .

فكان من يقول : إن المسيح ليس أكثر من رسول لله ، شرفه بشرف الرسالة . وكان من يقول : إنه ابن الله ؛ لولادته من غير أب ، ولكنه — مع هذا — مخلوق لله . ؟!

وكان من يقول : إنه ابن الله وقديم مثله ؟!

وزاد من اضطراب العقيدة فى المسيح انتماء كثير من الوثنيين والفلاسفة إليها . وقد قلل من خطر ذلك الاختلاف عبء الاضطهاد ، الذى وقع بالمسيحيين من الرومان ، فشغلوا بالدفاع عن أنفسهم ، وضَؤُل خطر اختلاف العقيدة المتعددة بينهم . ولهذا فإنهم ماكادوا يمنحون الأمن حتى أخذت عقائدهم تتقارع ، ويشتد التطاحن بسببها ، حتى تتفتت وحدة الكنيسة ، وأخذت تخطو خطوات سريعة نحو الاضمحلال .

فكرة « تأليه » المسيح بين بولس وقسطنطين .. ؟!

كان قسطنطين الكبير رجل أطماع سياسية ، امتدت أطماعه إلى ضم بلاد الشرق إلى إمبراطوريته . وبخاصة عقب انتصاراته السياسية والحربية ، والتى كان آخرها انتصاره على ملك الوثنية المنافس له « ليسنيوس » فهزم جيش قسطنطين الذى قوامه ١٣٠٫٠٠٠ جيش ليسنيوس المكون من ١٦٠٫٠٠٠ فى موقعة كريسبوليس . وأصبح قسطنطين وحده إمبراطوراً على الدولة الرومانية عام (٣٢٣) من الميلاد . وعلى الفور عمل على رفع الاضطهادات عن المسيحيين ، ورد الذين نفوا منهم ، وأعاد إليهم مافقدوه . ولم يكتف بذلك بل أعلن اعتناقه للمسيحية ، وحث رجاله الوثنيين على الاقتداء به فى اعتناق الدين الجديد .. ؟!

ويرجح المؤرخون المسيحيون ، وعلى رأسهم ول ديورانت صاحب قصة الحضارة ، نقلا عن بعض المصادر التاريخية أن اعتناق قسطنطين للمسيحية لم يكن عن اقتناع بها ، وإنما هى حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية [(١)] .

وهذا الترجيح يصبح هو الفرض الوحيد فى تفسير اعتناق قسطنطين للدين المسيحى ، إذا وضعنا فى الاعتبار سعة مطامع الرجل ، وسعيه الدائب لضم بلاد الشرق إلى إمبراطوريته ، الذى اتخذ من التودد للمسيحين ، واعتناق عقيدتهم ، والإحسان إليهم ، وسيلة لتحقيقه . ويقوى من هذا الفرض أن سلوك قسطنطين بعد اعتناقه للمسيحية لم يكن مسيحياً صرفا . ولهذا كاد يجمع الكاتبون عنه من المسيحيين المعاصرين بأن المسيحية عنده كانت وسيلة لاغاية [(٢)] .

قسطنطين يواجه الاختلافات

كان أخطر رأى يواجه الكنيسة فى عهد قسطنطين هو رأى آريوس ،

---

١ ـــ انظر الجزء (١١) ص ٣٨٧ .

٢ ـــ نفس المصدر .

الذى كان يقول : إن الآب وحده هو الله . أما الابن ــ عيسى ــ فمخلوق مصنوع . أما الآب فقد كان حين لم يكن الابن »[٣].

ويصف ول ديورانت حركة آريوس بأنها أخطر حركة إلحادية ، واجهت المسيحية فى عهد قسطنطين ، بينما ينقل وصفا لآريوس هذا كتبه مؤرخ كاثوليكى ، يقول فيه :

« .. وكانت طريقته فى الحديث ظريفة ، وخطبه مقنعة ، وكانت العذارى اللاتى نذرن أنفسهن للدين ، وهن كثيرات فى الأسكندرية ، يبجلنه أعظم تبجيل ، وكان له من بين رجال الدين عدد كبير من المؤيدين »[٤].

إن هذا الوصف ليدل دلالة قاطعة على صدق آريوس الداعية المصرى القديم ، الذى كان شديد الإيمان بالمسيحية الصافية ، صائب العقيدة فى فهم المسيح ورسالته .

ويؤيد ماجاء فى كتاب تاريخ الأمة القبطية ماذكره هذا المؤرخ الكاثوليكى ، من انتشار عقيدة آريوس ، إذ جاء فيه مانصه :

« الذنب ليس على آريوس بل على فئات أخرى سبقته فى ايجاد هذه البدع(؟!) فأخذ هو عنها . ولكن تأثير تلك الفئات لم يكن شديداً ، كما كان تأثير آريوس ، الذى جعل الكثيرين ينكرون سر الألوهية ، حتى انتشر هذا التعليم وعم »[٥].

هذا الانتشار والعموم الذى يشير إليه المسيحيون أنفسهم بالنسبة إلى رأى آريوس قد فسره آخرون بأن جميع الكنائس الشرقية كانت تدين به . ومنها كنيسة أسيوط ، وكنيسة فلسطين ، وكنيسة مقدونية ، وكنيسة نيقومديا .

---

٣ ــ محاضرات فى النصرانية (١٤٧) نقلا عن ابن البطريق .

٤ ــ قصة الحضارة (حـ ١١ ص ٣٩٢) .

٥ ــ انظر محاضرات فى النصرانية (١٤٧) .

ولم يكن يحاربه إلا بطريرك الإسكندرية وحده ، ومعه حاشيته ؟! وهذا يدعونا إلى القول فى كثير من الاطمئنان إلى أن المسيحية ، كانت ـــ حتى الربع الأول من القرن الرابع الميلادى ـــ تخلو من خرافة « تأليه » المسيح عليه السلام .. !

بيد أن بطريرك الإسكندرية لجأ إلى حيلة مثل التى لجأ إليها بولس ، حين أقحم نفسه على المسيحية بدعوى رؤياه المسيح ، وتكليله من قبله بالرسالة ، حتى سمى ببولس الرسول . استمد بطريرك الإسكندرية حيلته من جنس حيلة بولس ، فادعى أنه رأى المسيح فى المنام ، وهو مشقوق الثوب ، فقال له : ماالذى شق ثوبك ياسيد ؟!

قال : آريوس .. ولعن المسيح آريوس ، وأمر بطرده ، وحرمانه ؟! هذا ماادعاه بطريرك الإسكندرية ، وأخذ على عاتقه نشر هذه الفرية ، التى شايعها الشيطان ، فخدع بها كثيراً من الناس .

مجمع نيقية عام ٣٢٥ م

حاول قسطنطين الوفاق بين آريوس وبطريرك الإسكندرية ، فلم يفلح ، فدعا إلى عقد مجمع نيقية عام ٣٢٥ من الميلاد ، الذى ضم ٢٠٤٨ أسقفا . وحضره آريوس نفسه الذى شرح رأيه فيه ، فانضم إليه ١٧٣٠ أسقفا ، وانضم إلى رأى بطريرك الإسكندرية الذى يقول بأن المسيح « إله » ٣١٨ أسقفا فقط ، واشتد الصراع فى المجمع بين أنصار الرجلين فأصدر قسطنطين قراراً بفض المجمع .. ثم دعا إلى انعقاده مرة أخرى ، ولكن بحضور ال ٣١٨ القائلين بالتأليه ، ولم يدع إليه أحد من أنصار آريوس الموحدين . وقد أصدر هذا المجمع المحدود القرارات الآتية :

١ ـــ إن المسيح إله فدى بجسده ودمه البشرية من الخطيئة الموروثة ؟!
٢ ـــ اعتماد الأناجيل الأربعة (متى ـــ مرقس ـــ لوقا ـــ يوحنا) وحرق كل الأناجيل المخالفة ، والبالغ عددها أكثر من مئة إنجيل .. ؟!

٣ ـــ تحريم الزواج على القساوسة الذين تموت زوجاتهم . ؟!

ويصف كتاب تاريخ الأمة القبطية عمل هذا المجمع ، فيقول :

« إن الجامعة المقدسة ، والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله (؟!) موجوداً فيه ، وأنه لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجد من لاشيء ، أو من يقول إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الله الآب ، وكل من يؤمن أنه خلق ، أو من يقول إنه قابل للتغيير .. » ؟!

ومعنى هذا أن المسيح قديم أزلى ، لايتحول ، ولا يتبدل . ؟!

٤ ـــ كما أصدر المجمع قراراً بطرد آريوس وأتباعه ، وحرمانهم من الحياة الأبدية .. ؟!!

وقد حضر الإمبراطور قسطنطين هذا المجمع وسر بقراراته ، فدعاهم إلى وليمة ملكية فاخرة ؟! وفرض هذا الرأى على المسيحيين فرضا تسانده قوة السلطان ؟!

مجمع صور يرفض « تأليه » المسيح .. ؟!

لم يكن قرار تأليه المسيح الذى اتخذه مجمع نيقية موضع اتفاق بين المسيحيين . بل قامت فى وجهه عقبات ، ولحقه كثير من النقد ، وكان أبرز المواقف المضادة له القرار الذى أصدره مجمع صور الإقليمى ، الذى حضره بطريرك الإسكندرية نفسه صاحب خرافة « التأليه » ولكن حضوره لم يمنع المجمع من إصدار قرار بالإجماع يرفض فيه قرار مجمع نيقية الذاهب إلى « تأليه » المسيح . فلما عارض بطريرك الإسكندرية قرار الرفض هم الموحدون بقتله ، لولا أن تدخل ابن أخت الملك قسطنطين ، فحماه من القتل ، ولما عاد اثناسيوس بطريرك الإسكندرية إلى مصر ثار فى وجهه المسيحيون المصريون الموحدون ، الذين كانوا على عقيدة آريوس ، ولكن البطريرك فر من وجوههم واختفى . ؟!

وهكذا نشأ تياران متعارضان : الأول : عقيدة التوحيد وهى أصل المسيحية . ؟! والثانى : عقيدة « التأليه » الثنائية : الآب + الابن ، وهى عقيدة طارئة على حقيقة المسيحية . الأولى التى كان يساندها العقل والنقل والواقع ، ومبعثها الإيمان الحق بالله .

والثانية كان يساندها السلطان بكل ماأوتى من قوة ، ورجال الكنيسة المصرية الذين رأوا فى مبادىء بولس « النظرية » وجهود قسطنطين العملية فى حمايتها مايقوى من سلطانهم وسيطرتهم على النفوس .. ؟!

المجمع القسطنطينى الأول ٣٨١ م

انعقد هذا المجمع وحضره ١٥٠ أسقفا ، وكان من دواعى اجتماعه ظهور رجل يدعى مقدونيوس ، أشاع بين الناس أن الروح القدس ليس بإله ، بل هو مخلوق مصنوع واعتنق كثير من الناس هذه العقيدة . فاجتمع مجمع القسطنطينية لإصدار قرار بألوهية الروح القدس ، لتكمل عقيدة « التثليث » المقدس .. ؟!

وفعلا صدر هذا القرار ، وأصبح « الثالوث الأقدس » قائما من ذلك الحين ، وكان من أكبر المتحمسين لهذه الفكرة بطريرك الإسكندرية ، صاحب فكرة تأليه المسيح .

وأصدر المجمع قراراً بطرد مقدونيوس ، ولعنه ، وطرد ولعن كل من يأتى بعده ، ويرى رأيه فى أن الروح القدس ليس بإله .

والمجمع القسطنطينى مطعون فيه شكلا وموضوعا من المسيحيين أنفسهم . أما شكلا فقد طعنوا فيه من وجهين :

الأول : قلة من حضره من القساوسة ، الذين لم يزيدوا على مئة وخمسين أسقفا .

والثانى : إنه لم يمثل جميع الكنائس ، فهو مجمع « محلى » إقليمى ، مثل

مجمع صور ، وليس مجمعاً عاما ـــ مسكونيا ـــ حتى تكون قراراته ملزمة .. ؟!

أما موضوعاً : فقد عارض النسطوريون ، وهم أتباع نسطور بطريرك القسطنطينية ، الذى ذهب إلى نفى « ألوهية المسيح »، وقصر القول فيه على أنه رجل مبروك بما وهبه الله من آيات وقداسة . وأن مريم أم عيسى الإنسان ، لا أم « إله » .

وتابع نسطور كثير من الأساقفة ، فتدخل بطريرك الإسكندرية ، وسعى لعقد مجمع ثالث يتفادى به هذا الخطر .

وفى الواقع فإن المذهب النسطورى كان رفضا لما اتخذ فى المجمعين السابقين : نيقية والقسطنطينى من تأليه المسيح والروح القدس .

مجمع إفسس الأول ٤٣١ م

انعقد هذا المجمع فتفادى الخطر الناجم عن المذهب النسطورى الموحد وحضره مائتان من الأساقفة ، ولم يحضره نسطور ، ولا بطريرك أنطاكية ، الذى كان على مذهب نسطور . وأصدر المجمع قرارين :

أحدهما : إن مريم العذراء والدة « إله » هو عيسى (؟!) وأن عيسى إله حق ، وإنسان معروف بطبيعتين : لاهوتية وناسوتية . متوحد فى الأقنوم .. ؟!

والثانى : لعن نسطور ، وطرده من الحياة الأبدية .. ؟!

على أن النسطورية أخذت تنتشر فى كثير من الدوائر المسيحية . ولم يقض عليها أو يؤثر فيها قرار مجمع أفسس ، فصدر أمر بنفى نسطورس إلى مصر ، ولم يجد النفى شيئا .

وأصدق دليل على ذلك مايرويه المؤرخون المسيحيون من أن النسطورية أخذت تنتشر فى كل من الشرق ، والعراق ، والموصل ، والفرات ، وبابل ،

وأرض الجزيرة . ومعنى هذا بكل وضوح أن العقائد الدخيلة على المسيحية ـــ وفى مقدمتها ـــ تأليه المسيح والروح القدس ـــ كانت ماتزال مقهورة مدحورة ، حتى منتصف القرن الرابع الميلادى .. ؟!

كنيسة الإسكندرية وإحياء مذهب نسطورس ؟!

وفى هذه الأثناء حدث تطور خطير فى كنيسة الإسكندرية فى عهد بطريركها ديسقورس ، وذهبت الكنيسة إلى أن المسيح له طبيعة واحدة ، لاطبيعتان : لاهوتية ، وناسوتية وعقد مجمع أفسس الثانى عام ٤٤٩ ميلادى لإقرار هذا الرأى . ولكن بطريرك القسطنطينية عارض هذا القرار ، فصدر أمر من رئيس المجلس ديسقورس الأسكندرى بطرده وحرمانه .

وثار جدل كثير حول مجمع أفسس الثانى ، واشتد الخلاف فى شأنه ، وشأن قراراته ، الأمر الذى أدى إلى عقد مجمع خليكدونية لحسم ذلك الخلاف .

مجمع خليكدونية عام ٤٥١ م

عقد هذا المجمع فى مدينة خليكدونية ، برياسة زوج ملكة روما ، التى كانت تميل إلى خلاف ماجاء عن مجمع أفسس الثانى . وحضره ٥٢٠ أسقفا ، منهم ديسقورس بطريرك الإسكندرية الذى حاول المجتمعون طرده من الاجتماع ، ولكن أبقى فيه بدرجة مراقب .

وأهم ماأصدره المجمع : أن للمسيح طبيعتين : لاهوتية ، وناسوتية . وله مشيئتان كذلك ، وفى جلسة إصدار القرار منع ديسقورس ورجاله من حضور الاجتماع بالقوة . ثم نفاه الامبراطور حيث مات فى منفاه .

وتتابعت المجامع بعد ذلك ، لتصنع العقيدة المسيحية بقرارات بشرية ، لم تحظ قط بالإجماع ، ولم تكن وسيلة البحث فيها الإقناع ، بل القهر والطرد والحرمان ومن تلك المجامع اللاحقة :

١ ــ مجمع رومة الذى انعقد عام ١٢٢٥ م ، وقرر أن الكنيسة تملك حق الغفران ، وتمنحه لمن تشاء من الرعايا . ؟!

٢ ــ مجمع رومة الذى انعقد عام ١٨٦٩ ، وقرر عصمة البابا من الخطأ .. ؟!

هكذا تكونت العقيدة المسيحية بقرارات يصدرها بشر لايملكون حقا فيما أصدروه ومن البين أن العقيدة أخذت تتكون فى بطء شديد ، وكان للأطماع السياسية دور كبير فيها ، على النحو الذى مر . وما من قرار اتخذه مجمع ، إلا وقد عارضه آخرون ، سواء كانوا من الأعضاء أو من الخارج .. ؟! وكل القرارات « الأصولية » التى أصدرتها المجامع ينطبق عليها القول المعاصر : « أصدرها من لايملك لمن لايستحق » .. ؟!

فلا المجامع تملك منح « درجة الإله »؛ لأن أعضاءها بشر ، وفاقد الشيء لايعطيه قط ، ولا المسيح ، ولا روح القدس يستحقان « الألوهية » ؛ فليس فى الكون إلا إله واحد ..

ولا مريم تستحق أن تكون أم « إله » ، ولا المجامع تملك منحها هذه الدرجة .. ؟!

فهى درجة لا وجود لها على الإطلاق ، وليس لها فى كون الله مانح .. ؟!

ولا البابا يستحق وصف « العصمة » ، ولا المجامع تملك منحه هذا الوصف .. ؟!

إن ضياع المسيحية الحقه بدأ نظريا فى خرافات بولس . وعمليا بمساعى قسطنطين ملك الرومان . ويقع الوزر الخطير على بطريرك الإسكندرية ، الذى روج لتأليه المسيح ، ومن بعده تأليه روح القدس . وكان وراء « الثالوث الأقدس » المسيحى « الثالوث الأسبق » الأفلاطونى ، الذى كانت الإسكندرية مسرحاً له ، كما تقدم .

أحدهما متهم . إما المسيح وإما المجامع المقدسة . ؟!

لو كانت المسيحية كما صورتها قرارات المجامع المقدسة ، فإن اتهاما خطيراً يوجه إلى المسيح نفسه ؛ لأن مسيحية المجامع ولدت متأخرة جداً عن عصر المسيح ، فيما بين عامى ٣٢٥ ــ وهو تاريخ عقد مجمع نيقية الذى قرر ألوهية المسيح ، ؟! ــ و ١٨٦٩ ــ الذى تقرر فيه عصمة البابا من الخطأ والمعاصى .. ؟!

ومعنى هذا أن المسيح لم يستطع إفهام الناس حقيقة المسيحية . فظلت تلك المسيحية غامضة مبهمة إلى أن كشفت المجامع ــ على مراحل طويلة ــ حقيقتها للناس . وهل يوصف رسول أو حتى « إله » بأنه أفلح فى أداء مهمته إذا كانت تلك المهمة لم تظهر إلا بعد « غيابه » بأربعمائة سنة ؟!

إن الدفاع عن المسيح غير ممكن هنا إلا بفرض واحد . وهو أن يقال : إن المسيح قد نادى بعقيدة غير التى نادت بها المجامع المقدسة . وأن المسيحية التى جاء بها المسيح غير المسيحية التى صنعتها المجامع المقدسة ، تحت سيف الحرمان والطرد ، وقهر السلطان وبطشه . ؟!

هذا هو الدفاع الوحيد المقبول عن المسيح عليه السلام . فإذا كان الأمر كذلك ، وهو فى الواقع كذلك ــ فإن الاتهام يتحول عن المسيح ويتوجه إلى المجامع المقدسة . فهى التى زورت مسيحية لاصلة لها بالمسيح. وهذا الاتهام باق بقاء الدهر ، مالم يحدث فى الدوائر الكنسية جديد . فإن لم يحدث ذلك الجديد فالاتهام قائم وموجه إلى تلك المجامع وخلفائها فى الرأى العام والعقيدة . اليوم .. وغداً . وحتى يرث الله الأرض ومن عليها .. ؟!

إن الحق الثابت الذى لانزاع فيه عند العقلاء والمحققين فى شأن العقائد الدينية ، وبخاصة « العقائد الأصول » أنها لاتتكون عن إصدار قرارات يصدرها بشر . فالدين من صنع الله ، وليس من صنع البشر ، وكل عقيدة صحيحة لابد

أن يصدر بها خبر من الله ، فى وحى منزل على رسول معصوم من الخطأ فى التبليغ .

ذلك أن منهج الوحى فى إقرار العقائد إنما هو منهج خبرى مؤداه نقل الخبر الصحيح المطابق للواقع كوحدانية الخالق ، وأن لله جنوداً هم الملائكة ، وأنه بعث فى كل أمة رسولاً يهديها إلى طريق الحق ، أو مطابق لما سيقع مثل البعث والنشور ، والثواب والعقاب . والجنة والنار ...

وهذه الأمور لايملك الإخبار بها على الوجه الصحيح إلا الله قيوم السموات والأرض . وليس لأحد سلطان فى كل ماتقدم وما أشبهه ، ممالم نذكره ولهذا فإن المجامع الكنيسية أخطأت خطأً جسيما فى تطفلها على مالا تملك ، وإقحامها نفسها على أمور ليست هى من اختصاصها . وكل عمل بذلوه فى دعوى تأليه المسيح ، ودعوى تأليه الروح القدس ، ودعوى عصمة البابا ، ودعوى امتلاكها حق الغفران لمن تشاء ، ودعوى سلطانها على خبايا النفوس . كل هذه دعاوى باطلة بمقياس العقل والنقل والدين الصحيح . وإلا فمن الذى أعلم أعضاء المجامع بأن المسيح إله ؟!

ومن ذا الذى أعلمهم بأن الروح القدس إله ، ومن أعلمهم بأن الروح القدس منبثق عن « الرب » ؟!

ومن ذا الذى أعلمهم بتكوين « الثالوث » ؟! ومن ذا الذى أعلمهم بعصمة البابا ؟! من ذا الذى أعلمهم بأن لهم حق « الغفران » ، وماهو سلطانهم على هذا كله ؟ هل هم ملكوا المغفرة لأنفسهم ، حتى يكونوا مؤهلين لغفران خطايا الناس ، هل هم يستطيعون أن يدخلوا من يشاءون الجنة ، ومن يشاءون السعير ؟! ومن هم حتى يكون لهم ذلك ؟! إنهم بشر مدانون أمام الديان الحق ، لايملكون لأنفسهم نفعا ولاضرا . يولدون ثم يموتون ، بلا إرادة لهم فى حياة أو موت ؟!

فكيف سوَّلت لهم أوهامهم أن يهبوا من يشاءون « الألوهية » ،

ويحرمون منها من يشاءون ؟!

أهزل الأمر إلى هذا الحد ؟ بشر فانون ضعفاء جاهلون عجزى يصدرون قرارات تصنع « الآلهة » هكذا . إن الذى يصدر قراراً يمنح فيه « غيره » درجة « إله » ـــ إن كان هذا ممكنا ـــ فينبغى أن يكون المانح أعلى من درجة « الإله » .

إن المسيحية المعاصرة ـــ وهذا حالها ـــ عقيدة وثنية بلا جدال .. ؟!
فالوثنيون هم وحدهم الذين يصنعون « عقائدهم » ، فيرون فى كوكب ، أو نار ، أو حيوان ، أو صنم يصنعونه بأيديهم ، ثم يقولون : هذا إلهنا .. ؟! ثم يعبدونه ، ويجثون أمامه ، ويتوجهون إليه بالرجاء .

أما الدين الصحيح السماوى فأتباعه لايصنعون عقيدتهم ، وإنما يتلقونها عن الوحى الصادق . وقصارى جهدهم أن يعقلوها ويفقهوها ويمتثلوها بالرضا والقبول والإذعان .

أما أن يصنعوا هم عقيدتهم .. فلا .. وألف لا . إن العقيدة الصحيحة لاتصنع ، ولاتصدر بها قرارات بشرية .. وإنما مصدرها الوحى الصادق الأمين .

وهذا ماأخطأت طريقه المسيحية المعاصرة . فهى مسيحية بشرية وثنية ، مهما كان دفاعهم عنها . ومع الوثنية فهى مسيحية « مشركة » لاتوحيد فيها . ولا حجة لهم فى أن « الثلاثة واحد » ، مثل الشمس فلها جرم وحرارة وضوء . ومع ذلك لايقال ثلاث شموس ، وإنما شمس واحدة ؟!

هذا التعليل وكل ماشاكله باطل لايصح الاستدلال به على « وحدة » المثلث .

فحرارة الشمس وضوؤها لم ينفصلا عنها انفصال المسيح والروح القدس عن « الآب » ، فانفصال المسيح والروح انفصال كلى . انفصل فدخل فى رحم

امرأة .. ثم ولد منها ، ورضع من ثديها ، وأكل ، وشرب ، وخاف ، واضطرب ، واختفى ، وركب الحمار ، والسفينة — على ماجاء فى الأناجيل — . فإذا لم يقولوا بالانفصال فيلزمهم أن يسلموا بأن أعضاء الثالوث كلهم كانوا فى بطن مريم .. ثم ولدوا منها . ورضعوا من ثديها .. وركبوا الحمار والسفينة ؟! وخافوا ، واضطربوا ، واختفوا من الأعداء ..؟! أهكذا تكون صورة الثالوث ياقوم ؟!!

والروح القدس منفصل على ماجاء فى الأناجيل أيضا . ألم تقولوا إن عيسى قبل أن تكون نهايته وعد تلاميذه بأنه بعد رفعه إلى السماء سيرسل لهم روح القدس ، ليعيش معهم ، ويخبرهم بكل شيء .. إن وعد عيسى هذا الإرسال من ألزم الحجج التى تحملكم على القول بالانفصال فأعضاء « الثالوث » الوهمى متفرقون . وليس كذلك جرم الشمس ، وحرارتها ، وضوؤها . فأنتم بلا أدنى نزاع **وثنيون مشركون** حتى هذه اللحظة :

وثنيون ؛ لأنكم أنتم صنعتم عقيدتكم ، ولم تتلقوها عن وحى صادق أمين ؟! **ومشركون** ؛ لأنكم ثلثتم معبودكم ، وبين التثليث والتوحيد مابين الأرض والسماء فالثلاثة لاتكون « واحداً » أبداً ، والواحد لايكون « ثلاثة » أبداً ، إلا إذا أصبح « العقل » هو « الجنون » ؟!

وإلا إذا صار « الحق » هو « الباطل » ؟!

ولكن .. لن يصير « العقل » جنونا .. ولن يصبح « الحق » باطلا . ؟! فالعقل هو العقل حتى قيام الساعة .. والحق هو الحق حتى قيام الساعة ، والجنون هو الجنون .. والباطل هو الباطل حتى قيام الساعة .. ؟!

فالجدير بكم . بل الواجب عليكم أن تصلحوا اعوجاجكم ، وأن تصوبوا خطأكم . لأن تهاجموا حقاً نحن به مؤمنون ، وأنتم بصوابه عالمون . فكفوا عن رواياتكم الهزلية ، ومحاولاتكم الطعن فى الإسلام ، واعلموا أننا حريصون على أن لانسيء إلى مشاعركم .. ولكن هذا مشروط بكفكم أذاكم عنا ، فإن لم

تكفوا واجهناكم بما لاطاقة لكم به .. وها أنتم قد جربتم . واللوم لايقع على « المدافع » ، وإنما يقع على « المهاجم » ، والبادىء بالشر هو دائما أظلم .. ؟!

إن إضلال المسلمين الذى تحاولون ــ دائما ــ الوصول إليه ــ بلا جدوى ــ لن ينفعكم شيئا إذا حدث . وإنما الذى ينفعكم هو أن تطلبوا الحق ، ثم لاتبالوا من الإعلان به ، والإذعان له . فدعوا الأصحاء أصحاء ، وعالجوا أمراضكم ومرضاكم . فلن ينفع المريض إعلال الصحيح .. ؟!

وإنما ينفع المريض أن يعالج من مرضه . وما أجمل الحياة حين يكون كل من فيها أصحاء . ؟!





الدكتور عبد العظيم المطعنى

الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمى

القسم الثالث

الإسلام



القسم الثالث

دحض مفترياتهم على الإسلام

تمهيد

طبيعة : البحث فى هذا القسم

تختلف طبيعة البحث ومنهجه فى القسم الثالث عن طبيعة البحث ومنهجه فى القسمين الأول والثانى . ففى ذينك القسمين كان مؤلفو الرواية الهزلية يحاولون « إثبات أشياء » فكان منهجنا معهم « نفى تلك الأشياء »التى لهثت أنفاسهم سعيا وراء إثباتها .

ففى القسم الأول كانوا يحاولون إثبات أن التوراة مصونة من التحريف والتبديل ، وماستتبع ذلك من مدعيات . فرددنا ـــ نحن ـــ سهامهم الطائشة إلى « نحورهم » ، ولكن بعد ملئها بقذائف الحق المحرقة المميتة . هم وجهوها طائشة خربة . ونحن أعدناها صائبة مدمرة . وأقمنا عشرات الأدلة من خارج التوراة ، وعشرات الأدلة من داخل التوراة على صدق ماقلنا ، وكذب ماادعوا . فإذا بالتوراة : شكوك من الخارج ، وأباطيل من الداخل . وستظل التوراة « هكذا » إلى قيام الساعة ، مالم يظهروا التوراة « الحق » ، ويزجوا بهذه التوراة التى نقدناها فى أتون الجحيم . ؟!

وفى القسم الثانى حاولوا « إثبات » أن الأناجيل ـــ بدورها ـــ مصونة من التحريف والتبديل ، شاهدة بالحق . حملا للأناجيل على التوراة ، التى وهموا وأوهموا أنهم أقنعوا قارىء روايتهم الهزلية بصحتها وسلامتها . فكان منهجنا معهم هو نفس المنهج الذى سلكناه فى مدعياتهم عن التوراة وملحقاتها ، فإذا

بالأناجيل : شكوك من الخارج وأباطيل من الداخل . وأقمنا عشرات الأدلة من خارج الأناجيل ، ومن داخلها على صدق ماقلنا ، وكذب ماادعوا . وَأبَنَّا أن التوراة ، والأناجيل إنما هما : وجهان لعملة زائفة ونحن فى كل ماتقدم واجهنا القوم بعضهم ببعض . ونقلنا أقوال منصفيهم وواقع طوائفهم من الكتاب الذى يدعونه « مقدساً » ، ولم تقم إلا بدور « الوسيط » ، فى جعلهم يواجه بعضهم بعضا . أى أننا لم نواجههم بمالدينا من نصوص « إسلامية » ، لها من تلك « المدعيات » موقف حازم حاسم .. وكان هدفنا من هذا ألا نقحم على القوم مالا يؤمنون به . ولنقطع عليهم سبل الاحتجاج . وكان فيما قاله رجال منهم ، وهم كثيرون ، مايكفى فى رد مدعيات الحمقى منهم . أضف إلى ذلك موقف الطوائف الكتابية من كتابهم المدعو « مقدسا » ، فإن تلك المواقف المختلفة من طائفة إلى طائفة لم يكن الباعث عليها ــ لديهم ــ إلا الارتياب فى « الكتاب المقدس » سنداً ومتنا . رواية ودراية [(١)] . ؟!

ذلك هو منهجهم فى القسمين الأولين . فوقفنا أمامهما بمنهج مكافىء ، من حيث الوسيلة المستعملة فى البحث . وأكفأ وأقطع وأصدق ، من حيث « النتائج » التى سلمت كل مقدماتها . كان القوم « مغالطين » فى دفاعهم عن العهدين القديم والجديد . وكنا « محققين » فى رد مزاعمهم . ولن نقيم على ذلك دليلاً أكبر من أن ندعو القارىء إلى « فحص » بضاعتنا التى طرحناها أمامه ، ومنهجنا الذى أدرنا عليه الحوار . ففيهما ــ وحدهما ــ أقطع دليل .

أما القسم الثالث فقد اختلف فيه منهج القوم ، ونتج عن ذلك اختلاف فى منجهنا نحن معهم .

كانوا فى القسمين الأولين « مدعى إثبات » ، وكنا ــ نحن ــ « نفاة » [(٢)] وفى

---

١ ــ فصلنا القول فى اختلاف نسخ الكتاب المقدس بين النسخ العبرانية . واليونانية والسامرية ، والكاثوليك ، والبروتستانت . كما وضحنا جملة الآراء فى أصل الأناجيل فكان أشهرها سبعة آراء كل القائلين بها مسيحيون ؟! .

٢ ــ نفاة : جمع نافٍ أى مبطلون لما ادعاه القوم من إثباتات تقدم ذكرها .

القسم الثالث كانوا « مدعى نفى » فصار منهجنا أمامهم « إثبات » ماادعوا نفيه وطمسه .. وكانوا هم « مغالطين » فى نفى مانفوا ، كما كانوا « مغالطين » فى دعوى إثبات ماادعوا إثباته . وسنكون « محقين » فى إثبات ماادعوا نفيه ، كما كنا محقين فى نفى ماادعوا إثباته .





الفصل الأول

دعوى ذات أربع شعب :

فى الفصول الأخيرة من الرواية الهزلية ادعى القوم دعوى واحدة ، وراحوا يستدلون على صحتها بأربع أكاذيب ، لا وجود لها إلا فى أوهامهم . وهى ماأشرنا إليه فى العنوان بالشعب الأربع . على أن إطلاقنا اسم الشعب على الأكاذيب لايغير من واقع الأكذوبة شيئاً . فالشعبة قد تكون من « الباطل » ، كما تكون من « الحق » ؟! والآن فما هى تلك الدعوى الواحدة ؟!

وماهى شعبها الأربع التى توهموها أدلة على صحتها . ؟!
ذلك مانوجزه الآن .

الدعوى :

إن محمداً ـــ ﷺ ـــ ليس رسولاً من عند الله ، وإنما هو رجل ذكى أتى بنوادر الأعمال « الإنسانية » ثم انتحل صفة الرسالة والرسول .. ؟!!

والشعب الأربع :

أما الشعب الأربع ، أو بمعنى أدق الأكاذيب الأربع التى توهموها أدلة على صحة دعواهم نفى الرسالة عن محمد (ﷺ) فهى على النحو الآتى :

١ ـــ الرسالة محصورة فى نسل إسحق ويعقوب ، وهما أبناء « الموعد »[1] ومحمد ـــ ﷺ ـــ من ولد إسماعيل . وإسماعيل مع أنه بكر إبراهيم ، فنسله لانبوة فيه ولا رسالة ، ولابركة ، وليس هو من أبناء الموعد ؟!!!

٢ ـــ إن محمداً ـــ ﷺ ـــ لم يأت بمعجزات قط ، بخلاف الأنبياء من نسل إسحق كموسى وعيسى فقد أتوا بمعجزات باهرة ؟!!!

---

١ ـــ المراد بالموعد وعد الله إبراهيم عليه السلام بأن يجعل فى ذريته الكتاب والنبوة .

٣ ــ القرآن مقتبس من التوراة والأناجيل وليس هو بمعجزة ، وإنما هو من « نوادر » عمل الإنسان ؟!!!

٤ ــ ليس في التوراة ولا في الأناجيل بشارة بمحمد ــ ﷺ ــ تدل على أنه رسول ..؟!!!

ذلك هو مقصدهم من روايتهم الهزلية ، ولو كان القوم قصروا هممهم على الدفاع عن « باطلهم » ، لما حرك ذلك فينا ساكنا ، ولا سكن متحركا . ولكنهم تجاوزوا خط الدفاع إلى خطوط الهجوم ، ومن الإنصاف أن نقول : إن القوم كانوا « مهاجمين » حتى في « الدفاع » عن « باطلهم » ، والمُهَاجَم الوحيد في كل كتاباتهم هو « الإسلام » دافعوا عن باطل « غيره » ، وهاجموا « حقه » ؛ ولهذا فإن تقدمهم في كل من مرحلتي الدفاع والهجوم كل عسيراً جداً . فلم يفحلوا في دفاع ، ولم يفلحوا في هجموم ، والسبب واضح ومعروف .

فما أصعب العقبات التي تعترض من يدافع عن « الباطل » ، فمن يدافع عن الباطل يسقطان معاً : الباطل ومن يدافع عنه . وكان ذلك السقوط هو النتيجة التي جللت مساعي القوم في مرحلة دفاعهم بالسواد . فسقطوا هم وباطلهم في هوة سحيقة مالها من قرار .

وماأكثر الموانع وأشقها التي تعترض من يهاجم « الحق » ، وتبدد جهوده هباء منثوراً . فيفت في عضده وتخور قواه ، ويذرى الرماد في عينيه . ويبقى الحق هو الحق شامخا بأنفه ، لاينال منه عبث « الصبيان » ، ولا مكر الحاقدين ، تماما كما قال الشاعر :

هل يضر البحر أضحى زاخراً   أن رمى فيه غلام بحجر .. ؟!

وتماما كما قال آخر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها   فلم يضرها . وأوهى قرنه الوعل ..؟!

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواهم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (٢)

ونلفت نظر القارىء إلى اختلاف آخر ، سيكون عليه منهجنا فى التصدى لمدعيات القوم هنا فى القسم الثالث . وهو أننا سنواجههم بسلاحنا الإسلامى ، وفى مقدمته النصوص القرآنية ؛ لأن القوم قد لجأوا إلى آيات كثيرة من القرآن الكريم ونصبوها بين يدى مدعياتهم كأدلة على صحة مايدعون . ومادام القوم قد ارتضوا بالقرآن « لهم » فليرتضوه ــ إذن ــ « عليهم » وسيرى القارىء أن من سوء حظهم التجاءهم إلى القرآن . وذلك لسببين اثنين :

أولاً : أنه لا دليل لهم فيما ذكروه منه على صحة مايدعون . وسنبين هذا بوضوح فيما يأتى .

ثانيا : أنهم بلجوئهم إلى القرآن فتحوا على أنفسهم جبهة لاقبل لهم بها ، ولا صبر لهم أمامها . إنه ــ كما قلنا سابقا ــ طراز ممتاز من الأسلحة الثقيلة آثرنا ــ قبلاً ــ أن لانواجههم بها لاعتبارات شرحناها فى غير موضع . أما وهم قد بدأوا بها ، واستعملوها فى حلبة الصراع ؛ فعليهم أن يتجرعوا مرها ، وصابها وعلقهما . فهو سلاحنا . ونحن باستعماله أعلم ، وعلى حمله أقدر وللنصر به أحرز . وفوق هذا وذاك إنه سلاح فريد من نوع له خاصة عجيبة جداً لو علمها القوم لما جرؤا على الاقتراب منه . وتلك الخاصة العجيبة أنه إذا صوب ضد أهله فلن يضرهم قط ؛ لأنه لهم ــ دائما ــ سواء كان بأيدى أهله أو بأيدى أعداء أهله . فالقرآن كله حق ولن يخاصم حق حقاً . وإنما يخاصم الحق الباطل . أو الباطل الباطل . وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . وعلى هدى من الله نتصدى لباطل القوم على الأسس التى شرحناها . والله الموفق .



---

٢ ــ الصف (٨) .



الفصل الثانى

الأكذوبة الأولى :

دعوى حصر النبوة فى نسل إسحق .. ؟!

إسماعيل وإسحق (عليهما السلام) ولدا إبراهيم (عليه السلام) المشهوران ، واللذان ورد ذكرهما كثيراً فى القرآن الأمين . وتذكر التوراة أولاداً آخرين لإبراهيم . ولكننا نتوقف فى الحديث عن ذرية إبراهيم عند إسماعيل وإسحق لورود الخبر اليقينى بهما . أما ماتذكره التوراة من شأن أولاد له آخرين فلا نثبته ، ولا ننفيه ، والعهدة فيه على روايه .[1]

وإسماعيل هو بكر إبراهيم (عليه السلام) من هاجر المصرية . وهذا موضع اتفاق بيننا وبين أهل الكتاب يهوداً ونصارى . والذى يهمنا هنا بالدرجة الأولى موقف اليهود ، والنصارى من التفرقة بين ولدى إبراهيم : إسماعيل وإسحق (عليهم السلام) . وهذا الموقف يتلخص فى النقاط الآتية :

١ ــ أن الله قد حصر النبوة والكتاب فى نسل إسحق دون إسماعيل فأى رجل من بنى إسماعيل يقول : إنه نبى ، فليس بصادق فى دعواه ؛ لأن نسل إسماعيل لانبوة ولا كتاب فيه .؟!!

٢ ــ أن الذبيح من ولدى إبراهيم الذى فداه الله هو إسحق وليس إسماعيل ..؟!!

٣ ــ أن الله وعد إبراهيم (عليه السلام) بتبريك نسل إسحق ، وتوريثه الأرض ، وسيادته على جميع الأمم . وليس لإسماعيل من ذلك الوعد الإلهى الكريم أدنى نصيب .. ؟!!

---

١ ــ أى واضعوا التوراة التى بيد اليهود الآن .

قال هذا اليهود أولاً ، وعدلوا توارتهم بما يساير هذه المزاعم ، ثم شايع النصارى اليهود مع أن أناجيلهم ــ أى النصارى ــ تخلو من هذه الأمور . والذى حمل النصارى على مشايعة اليهود فيها أمران :

أولهما : أن النصارى يعتبرون التوراة وملحقاتها جزءاً من الكتاب المقدس ، الذى هم به يؤمنون ، بل هى أساس الكتاب المقدس شكلا وربما موضوعا . كما يزعم الحمقى منهم .

وثانيهما : أن الضربة فى هذه المزاعم موجهة إلى الإسلام . وهذا هو الأهم ، والنصارى على استعداد أن يتحالفوا مع الشيطان لمحاربة الإسلام . بل هم متحالفون معه فعلا من أجل هذا الهدف . وهذا لايخيفنا ؛ لأن الاجتماع على الباطل كالافتراق فيه . كلاهما لا يحيل الباطل حقا ولا الحق باطلا . وسنجلو هذه الإشارات فيما يأتى .

ففيما يتعلق بالزعم الأول ، وهو حصر النبوة والكتاب فى نسل إسحق (عليه السلام) بدءاً من ولده يعقوب (عليه السلام) ؛ فإن القوم قد مهدوا له بنصوص اختلقوها ، وأضافوها إلى التوراة ، ترفع من شأن ولد إبراهيم إسحق على ولده إسماعيل (عليهم السلام). ثم عمدوا إلى آيات من القرآن الحكيم ، وحملوها حملاً كريهاً على تأييد مزاعمهم . وها نحن أولاء نذكر نصوصهم أولاً . ثم نردفها بما استشهدوا به من القرآن الكريم مع مناقشة ذلك كله لِيُحِقَّ الله الحق بكلماته ، ويَقْطع دابر الكافرين :

أولاً : نصوصهم فى التوراة :

« وأما ساراى [٢] امرأة إبرام [٢] فلم تلد له ، وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر ، فقالت ساراى لإبرام : هو ذا الرب قد أمسكنى عن الولادة ؛ ادخل على جاريتى لعلى أرزق منها بنين . فسمع إبرام لقول ساراى .. فدخل

---

٢ ــ ساراى : يعنى سارة . وإبرام يعنى إبراهيم قبل أن يسميا بذلك .

على هاجر ، فحبلت ، ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها فى عينيها . فقالت ساراى لإبرام : ظلمى عليك أنا دفعت جاريتى إلى حضنك فلما رأت أنها حبلت صغرت فى عينيها . يقضى الرب بينى وبينك . فقال إبرام لساراى : هو ذا جاريتك فى يدك افعلى مايحسن فى عينيك ؟! فأذلتها ساراى ... » [٣]

وقفة .. مع هذا النص :

ساراى (سارة) هى أم إسحق (عليه السلام) وهاجر أم إسماعيل . وقد بدأت التوراة من الآن ـــ قبل الولادة ـــ ترفع من قدر أم إسحق على أم إسماعيل . وتؤثر أن تصف هاجر بأنها جارية ساراى . ولاتكتفى بهذا ، بل تقرر أن إبرام (إبراهيم) (عليه السلام) قد استجاب لعتاب ساراى ، ودفع إليها جاريتها لتفعل بها مايحلو لها من الذل والهوان ..؟!

ونحن نتهم التوارة بهذه المبالغة فإبراهيم (عليه السلام) كان نبياً رسولاً حين تحدثت عنه التوراة بهذه الوقائع . ومقام الأنبياء والرسل أجل من أن يسكتوا عن ظلم فضلا عن أن يكونوا دعامته والمحرضين عليه ..؟! ثم تمضى التوراة ـــ بعد ـــ فى إكمال القصة فتقول :

« فهربت من وجهها ـــ أى هربت هاجر من وجه ساراى ـــ فوجدها ملاك الرب على عين الماء فى البرية ... وقال ياهاجر جارية ساراى من أين أتيت وإلى أين تذهبين ؟!

فقالت : أنا هاربة من وجه مولاتى ساراى . فقال لها ملاك الرب ارجعى إلى مولاتك ، واخضعى تحت يديها . وقال لها ملاك الرب : تكثيراً أكثر نسلك فلا يحصون[٤] من الكثرة . وقال لها ملاك الرب : هاأنت حبلى فتلدين ابنا ، وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك ، وإنه يكون إنسانا (وحشيا) يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه . وأمام جميع إخوته

---

٣ ـــ سفر التكوين الإصحاح (١٦) الفقرات (١ ـــ ٦) .

٤ ـــ فى التوراة :فلا يعد .. بدل« يحصون » وقد رأينا فى نصوص كثيرة قد نقلت عن غير الترجمة العربية « فلا يحصون » لذلك آثرناها .

يسكن .. فولدت هاجر لإبرام ابنا . ودعا إبرام اسم ابنه الذى ولدته هاجر إسماعيل . كان إبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لإبرام » [٥] .

ووقفة مع هذا النص :

إذا تجاوزنا أمر ملاك الرب لهاجر بالرجوع إلى مولاتها ، والخضوع — هكذا — تحت يديها ، فإننا لانستطيع أن نتجاوز تجنى محرفى التوراة على إسماعيل حيث وصفوه بأنه :

« يكون إنسانا وحشياً » ؟! فهذا تحريف — قطعاً — لايحتمل أى دفاع فالتوراة أصلها باللغة العبرية . وقد نص كثير من الباحثين بأن أصل العبارة فى التوراة العبرانية هكذا « فرء آدم » والتى معناها القوى أو المتأبد أى المستقر الثابت . ومحرفو التوراة يعرفون تماما معنى هذه العبارة « فرء آدم » لأنها لغتهم ، ولكن حقدهم على إسماعيل — لأنه أبو العرب ؛ ولأن من نسله خاتم الأنبياء محمد (ﷺ) — حملهم أن يحرفوا معنى الكلمة ، فترجموها هكذا « وحشيا » وغرضهم من هذه الترجمة التنفير من إسماعيل (عليه السلام) ، ومن نسله ولاننسى أن اليهود فى دعاياتهم الحديثة ضد العرب يركزون كثيـرا علـى وصفهم بـ « الوحشية » إيحاء من وصف إسماعيل به فى التوراة على النحو الذى مر .

وتحريف آخر وقع فى وصف إسماعيل فى هذا النص . ذلك أنهم قالوا : يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه » وفى نقول قديمة ترجع إلى القرن السابع الهجرى رأينا كثيراً من العلماء منهم ابن تيمية ينقل هذه العبارة عن نسخة من التوراة كانت فى عصره هكذا : يده فوق كل أحد . ويد الكل به « والفرق بين العبارتين واضح » :

فعبارة التوراة التى نقلناها من الترجمة العربية المعاصرة تفيد أن بنى

٥ — نفس المصدر الفقرات (٧ — ١٦) مع الحذف .

إسماعيل يعادون جميع الناس ، وجميع الناس يعادون بنى إسرائيل . وهذا المعنى يتسق مع الوصف بالوحشية الذى اطلقته التوراة على إسماعيل ظلما وتحريفا ؛ لأن أصل المعنى كما قلنا : « يكون إنسانا قويا » فحرفوا معنى قوى إلى معنى وحشى ..؟!

أما العبارة التى نقلها ابن تيمية فى كتابه : الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح » تفيد أن يد بنى إسماعيل فوق كل أحد ، وهذا لا يفيد عداوة وإنما يفيد علو المنزلة . وكذلك : ويد الكل به » أى أن جماع الخير للناس لايكون إلا بالالتفاف حول الإسلام الذى هو شريعة الله الخاتمة التى بعث الله بها محمداً (ﷺ) وهو من ولد مضر ولد إسماعيل .. !

وتنتقل التوراة بعد ذلك فيضع محرفوها نصا يحصر النبوة والعهد فى ذرية إسحق دون إسماعيل . ويأتى هذا النص عقب بشارة « الرب » لإبراهيم بابنه إسحق وتمهد التوارة لذلك بأن الله قبيل البشارة بدل اسم ساراى إلى « سارة » واسم إبرام إلى « إبراهيم » ولم تعد التوراة بعد هذا تذكر ساراى وإبرام بل سارة وإبراهيم . وذلك بدءاً من النص الآتى المشار إليه آنفا وهو :

« وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك . فقال الله : بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحق . وأقيم عهدى معه عهداً أبديا لنسله من بعده ...[6] ولكن عهدى أقيمه مع إسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت فى السنة الآتية » ؟![7]

ملاحظتان على هذا النص :

نرى فى هذا النص ملاحظتين :

الأولى أن إبراهيم طلب من الله أن يعيش إسماعيل أمام الله بمعنى أن يكون له

---

٦ ــ مكان النقط نص خاص بإسماعيل سنذكره فيما يأتى حين تجىء مناسبته .

٧ ــ سفر التكوين الإصحاح (١٧) الفقرات (١٨ ــ ٢١) .

شأن من البركة لا مجرد الحياة . ولكن الله لم يستجب لإبراهيم . هكذا يزعم محرفو التوراة .

الثانية : أن الله حصر عهده الأبدى فى إسحق وذريته المولود من سارة بمعنى أن النبوة والكتاب والحكمة لاتكون إلا فى ذرية إسحق . أما إسماعيل فليس له ولا لذريته من العهد والنبوة نصيب .؟!

الأكذوبة الثانية !

التبريك والسيادة خاصان بإسحق وذريته ..؟!

ويزعم محرفو التوراة أن التبريك والنماء والسيادة خاصان بإسحق وذريته دون إسماعيل وذريته . فهو له من شرف أبيه شيء (؟!) أما إسحق ، وذرية إسحق ــ يعنى اليهود ــ الذين هم بنو إسرائيل الذى هو يعقوب بن إسحق . فله كل البركة ، وكل النماء والفضل . به تتبارك الأمم ، وبذريته من بعده ، وتكون لهم السيادة والريادة على جميع العالمين ..؟!

وواضعو الرواية الهزلية يقولون : إن لديهم ثلاثة أدلة من التوراة تؤكد هذا الزعم :

الأول : ماقاله الرب لإبراهيم بعد همه بذبح ابنه (إسحق) [8] وفدائه بكبش من قبل الرب . فتزعم التوراة المحرفة أن الله قال لإبراهيم : « بذاتى أقسمت يقول الرب أنى من أجل أنك فعلت هذا الأمر . ولم تمسك ابنك وحيدك[9] (؟!) أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء . وكالرمل الذى على شاطىء البحر ، ويرث نسلك باب أعدائه ويتبارك فى نسلك جميع

---

٨ ــ هذا مجاراة للقوم منا حيث يزعمون أن الذبيح هو إسحق وسيأتى الكلام على هذه الأكذوبة والرد عليها .

٩ ــ إسحق على فرض أنه الذبيح لم يكن وحيد إبراهيم لوجود إسماعيل فهذا تحريف قطعاً كما ترى : والتوراة نفسها تتعترف بوجود إسماعيل وقتذاك .

فكيف تصف إسحق بأنه وحيد إبراهيم والرب على زعمها هو قائل هذا الكلام ..؟! .

أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولى » [١٠] .

الثانى : ويزعم محرفو التوراة أن الله قال لإبراهيم حين غضب إبراهيم من كلام سارة على هاجر وابنها إسماعيل :

« فى كل ماتقول لك سارة اسمع لقولها ؛ لأنه بإسحق يدعى لك نسل [١١] »؟!

وهذا القول تذرع به واضعو الرواية الهزلية ، وجعلوه دليلاً ثانيا من التوارة على تبريك إسحق وذريته دون إسماعيل وذريته .؟!!

الثالث : أما دليلهم الثالث فهو تكرار هذا الوعد من الله لإسحق بعد موت إبراهيم ، إذ يروون أن الله قال له : « فأكون معك وأباركك . ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد . وأفى بالقسم الذى أقسمت لإبراهيم أبيك . وأكثر نسلك كنجوم السماء . وأعطى نسلك جميع هذه البلاد . وتتبارك بنسلك جميع أمم الأرض » [١٢]

وقوله له أيضا :

« فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق . الأرض التى أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك . ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غربا وشرقا وشمالاً وجنوبا . ويتبارك فيك وفى نسلك جميع قبائل الأرض . وها أنا معك ، وأحفظك حيثما تذهب ، وأردك إلى هذه الأرض ؛ لأنى لا أتركك حتى أفعل كل ما كلمتك به » [١٣]

أشار واضعو الرواية الهزلية إلى بعض هذه النصوص ، وذكروا بعضها

---

١٠ ــ سفر تكوين إصحاح (٢٢) الفقرات (١٦ ــ ١٨)

١١ ــ نفس المصدر (٢١ ــ ١٢) .

١٢ ــ نفس المصدر (٢٦ ــ ٣ ــ ٦) .

١٣ ــ نفس المصدر (٢٨ ــ ١٣ ــ ١٥) .

الآخر صراحة ثم علقوا على هذا بقولهم :

« بناء على هذا إذا تباركت قبائل العرب إنما تتبارك بنسل إسحق ويعقوب أي بالمسيح (ابن الله) وابن مريم الذى جاء من ذرية يعقوب حسب وعده تعالى لا بنسل إسماعيل الذى ماله شيء من هذا الوعد المقدس » [١٤] ؟!!

وقفة مع هذا الكلام :

إن أول مايفيده هذا الكلام ، وبخاصة الوارد فى الرواية الهزلية أن واضعيها مسيحيون بلا أدنى نزاع ، حيث جعلوا مصب الوعد« التوارتى » ينتهى إلى عيسى (عليه السلام) ..؟!

كما يفيد أن المقصود من وضع الرواية الهزلية هو صرف المسلمين عن الإسلام ، وعن نبى الإسلام ؛ لأنه من نسل إسماعيل ولد إبراهيم ، وليس من نسل إسحق ويعقوب ابنى الموعد كما يدعون ؟!

وعلى العرب ـــ يعنى المسلمين ـــ إذا أرادوا أن يتباركوا أن يصيروا مسيحيين ؛ لأن إسماعيل أباهم ليس له شيء من هذا الوعد المقدس وهذا هو المطلوب لدى واضعى الرواية الهزلية الهازلين ..؟!

الأكذوبة الثالثة

الذبيح إسحق ... لا إسماعيل ..؟!

إن نظرة العداء والحقد التى دأب عليها اليهود نحو إسماعيل (عليه السلام) جعلتهم يبدلون نصوص التوراة حتى يستقر فى أذهان قارئيها أن ولد إبراهيم الذبيح هو إسحق لا إسماعيل . وها نحن نجتزى من نصوص التوراة « المعدلة » الفقرات الآتية :

---

١٤ ـــ الباكورة الشهية فى الروايات الدينية (ص ١٨٧) ط عربية .

« ... أن الله امتحن إبراهيم فقال له : ياإبراهيم . فقال : هاأنذا فقال : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه « إسحق » واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك » ؟!

« .... فلما أتيا إلى الموضع الذى قال له الله بنى هناك إبراهيم المذبح .. ورتب الحطب ، وربط إسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب .. ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه . فناداه ملاك الرب من السماء وقال : إبراهيم إبراهيم — مرتين — فقال هاأنذا فقال : لاتمد يدك إلى الغلام ولاتفعل به شيئاً . لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى . فرفع إبراهيم عينه ونظر ، وإذا كبش وراءه ممسكا فى الغابة بقرنيه . فذهب إبراهيم ، وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه »[١٥]

وهكذا تجرد التوراة ، ومن بعدها واضعو الرواية الهزلية ، تجرد إسماعيل (عليه السلام) من كل فضل عرف له ، من أجل أن يصلوا إلى هدف واحد هو « تجريد خاتم الأنبياء والمرسلين — ﷺ — من شرف النبوة والرسالة العظمى التى بعثه الله بها ومن أجل هداية العالمين . وليتبع ذلك كله أن يزول « الإسلام » من الوجود ، ذلك الدين القيم الذى يخيف جحافل الباطل ويفضح الخائنين الذين أضاعوا أمانة الوحى وبدلوا ماأنزل إليهم .

ثانيا : مااستشهدوا به من القرآن الكريم ..؟!

أشرنا من قبل إلى أن واضعى الرواية الهزلية ضموا إلى قائمة شواهدهم آيات من القرآن الحكيم . ؟!واستشهادهم بالقرآن باطل عقيدة ومنهجا .

أما عقيدة فلأن القوم يزعمون أن محمداً — (ﷺ) — ليس نبياً فكيف ساغ لهم الاستشهاد بنصوص هم بمصدرها كافرون ؟!

وأما منهجاً فلأنهم لم يذكروا كل النصوص القرآنية التى لها علاقة وثيقة

---

١٥ — سفر التكوين (٢٢ — ١ — ١٤) مع الحذف .

بموضوع الدراسة . وإنما أخذوا منها ماتوهموا أنهم به يوهمون القارىء بصدق مدعاهم . فجاء صنيعهم مرفوضا عند من له أدنى إلمام بمناهج البحث والاستدلال . وصارت كل نتائجهم التى رتبوها على منهجهم « المحرف » باطلة ، لبطلان المنهج المتبع فيها . ونحن مع هذه « المزالق » الخطرة التى تكفى وحدها لفضح القوم ، والتشنيع عليهم وتبيين مغالطاتهم . فإننا نذكر مااستشهدوا به قبل أن نبدأ فى مناقشة أكاذيبهم الثلاث ، وبيان مافيها من زيف وضلال وإضلال وأنهم ليسوا على شىء فى كل ماادعوا . وهاك نصوص الآيات الكريمة التى استلبوها وهى مما يقولون براء. ؟!

نصوص الآيات الحكيمة :

الآية الأولى :

﴿ ووهبنا له إسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب ﴾ [١٦]
وعلق واضعو الرواية الهزلية على هذه الآية بقولهم : « لماذا لم يذكر بها إسماعيل مع كونه بكر إبراهيم بل أهمل منها ، كأنه لم يكن محسوبا . وذكر الابن والحفيد فقط هبة له ـــ يعنى إسحق وابنه يعقوب ـــ فما السر فى ذلك .؟ .

على كل حال هذه الآية ترفع قدر إسحق ويعقوب على إسماعيل وتبين لنا جليا أن ذريتهما لاذرية إسماعيل هى ذرية إبراهيم التى جعل الله فيها الكتاب والنبوة » ؟! [١٧]

الآية الثانية :

﴿ ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين ﴾ [١٨]

---

١٦ ـــ العنكبوت (٢٦) .

١٧ ـــ الباكورة الشهية (١٨٨) .

١٨ ـــ الجاثية (١٦) .

وهدفهم من هذه الآية أنها تحقيق للوعد حيث حصر فيها شأن الكتاب والحكمة والنبوة فى بنى إسرائيل الذى هو يعقوب ولد إسحق ..؟!

الآية الثالثة :

﴿ وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ﴾ .[١٩]

الآية الرابعة :

﴿ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه . ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾[٢٠]

الآية الخامسة :

﴿ ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة **لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون** ﴾[٢١]

واستهدفوا من هذا الآيات مايأتى :

أولاً : إذا كان الإنجيل والتوراة بهذه الدرجة فما حاجة الناس إلى كتاب سواهما ؟

ثانيا : أن الإنجيل والتوراة ليسا محرفين بشهادة القرآن نفسه . ثم يقولون « مادام الله قد حصر الكتاب والنبوة فى بنى إسرائيل كما ترى جليا من التوراة والإنجيل . وكما يصرح القرآن فأنى يحق لنا أن ننتظر نبياً خارجا عنهم .؟! . وإذا كان الله قد حصر البركة لأمم الأرض فيهم فأنى يحق لنا أن نرجوها من دونهم » ؟![٢٢]

---

١٩ ــ المائدة (٤٧) .

٢٠ ــ المائدة (٤٨) .

٢١ ــ الأنعام (١٥٤) .

٢٢ ــ الباكورة الشهية (١٩٧) .

وبعد هذا فكأنهم أرادوا أن يحرجونا ويحملونا على أحد الأمرَّين إذ يقولون مامعناه :

وعليه فلا مندوحة من أحد أمرين : إما أن نسلم بأن محمدا ــ ﷺ ــ غير مقصود بالنبوة مطلقا . وإما أن نغالط التوراة والقرآن معاً .؟!

ومعنى هذا :

إما أن نسلم بأن محمداً ــ ﷺ ــ ليس برسول..؟!
أو نسلم لهم بأننا نكذب التوراة ، ونغالط القرآن ..؟!

هذا تصوير أمين وموجز لما حاوله القوم حول أكاذيبهم الثلاث التى تقدم ذكرها وهى :

١ ــ حصر النبوة والعهد فى نسل إسحق وحده ..؟!

٢ ــ اختصاص ذرية إسحق بالبركة والنماء والسيادة ..؟!

٣ ــ كون الذبيح هو إسحق لا إسماعيل ..؟!

ونلفت نظر القارىء الكريم ــ قبل الأخذ فى الرد على هذه الأكاذيب ــ أن استدلالهم بالقرآن كان منصبا على الأكذوبتين الأوليين وهما : حصر النبوة والعهد فى ذرية إسحق ، وحصر البركة والنماء والسيادة فيهم . أما الأكذوبة الثالثة وهى كون الذبيح من ولدى إبراهيم هو إسحق فلا علاقة لها بهذا الاستدلال .

وبعد هذا التصوير الأمين لكل ماورد فى الرواية الهزلية حول هذه الأكاذيب ، فلنتصد لهذا الباطل الذى ذكروه ، ليجىء الحق ، ويزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا .

الفصل الثالث

بطلان أكاذيبهم والتدليل عليه

لايقع فى عقل عاقل أن ماذكره ا لقوم صحيح . بل هو محض افتراء . والأدلة على بطلانه كثيرة ومتعددة . ومنها نصوص واردة فى كتابهم الذى يدعونه ــ زوراً ــ مقدسا . وإليك البيان :

بطلان الأكذوبة الأولى والأكذوبة الثانية :

غير خاف عليك أن أولى أكاذيبهم هى دعوى حصر النبوة والرساله والحكم والعهد فى ذرية إسحق دون إسماعيل . وأن أكذوبتهم الثانية هى حصر النماء والبركة والسيادة فى ذرية إسحق دون إسماعيل . وقد ورد فى توراتهم مايبطل هاتين الدعويين . ولكن القوم لم يقيموا له شأنا وها نحن نذكره مع بيان معانيه :

نعود إلى ذكر نص تقدم نقله وهو قول ملاك الرب لهاجر حين هربت من وجه سارة :

« تكثيراً أكثر نسلك فلا يحصون من الكثرة .. ها أنت حبلى فتدلين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل ؛ لأن الرب قد سمع لمذلتك ، وأنه يكون إنسانا وحشيا (قويا) يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه . وأمام جميع إخوته يسكن »

هذا النص لم يقم له مؤلفو الرواية الهزلية أى شأن . ومن قبل حرفه معدلو التوراة ، فوضعوا « وحشيا » بدل « قويا » كما جعلوا الحرف « على » بدل الظرف « فوق » فى « يده على كل واحد » وحرفوا « ويد الكل به » إلى « ويد كل واحد عليه »

ومع هذه التحريفات فإن النص ــ على علاته ــ يرفع من قدر إسماعيل فقول الملاك : « تكثيراً أكثر نسلك فلا يحصون من الكثرة » فيه وعد بالنماء

والبركة ، وهو المعنى الذى ينفيه اليهود ــ رغم وجوده فى كتبهم ــ ويتابعهم فى هذا النفى واضعو الرواية الهزلية . وهذا النص له دلالة خطيرة هنا ذات شعبتين :

أولاهما : أنه ملزم لهم لوروده في كتبهم .

وثانيتهما : أنه ينفى نفيا قويا دعوى القوم بأن البركة والنماء لذرية إسحق دون ذرية إسماعيل . فهى إذن دعوى باطلة من واقع نصوصهم المقدسة . هذه واحدة . أما الثانية فإن قول ملاك الرب « ويكون إنسانا « وحشيا » يده على كل واحد ويد كل واحد عليه »

فمعناه أن إسماعيل وذريته يألفون كل الناس ، و كل الناس يألفونهم وليس معناه العداوة كما يريد محرفو التوراة من عبارتهم . أما على ماقلنا أنه كان شائعا فى النسخ القديمة من التوراة ، والتى نقل عنها علماء كثيرون فى القرن السابع الهجرى وهو : « يده فوق كل أحد ، ويد الكل به « فإن معناه : ريادة إسماعيل وذريته لكل الناس ، وقوة الناس لاتحصل إلا باتباع إسماعيل وذريته . وهذا المعنى قد تحقق على أجلي صورة بمبعث خاتم الرسل محمد (ﷺ) . حيث ختم الله به رسالات السماء وجعل الدين الذى بعث به هو دين الله الذى ارتضاه لعباده على نحو ماجاء فى قوله تعالى :

﴿ اليومَ أكلمتُ لكم دينكم ، وأتممتُ عليكُم نعمتى ، ورضيتُ لكم الإسلام دينا ﴾[1]

وقوله تعالى :

﴿ إن الدينَ عند الله الإسلام ﴾[2] وقوله تعالى :

﴿ ومن يبتغِ غيرَ الإسلامِ ديناً فلن يُقبلَ منه ، وهو فى الآخرة من

---

١ ــ المائدة آية ٣ .

(٢)ــ آل عمران آية ١٩ .

الخاسرين ﴾ (٣)

أما معنى « وحشيا » فعلى فرض صحة هذه العبارة ومجاراتنا لهم فيها فإنها تعنى : « القوة والشجاعة » ولم يعرف فى تاريخ الرسالات مثل الجهاد الذى جاهده « الإسماعيليون » فى نشر الحق والدفاع عنه وَدَكٌّ معاقل الظلم (دولتا الفرس والروم) ، وكذلك تعنى معنى المتأبد أى المقيم وحده أو الفريد . ومعلوم أن إسماعيل أقام وحده بمكة قبل أن تنضم إليه قبائل جرهم . أو هو الفريد المتميز ؛ لأن دور ذريته فى الحياة لم يكن مثله دور فى الحياة أبداً . وأعنى به الإسلام الذى اختار الله رسوله منهم . كما اختار أنصاره منهم . وجعل المكان الذى نفى إليه إسماعيل وأمه هاجر أول بيت وضع للناس مباركا وهدىً للعالمين . وما تزال ـــ ولن تزال ـــ ملايين القلوب تحجه وتعمره فى كل حين ..؟!

وبقيت فى النص عبارة هى :

« وأمام جميع إخوته يسكن » ودلالة هذه العبارة بلا أدنى نزاع الإشارة إلى « إمامة إسماعيل » (عليه السلام) وتلك « الإمامة » قد تحققت بمبعث محمد (ﷺ) وتسلم بنو إسماعيل بهذا المبعث لواء القيادة والريادة إلى يوم الدين .؟!

فهل بعد ذلك يقال : إن إسماعيل وذريته محرومون من القيادة والبركة والنماء وأنها أمور مخصوصة بإسحق وذرية إسحق ؟!
ما أوهى هذه الدعوى ومأأبطلها ..؟!

ويأتى نص آخر فى التوراة يعتبر توكيداً لمعنى النص المتقدم وفيه يقول الله ـــ حسب رواية التوراة ـــ لإبراهيم (عليه السلام) .

« وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . هاأنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً

٣ ـــ آل عمران آية ٨٥ .

جداً (؟!) اثنى عشر رئيسا يلد . وأجعله أمة كبيرة » [٤]

هذا ماتقوله التوراة عن إسماعيل (عليه السلام) رغم بغض أهل التوراة ـــ اليهود ـــ لإسماعيل . ورغم التعديلات الكثيرة التى خضعت لها من أجل رفع إسحق وذريته ، وخفض إسماعيل وذريته . فمن يدرى بحقيقة النص أو النصوص الواردة فى التوراة عن إسماعيل ؟! الله وحده يعلم حقيقة ذلك ؟!

وأنت ترى أن هذه النصوص الباقية بعد التحريف والتبديل ، أنها نصوص قوية جداً .

الله فيها يبارك إسماعيل ويثمره ويكثره جداً (هكذا) فيلد اثنى عشر رئيس قبيلة ، ويجعل ذريته أمة كبيرة . هذا ماتقوله النسخة العربية التى بين أيدينا ـــ الآن ـــ على أن نسخا أخرى ورد فيها النص هكذا « وأجعله أمة عظيمة » وقد نقل عنها مؤلفو الرواية الهزلية هذا الوصف . وسواء كانت العبارة : أمة كبيرة ، أو أمة عظيمة . فإن حجم فضل الله فيها على إسماعيل عظيم جداً .

وهذا النص ـــ كسابقه ـــ ملزم للقوم ، وحجة عليهم ، لوروده فى كتبهم المقدسة وهذه إحدى دلالتيه .

أما الدلالة الثانية : فهو بطلان دعوى القوم أن إسحق وحده ، هو الذى يدعى لإبراهيم به نسل وذرية . بل إن إسماعيل هو أيضا يدعى به لأبيه إبراهيم نسل وذرية . بل أعظم نسل وأعظم ذرية تملكت (بإذن الله) حق الريادة والتوجيه الإلهى بعد توقف دور إسحق وذريته ، وسيظل هذا الشرف فيها إلى قيام الساعة .

وأمامنا الآن حقيقة أخرى يحسن بنا أن نذكرها أولاً . ثم نقيم عليها دليلها ثانيا .

---

٤ ـــ سفر التكوين (١٧ ـــ ٢٠) وهو النص الذى أرجأنا ذكره قبلا ووعدنا بذكره عند مجىء مناسبته .

أما الحقيقة فهى : أن تحقق النماء والتبريك لإسماعيل وذريته كان أسرع حصولاً من تحقق النماء والتبريك لإسحق وذريته ؟! هذه هى الحقيقة .

وأما الدليل فلن نقيمه إلا من التوراة نفسها التى مع تعديل نصوصها بما يرفع شأن إسحق وذريته على إسماعيل وذريته ، فإنها ماتزال فى بعض مواضعها تشهد على كذب القوم فيما يدعون .

ففى الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين ابتداء من الفقرة (١٢) إلى الفقرة (١٦) تذكر التوراة أبناء إسماعيل الاثنى عشر على الوجه الآتى :

« نبايوت بكر إسماعيل . وقيدار وأدبئيل ، ومبسام ، ومشماع ودومة ، ومسا ، وحدار ، وتيما ، ويطور ، ونافيش وقدمه »

وتضيف التوراة قائلة :

« هؤلاء هم بنو إسماعيل . وهذه أسماؤهم بديارهم وحصونهم اثنا عشر رئيسا حسب قبائلهم »

فإسماعيل أنجب من ظهره اثنى عشر ولداً ، كل منهم أبو قبيلة ورئيسها ولم تضف التوراة إلى أى منهم سوء . أو تحكم عليه بالضياع ؟!

أما ماتذكره التوراة عن إسحق فإنه لم ينجب غير ولدين : يعقوب وعيسو ، وقد مرت قصتهما قبلا . حيث نسبت التوراة إلى يعقوب المكر والخداع فى حصوله على عهد النبوة من أبيه إسحق ، ونسبت إلى إسحق نفسه الغفلة ــ وهو نبى ــ فى أخطر مسئوليات الرسالة إذ أعطى العهد والنبوة ــ على غفلة منه وتدليس ــ إلى يعقوب ، وكان قد وعد بها ابنه عيسو ، الذى حكمت عليه التوراة بالضياع فى نهاية الأمر ، وجعلته عبد العبيد هو وذريته ليعقوب ونسله ؟!

فأيهما كان أقرب إلى البركة والنماء الذى أنجب اثنى عشر كلهم رؤساء

قبائل (إسماعيل) أم الذى أنجب اثنين أحدهما ضائع (إسحق) ؟!

صحيح أن يعقوب (عليه السلام) أنجب اثنى عشر ، ونحن لانقارن بين العم (إسماعيل) وابن أخيه (يعقوب) وإنما نقارن بين الأخوين (إسماعيل وإسحق) اللذين تفاضل التوراة بينهما ؟!

فها نحن ــ حتى الآن ــ لم نخرج عن محيط التوراة ، وقد بَيَّنَّا فى وضوح ويقين بطلان الأكذوبة الثانية ، التى يقول فيها واضعو الرواية الهزلية : إن البركة والنماء أمر مقصور على إسحق وذريته الذى به وحده يدعى لإبراهيم نسل . أبطلنا هذه الأكذوبة بنصوص التوراة نفسها .

وإذا بطلت الأكذوبة الثانية بطلت الأولى القاضية بأن النبوة والعهد خاص بإسحق وذريته ؛ لأن الأكذوبتين متداخلتان وبطلان إحداهما يقتضى بطلان الأخرى لامحالة . وقد أشرنا قبلا إلى بطلان الأكذوبة الأولى حين ذكرنا النص الثانى المنقول عن التوراة والذى وصف فيه إسماعيل بعلو اليد وكونه سيكون أمة عظيمة يسكن أمام جميع إخوته .

ثانيا : نصوصنا من القرآن الأمين :

لاحاجة بنا بعد ماتقدم إلى دليل آخر لبطلان دعاوى القوم . فإن نصوصهم ــ وحدها ــ كافية فى تكذيبهم وكشف زيفهم كما وضحنا .

ولكن القوم ــ من سوء حظهم التعس ــ قد تجرأوا على آيات من القرآن الكريم ، وتوهموا أنها نافعة لهم فى استدلالهم على باطلهم . لهذا آثرنا أن نواجههم بماليس لهم به طاقة . وقد قلنا مراراً أننا لو استعملنا معهم هذا السلاح (القرآن العظيم) لحققنا الانتصار عليهم من أول جولة ، ولما طالت بنا المعركة إلى هذا الحد .؟!

ومادام القوم قد أكرهونا على أن نشهر فى وجوههم هذا السلاح ــ إن كان لهم وجوه باقية إلى الآن ــ فليروا منا مايرون ، وهم الجانون على

أنفسهم ، الظالمون لها من قبل ومن بعد .؟!

ونقول ـــ ابتداءً ـــ ليس فى القرآن الكريم آية واحدة حجة للقوم بل كل مافيه حجج عليهم . وإليك أو إليهم البيان :

الآيات التى ذكروها

قدمنا أن واضعى الرواية الهزلية استشهدوا فى هذا الفرع بخمس آيات من القرآن الكريم ، آثرنا أن نبدأ بمناقشتها على الترتيب الآتى :

أولاً : آية الجاثية وهى قوله تعالى :

﴿ ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحُكمَ والنبوةَ ، ورزقناهم من الطيباتِ وفضلناهم على العالمين ﴾

توهم واضعو الرواية بأن هذه الآية تفيدهم فى دعواهم اختصاص بنى إسرائيل ـــ وهو يعقوب بن إسحق ـــ بالوحى والنبوة والحكم ، وأفضليتهم على جميع مخلوقات الله . ومنهم إسماعيل وذريته .

والأمر ليس كذلك .

فبالنسبة لدعوى اختصاصهم بالوحى ـــ الكتاب ـــ والنبوة والحكم . فإن الآية لا تفيد هذا المعنى أبداً لا من حيث الأسلوب ولا من حيث الواقع .

فأسلوب الآية خبرى يفيد أن الله آتى بنى إسرائيل كتابا وحكما ، وبعث فيهم أنبياء ولاتفيد من حيث الأسلوب قصر هذه المعانى عليهم . ويتضح هذا مما يأتى :

إذا قال قائل : **أعطيت فلانا كتابا**. فإن هذه العبارة لاتفيد أكثر من إعطاء فلان كتابا . ولا مانع أن يكون المتكلم قد أعطى غيره كتابا مثله ، ولم يذكره ؛ لأن المقام لايقتضى ذكره .

أما إذا قال : ماأعطيت أحداً كتابا إلا فلانا . فإن هذه العبارة تفيد قصر

إعطاء الكتاب على « فلان » وحده .

وطريق العبارة الأولى هو طريق الآية الكريمة ، فى أن كلا منهما من حيث الصياغة إنما تفيدان أصل الخبر ، ولاتفيدان قصره على المعمول (بنى إسرائيل ــ فلانا ــ) أبداً وإنما كانت الآية تفيد هذا المعنى ، لو كانت صياغتها هكذا : ماآتينا الكتاب والحكم والنبوة إلا بنى إسرائيل . وهذا مالم يقله القرآن أبداً ..

وينفى الواقع النبوى دعوى اختصاص بنى إسرائيل بالنبوة ، كما نفاها الواقع الأسلوبى للآية الكريمة .

وقد وقفنا على طريقة نفى الأسلوب فى الآية الكريمة لدعوى الاختصاص هذه . فما هى دلالة الواقع النبوى على نفيها .. ؟!

إن التوراة نفسها ــ على علاتها ــ تنفى دعوى الاختصاص تلك . فقد ذكرت خمسة رسل من غير بنى إسرائيل . وهم **ملكى صادق** ، **ويثرون** الذى يغلب عند الباحثين أنه شعيب (عليه السلام) صهر موسى . **وبلعام** الذى نصر عبادة الله على عبادة بعل ، وأصله من العراق . ثم **أيوب** [٥] (عليه السلام) . وبقى النبى يونس (عليه السلام) الذى تسميه التوراة يونان وتضع سفره وسفر أيوب ضمن أسفار العهد القديم ، وليس واحد منهم نبياً إلى بنى إسرائيل . أو من بنى إسرائيل فهؤلاء خمسة : أنبياء ، ورد ذكرهم فى التوراة من غير بنى إسرائيل ، ونحن نضيف إليهم ثلاثة آخرين :

أولهم إسماعيل نفسه فهو رسول من غير نسل إسحق ومن غير نسل يعقوب (إسرائيل) وإن كان رسولاً إلى بنى إسرائيل .

ثم نبى الله هود المبعوث إلى عاد . ونبى الله صالح المرسل إلى ثمود . هؤلاء الأنبياء الثمانية ليس واحداً منهم من بنى إسرائيل . فكيف يقال إن الكتاب

---

٥ ــ أيوب من ولد عيسو بن إسحق وليس من نسل يعقوب المسى إسرائيل ؟ .

والنبوة محصوران فى بنى إسرائيل . ومعنى الحصر أن لايبعث الله رسولا من غيرهم لا إلى غيرهم ولا إليهم أنفسهم ؟! فدعوى الاختصاص مع ثبوث هذه النبوات مرفوضة باطلة ..؟!

أما دعوى اختصاص الحكم ببنى إسرائيل فمردودة كما ردت دعوى اختصاص النبوة وبنفس الأدلة : فكل رسول بعث من غير بنى إسرائيل سواء كان لهم أو لغيرهم كاان صاحب حكم وسلطان .

بل إن اليهود أنفسهم قد خضعوا لحكام أجنبيين عنهم ، ووقعوا فى أسر خصومهم وهدم هيكلهم مرات قبل الميلاد وبعده . أذلهم بختنصر ، وسنحاريب ، وفرعون مصر وقياصرة الروم . فلو كان الله وعدهم حقا باختصاص الحكم لأوفى لهم بوعده فالله لايخلف وعده ، ولجعلهم سلاطين العالم فى كل زمان ومكان . فكيف ذلك وهم لم يملكوا أمر أنفسهم على مدى مراحل طويلة من التاريخ ، وتعرضوا لكثير من الكوارث إلى العصر الحديث .

أما الحكم المشار إليه فى الآية الكريمة على ماأصابه من صدوع قبل بعثة محمد (ﷺ) بسبب خروج بنى إسرائيل من طاعة ربهم ، فإنه زال إلى الأبد بعد بعثة رسول الإسلام (ﷺ) وانتقال الريادة والتوجيه الحق إلى بنى إسماعيل (عليه السلام) .

أما دعوى أفضلية بنى إسرائيل على العالمين فهذا أمر نسبى المراد منه عالمو زمانهم . لا كل العالمين فى كل زمان ومكان . وذلك التفضيل كان بكثرة بعث الرسل فيهم ، ولكنهم لم يرعوا تلك النعمة فأصبحت أثراً بعد عين .

إن الآية الكريمة إنما تحدثت عن وقائع تاريخية انقضى زمانها حين نزولها . وليس معناها مايدعيه القوم من الاختصاص والاستمرار .

دلالة الآية مع جاراتها

واضعو الرواية الهزلية ـــ كغيرهم من المبشرين ـــ عندما يستشهدون

بنص قرآني لايذكرون النص كاملاً ، بل يذكرون منه ما يستطيعون إيهام القارىء أنه دليل لهم . ولو ذكروا النص كاملا لما استطاعوا ذلك الإيهام ، بل لأقاموا الحجة على أنفسهم مستعصية على كل جدل .

ولهم في ذلك طريقتان :

إحداهما : أن يحذفوا من الآية مالا يوافق هواهم سواء كان ذلك المحذوف أول الآية أو وسطها أو آخرها .؟!

والثانية : أن يذكروا آية أو آيتين من مجموع آيات تتحدث عن موضوع واحد . ثم يحذفوا ماعداها ؛ لأن فيه حجة عليهم . وهذا منهج باطل في البحث والاستدلال ، ولكنه مرضى عندهم ؛ لأنهم لايهمهم الوصول إلى الحقيقة ، ولا ذلك من شأنهم ، إذ يريدون المغالطة والتشويش ولا شيء عداهما .

والطريقة الثانية هي التي اتبعوها في الاستدلال بالآية المذكورة وهانحن أولاء نذكر الآية مع جاراتها ليقف القارىء معنا على سوء صنيع القوم وتواريهم وراء باطلهم . وفيما يلي نص الآيات كاملا :

﴿ ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحُكْمَ والنبوةَ ورزقناهم من الطيبات وفضلناهُم على العالمين . وآتيناهُم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ماجاءهم العلمُ بغياً بينهم . إن ربك يقضي بينهم يوم القيامةِ فيما كانوا فيه يختلفون . ثم جعلناك على شريعة من الأمرِ فاتبعها ولاتتبع أهواءَ الذين لايعلمون . إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً ، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾ (٦)

لم يذكر واضعو الرواية الهزلية هذه الآيات ؛ لأنهم لو ذكروها لفضحوا أنفسهم وأدانوها أمام قارىء يجهدون أنفسهم ليوهموه أنهم على حق ..؟!

---

٦ ــ الجاثية (١٦ ــ ١٩) .

إن القوم فى هذا الفرع يدعون استمرار أفضلية بنى إسرائيل وحصر النبوة والحكم فيهم . ولكن الآيات التى لم يذكروها تنسب إلى بنى إسرائيل البغى والاختلاف ، وانتهاك حرمة الأمانة والعلم . وفى هذا نقض لأصل الدعوى التى يدعونها ..؟!

والقوم يدعون أن محمداً ليس رسولاً . ؟! والآيات التى لم يذكروها تنص فى صراحة على أنه رسول ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ﴾ وهذا نقض ثان للدعوى التى يدعونها .

ثم تنسب الآيات التى لم يذكروها إلى بنى إسرائيل أنهم أصحاب أهواء ويأمر الله رسوله بالإعراض عنهم ، ويخبره بأنهم ظالمون تولوا ظالمين مثلهم — مشركى العرب — وأن الله ليس وَلِيَّهُمْ وإنما هو ولى المتقين فهم إذن غير متقين . ولهذه الأسباب كلها حذف أولئك الهازلون تلك الآيات . وكفى بذلك إفكا ..؟!

ودفاعهم عن التوراة والأناجيل

عاد القوم — هنا — يدافعون عن سلامة التوراة والأناجيل بآيات من القرآن الحكيم ذكرنا منها ثلاثا فى حديثنا عن تصوير مدعاهم . الأولى والثانية هما آيتا (٤٦ — ٤٧) من سورة المائدة ، وهم لم يذكروا منها إلا قوله تعالى ﴿ نور وهدىً وموعظة للمتقين ﴾

وهانحن أولاء نذكر نصوص الآيات كلها التى منها الآيتان المشار إليهما ليرى القارىء كيف يتلاعب هؤلاء الهازلون ويعبثون بحرمات النصوص على طريقتهم فى تحريف الألفاظ والمعانى : « الآيات من ٤١ — ٤٨ » المائدة يقول تعالى : ﴿ ياأيها الرسولُ لايحزُنْك الذين يُسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواهِهم ولم تؤمن قُلُوبهم .[٧] **ومن الذينَ هادُوا سماعون للكذبِ سماعونَ لقومٍ آخرين** لم يأتوك ، **يُحرِفونَ الكلمَ من بعد** مواضعه : يقولون إن

٧ — هم المنافقون .

أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يُردِ الله فتنتهُ فلن تملكَ له من الله شيئا . **أولئك الذين لم يرد الله أن** يطهر قلوبهم . **لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذابٌ عظيم . سَمَّاعُون للكذب أكَّالُونَ للسحت** فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم . وإن تُعرض عنهم فلن يَضروك شيئاً . وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يُحب المقسطين . وكيف يُحَكِّمُونَك وعندهم التوراةُ فيها حُكْمُ اللهِ **ثم يتولون من بعد ذلك . وماأولئك بالمؤمنين** . إنا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيونَ والأحبارُ بما استحفظوا من كتابِ الله وكانوا عليه شهداء . **فلا** تخشوْا الناس وَاخْشَوْنِ ولاتشتروا بآياتى ثمنا قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله **فأولئك هم الكافرون** . وكتبنا عليهم فيها أن النفسَ بالنفسِ والعينَ بالعينِ والأنفَ بالأنِفِ والأذنَ بالأذنِ والسِّنَّ بالسِّنِّ والجروحَ قصاص . فمن تصدق به فهو كفارة له . **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** .

وَقَفَّيْنَا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين . وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** . وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق . لِكُلٍّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجا . ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾[8] صدق ربّ العالمين .

هذا هو النسق القرآنى الحكيم فى حديثه عن اليهود والنصارى ، وموقف كل منهم من الوحى الذى أنزله الله .

فاليهود حرفوا كتابهم ثم عطلوه عن العمل وفتحوا آذانهم لسماع الكذب

---

٨ ــ المائدة (٤١ ــ ٤٨) .

وفتحوا بطونهم لأكل السحت وتولوا عن الوحى الصادق وماأولئك بالمؤمنين . وبما أنهم لم يحكموا بما أنزل إليهم كانوا هم « الكافرون » وكانو هم « الظالمون » ؟! ولهم فى الدنيا خزى . ولهم فى الآخرة عذاب عظيم . أما النصارى أهل الإنجيل فقد وصفهم البيان القرآنى حين عَطَّلُوا الإنجيل ولم يحكموا بما أُنْزِل فيه **بأنهم هم الفاسقون** ؟!

وينتهى هذا النسق الحكيم بالحديث عن إنزال القرآن العظيم على خاتم المرسلين ووصفه بالهيمنة والسلطان على ماأنزله الله من قبل ، وحذر الله فيه رسوله وأمره أن لايتبع أهواء أهل الكتاب وثبته على الحق وعمل الخيرات ، وأن المرجع إلى الله وهو الذى سيفصل فى الخصومات يوم الدين فيرى المصيب جزاء صوابه ، ويرى الخاطىء سوء منقلبه .

وبدهى أن التوراة والإنجيل اللذين يتحدث عنهما القرآن ، ـــ هنا ـــ ليسا هما مابيد اليهود الآن ، ولا مابيد النصارى . وإنما يتحدث القرآن عن التوراة التى أنزلها الله على موسى ، وعن الإنجيل الذى أنزله الله على عيسى ؛ لأن كلا منهما موصوف فى القرآن بأن « فيه هدى ونور » والذى بيد أهل الكتابين الآن ليس فيه إلا الضلال والظلام ، والكفر والجهل .

وإذا كانت لدى واضعى الرواية الهزلية ، وغيرهم من المبشرين ، شجاعة أدبية فليذكروا النصوص كاملة ، وليلتزموا بما تقرره من حقائق . وماهم بفاعلين ولو اشتعلت بيوتهم ناراً ، وكفى بهذا باطلا وجبنا .

إننا حين واجهناهم فى هذه الدراسة لم نتهيب شيئا من نصوصهم بل عمدنا إلى أقواها فى نظرهم ، وسَلَّطْنا عليه من أشعة الحق ماأظهر كل مافيه من باطل وزيف . فلماذا يتهيبون هم كثيراً من نصوصنا .؟!

الجواب معروف . فنحن حين لم نتهيب شيئاً من نصوصهم دخلنا المعركة مسلمين . وخرجنا منها مسلمين ؟!

أما هم فلو عرضوا لكل نصوصنا لدخلوا يهوداً ومسيحيين ؟!

وخرجوا ــ رضوا أم كرهوا ــ مسلمين ؟!

إن كل نصوصهم لن تغير من عقيدتنا شيئا . أما نصوصنا نحن فسوف تغير من عقيدتهم كل شيء . فلا يبقى اليهودى أمامها يهودياً ولا المسيحى مسيحياً .

لهذا السبب وحده تهيبوا هم كثيراً من نصوصنا ، ولم نتهيب نحن شيئا من نصوصهم . ومن يسعى فى النور ليس كمن يتخبط فى حوالك الظلمات .

وللقوم تخريج مضحك لقوله تعالى : ﴿ يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾ لانحرم القارىء من ذكره ومن ردنا عليه . فهم بعد تسليمهم بالتحريف يقولون : إن المراد هو تحريف المعانى لا الألفاظ ..؟! يعنون أن كتابهم المقدس لم تحرف كلماته وإنما معانيه . أى أن النص الموجود الآن فى التوراة والأناجيل مصون من التحريف . هذا قولهم . أما نحن فنقول لهم :

إن لدينا آية أخرى من القرآن الحكيم الذى لجأتم إلى بعض آياته دليلا لكم . هذه الآية تقول فى صراحة وصدق :

﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مماكتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون ﴾ (٩)

وهذا معناه تحريف الكتاب نفسه بل تزويره كله ، لحمته وسداه ، ألفاظه ومعانيه . أفليس فى ذلك تسجيل شنيع على أسلافكم بتحريف الوحى وتزويره وأنه لم يصل إليكم إلا محرفا مزوراً محولاً عن جهته .. قولوا ماشئتم فلنا أعمالنا ولكم أعمالكم .

والآية الثالثة

أما الآية الثالثة التى استشهدوا بها على سلامة الكتاب المقدس من التحريف . وهم بصدد الحديث عن اختصاص إسحق وذريته بالنبوة فهى قوله

٩ ــ البقرة (٧٩) .

تعالى :

﴿ ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن ، وتفصيلا لكل شيء ، وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون ﴾ (١٠)

نعم . لقد آتى الله موسى الكتاب على هذه الصفات المذكورة ، وتلك عقيدتنا فى موسى (عليه السلام) وفى الوحى الذى أنزله الله إليه . أى التوراة الحق التى أخفاها اليهود . لا التوراة الزور التى أظهروها . ومع هذا فلا دليل لكم فى هذه الآية على دعوى الاختصاص المزعومة . ونسألكم لماذا لم تذكروا الآية التى تلت هذه الآية مباشرة وهى قوله تعالى بعدها ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾ ؟! (١١)

والجواب : إنكم لم تذكروها ؛ لأنها تقول : إن القرآن منزل من عند الله وإنه كتاب مبارك . وإنه واجب الاتباع . وإن اتباعه يدخل فى رحمة الله . ولو ذكرتم هذا للزمكم الاعتراف بنبوة محمد (ﷺ) ولو اعترفتم بها — وهو شرف عظيم حرمكم منه عنادكم — لهوت دعوى الاختصاص التى ترعدون وتزبدون بها . ومن أجل هذا وحده آثرتم « الكتمان » على « البوح » كما كتمتم وحى الله الحق إليكم .. ؟!

وكنتم كما قال الشاعر :

كالعيس فى البيداء يهلكها الظما والماء فوق ظهورها محمول ؟!

عود للدفاع عن دعوى الاختصاص

ذكر واضعو الرواية قوله تعالى ﴿ ووهبنا له إسحق ويعقوب ﴾ فى صدر الآيات التى استشهدوا بها — زوراً — على دعوى الاختصاص وقد آثرنا أن نجعلها آخراً فى المناقشة ؛ لأن الحديث فيها أطول من الرد على الآيات

١٠ — الأنعام (١٥٤) .

١١ — الأنعام (١٥٥) .

السابقة .

وقبل الإجابة عن سر تأخير إسماعيل فى هذه الآية فى الذكر وتقديم إسحق ويعقوب (عليهم جميعاً سلام الله) فإننا نذكر المنهج القرانى فى الحديث عن إسماعيل وإسحق إذا اجتمعا فى موضع واحد . فذلك خير عون لنا لتجلية السر وبيان الحكمة فيما ورد فنقول وبالله التوفيق .

لم يذكر القرآن الحكيم إسماعيل وإسحق فى مقام واحد معاً إلا وقدم ذكر إسماعيل على ذكر إسحق إلا فى أربعة مواضع ، فقد أخر ذكر إسماعيل على ذكر إسحق فيها ، ولكل من التقديم والتأخير حكمة ، وسر يدركه من يحسن فهم كتاب الله ، ويُعمل فكره فى استكناه مراميه . وهذا يتبين بوضوح من النسق الحكيم الآتى :

(١) : ﴿ أم كنتم شهداء إذا حضرَ يعقوبَ الموتُ إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى ؟ قالوا نعبدُ إلهكَ وإله آبائِكَ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحق إلهَاً واحد ، ونحن له مسلمون ﴾ [١٢]

(٢) : ﴿ قولوا آمنا بالله ، ومأأُنزل إلينا ، ومأأُنزل إلى إبراهيم وإسماعيلَ وإسحقَ ويعقوبَ والأسباطِ ، ومأأُوتى موسى وعيسى ، ومأأوتى النبيونَ من ربهم لانفرقُ بين أحدٍ منهم ، ونحن له مسلمون ﴾ [١٣]

(٣) : ﴿ أم تقولونَ إن إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحقَ ويعقوبَ والأسباطَ كانوا هوداً أو نصارى ؟! قل أأنتم أعلم أم الله ؟! ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ؟! ومالله بغافل عما تعلمون ﴾ [١٤]

(٤) : ﴿ قل آمنا بالله ومأأنزل علينا ، ومأأنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق

---

١٢ ــ البقرة (١٣٣) .

١٣ ــ البقرة (١٣٦) .

١ ــ البقرة (١٤٠) .

ويعقوب والأسباط ، ومآأوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون ﴾ [١٥]

(٥) : ﴿ إنا أوحينا إليكَ كما أوحينا إلي نوح والنبيين من بعده . وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ﴾ [١٦]

(٦) : ﴿ الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحق إن ربى لسميع الدعاء ﴾ [١٧]

فى هذه الآيات الست اجتمع إسماعيل وإسحق فى الذكر . وقدم إسماعيل على إسحق فيه . بل إن بنى يعقوب أجابوه عند موته حين سألهم : من تعبدون من بعدى ؟ فقالوا : ﴿ نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً .. ﴾ .

فقدموا ذكر إسماعيل ــ مع أن عم يعقوب ــ على ذكر إسحق ــ وهو أب مباشر ليعقوب (عليهم صلوات الله وسلامه) . فالقرآن لم ينتقص من قدر إسماعيل شيئا حتى يقول واضعو الرواية الهزلية إن إسحق أعظم شأنا عند الله من إسماعيل .

أما المواضع الأربعة التى أخر فيها ذكر إسماعيل على ذكر إسحق فهى

(١) : ﴿ وتلكَ حُجتُنَا آتيناها إبراهيمَ على قومهِ نَرْفَعُ درجاتٍ من نشاء إن ربك حكيم عليم . ووهبنا لهُ إسحقَ ويعقوب كلاً هدينا . ونوحاً هدينا من قبل . ومن ذُريته داودَ وسليمانَ وأيوبَ ويُوسفَ وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين ، وزكريا وَيَحْيىَ وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل وَالْيَسَعَ

---

١٥ ــ آل عمران (٨٤) .

١٦ ــ النساء (١٦٣) .

١٧ ــ إبراهيم (٣٩) .

ويُونُسَ ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين ﴾ [١٨]

(٢) : ﴿ فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب وكلاً جعلنا نبيا ﴾ [١٩]

(٣) : ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيا ﴾ [٢٠]

(٤) : ﴿ ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة ، وكلا جعلنا صالحين ﴾ [٢١] .

(٥) : ﴿ وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين ﴾ [٢٢] .

(٦) : ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار ﴾ [٢٣] .

(٧) : ﴿ واذكر إسماعيل وَالْيَسَعَ وذا الكِفْلِ وَكُلٌّ من الأخيار ﴾ [٢٤] .

فى هذه المواضع الأربعة قدم ذكر إسحق على ذكر إسماعيل (عليهما السلام) وليس فى هذا التقديم والتأخير مايتزيد فى حق رسول و ينتقص فى حق رسول آخر بل لكل منهما أسباب اقتضته . وذلك على النحو الآتى :

أولاً : إذا كان الحديث من الله بالامتنان على إبراهيم بوهبه إياه ولداً فإن المقام قد اقتضى تقديم ذكر إسحق ــ ومعه يعقوب ــ لأن فضل الهبة فى إسحق أظهر حيث رزق الله إبراهيم ابنه إسحق فى زمن شيخوخة إبراهيم وزوجه سارة والإنجاب فى زمن الشيخوخة وجه الإنعام فيه أبين . والتوراة نفسها تذكر أن عمر إبراهيم حين أنجب إسحق كان مائة عام . بينما كان عمره حين أنجب ابنه

١٨ ــ الأنعام (٨٣ ــ ٨٦) .
١٩ ــ مريم (٤٩) .
٢٠ ــ مريم (٥٤) .
٢١ ــ الأنبياء (٧٢) .
٢٢ ــ الأنبياء (٨٥) .
٢٣ ــ ص (٤٥) .
٢٤ ــ ص (٤٨) .

إسماعيل ستة وثمانين عاما .

والقرآن الحكيم يخبرنا بأن إبراهيم حين أنجب إسماعيل كان يأنس من نفسه « بيولوجيا » القدرة على الإنجاب ، وحين أنجب إسحق كان يأنس من نفسه العجز التام عن الإنجاب . ودليل ذلك مايأتى :

فقد جاء فيه عن إنجاب إسماعيل (عليه السلام) :

﴿ وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين . رب هب لى من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم ﴾ .(٢٥)

قال إبراهيم (عليه السلام) بعد إنجاء الله له من النار ، ويأسه من هداية قومه وأنت تراه فى هذه الآيات يطلب من الله أن يرزقه ولداً صالحاً . فهو إذن شاعر بقدرته على الإنجاب من حيث الأسباب البشرية . وحين بشره الله بالغلام الحليم لم يستنكر إبراهيم من شأن البشارة شيئا .

أما عند إنجابه إسحق فالوضع مختلف جدا . وهذا مايصوره لنا القرآن الكريم فى صدق وأمانة ، ففى سورة هود جاء قوله تعالى :

﴿ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى ، قالوا : سلاما ، قال : سلام ، فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيديهم لاتصل إليهم نكرهم ، وأوجس منهم خيفة . قالوا : لاتخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط . وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب . قالت ياويلتا ! أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ! إن هذا لشيء عجيب . قالوا : أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ، إنه حميد مجيد ﴾ .(٢٦)

وفى سورة الحجر جاء قوله تعالى :

﴿ ونبئهم عن ضيف إبراهيم . إذ دخلوا عليه فقالوا : سلاما ، قال : إنا

---

٢٥ ــ الصافات (٩٩ ــ ١٠٠) .

٢٦ ــ هود الآيات (٦٩ ــ ٧٣) وانظر معها الذاريات آيات (٢٤ ــ ٣٠) .

منكم وجلون . قالوا : لاتوجل إنا نبشرك بغلام عليم . قال : أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون . قالوا : بشرناك بالحق فلاتكن من القانطين ﴾ .(٢٧)

فى آيات هود المتقدمة تعجبت امرأة إبراهيم من إنجابها إسحق ؛ لأنها عجوز وبعلها قد شاخ وهرم . وكذلك فى آيات الذاريات المشار إليها فى الهامش .

وفى آيات الحجر تعجب إبراهيم نفسه (عليه السلام) من تبشير الملائكة : إياه بإنجابه غلاماً وعزا تعجبه إلى ماهو عليه من شيخوخة وضعف بشرى . وهذا الاختلاف بين الزمنين . زمن إنجاب إسماعيل . ثم زمن إنجاب إسحق يجعلنا نرتاب فيما ذكرته التوراة من أن إبراهيم أنجب إسماعيل وعمره ست وثمانون سنة . بفارق أربع عشرة سنة بين مولدى إسماعيل وإسحق ، ونرجح أن مولد إسماعيل كان قبل هذا الزمن الذى تحدده التوراة . فإبراهيم حين أنجب إسماعيل كان مكتمل القدرة على الإنجاب . وهذا يقوى من احتمال أن مولد إسماعيل كان فى وقت مبكر من حياة إبراهيم على الموعد الذى حددته التوراة .

وأيا كان الأمر فإن إنجاب إبراهيم وزوجه سارة فى حال الشيخوخة ولدهما إسحق أدخل فى باب « الهبة » من مولد إسماعيل .

ولهذا حرص القرآن على تقديم ذكر إسحق على إسماعيل فى كل موضع كان المراد منه تذكير إبراهيم بهبة الله إليه . وهذا يفسر لنا فى اطمئنان سر تقديم إسحق على إسماعيل فى نصوص : الأنعام ومريم والأنبياء المتقدمة .

ولايقدح فى هذا التوجيه قول إبراهيم فى سورة « إبراهيم » : ﴿ الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحق ﴾ ... فإبراهيم هنا حامد شاكر ، والحامد يحمد كل النعم ؛ لأنه فى مقام الاعتراف بفضل المنعم فيها . ومعلوم أن توجيهنا المتقدم مخصوص بكلام الله « الخالص » لا المحكى عن

٢٧ ــ الآيات (٥٢ ــ ٥٤) .

إبراهيم (عليه السلام) .

تقديم إسحق فى سورة « ص »

بقى تقديم إسحق على إسماعيل فى سورة « ص » وهذا لايعنى تفضيل المقدم عن المؤخر وإلا للزم القول بتفضيل داود (عليه السلام) ؛ لأنه أول من ذكر فيها على كثير من إخوانه الرسل ، ومنهم إبراهيم (عليه السلام) ؛ لأنه من « أواخر من ذكر فيها » وإبراهيم أبو الأنبياء جميعاً ومحال أن يكون من ذكر قبله وهم : داود وسليمان وأيوب أفضل منه ، لأنه « خليل الرحمن » ومع هذه المنزلة الرفيعة لإبراهيم (عليه السلام) فقد اقتضى النسق القرآنى الحكيم أن يأتى ذكره بعد ثلاثة من ذريته .(٢٨)

وبناء على هذا فإن تقديم إسحق فى هذه السورة على إسماعيل لايعنى تفضيله عليه . بل ذلك يرجع إلى حكمة يعلمها الله يقينا . وقد أشار الإمام أبو السعود فى تفسيره إلى وجه إفراد إسماعيل عن أبيه وأخيه إسحق فى سورة « ص » فقال :

« فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه للإشعار بعراقته فى الصبر الذى هو المقصود بالتذكير » .(٢٩)

هذا مامنَّ الله به فى دحض الأكذوبتين الأولى والثانية وهما : دعوى اختصاص إسحق وذريته بالنبوة والعهد . ودعوى اختصاصه بالنماء والبركة . وقد وضح أن هاتين الدعويين باطلتان من ثلاث جهات : الواقع النبوى . والواقع النصى للتوراة نفسها . والواقع النصى للقرآن الحكيم .(٣٠)

---

٢٨ ــ راجع آيات « ص » من آية (١٧) إلى آية (٤٦) .

٢٩ ــ انظر الجزء الرابع من تفسيره (٤٤٥) .

٣٠ ــ لم نذكر النصوص القرآنية الخاصة بإسماعيل واقتصرنا على موضع الخصومة بيننا وبين القوم .

وبقى موضع واحد ذكر فيه إسحق ويعقوب (عليهما السلام) فى معرض الهبة . ولم يذكر إسماعيل (عليه السلام) لا قبلا ولا بعدا . وبهذا يختلف هذا الموضع عن المواضع الأربعة السابقة الواردة فى معرض الهبة ، ففيها فصل ذكر إسماعيل (عليه السلام) عن أبيه وأخيه إسحق . وجاء تاليا لذكرهما أما فى هذا الموضع فلم يذكر إسماعيل قطعا .

هذا الموضع خاص بسورة العنكبوت حيث ذكرت قصة إبراهيم (عليه السلام) مع قومه من الآية (١٦)) : ﴿ وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ .
إلى الآية (٣٥) : ﴿ ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون ﴾ وقد شمل الحديث قصة لوط عليه السلام .

وفى الآية (٢٦) جاء قوله تعالى فى شأن إبراهيم :
﴿ ووهبنا له إسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب، وآتيناه أجره فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ﴾

وقد ذكر واضعو الرواية الهزلية هذه الآية الكريمة وجعلوها أكبر دليل لهم على اختصاص إسحق وذريته بالنبوه والكتاب مدعين ــ ضمنا ــ أن الضمير فى « ذريته » عائد على إسحق . وعليه فيكون إسماعيل وذريته لا نبوة فيهم ولاكتاب . والهدف من هذا كله نفى رسالة محمد (ﷺ) ، وهذا المعنى فاسد بين الفساد ؛ لأن الحديث كله منصب على إبراهيم (عليه السلام) ، والضمير فى « ذريته » عائد عليه لاعلى إسحق . وإسماعيل من ذرية إبراهيم . ومحمد من ذرية إسماعيل (عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه) وفى ذرية إسماعيل حصلت أعظم نبوة ، وعلى أنجب ذريته نزل أحكم كتاب . وليس لدينا مانقوله لهؤلاء الحمقى إلا ماقاله الله فى أمثالهم : ﴿ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ﴾ [٣١]

٣١ ــ آل عمران آية ١١٩ .

الأكذوبة الثالثة

دعوى أن الذبيح هو إسحق (عليه السلام) :

إجمال القول فى هذه الأكذوبة هى أنها « عملية سطو مفضوحة » قام بها اليهود ثم تابعهم عليها المسيحيون . فادعوا ـــ جميعاً ـــ أن الذبيح من ولدى إبراهيم هو إسحق لا إسماعيل (عليهم صلوات الله وسلامه) . وهذه الدعوى بطلانها بين وأمرها مكشوف . ولا صبر لها أمام النقد العلمى كما سنرى . فعلام بنى القوم هذا الزعم ياترى ؟ وماهو مستندهم ؟!

دليلهم من التوراة

أشرنا من قبل إلى أن اليهود قد عدَّلوا نصوص توراتهم بما يجعلها متسقة مع افتراءاتهم ودعاواهم ، ولكنهم ـــ لسوء حظهم ـــ لم يستطيعوا أن يطمسوا كل الحقائق ، فبقيت من نصوص « لمحات » تدل على كذبهم وتحريف ماحرفوا من أسفارهم . ولنذكر أولاً دليلهم من التوراة على أن الذبيح هو إسحق لا إسماعيل (عليهما السلام) .

فقد جاء فى الإصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين النص الذى تقدم ذكره عند استدلالهم على دعواهم فى صدر هذا المبحث . ومما جاء فى ذلك النص[٣٢] قول الله لإبراهيم حسب زعم التوراة :

« .. خذ ابنك وحيدك الذى تحبه « إسحق » واذهب إلى أرض المريا ، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك » ؟!

وجاء فيه :

« فلما أتيا إلى الموضع الذى قال له الله بنى هناك إبراهيم المذبح ورتب الحطب وربط إسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب » ؟!

---

٣٢ ـــ انظر الفقرات (١ ـــ ١٦) من الموضع المذكور .

وتستمر التوراة فى سرد القصة حتى النهاية ، وكيف أن الله أثنى على إبراهيم بما أقدم عليه من التضحية بابنه .

بطلان هذه الدعوى من جهتين :

هذا كل مايملكه أهل الكتاب للتدليل على أن الذبيح هو إسحق . ومن يتأمل دليلهم هذا يشعر بأن كلمة « إسحق » محشورة حشراً فى النص بعد كلمة « ابنك الذى تحبه »[٣٣] وبعد حشر كلمة إسحق فى النص توهموا أن كل شيء قد استقام أمامهم ..؟!

وقد قلنا فى العنوان هنا أن هذه الدعوى باطلة من جهتين ، ونقول الآن : إن إحدى الجهتين هى التوراة . وموضع البطلان فيها هو نفس النص الذى ساقوه دليلا على صحتها . وهذا من أعجب العجائب .

ففى هذا النص ورد وصف الابن الذبيح بأنه « وحيد » إبراهيم ثلاث مرات هكذا :

« خذ ابنك وحيدك الذى تحبه » ؟!

« الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى » ؟!

« يقول الرب إنى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك » ؟!

وهذا الوصف المتكرر « وحيدك » يدل دلالة قاطعة على أن الابن الذبيح كان « وحيد إبراهيم » .

وهذا الوصف ـــ مرة أخرى ـــ لاينطبق على إسحق (عليه السلام) بأى حال من الأحوال وإنما هو وصف إسماعيل (عليه السلام) باعتراف التوراة نفسها .

لأن التوراة قد نصت بأن إسماعيل قد ولد قبل إسحق بأربعة عشر عاما .

٣٣ ـــ انظر الفقرة الأولى التى نقلناها هنا ووضعنا كلمة إسحق فيها بين علامتين هكذا « إسحق » فإنك ستشعر بزيادتها على النص .

ومعنى هذا أن إسماعيل كان « وحيد » أبيه ، طوال تلك الفترة التى حددتها التوراة كما تقدم .

ومعنى هذا ـــ مرة ثانية ـــ أن إسحق لم يكن وحيد أبيه قط لوجود إسماعيل ، كما أن إسماعيل لم يعد وحيد أبيه بعد مولد إسحق .

ومعنى هذا ـــ مرة ثالثة ـــ أن قصة الذبح وقعت قبل مولد إسحق قطعا .

وهذا كله ينتج أن الذبيح ـــ يقينا ـــ هو إسماعيل لا إسحق هذا ماتفيده التوراة نفسها التى أحالت دليل إثبات القوم إلى دليل نفى ..؟!

وعلى واضعى الرواية الهزلية ، ومعهم أهل التوراة والأناجيل جميعاً ، أن يختاروا واحداً من اثنين لاثالث لهما أبداً .

أحدهما : إذا تمسكوا أن الذبيح هو « إسحق » فعليهم أن يسلموا لخصومهم بأن الوصف « وحيدك » تحريف ؛ لأن إسحق لم يكن وحيد أبيه . وإذا سلموا بهذا بطلت كل دعاواهم بسلامة الكتاب المقدس من التحريف ..؟!

وثانيهما : إذا تمسكوا بأن كلمة « وحيدك » نص أصلى غير محرف واجهناهم بحقيقتين لامناص لهم من التسليم بهما معاً .

الأولى : أن الذبيح هو إسماعيل ؛ لأنه هو وحده كان وحيد أبيه .

والثانية : أن كلمة « اسحق » الواردة فى النص الاستدلالى فى توراتكم المقدسة هى تحريف ـــ قطعاً ـــ لأن « إسحق » ليس هو الذبيح . فاختاروا ماشئتم فإننا نحن الرابحون وأنتم الخاسرون ؟ كيفما وقع اختياركم ..!!

وهذان الدليلان على التحريف يضمان إلى حشد الأدلة السابقة التى استخرجناها من الواقع « النصى » للتوراة على تحريف نصوصها المقدسة ؟!

الجهة الثانية : القرآن الحكيم .

ويأتى القرآن الأمين ، فيكذب التوراة فى دعوى الذبيح كما كذبت

التوراة نفسها فى تلك الدعوى .

ودلالة القرآن الأمين على هذا التكذيب نصورها من العرض الآتى ففى سورة الصافات جاء قوله تعالى :

﴿ وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين . رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وَتَلَّهُ للجبين . وناديناهُ أنْ ياإبراهيم . قد صدقتَ الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين إنَّ هذا لهو البلاءُ المبين . وفديناهُ بذبحٍ عظيم . وتركنا عليه فى الآخرين . سلامٌ على إبراهيم . كذلك نجزى المحسنين . إنه من عبادنا المؤمنين وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين . وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسنٌ وظالمٌ لنفسه مبين ﴾ (٣٤)

فتأمل هذا النسق الحكيم . وكيف رتب الأحداث فى قالب محكم لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

إن إبراهيم (عليه السلام) دعا ربه أن يهب له ولداً من الصالحين فأجاب الله دعاءه . ولما بلغ الغلام السعى مع أبيه أمره الله بذبح ولده الوحيد الحبيب . فاستشار إبراهيم ولده فوعده بالصبر على أمر الله .. وحين صدق الأب وابنه ، جاء الفرج من مولى النعم . ففدى « الابن » بعد نجاح القصد من الذابح والمذبوح . وكافأ الله إبراهيم بما يأتى :

١ ــ الثناء عليه ووصفه بأنه من المحسنين ومن عباد الله المؤمنين .

٢ ــ فداء ابنه الذبيح والثناء عليه مثل أبيه .

٣ ــ بقاء السلام على إبراهيم فى الأجيال المتعاقبة .

٤ ــ تبشيره بإسحق وجعله نبيا وصالحا ومباركتهما .

---

٣٤ ــ الآيات (٩٩ ــ ١١٣) من سورة الصافات .

فمن هو الذبيح من ولدى إبراهيم كما يفهم من القرآن ؟!

هو إسماعيل ــ يقينا ــ وليس إسحق ــ يقيناً ــ لأن النسق القرآنى يفيد بدلالة قاطعة أن إسحق إنما بشر الله به إبراهيم بعد واقعة الذبح . بل إن البشارة بإسحق كانت جزءاً من المكافأة التى كافأ بها الله إبراهيم جزاء صدقه وإقدامه على ذبح إسماعيل وحيده إذ ذاك .

فهل بعد هذا الحق إلا الضلال ..؟!

ودلالة أخرى من القرآن الحكيم

ورد فى سورة مريم فى شأن إسماعيل (عليه السلام) قوله تعالى :

﴿ واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد ، وكان رسولاً نبيا ﴾ [٣٥] .

فوصف إسماعيل بصدق الوعد . وينشأ عن هذا الوصف سؤال : هل هو مطلق وعد أم وعد من نوع خاص ؟!

وكونه مطلق وعد لايكون إسماعيل أوحديا فيه . بل كان الرسل كلهم صادقين فى وعودهم . وهذا يرجح أن صدق الوعد هنا مراد به وعد خاص انفرد به إسماعيل (عليه السلام) من بين الأنبياء والرسل . وهذا لا يصدق إلا على وعده أباه حين أعلمه بذبحه فقال : ﴿ افعل ماتؤمر ستجدنى إن شاء من الصابرين ﴾ وفعلا صدق وعده هذا وأسلم عنقه لأبيه ليذبحه . وهذه هى الدلالة الثانية من القرآن على أن إسماعيل هو الذبيح .

الشعبة الثانية

دعوى نفى المعجزات الدالة على الرسالة ؟!

فى الشعبة الأولى حاول واضعو الرواية الهزلية فرض « حصار وتطويق » على النبوة حتى لاتخرج عن إسحق (عليه السلام) وذريته . فما كان منا إلا أن « خرقنا » ذلك الحصار ، وفضضنا حركة : « التطويق » . ولم تعترضنا

---

٣٥ ــ آية (٥٤) .

« صعاب » أو « معاناة » فى خرق « حصارهم » وفض حركة تطويقهم » ؛ لأنه حصار مصنوع من وَهْمٍ ، وتطويق منسوج من خيال . وأوضحنا أن النبوة والكتاب اللذين جعلهما الله فى بنى إسرائيل . وصرح بهما القرآن الأمين ، إنما كانا مخصوصين بفترة تاريخية معينة ، تبدأ بنبوة يعقوب (عليه السلام) (إسرائيل) وتنتهى بنبوة عيسى (عليه السلام) ، وقلنا : إنه حتى فى خلال تلك الفترة كان لله أنبياء إلى غير بنى إسرائيل ومنهم من هو من غير بنى إسرائيل كأيوب (عليه السلام) فهو من ذرية « عيسو بن إسحق » وليس من ذرية « يعقوب بن إسحق » ومنهم يونس بن متى المسمى عندهم « يونان » ومنهم « إسماعيل » نفسه (عليه السلام) فهو من نسل إبراهيم مباشرة ، وليس من نسل إسحق ، وإن كان مرسلاً إلى بنى إسرائيل . ؟! ومنهم بلعام ويثرون (شعيب) (عليه السلام) ومن غير بنى إسرائيل ملكى صادق وصالح وهود وهم عرب .

وكان هدفنا من ذلك البيان أن النبوة والكتاب لم يكونا محصورين فى بنى إسرائيل ، ولكن لما كثرت النبوة فيهم أمتن الله عليهم امتنانا مشوبا بالعتاب الشديد ؛ لأن بنى إسرائيل كانوا يتمردون على كل نبى ورسول حين يخرج عن هوى أنفسهم ، فكانوا يواجهون الرسل إما بالتكذيب أو بالقتل . وفى هذا يقول الحق فى كتابه الأمين ﴿ أفكلما جاءكم رسولٌ بما لاتهوى أنفسكُمُ استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ﴾ .(٣٦)

أما فى هذه الشعبة ، فإن القوم يزعمون أن محمداً ليس برسول ؛ لأنه لم يأت بمعجزات .

كما فعل موسى وعيسى (عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه) .

ومن المضحك حقا أن القوم لم يكن لديهم من دليل يقدمونه بين يدى باطلهم هذا إلا أن يعمدوا إلى آيات من القرآن الكريم ، ويستولدوها هذا المعنى

---

٣٦ ــ البقرة (آية ٨٧) .

« الدعى » ، واستدلال القوم بالقرآن باطل من ثلاثة وجوه :

الأول : لأن ماذكروه منه كأدلة لهم معناه على غير مايريدون .

الثاني : إن كان القوم يعتقدون أن القرآن كلام الله فهو حجة فى الاستدلال به على النبوة فاستدلالهم باطل ؛ لأن مجرد التسليم بهذا منهم يثبت أن محمدا (ﷺ) موحى إليه من عند الله . وكل موحى إليه — مثله — من عند الله فهو رسول الله . وهذا مايريد القوم نفيه هنا .

الثالث : وإن كانوا يعتقدون أن القرآن كلام محمد نفسه — ﷺ — فإن استدلالهم بما ذكروه باطل ؛ لأن محمداً (عليه السلام) إن كان نفى عن نفسه الآيات فى بعض النصوص — كما يتوهمون — فإنه أثبت لنفسه الرسالة فى غيرها من النصوص . والاستدلال ببعض النصوص المتحدة الدرجة والصفة وإهمال بعضها الآخر باطل .. باطل .. باطل .

ونكتفى بهذا القدر من الجدل . لنتفرغ لتلك الآيات التى استولدوها نفى المعجزات ، ونبين وجه الحق فيها . ثم نعمد — بعد — إلى ماثبت له (عليه السلام) من معجزات « مادية » صحيحة السند فنذكر منها مايسمح به المقام . ثم نتجاوزه إلى ماهو أهم وأعظم وأقطع وأحسم لكل شبهة تثار حول نفى رسالة خاتم النبيين (ﷺ) .

الآيات التى استشهدوا بها

عمد القوم إلى آية من سورة الرعد ، وجزء آية أخرى من السورة نفسها أما الآية فهى :

﴿ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه . قل إن الله يُضل من يشاء ويهدى إليه من يُنيب ﴾ [٣٧]

وأما جزء الآية فهو :

---

٣٧ — الرعد (٢٧) .

﴿ وماكان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله.. ﴾ (٣٨)

وإلى آية من سورة العنكبوت وهى قوله تعالى :

﴿ وقالوا لولا أنزل عليه آياتٌ من ربه . قل إنما الآياتُ عند الله وإنما أنا نذيرٌ مبين ﴾ .(٣٩)

وإلى آية من سورة الإسراء وهى قوله تعالى :

﴿ ومامنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ... ﴾ .(٤٠)

هذا دليلهم من القرآن ثم قالوا :

« إن هذا الكلام يقطع بعدم إتيان محمد بآيات كموسى ويسوع المسيح وغيرهما من أنبياء الله .. » (٤١)

﴿ كبرت كلمة : تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾ ؟!(٤٢)

إن كانت هذه أدلة .. فعيسى لم يفعل معجزة واحدة ..؟!

أول مانواجه به القوم هنا هو إنجيلهم . فقد ورد فى الأناجيل نصوص ومواقف يعتقدون هم أن المسيح قالها . وأنه وقف تلك المواقف التى ذكروها فيها .

فإذا تمسكوا بأن ماذكروه من آيات القرآن الكريم يدل على نفى المعجزات عن رسول الإسلام ـــ ﷺ ـــ فإننا نرتب على هذا التمسك مالا قبل لهم بإنكاره قط ماداموا يعترفون بأنهم ذوو عقول .

ونعود فنقول : إذا صحَّ أن ماذكرتموه من آيات القرآن الحكيم دليل حق

٣٨ ـــ الرعد (٣٨) .

٣٩ ـــ العنكبوت (٥٠) .

٤٠ ـــ الإسراء (٥٩) .

٤١ ـــ الباكورة الشهية (١٨١) .

٤٢ ـــ الكهف آية (٥) .

على أن رسول الإسلام ــ عليه السلام ــ لم يأت بمعجزات قط . فإن عيسى ــ عليه السلام ــ بناء على هذا وعلى ماذكرتموه فى أناجيلكم لم يأت بمعجزة قط . حذوك النعل بالنعل .

إن الذى خدعكم من« ظواهر » الآيات القرآنية التى ذكرتموها هو عدم استجابة الله لتحقيق « الخوارق » التى اقترحها المشركون ، ووقفتم عند هذا الحد من الآيات . ولم تذكروا النص الكامل للآيات ، التى وردت فيها تلك الملاحظات ، فلم تذكروا ماقبل الآية « الشاهدة » ولا مابعدها ، ولو أنكم ذكرتم لانهار فى التو استدلالكم ..؟!

ونحن نقول لكم ولمن ظننتم خديعته بباطلكم : إن فى أناجيلكم مواقف ونصوص شبيهة إلى أقصى مدى بما ذكرتموه من الآيات طُلب فيها أن يأتى عيسى بآيات أو معجزات . فلم يستجب لطلب الطالب . ومع هذا فإنكم تنسون مالديكم وتتلمسون « النقص » فى غيركم ..

لوقا : المسيح .. والشيطان ؟!

حكى لوقا فى إنجيله فى بداية الإصحاح الرابع التقاء إبليس بالمسيح (عليه السلام) وذكر ثلاثة مواقف لإبليس مع عيسى نذكر منها اثنين هنا :

أحدهما : « وقال له إبليس إن كنت ابن الله فقل لهذا الحجر أن يصير خبزاً ..؟! فأجابه يسوع قائلا : مكتوب أن ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة من الله » ؟! .

وثانيهما : « ثم جاء به إلى أورشليم ــ يعنى إبليس جاء بعيسى ــ وأقامه على جناح الهيكل وقال له : إن كنت ابن الله فاطرح نفسك من هنا إلى أسفل ؛ لأنه مكتوب يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك ، وأنهم على أياديهم يحملونك لكى لاتصطدم بحجر رجلك . ؟!
فأجاب يسوع وقال : إنه قيل لاتجرب الرب إلهك .. »؟!

والسؤال الآن :

أليست هذه مواقف طلب من المسيح فيها ــ حسب أناجيلكم ــ أن يأتي بأمر معجز فأعرض ولم يستجب ؟!

إن إبليس ــ هنا ــ يستثير أو قل يتحدى السيد المسيح ، فلماذا لم يستجب المسيح لتحديه . إنه لو كان فعل لأغاظ إبليس ، بل لاحترق إبليس غيظا ..؟!

في الموقف الأول تحدى إبليس المسيح بأن يصير الحجر خبزاً على يديه فقلتم إن عيسى لم يفعل بل قال :

مكتوب إنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان . هكذا قلتم . فهل هذه العبارة تتكافأ مع عنف التحدى الصادر من إبليس ؟!

إنكم ذكرتم في جانب رسول الإسلام ــ ﷺ ــ أنه قال عقب طلب الآيات منه ــ التي لم يفعلها ــ **إنما أنا نذير مبين** . ورحتم تسخرون من هذه العبارة ومن قائلها واعتبرتموها هروبا وعجزاً ــ مع أنها لاهروب فيها ولاعجز ــ أفما كان الأحرى بكم أن تتريثوا ــ ولو قليلا ــ قبل أن تسخروا وتتذكروا أن أناجيلكم قد نسبت إلى المسيح (عليه السلام) ماهو أدخل في باب العجز والهروب ؟!

إن هناك مثلا وددنا لو فقهتموه ، وهو المثل الحكيم القائل : إذا كان بيتك من زجاج فلا ترم بيوت الناس بالحجر ؟!

وها أنتم قد رميتم بيوتنا بالحجارة ورميكم لن يضرها ؛ لأن بيوتنا ليست من زجاج . وإنما بيوتكم أنتم من زجاج وحجر واحد كافٍ لتصديعها .. ؟!

وفي الموقف الثاني تحداه بأن يلقى بنفسه من أعلى الهيكل ، وقلتم إن عيسى لم يستجب ، بل قال : قيل لاتجرب الرب إلهك .. أفليس من حق إبليس أن يعتبر المسيح عاجزاً في الموقفين ..؟!

ولوقا : طلب المعجزة والجيل الشرير ..؟!

بل إن لوقا يذكر فى إنجيله مايفيد ــ من حيث الصياغة ــ أن عيسى (عليه السلام) لم يأت ولا بمعجزة واحدة . وهذا هو قول لوقا الذى نسبه إلى المسيح :

« وفيما كان الجموع مزدحمين ابتدأ يقول : « هذا الجيل شرير يطلب آية ــ معجزة ــ ولاتعطى له آية إلا آية يونان النبى ؛ لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى ، كذلك يكون ابن الإنسان ــ يعنى المسيح ــ أيضا لهذا الجيل ... » (٤٣) .

فعيسى على حد رواية لوقا يعترف بأن الجيل الشرير لم يعط آية أبداً رغم أنه طلبها . واكتفى عيسى بأن يقول : إنه هو نفسه آية لهذا الجيل الشرير كما كان يونس (يونان) آية لأهل نينوى ؟!

إن معنى هذه العبارة . أن المسيح لم يفعل آية قط غير تمثيل نفسه بيونس (عليهما السلام) ؛لأن قوله : **لاتعطى له آية** يفيد نفى جميع الآيات . وقوله بعده : (**إلا آية يونان النبى** . يخرج هذه الآية وحدها من النفى العام المستفاد من العبارة التى قبلها ومعنى هذا كله :

أن الآية الوحيدة التى أعطاها المسيح لذلك الجيل الشرير هو تمثيل نفسه بيونان النبى ..؟!

فهذه ثلاثة مواقف لم يستجب فيها المسيح لصنع آيات ، وعمل معجزات وهناك موضع رابع ، نختم به هذه الجولة ، التى تدور حول إعراض عيسى عن الإتيان بمعجزات ..؟!

هذا الموضع تراه فيما يأتى :

---

٤٣ ــ إنجيل لوقا الإصحاح (١١) الفقرات (٢٩ ــ ٣٠) .

نيقوديموس .. يحاور المسيح ..!!

يروى هذه القصة يوحنا فى إنجيله . ونيقوديموس هو رئيس اليهود التقى بعيسى ليلاً ودار بينهما حوار طلب منه نيقوديموس أن يأتيهم المسيح بآيات من السماء . فأنهى المسيح الحوار بهذه العبارة التى يخاطب بها رئيس اليهود .

« أنت معلم إسرائيل ولست تعلم هذا . الحق الحق أقول لك : إننا نتكلم بما نعلم ، ونشهد بما رأينا ولستم تقبلون شهادتنا . إن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون . فكيف تؤمنون إن قلت لكم السموٰيات .. »(٤٤) ؟!

إن المسيح ــ هنا ــ لم يستجب لرئيس اليهود بعمل معجزات سماوية . وقد ذكر يوحنا أن سبب إعراض المسيح عن الإتيان بمعجزات سماوية هو أنه أتاهم بآيات أرضية فلم يؤمنوا بها فكيف يؤمنون إذا أتاهم بآيات سماوية ؟!

وهذا الموقف قابل لكثير من النقاش ولكننا سنكتفى بصورة واحدة منه ؛ لأنها أقصر طريق لإثبات المطلوب .

هذا الموقف الذى رواه يوحنا ــ ولنكن حسنى الظن به ــ شبيه بالموقف الذى حكته الآيات القرآنية ، التى ذكرها القوم والتى تفيد عدم استجابة الله لصنع الآيات التى اقترحها على رسوله مناهضو الدعوة .

وقد ترجمت آية الإسراء عن هذا المعنى إذ قالت : ﴿ ومامَنَعَنَا أن نُرسِل بالآيات إلا أن كذبَ بها الأولون ﴾ .

فسبب الإعراض فى هذه الآيات ، وفيما رواه يوحنا عن المسيح عليه السلام واحد .

ومع هذا فإن القوم ينسون ماعندهم ويعيبون غيرهم على مثله وإذا كانوا هم يعتبرون هذه الآيات دليلا على أن محمداً (عليه السلام) لم يأت بمعجزات فعليهم أن يسلموا ــ كذلك ــ أن المسيح (عليه السلام) لم يأت

٤٤ ــ إنجيل يوحنا (٣ ــ ٩ ــ ١٤) .

بمعجزات ، لأن روح الدليل فى الموضعين واحدة . واعتبار الدليل فى موضع ، وإهماله فى موضع آخر باطل موغل فى البطلان .

ولايخدعن القوم أننا ساوينا بين الآيات القرآنية وبين الذى رواه يوحنا عن المسيح . فهى مساواة أملاها علينا أدب البحث والمناظرة .. وفى الواقع أن الآيات تختلف مع ماروواه يوحنا اختلافا عظيما نوضحه فى الآتى :

من الأعلى إلى الأدنى .. ومن الأدنى إلى الأعلى

إن السبب فى الإعراض عن تحقيق الآيات التى طلبها مناهضو الدعوة من رسول الإسلام (ﷺ) هو أن المشركين تركوا الآية « الأعلى » وهى القرآن العظيم ، وطلبوا الآية « الأدنى » وهى معجزة مادية تبتدىء وتنتهى فى زمان معين . ثم تصبح خبراً من الأخبار صالحاً للتصديق وللتكذيب معاً . لهذا لم تُستَّجَبْ مقترحاتهم . وقد نبه القرآن ولفت أنظارهم إلى هذه الآية عقب كل موضع لم يستجب لهم فيه بمعجزاتهم المقترحة ، ففى سورة الرعد كان قوله :

﴿ كذلكَ أرسلناكَ فى أمةٍ قد خلت من قبلها أممٌ لتتلو عليهم الذى أوحينا إليك ﴾ (٤٥)

وفى الإسراء جاء قوله :.

﴿ قُل لئن اجتمعتِ الإنسُ والجنُ على أن يأتوا بمثل هذا القرآنِ لايأتونَ بمثلِهِ . ولو كانَ بعضُهم لبعضٍ ظهيراً ﴾ (٤٦)

وفى العنكبوت جاء قوله :

﴿ أو لم يكفهم أنا أنزلناعليك الكتاب يُتْلَى عليهم . إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ (٤٧)

---

٤٥ — آية (٣٠) .
٤٦ — آية (٨٨) .
٤٧ — الآية (٥١) .

فهاهم تركوا « الأعلى » وطلبوا « الأدنى » ، فكان حرياً أن يعرض عن طلبهم ؛ لأن الذى لاينتفع بكبرى المعجزات لاتفيده صغراها ..؟!

أما ماذكره يوحنا عن المسيح فمعناه أن عيسى جاء بآيات أرضيات فلم يؤمن به اليهود ، وطلبوا منه على لسان رئيسهم أن يأتيهم بمعجزات سماويات ليؤمنوا . وهذا مطلب مقبول ؛ لأن القوم لم يقتنعوا بالأدنى . لذلك طلبوا الأعلى ، أعنى المعجزات السماويات .. ؟! ولكن جواب المسيح كان — حسب رواية يوحنا : « إن كنت قد قلت لكم الأرضيات فلم تؤمنوا ، فكيف تؤمنوا إذا قلت لكم السمٰويات » ؟! وليس هذا بجواب ؛ لأن الذى لم يؤمن بالأرضيات ممكن جداً أن يؤمن إذا رأى السماويات ؛ لأن الذى لاينتفع بالأدنى قد ينتفع بالأعلى .. ؟!

هذا هو الفرق بين موقف رسول الإسلام — ﷺ — كما يرويه القرآن الأمين ، وبين موقف عيسى (عليه السلام) كما رواه يوحنا . وهو فرق عظيم جداً عند من كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد ؟!

****

الفصل الرابع

صور من معجزات رسول الإسلام

في الفرع الذى تقدم واجهنا أدلة النفى الثلاثة التى توهم خصومنا أنها تفيدهم فى نفى المعجزات عن رسول الإسلام (ﷺ) واجهنا تلك الشبه بأربعة أدلة من أناجيلهم ، تفيد ــ قياسا على زعمهم ــ نفى المعجزات عن المسيح .

ثم أثبتنا أن أدلة النفى الثلاثة التى توهموها إنما هى أدلة إثبات على أعظم معجزة يأتى بها رسول من عند الله ، وهى القرآن العظيم ، بينما ظلت أدلة نفينا التى استخرجناها من الأناجيل على نفس الصفة التى وصفت بها بناء على منهجهم فى البحث والاستدلال . وليس معنى هذا أننا نجرد المسيح من المعجزات . فنحن لانفرق بين أحد من رسل الله . وعيسى عندنا رسول كريم ، أيده الله بمعجزات صادقة ، نطق بها أوثق المصادر الإلهية . وإنما هدفنا هو دفع غلو الغالين عسى أن يثوبوا إلى رشدهم .

ونريد ــ هنا ــ أن نذكر صوراً من معجزات رسول الإسلام (ﷺ) من جنس المعجزات التى أيد الله بها رسله السابقين ، أعنى المعجزات « المادية » الموقوته . فقد أيده الله منها بقدر كبير . ثم نتجاوز هذا إلى أعظم معجزاته (ﷺ) والتى لم يؤت رسول غيره مثلها أبداً ، مع بيان الحكمة من ذلك كله . إحقاقا للحق . ومَحْقاً للباطل ..

خوارق قبل البعثة الشريفة

لدينا ــ نحن المسلمين ــ سجل حافل بالخوارق التى صاحبت مقدم إمام المرسلين (ﷺ) من بدء الحمل به إلى ماقبيل بعثته الشريفة . ولدينا سجل حافل عن المعجزات التى صاحبت بعثته الطاهرة ، وهى من جنس

الخوارق والمعجزات التى أيد الله بها رسله الصادقين ، فضلا عن المعجزة الكبرى التى لم يؤيد بها نبياً سواه .

ولو أردنا أن نذكر من هذه وتلك ماصح عندنا سنده ، وصدقت روايته لما وسعتنا هذه « الصفحات » جميعاً ، ولأرينا القوم فيها ماليس لهم به عهد عن نبى سابق . ولهذا سنجتزىء منها بالقليل الدال ، مع الإشارة إلى الكثير البعيد المنال ، ولو كان خصومنا طالبى هدىً ، وباحثين عن حق ؛ لكان لهم فيما سنذكر « غنية » ؛ لأن على مثله آمن البشر . وإن كانوا طالبى حجاج . فلن ينفعهم شيء مهما عظم . إلا أن يكون فى قيام الحجة عليهم نفع لهم ..؟!

وهاك صور من الخوارق قبل بعثته (ﷺ)

رؤيا أمه آمنة بنت وهب والنبى جنين فى بطنها :

روى رجال ثقات عن العرباض بن سارية صاحب رسول الله (ﷺ) أنه قال :

« سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : إنى عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل فى طينته . وسأخبركم عن ذلك : دعوة إبراهيم وبشارة عيسى بى . ورؤيا أمى التى رأت . وكذلك أمهات النبيين يرين . وإن أم رسول الله — ﷺ — رأت حين وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام »

وفى رواية : أضاءت منه قصور الشام . روى هذه يعقوب وتابعه عليها عبد الرحمن بن مهدى عن معاوية بن صالح .

وكذلك أبو بكر بن أبى مريم الغسانى عن سعيد بن سويد . فلها على هذا ثلاث طرق .

ومعنى : دعوة إبراهيم (عليه السلام) ماحكاه عنه القرآن الأمين عند بنائه البيت هو وإسماعيل إذ قالا : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك

ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم .. ﴾[1]

ومعنى بشارة عيسى به ماجاء فى قوله تعالى حكاية عن عيسى (عليه السلام): ﴿ ومبشراً برسولٍ يأتى من بعدى اسمه أحمد ﴾ [2]

أما رؤيا أمه ـــ عليه السلام ـــ فقد روى أبو عبد الله الحافظ عن أبى العباس محمد بن يعقوب عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير عن ابن إسحق قال :

« وكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله (ﷺ) تحدث أنها أُتيت حين حملت بمحمد (ﷺ) فقيل لها : إنك حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع على الأرض ـــ يعنى وُلد ـــ فقولى : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ..... فإن آية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام . فإذا وقع فسميه محمداً فإن اسمه فى التوراة أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض . واسمه فى الإنجيل أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض . واسمه فى الفرقان محمد (قالت) فسميته محمداً » وله عدة طرق غير هذا . مختلفة السند متحدة النقل .

وروى رجال عن الزهرى قصة حفر زمزم فى سياق طويل جاءت نبذة عن رؤيا ثانية لآمنة بنت وهب أم الرسول (ﷺ) قصتها على مرضعته حليمة تقول فيها :

« لقد رأيت وهو فى بطنى أنه خرج معتمداً على يديه رافعا رأسه إلى السماء » .

وصدقت رؤياها فخرج من بطنها معتمداً على يديه رافعا رأسه إلى السماء ورأت نوراً أضاءت منه قصور بصرى بالشام .

وروى أصحاب السيرة أن آمنة كانت تذكر أنها لم تشعر بثقل الحمل

---

١ ـــ البقرة آية ١٢٩ .

٢ ـــ الصف آية ٦ .

كما تشعر الحوامل ، وأن الهواتف كانت تأتيها مرات مبشرة إياها بحمل محمد (ﷺ) .

خوارق المولد الكريم :

وصاحبت مولده (ﷺ) خوارق لم تصاحب مولد نبى سواه . ومن ذلك :

ولادته مختونا مسروراً ..

روى عبد الله بن عباس . عن أبيه العباس بن عبد المطلب [٣] قال :

« ولد رسول الله (ﷺ) مختونا مسوروا .[٤] فأعجب به جده عبد المطلب وحظى عنده وقال : ليكونن لابنى هذا شأن فكان له شأن » .

وقد أثار بعض المعاصرين تساؤلات حول هاتين الخارقتين فقالوا : إن الختان وقطع السرة عمليتان جراحيتان لابد لهما من فاعل جراح فكيف تمتا فى البطن قبل الولادة ؟!

والجواب على ذلك يسير . فإنا نسأل هؤلاء المتسائلين هل الختان وقطع السرة هما العمليتان الجراحيتان الوحيدتان اللتان حدثتا فى بطن الأم ؟!

إن قالوا : نعم قلنا لهم إنكم قصيرو النظر . فليستا هما وحدهما اللتان حدثتا . ولاهما بأعقد من غيرهما .

فكل حامل تلد ــ وليست آمنة وحدها ــ يأتى مولودها ببصر وسمع وأنف وفم . فمن الذى قام بشق البصر والسمع ؟! ومن الذى قام بصنع الأنف وفتح الفم .؟!

ومن الذى قام بصنع تلك « الأجهزة » الحساسة والمعقدة الدقيقة فى

---

٣ ــ اختصرنا من رجال هذا السند خشية الإطالة . وقبل هؤلاء الثلاثة المذكورين فى السند سبعة رواة .

٤ ــ أى مقطوع المسرة .

هيكل المولود :

جهاز هضم ، وجهاز قضم ، وجهاز تنفس ، وجهاز تذوق ، وجهاز شعور وإحساس ، وجهاز تناسل ، وجهازا تبول وتغوط إلى آخر تلكم التركيبة العجيبة ؟!

أليس الصانع لهذا كله هو الله . فهل تستكثرون على الله وقدرته الفائقة قطع زائدتين جلديتين فى الوقت الذى لاتنكرون ولن يسعكم أن تنكروا أن الله وضع فى بطون « الحوامل » أعجب الآيات .. ؟!

﴿ ولقد خلقنا الإنسانَ من سلالةٍ من طين . ثم جعلناهُ نطفةً فى قرارٍ مكين . ثم خلقنا النطفة علقةً . فخلقنا العلقةَ مضغةً . فخلقنا المضغةَ عظاماً فكسونا العظامَ لحماً . ثم أنشأناهُ خلقاً آخر فتبارك اللهُ أحسنُ الخالقين ﴾ .(٥)

وروى رجال ثقات عن مخزوم بن هانىء المخزومى عن أبيه أنه قال : « لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله (ﷺ) ارتجس إيوان كسرى ، وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نار فارس ، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وغاضت بحيرة ساوى . ورأى الموبذان ــ عظيم الروم ــ إبلا صعابا تقود خيلا عرابا ، قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها ... » .

وتمضى الرواية فتقول : إن الموبذان ذعر مما رأى وقص الأمر على وزرائه ، وبينما هم مجتمعون جاءه كتاب من كسرى فارس يخبره بخمود نيرانهم التى كانوا يعبدونها . فطلب الموبذان من يفسر له رموز رؤياه ، ففسرت له بأن ملكهم سيزول أمام جيوش من العرب ، بعد أن يحكم منهم أربعة عشر ملكا وفق الشرفات التى سقطت . فحكم منهم عشرة فى أربع سنين . ثم تعاقب على الملك الأربعة الباقون حتى سقط ملكهم تماما كما أخبر مفسر رؤيا الموبذان .(٦)

---

٥ ــ المؤمنون (١٢ ــ ١٤) .

٦ ــ راجع إن شئت هذه القصة بتمامها فى كتاب « دلائل النبوة » للإمام البيهقى (حـ ١ ص ١٠٧) وماقبلها تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان .

هزيمة أصحاب الفيل

قصة أصحاب الفيل مشهورة شهرة نار على علم . وهى من أغرب الأحداث التى لاتقع إلا على يد رسول أو من أجل رسول . وتَوْقِيتُ وقوعها مع توقيت الأسباب التى دعت إليها نصارى اليمن فى نفس العام الذى ولد فيه رسول الله (ﷺ) دليل واضح على صلة تلك الواقعة الفريدة التى هى من جنس « خوارق » الأنبياء بميلاد خاتم النبيين (عليه السلام) ؛ لأن له بالبيت الذى رد الله عنه كيد الكائدين صلات قديمة وصلات متجددة .

فإبراهيم (عليه السلام) حين كان يرفع القواعد من البيت ومعه إسماعيل (عليهما السلام) دعوا الله أن يبعث فى ذريتهما رسولاً منهم ، فكانت إجابة الله لهما بمحمد (ﷺ) سليل إسماعيل سليل إبراهيم عليهم جميعا صلوات الله وسلامه) .

والحمل بمحمد ومولده ومنشؤه ومولد أهله ومنشؤهم بدءاً من إسماعيل إلى أبيه عبد الله كان بمكة المكرمة مقر البيت العتيق .

وقبلة محمد والمسلمين الذين صدقوا بما أرسل به هو البيت العتيق وحج محمد واعتماره وحج المسلمين واعتمارهم هو البيت العتيق وماجاوره من أماكن مقدسة (عرفات ـــ المزدلفة ـــ منى ـــ الصفا والمروة) .

نقول هذا فى وجه الذين يدعون أن الكرامة التى حدثت بدحر نصارى اليمن وأفيالهم إنما هى من أجل البيت لامن أجل مولد إمام المرسلين إذ لو كانت من أجل البيت وحده لتقدم توقيت وقوعها وماذلك على الله بعزيز . إن التوقيت لايخلو من حكمة لله وتدبير ، وتلك الحكمة وذلك التدبير كان من أجل أن يكرم الله بيته القائم ورسوله القادم (ﷺ) .

إن الذى حدث فى قصة الفيل أعجوبة نادرة الوقوع . فإن ارْتَبْتَ فى هذا القول فقارن بين ضخامة « الأفيال » الغازية ، وضآلة الطيور الضارية التى قامت فى ذلك الوقت ـــ قبل اكتشاف البارود ـــ بمهمة قاذفات القنابل واللهب ، أو

الصواريخ الناسفة بمصطلحات العصر .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ؟ ألم يجعل كيدهم فى تضليل . وأرسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ﴾ .

أليس فى هذا القص امتنان من واهب النعم على من أنزل عليه هذا لقول الكريم ؟!

ياحاكمى وحكيمى .. أفعالك الكل حكمة

خوارق الرضاع والطفولة الأولى

لقد صاحبت فترة رضاعه فى بنى سعد خوارق رواها عدول ، عن جعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن عباس وغيرهما . وقد شاع أمر تلك الخوارق ، وتواتر الخبر بها ، منها نشاط الأتان الذى حمل عليه فى الذهاب من مكة المكرمة ــ مولده ــ إلى ديار بنى سعد ــ مرضعه ــ وقد كان أتان حليمة بنت ذؤيب أمه من الرضاعة هزيلا يسير فى مؤخرة الركب حين القدوم إلى مكة فإذا به فى العودة ، وعليه أكرم خلق الله ، ينشط نشاطا لاعهد له به ، فيتقدم الركب ويتعجب الجميع من أمره .

ومنها كثرة الخيرات فى بيت حليمة ، ونماء العشب فى ديار قومها ، فقد كانت قبل قدوم « المولود الكريم ــ أرضا جدباء ، فإذا بها بعد قدومه ذات خير عميم .

ومنها مارأته أخته من الرضاع من شق صدره بمعرفة ملائكة الله حتى خافت عليه حليمة مرضعته من أن يصيبه سوء ، فرجعت به إلى أهله بمكة ، وهى أشد ماتكون رغبة فى استبقائه . وكان فى تلك الفترة ينمو نمواً لم يعهد فى سواه .

ومنها أنه كان لايرضع إلا من الثدى الذى رضع منه لأول مرة ، تاركا

الثدى الآخر لآخيه من الرضاع الذى كان يرضع معه .

خوارق النشأة :

كانت نشأة ميمونة مباركة مانشأ عليها وليد قط غيره . ولا عرفت لأحد من فتيان العرب . فلم يكن — عليه السلام — يحضر مع قومه أعيادهم ، ولم يعظم صنما من أصنامهم ، ولم يله لهو شبابهم ، إذ قد بَغَّضَ الله له ذلك كله فلم يألف منه شيئا . ونأى عن محقرات الأمور ، وعلق بأشرافها .

فقد روى ابن إسحق عن أبيه إسحق بن يسار بسند متصل عن رسول الله (ﷺ) أنه قال :

« إنى لمع غلمان هم أسنانى — أترابه فى العمر — قد جعلنا أزرنا — يعنى أطراف أثوابهم — على أعناقنا لحجارة ننقلها نلعب بها إذ لكمنى لاكم لكمة شديدة ثم قال : اشدد عليك إزارك » .

وروى هذا الخبر من طريق جابر بن عبد الله عن النبى موصولاً . ونقل عن جابر أكثر من واحد .

وروى الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب عن أبيه عن جده على بن أبى طالب قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : ماهممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من الشباب إلا ليلتين كلتاهما عصمنى الله منهما :

قلت يوما لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاية غنم أهلنا . فقلت لصاحبى أبصر لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الفتيان . فقال : بلى . قال فدخلت حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفا بالغرابيل والمزامير فقلت ماهذا ؟

فقيل تزوج فلان فلانة . فجلست أنظر وضرب الله على أذنى فو الله ماأيقظنى إلا مس الشمس . فرجعت إلى صاحبى فقال : مافعلت . فقلت : مافعلت شيئاً ثم أخبرته بالذى رأيت .. (ثم حدث مثل ذلك مرة أخرى) (٧) .

---

٧ — مابين العلامتين (—) اختصار .

وقال ﷺ ماهممت ولا عدت بعدهما لشيء من ذلك حتى أكرمنى الله تعالى بنبوته .

قصته مع بحيرا الراهب

دعا بحيرا الراهب رجال قريش وهم فى الطريق بين مكة والشام إلى تناول طعام عنده . وكانوا كثيرا مايمرون عليه فلم يدعهم ، وإنما دعاهم هذه المرة حين اصطحب أبو طالب ابن أخيه محمداً معه . وقال لهم بحيرا : اقدموا جميعاً ولايتخلف منكم أحد كبير أو صغير .

فذهبوا وتخلف محمد فقال لهم بحيرا : دعوه فليحضر هذا الطعام معكم . فلما حضر أجلسه وجعل يلحظه لحظا شديداً وينظر إلى أشياء من جسده .. فلما فرغوا من الطعام قال بحيرا لمحمد . ياغلام : أسألك باللات والعزى إلا أخبرتنى عما أسألك عنه .. فقال له محمد : لاتسألنى باللات والعزى شيئا فو الله ماأبغضت بغضهما شيئا قط فقال بحيرا : أسألك بالله .. قال محمد سل مابدا لك . وأخذ يسأله عن أشياء والغلام يجيب . فلما فرغ من سؤاله قال لعمه أبى طالب : ماهذا الغلام منك ؟ قال : ابنى .
قال بحيرا : ماهو ابنك وماينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا ..؟!
قال : فإنه ابن أخى .
قال : فما فعل أبوه ؟
قال : مات وأمه حبلى به . قال صدقت . ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود ، فو الله لئن رأوه وعرفوا منه ماعرفت ليبغنه شراً فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن .

لقد تواتر نقل هذه القصة ولم يَرْتَبْ فيها أحد . وبحيرا هذا رجل نصرانى كان يعلم صفات الرسول الذى سيأتى من بشارات الأنبياء السابقين قبل أن يطمس اليهود والنصارى معالم تلك البشارات .

هذه بعض الخوارق التى صاحبت نشأته قبل البعثة ، لم نذكر فيها قول

اليهود ليلة ولد (عليه السلام) : لقد طلع نجم أحمد الليلة . وتهديدهم أهل يثرب بأن نبياً سيبعث ويتبعه اليهود فتكون لهم الغلبة به على الأوس والخزرج أهل المدينة .

ولم نذكر منها تَجَمُّع أوراق الشجرة عليه لِتُظَلِّله وهو من رحال قريش إلى الشام .

ولم نذكر منها إظلال الغمامة له فى رحلته إلى الشام متاجراً فى مال سيدة نساء قريش خديجة بنت خويلد مع غلامها ميسرة . لم نذكر هذا ولاغيره ؛ لأن إحصاء ماورد من تلك الأمور قد يفضى بنا إلى طول ونحن نرغب فى التوسط . وهذه الأمور تنفع طالبى الهدى ، ولن تفيد أرباب العناد ، ولو جئناهم بالله والملائكة قبيلا .؟!

من خوارق البعثة

لم تجتمع لرسول بين يدى مبعثه خوارق ومعجزات مثلما اجتمعت لرسول الإسلام (ﷺ) . ونعنى بها المعجزات المادية التى هى من جنس معجزات الرسل السابقين .

إن معجزات رسول الإسلام تباين معجزات الأنبياء كما وكيفا ، فمن حيث الكم فقد بلغ بها بعض الكاتبين ألف خارقة ومعجزة وإن كنا لانميل إلى تأييد هذا العدد المذكور فإننا نتمسك بدلالته وهى الكثرة المطلقة . فإن كان العدد مبالغا فيه فمدلوله وهو « الكثرة » لامبالغة فيه .

أما من حيث الكيف فإن من بين « الخوارق والمعجزات » التى أيد بها (عليه السلام) ماهو باق مشاهد إلى الآن ، رغم أنها خوارق مادية ، والخارقة المادية فى الغالب « موقوته بزمان ومكان محددين » أو هذا هو الشأن فيها . فجميع معجزات الرسل السابقين كانت « مادية » ظهرت فى حينها ثم اختفت ولم يبق منها شيء إلا الإخبار عنها . وصارت تحتمل التصديق مثلما تحتمل التكذيب ، شأنها شأن جميع الأخبار من حيث هى أخبار ، بصرف النظر عن

المخبر بها .

يصدق بها المؤمن وإن لم يرها ، مادامت قد وردت من طريق صحيح .
ويكذب بها المعاند الذى خلا قلبه من جلال الحق وثبات الإيمان .. ؟!

فالطوفان كان آية نوح . ولكن أين هو الآن . لقد أقلعت السماء وابتلعت الأرض ماءها منذ آلاف السنين ، ولم يبق من الطوفان أثر قاطع الدلالة عليه . ومع هذا فليس طوفان نوح موضع ارتياب عند المؤمنين .

وبرودة النار وسلامتها كانت آية إبراهيم . ولكن أين هى الآن ؟ لقد أصبحت خبراً من الأخبار ، ولم يبق منها دليل واحد عليها . ومع هذا فليست نار إبراهيم موضع ارتياب عند المؤمنين .

وكان انفلاق البحر ، وانبثاق الماء من الحجر ، وابتلاع عصى موسى أفاعى سحرة فرعون آيات لموسى (عليه السلام) ، وكان إحياء الميت ، وإبراء المعلولين ، والتكلم فى المهد آيات لعيسى (عليه السلام) .

ولكن أين ذهب ذلك كله . لقد التأم بحر موسى مرة أخرى ، وجف حجره . وفنيت عصاه ، كما فنيت أفاعى السحرة . ؟!

والميت الذى أحياه عيسى قد مات مرة أخرى ، كما أصاب من أبرأهم عيسى من عللهم داء الموت ، الذى لاينجو منه أحد ، وذهب عيسى نفسه إلى حيث يعلم الله . ومع هذا كله فليست هذه المعجزات كلها موضع ارتياب عند المؤمنين .

أما معجزات محمد (عليه السلام) المادية فمنها ماذهب ولم يبق له أثر إلا الإخبار عنها ، ومنها ما هو باق مشاهد إلى اليوم وإلى مابعد اليوم حتى يرث الله الأرض ومن عليها وماعليها . وهذا فارق جليل الشأن بينه وبين إخوانه المرسلين (عليهم صلوات الله أجمعين) .

استراق السمع .. ورجم الشياطين

كانت الشياطين قبل مبعث رسول الإسلام (ﷺ) تسترق السمع من السماء ، وتخبر به الكهان والعرافين ، فأصبحت سوقهم في تلك الأزمان رائجة . ومن يقرأ أسفار العهد القديم يجد مشكلة المشكلات فيها ألا عيب الكهان والعرافين ، والحالمين ، وأدعياء النبوة منهم . وقد ذكرنا طائفة من تلك المشاهد التى حفلت بها التوراة ، حتى اختلط على بنى إسرائيل ـــ كما تروى توراتهم ـــ الأمر فلم يكونوا يميزون بسهولة بين نبى صادق ومتنبىء كاذب . وظل سلطان الكهانة والعرافة قويا حتى فى شبه الجزيرة العربية وماتاخمها من البلدان . إلى أن شرف الله محمداً (ﷺ) بجلال النبوة وقدسية الرسالة . وهنا حدث أمران :

ظاهرة تُدْبِر .. وظاهرة تُقْبِل

نعم . حدث أمران : ظاهرة تُدْبِر .. وظاهرة تُقْبِل . أو ظاهرة تموت ، وأخرى تولد :

أما الظاهرة التى أدبرت وماتت . فهى ظاهرة استراق الشياطين السمع من السماء . وأدبرت معها وماتت ظاهرة الكهانة والعرافة والتنجيم والشعوذة والدجل .

فلم يعد فى مقدور شيطان أن يلتقط خبراً من أخبار السماء ، لقد أوصدت دونها الأبواب . وسدت الطرق وأغلقت النوافذ ، وأحكم الحصار . ونعت الشياطين حظها ووقعت فى حيرة من أمرها . ماالذى جد فحيل بينها وبين ماكانت تمارسه من نشاط . وتصدعت عروش الكهان والعرافين . وذبلت مزارعهم ، وانحسر عنها الماء الذى كان يغذوها فأصبحت هشيما تذروه الرياح . لقد دالت دولتهم إلى الأبد ؛ لأن فى الكون أمر عظيما قد استجد .

وأما الظاهرة التى أقبلت وولدت ، فهى ظاهرة تساقط الشهب الثاقبة بنيرانها الحارقة ، التى تتبع أوكار المتسللين من « لصوص » الشياطين كلما حاولوا

الاقتراب من السماء ليسترقوا أخبارها ، كما كانوا يفعلون قبلا ، فإنهم يجدون فى طريقهم .. « ناراً » ، تصب على رءوسهم « صَبًّا » من « فوق » فتحرقهم وتُبِيدُهم .

فلنسمع إلى القرآن الأمين وهو يقرر هذه الحقيقة الناصعة وهو يحكى قول الجن :

﴿ وأنه كان رجالٌ من الإنسِ يعوذون برجالٍ من الجن فزادوهم رهقا . وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعثَ اللهُ أحدا . وأنَّا لمسنا السماءَ فوجدناها مُلِئَتْ حرساً شديداً وشهبا . وأنا كُنَّا نقعد منها مقاعد للسمع . فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً . وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً ﴾ .(٨)

أجل : لقد حرست السماء عند مبعث محمد (ﷺ) وَوُضِعَ عليها حراس شداد بأيديهم شعل من النار ، تتهاوى فوق رءوس كل مارد ، متسلل ، متلصص . إنها طلقات نارية لاتخطىء هدفها ، فهى لهم بالمرصاد ..

أهذا حدث قبل بعثة محمد (ﷺ) ؟! كلا .. ثم كلا .

أهذا حدث مع بعثة محمد (ﷺ) ؟! . نعم .. ثم نعم .

إنه حدث معها واستمر إلى اليوم . فمن منا لم يشاهد تلك الشهب تنقض من عل إلى حيث يكون الهدف . إنها ظاهرة تتجدد كثيراً ولانظن أن أحداً لم يشاهدها ، ولو مرة فى حياته ، إلا أن يكون ذلك « الأحد » يعيش فى كهف مغلق طوال حياته كلها لم ير النور .

أفى استطاعة مكابر أن ينكر وجود هذه الظاهرة ، وتكرارها عند تكرار دواعيها .؟! ليس ذلك فى مكنة أحد قط ، يزعم أنه ذو عقل وبصر .

إن القرآن الأمين يؤكد هذا المعنى فى أكثر من موضع منه . ومن ذلك

---

٨ ـــ الجن (٥ ـــ ١٠) .

قوله تعالى وهو أصدق القائلين :

﴿ إنا زيَّنّا السماءَ الدنيا بزينةٍ الكواكب . وحفظاً من كل شيطان مارد . لايَسَّمَّعُون إلى الملأ الأعلى ويقذفونَ من كل جانب . دحوراً ولهم عذابٌ واصب . إلا من خَطِفَ الخَطْفَةَ فأتبعهُ شِهابٌ ثاقب ﴾ .[٩]

إن الجو الذى تصوره هذه الآيات حرب صاخبة يتطاير لظاها من كل مكان من حول « الحمى » حمى الملك القوى العزيز الجبار . جنود مدربون على فنون القتال أحكم تدريب .

إنهم يصدون عن الحمى كل معتد ، فيمطرونه بوابل من « طلقاتهم » ليندحروا .

ومن يلتقط من المتسللين خبراً من أخبار الملأ الأعلى فإنه لايخفى على الحراس وإن ولى مدبراً وهرب . فسوف تتبعه قذيفة سريعة : تصيبه من حيث لايدرى . فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وإليه المرجع والمصير .!!

ثم قوله تعالى :

﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ، وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير ﴾ .[١٠]

أليست هذه خارقة مادية ، ومعجزة حسية من جنس ماكان يؤيد الله به الأنبياء الأقدمين . وهى مع كونها معجزة حسية مادية لم تذهب كما ذهب غيرها من الماديات الحسيات . هى باقية إلى الآن ، متجددة بتجدد دواعيها . فهل لنبى سابق معجزة مادية حسية بقيت كما بقيت هذه المعجزة والآية الدالة على صدق الرسالة والرسول ؟!

---

٩ ــ الصافات (٦ ــ ١٠) .

١٠ ــ تبارك (٥) .

اعتراض إن ورد فهو مردود

قد يقول خصومنا : إن هذه ظاهرة كونية استغلها رسول الإسلام لحسابه ، والظواهر الكونية قديمة قدم الكون نفسه . فلا حجة لكم إذن ــ أيها المسلمون ــ فيما تقولون ؟!

إن قالوا هذا قلنا لهم إن اعتراضكم مردود عليكم . فنحن نقول ونعتقد أن هذه الظاهرة حدثت مع بعثة خاتم النبيين . وهى دليل من مئات الأدلة على صدق رسالته . هذا حق .

وأنتم تقولون : إنها ظاهرة كونية قديمة . فما هو دليلكم على ماتقولون إن كنتم صادقين .

إن هذه الظاهرة فريدة فى نوعها لافتة للأنظار ، ومن شأن الظواهر الفريدة أن يشرحها الأنبياء إلى أقوامهم ، أو يسألهم سائل عنها فيجيبون بما يعرفون . وأمامكم ــ الآن ــ كتابكم المقدس بعهديه وماأكثر أسفاره وإصحاحاته ، وماأطول الفترة التى يتحدث عنها الأنبياء فيه فأرونا عبارة واحدة تشير إلى هذه الظاهرة فى توراتكم أو أناجيلكم ، تثبتون بها قدمها . . فإن لم تجدوا ــ ولن تجدوا ــ فنسألكم كيف يخلو كتاب امتد خلال ألف وثلثمائة سنة من رصد هذه الظاهرة العجيبة والحديث عنها .؟!

إن أى تفسير يصدر عنكم لخلو كتابكم منها لن ينفعكم إلا أن تسلموا بحدوث الظاهرة نفسها .

وها نحن قد أقمنا دليلين على حدوثها . **أولهما** : ماأوردناه من نصوصنا وعليه المُعَوَّل والمعتقد .

وثانيهما : خلو كتبكم المقدسة من الحديث عنها . ونحن لسنا فى حاجة إليه إلا من حيث مواجهتكم به وإقامة الحجة عليكم بما أنتم به مؤمنون أما أنتم فليس لكم فيما تدعون دليل ، ولا شبه دليل .؟!

انقلاب الخشبة سيفا ؟!

تلك واحدة من كبريات الخوارق والمعجزات التى أيد الله بها رسوله ، وماتزال ترى من حين إلى حين . ولها فى القرآن الحكيم نظائر كانشقاق القمر ، والإسراء والمعراج ، وكفاية الله له من المستهزئين ، والإخبار عن الفتح المبين ، ووقوعه على نفس الصفة التى حددها القرآن لفتح مكة المكرمة . وكفالته إظهار دينه « الإسلام » على الدين كله ، وكفالته بحفظ القرآن من التحريف والتبديل . فلندع هذه المعجزات ـــ الآن ـــ لذيوع أمرها وصدق مدلولها . ولنذكر ماقد خفى أمره ـــ نسبيا ـــ من خوارق متنوعة أيد الله بها رسوله ، ولم تشتهر اشتهار ما أومأنا إليه ومن ذلك انقلاب الخشبة سيفا .

روى رجال عن ابن إسحق فى تسمية من شهد بدراً من أصحاب رسول الله (ﷺ) أنه قال :

« وعكاشة بن محصن وهو الذى قاتل بسيفه يوم بدر حتى انقطع فى يده . فأتى رسول الله (ﷺ) فأعطاه جذلا من حطب وقال : قاتل بها ياعكاشة فلما أخذه من يد رسول الله (ﷺ) هزه فعاد سيفا فى يده طويل القامة ، شديد المتن أبيض الحديدة . فقاتل بها حتى فتح الله على رسوله ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله (ﷺ) حتى قتل ـــ يعنى عكاشة ـــ فى قتال أهل الردة ، وهو عنده وكان ذلك السيف يسمى القوى » .

رد عين قتادة بعد تلفها.. ؟!

روى عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم أحد فى الغزو مع رسول الله (ﷺ) فسالت على وجنته فأرادوا أن يقطعوها فسألوا رسول الله (ﷺ) فقال : لا . ودعاه وغمز حدقته براحته فكان لايُدرَى[11] أى عنيه أصيبت . فكانت أحسن عينيه وأحدهما » .

---

١١ ـــ لايُدرَى بالبناء للمفعول . أى لايدرى من رآه أى عينيه حدث لها ذلك ..؟!

وجاء في رواية أخرى أنه (عليه السلام) قال : « اللهم اكسها جمالاً » فمات ومايدرى من لقيه أى عينيه أصيبت »

استمر الحديث عن رد عين قتادة معروفا طوال عهد الخلفاء الراشدين وصدراً من دولة بنى أمية حيث أنشد ولد قتادة فى حضرة عمر بن عبد العزيز وهو خليفة ، وأقره من سمع ولم ينكر عليه قوله :

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه
فردت بكف المصطفى أيما رد
فعادت كما كانت لأحسن حالها
فياحسن ماعين وياحسن مارد

ويرد البصر على ضرير

روى الترمذى وغيره عن عثمان بن حنيف : أن رجلاً ضريراً أتى رسول الله (ﷺ) فقال : أُدع الله تعالى لى أن يعافينى قال : إن شئت صبرت فهو خير لك ، وإن شئت دعوت الله » .

قال الرجل : فادعه .. فأمره النبى أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويصلى ركعتين ويدعو بهذا الدعاء :

« اللهم إنى أتوجه إليك بنبيك نبى الرحمة . يامحمد إنى أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى فشفعه فىَّ » .

وفى رواية قال الضرير : « يارسول الله ليس لى قائد وقد شق على » إلى آخر الحديث .

فقال عثمان راوى الحديث : فو الله ماتفرقنا ولاطال الحديث بنا حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضر قط » .
وعلق الترمذى على هذا فقال : حديث صحيح .

وشفى مريضا بالجنون

روى أبو يعلى الموصلى عن أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنه وروى الحاكم فى صحيحه . وروى الدارمى عن ابن عباس رضى الله عنه مثلما روى السابقان قصة الشفاء من الجنون على يد رسول الله (ﷺ) .

ومنه أن امرأة أتته بطفل لها به لمم . فقالت يارسول الله :

إن ابنى هذا به لمم منذ سبع سنين يأخذه فى كل يوم مرتين . فتفل النبى (ﷺ) فى فيه (فمه) وقال : اخرج عدو الله أنا رسول الله ، فبرىء الطفل من مرضه .

فجاءت المرأة بكبشين وشيء من أقط وقالت : والذى بعثك بالحق مارأينا منه ريباً بعدك . فأخذ الرسول أحد الكبشين ورد الثانى وروى الطبرانى عن جابر قصة مماثلة وقعت حين خرج (ﷺ) هو وصحبه فى غزوة ذات الرقاع . والظاهر من سياق الروايات أن ذلك حدث ثلاث مرات .

ويدعو فينزل الغيث فى الحال

وروى البخارى ومسلم فى الصحيحين ــ بسندهما ــ عن أنس بن مالك أن رجلا دخل المسجد فى يوم جمعة .. ورسول الله قائم يخطب ، فاستقبل رسول الله (ﷺ) قائما . ثم قال يارسول الله . هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغثنا . قال أنس : فرفع رسول الله (ﷺ) يديه ثم قال : « اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا » .

قال أنس : ولا والله مانرى فى السماء من سحاب ولا من قزعة ــ يعنى لمعة من السحاب ــ وإن السماء لمثل الزجاجة ــ يعنى فى الصفاء ــ ... فو الذى نفسى بيده ماوضع يديه حتى ثار السحاب أمثال الجبال . ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر عن لحيته ؟!

ويتابع أنس الواقعة فيقول :

« فلا والله مارأيت الشمس سبتا ــ أى أسبوعا ــ قال : ثم دخل رجل فى الجمعة المقبلة ورسول الله قائم يخطب . فقال : يارسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله أن يمسكها عنا ..؟!

قال : فرفع رسول الله (ﷺ) يديه ثم قال : اللهم حوالينا ولاعلينا . اللهم على الآكام والظراب ــ الخربات ــ وبطون الأودية ومنابت الشجر .

قال أنس : فما (كان) يشير بيده إلى ناحية إلا تفرجت حتى رأيت المدينة مثل الجوبة (الحوض الواسع) وسال الوادى قناة شهراً ولم يجىء أحد من ناحية إلا أخبر بجود » !!

والماء يكثر بين أصابعه

تعدد مرات نبع الماء ببركة دعائه ربه (ﷺ) ونكتفى منها بما يلى :

جاء فى صحيح الإمام البخارى رضى الله عنه عن عبد الله بن مسعود قال : كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفا . كنا مع رسول الله (ﷺ) فى سفر فَقَلَّ الماء . فقال : اطلبوا فضلة من ماء.. فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده فى الإناء وقال : حى على الطهر المبارك والبركة من الله . فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع النبى (ﷺ) . ولقد كان يُسمع تسبيح الطعام وهو يأكل » .

وروى مسلم عن معاذ بن جبل فوران الماء من عين ببركة رسول الله (ﷺ) كما روى مسلم عن جابر بن عبد الله مثل ماتقدم والبخارى ومسلم عن عمران بن حصين ، وعن أبى قتادة . والإمام أحمد فى مسنده عن البراء بن عازب ، وعن ابن عباس كذلك . ورواه الترمذى وأبو داود ، وابن ماجة عن زيادة بن الحارث .

والطعام يكثر ببركته (ﷺ)

روايات تكثير الطعام مثل تكثير الماء فى الإفاضة والتعدد ويكثر ورود

هذه الروايات فى الصحيحين ، إما مجتمعين فيرويه البخارى ومسلم معاً . وإما منفردين فيروى البخارى قصة ، ويروى مسلم أخرى . وجاء عنهما على ثلاث درجات :

الأولى : مااتفق عليه الإمامان أكثر مما انفرد به كل منهما عن الآخر .

الثانية :ماانفرد به البخارى أكثر مما انفرد به مسلم ..؟

الثالثة : ماانفرد به مسلم دون ماانفرد به البخارى ، وهذا معلوم من الدرجة الثانية .

مثال لما اتفقا عليه :

عن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قال : كنا مع رسول الله ﷺ ثلاثين ومائة . فقال النبى (ﷺ) : هل مع منكم طعام . فإذا مع رجل صاع من طعام ، أو نحوه ، فعجن ثم جاء رجل منفش الرأس .. بغنم يسوقها . فقال النبى (ﷺ) : أبيعاً أم عطية ... قال : بيع . فاشترى منه شاة فصنعت وأمر النبى بسواد البطن أن يشوى .. وأيم الله مافى الثلاثين والمائة إلا من حَزَّ له النبى (ﷺ) حزة من سواد بطنها. إن كان شاهداً أعطاه وإن كان غائبا أخبأ له .. فأكلوا أجمعين وشبعنا .. » .

ومثال لما انفرد به البخارى :

روى البخارى ـــ بسنده ـــ عن أبى هريرة أنه كان يقول : والله الذى لاإله إلا هو إن كنت لأعتمد على الأرض من الجوع ... ولقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه . فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله . ماسألته إلا ليستتبعنى(١٢) فمر ولم يفعل . ثم مر بى أبو القاسم (ﷺ) ، فتبسم حين رآنى . وعرف مافى وجهى ومافى نفسى ثم قال : ياأبا هر قلت لبيك

---

١٢ ـــ يعنى يدعوه ضيفا معه إلى بيته . وهذا من باب التعريض بالحاجة دون الإفصاح عنها . ولكن أبا بكر لم يفطن لتعريضه .

يارسول . قال : الحق ــ يعنى أقبل ــ ومضى فأتبعته فدخل . فاستأذن فأذن لى فدخلت . فوجد لبنا فى قدح فقال من أين هذا اللبن ؟

قالوا أهداه لك فلان ... قال : ياأباهر . قلت لبيك يارسول الله . قال : الحق إلى أهل الصفة فادعهم لى ... قال أبو هريرة وما هذا اللبن فى أهل الصفة (١٣) ــ يعنى : قليل لايكفيهم ــ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها . فإذا جاءوا أمرنى فكنت أنا أعطيهم وماعسى أن يبلغنى أنا من هذا اللبن ــ قال هذا الكلام فى نفسه ــ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد . فأتيتهم فدعوتهم ... فقال ياأبا هر . قلت لبيك يارسول الله . قال خذ فأعطهم . فأخذت القدح ، فجعلت أعطى الرجل فيشرب حتى يروى ... حتى انتهيت إلى النبى (ﷺ) وقد روى القوم كلهم . فأخذ القدح ووضعه على يده فنظر إلىّ فتبسم وقال : ياأبا هر . قلت لبيك يارسول الله . قال : بقيت أنا وأنت . قلت صدقت يارسول الله . قال اقعد فاشرب .. فمازال يقول : اشرب حتى قلت : لا والذى بعثك بالحق ماأجد له مسلكا . قال فأرنى فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة » .

ومثال لما انفرد به مسلم :

فى صحيح مسلم عن جابر : أن أم مالك كانت تهدى للنبى (ﷺ) فى عكة لها سمنا . فيأتيها بنوها فيسألون الأدم وليس عندهم شىء ، فتعمد إلى الذى كانت تهدى فيه للنبى (ﷺ) فتجد فيه سمنا . قال : فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته ، فأتت النبى (ﷺ) فقال : عصرتها قالت نعم . قال : لو تركتها مازال قائما » .

ويرفع له بيت المقدس فيصفه وهو يراه

حين أسرى الله برسوله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فى جزء

---

١٣ ــ أهل الصفة جماعة من فقراء المسلمين لامال لهم كانوا يلزمون المسجد .

من ليل ، وأعاده إلى مكة قبل أن تشرق شمس تلك الليلة ، حدث الناس بما كرمه به ربه ، فارتاب من ارتاب ، وصدق من صدق .

فاجتمعت إليه رجال من قريش يقولون : إن كنت صادقا فيما تقول فصف لنا بيت المقدس .

فلما أخذ يصفه اختلط عليه . وهنا جاء الفتح من السماء . فقد روى البخارى ومسلم عن جابر رضى الله عنه . قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لقد رأيتنى فى الحجر (يعنى حجر إسماعيل) وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ماكربت مثلها قط . فرفعه الله إلىَّ أنظر إليه . مايسألوننى عن شيء إلا أنبأتهم به ».

« قارن هذا التأييد بما حدث لسليمان (عليه السلام) من نقل عرش بلقيس »

﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾

وأنبأ عن غيب مايزال يرى

روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة . قال : قال رسول الله (ﷺ) :

« صنفان من أهل النار لم أرهما بعد . قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس . ونساء كاسيات عاريات . مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت ــ يعنى كأسنمة الإبل ــ المائلة . لايدخلن الجنة . ولايجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » .

وأقول إن هذه المعجزة لمما يراه الناس الآن . فكم فى الدنيا من حكام قساة جبابرة يضطهدون عباد الله .

وكم فى الدنيا من نساء كاسيات عاريات يتمايلن فى سيرهن ، وتعلو رءوسهن خصل الشعر مفرقا مرسلا ،ومقصوصاً مشدداً . ومتى وقع الإخبار عن

هاتين الظاهرتين ؟ منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان . وممن وقع الإخبار به ؟ من محمد رسول الإسلام المؤيد بوحى الخبير العلام .

ذلكم قطرة من بحر مما حفظته الرواية لمحمد (ﷺ) مامن خارقة أو معجزة أيد الله بها نبيا من الأنبياء : عملية كانت أو خبرية إلا وقد أيد رسوله محمداً (ﷺ) بأعظم منها . فهل بعد ذلك يجوز القول بأن محمداً لم يأت بمعجزات ! ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾ .[١٤]

○○○○○○○

١٤ ــ الكهف آية : ٥ .



الفصل الخامس

دعوى : القرآن غير معجز وأنه من نوادر الأعمال

في مواجهتنا للشعبة الثانية ، التى ادعى فيها واضعو الرواية الهزلية أن رسول الإسلام ــ ﷺ ــ لم يأت بمعجزات ، كان قصدهم نفى الخوارق المادية الحسية ؛ لأن مفهوم المعجزة عند أهل الكتاب (يهوداً ونصارى) لايتجاوز دائرة المادة والحس ، ولاعهد لكتابهم المقدس بعهديه القديم والجديد بلون آخر من الخوارق يغاير خوارق المادة المحسوسة . والواقع أن تاريخ الرسالات السابقة على الإسلام لم يعرف إلا الخوارق المادية على النحو الذى تقدم وقد أبنّا أن الله ــ سبحانه ــ قد أيد رسوله محمداً (عليه السلام) بطاقة هائلة من جنس ماأيد به الأنبياء السابقين ، وذكر صوراً منها إذا قيست بما وردت به الروايات فهى لاتمثل واحداً فى المائة من القدر المروى منها .

بيد أن الذى لاخلاف فيه أن معجزات محمد (ﷺ) المادية تختلف عن معجزات إخوانه من الرسل من عدة وجوه :

أولاً : أنها كثيرة كثرة فائقة لم يعهد مثلها لنبى سواه .

ثانيا : أنها ذات قيمة من الناحية العلمية ، لأنها ذات سند معروف ، فُلان يروى عن فُلاَن ، مع ماخضع له ذلك السند من تدقيق وتمحيص . بينما الذى يذكره أهل الكتاب لاسند له ، فهو قول مرسل على عواهنه . ونحن المسلمين ماكنا لنصدق ماترويه الأناجيل عن عيسى ــ مثلا ــ لو كان المصدر الوحيد لروايته هو الأناجيل ؛ لأن النصارى لم يكونوا أمناء على حفظ إنجيل عيسى (عليه السلام) ، وإنما « ألقوه فى غيابة الجب » واختلقوا بدلا منه « أناجيل » متنافرة يزداد الريب فيها ــ عندهم ــ عصراً بعد عصر !؟ وإن كانت الكنيسة تحاول ــ دائما ــ إنقاذ مايمكن إنقاذه منها . وليس بالمستحيل أن يأتى اليوم الذى ينزع كل ثقة عن هذه « الأناجيل » إذا مااستمرت الدراسات الجادة ، التى

يقوم بها الآن لفيف من مفكريهم حول سند الأناجيل ومتنها ، وهى حتى الآن قد قطعت شوطا كبيراً فى هذا المجال .

ثالثا : أن من معجزات رسول الإسلام المادية ماهو باق متجدد إلى الآن ، مع أن الأصل فى كل الخوارق المادية أن تكون محدودة الزمان والمكان وهذه خاصة فريدة اختص الله بها محمداً (ﷺ) .

رابعا : أن من يدرس المعجزات المادية التى أيد الله بها محمداً (ﷺ) ينتهى إلى حقيقة لاريب فيها ، وهى :

مامن معجزة أيد الله بها نبيا سابقا إلا وأيد محمداً بمثلها [(١)] فجمع الله له ــ بذلك ــ ماتفرق على أيدى أنبيائه كما كانت رسالته جامعة لما جاءوا به . ثم خصه بمعجزات لم تعرف لسواه ..!!

ومع هذا فإن صدق رسالة محمد (ﷺ) لايتوقف على هذه المعجزات . فلصدق رسالته معايير أخرى أجل وأبقى .

وواضعو الرواية الهزلية توهموا أنهم نجحوا فى إثبات مدعياتهم فى كل من الشعبتين السابقتين :

° دعوى حصر النبوة فى نسل إسحق ..؟!

° دعوى عجز محمد (ﷺ) عن الإتيان بمعجزات .. ؟!

ولهذا فإنهم خطوا خطوتهم « الكسيحة » الثالثة فادعوا نفى الإعجاز عن القرآن العظيم .

وبنوا زعمهم ــ هنا ــ على فِرْيَتَيْن لاثالث لهما :

---

١ ــ ليس المقصود بالمثلية ــ هنا ــ التوافق فى كل الوجوه ، فندعى له طوفانا كطوفان نوح ، أو ناراً كنار إبراهيم ، أو فلقا للبحر كموسى ، وإنما المراد المثلية فى القوة وشدة التأثير مع أن كثيراً من معجزاته (ﷺ) =

١ ــ **الفرية الأولى** :ــ أن القرآن من نوادر الأعمال (الإنسانية) ، وعليه فتأليف كتاب ما فى نهاية البلاغة والفصاحة لايعد معجزة ..؟! .

٢ ــ **الفرية الثانية** : أن أكثر القضايا الشرعية فيه مقتبسة من كتاب التوراة . وجميع القصص فيه ماعدا قصتى صالح وهود ــ مقتبس من التوراة ... فإذا نسخنا من القرآن كل ماهو مقتبس من التوراة من الشرائع والسير لايبقى فيه إلا مالا يستحق الذكر . فبأى نوع إذن هو معجز ؟! (٢)

هذا ماقاله واضعو الرواية الهزلية ، حرصنا على أن ننقله بألفاظه ــ تقريبا ــ وهذا كل دليلهم ــ كما ترى ــ لم يضيفوا إليه شيئاً ، وليس لديهم مايصلح للإضافة . فالموضوع الذى يقفون فى وجهه ــ هنا ــ موضوع عملاق ومخيف ، لم يخلق ــ ولن يخلق ــ الذى يستطيع الوقوف أمامه فضلا عن التصدى له ، وممارسة الهجوم عليه ..؟!

وهؤلاء الذين نتحدث عنهم ــ واضعو الرواية الهزلية والمبشرون ــ أقزام وحمقى وجهلة ، وأحلامهم أحلام « العصافير » الذين يعنيهم الشاعر الساحر :

إن العصافير لما هاج هائجها   توهمت أنها صارت شواهينا ..؟! (٣)

وتحضرنى ــ الآن ــ قصة طريفة ، رأيت أن أذكرها هنا لسببين :

أحدهما : للتخفيف على القارىء من سخافة هذا الكلام الذى نقلناه عن الوضاع الهازلين .

وثانيهما : لأن لها صلة وثيقة العرى بهذا التفكير السقيم الذى يمارسه أولئك

= يتفق مع معجزات الأنبياء السابقين ، مثل التنبؤ بالغيوب ، وشفاء المرضى وتبريك الطعام ، وفهم لغة العجماوات والطيور . والسير فى الفضاء ونبع الماء على يديه . الخ .

٢ ــ الباكورة الشهية (١٨٣ ــ ١٨٤) .

٣ ــ الشواهين جمع مفردها : شاهين أى الصقر . وأين العصفور من الصقر ؟! .

المرضى العقليون .

وخلاصة القصة أن رجلا من القدماء كان يمارس مهنة الطب البدائى ، ويستعمل ذكاءه وفراسته مع مرضاه ، فيستقرىء ماحولهم من أحوال ثم يستنتج منها مايقوله لمرضاه ، ويحوز إعجابهم . وكان له ابن أراد أن يحذو حذو أبيه فى « التذاكى » ، فدخل يوما للكشف على مريض ، وكان مما قاله لمريضه :

أراك اليوم أكلت لحم حمار ؟! فتعجب المريض وقال : حاشا ..! كيف آكل لحم حمار أيها الطبيب ..؟! وأظهر المريض وأهله سخرية لاذعة بالطبيب المتذاكى . فخرج يجر أذيال الخزى والخيبة ..؟!
ثم قص ماكان منه وماحدث له على أبيه .

فقال له أبوه :

وكيف استنتجت أنه أكل لحم حمار ؟!

قال : إنى حين دخلت عليه وجدت فى البيت برذعة . فعلمت أنها برذعة حمار .

وقلت لو كان حمارهم حياً لكانت البرذعة موضوعة عليه ..؟! وحيث أنها لم تكن موضوعة عليه فهو إذن غير حى .. ؟!

وإذا كان غير حى فهم قد ذبحوه ..؟!

وإذا كانوا قد ذبحوه فقد أكلوه .. واستنتجت من ذلك كله أن مريضهم أكل معهم لحم حمارهم .. ؟!!!

فقال له أبوه :

« لو كان شىء من هذه المقدمات التى ذكرتها صحيحا لرجوت فيك النجابة . ولكن مقدماتك كلها فاسدة (؟!!) فانتظار النجابة فيك محال » ؟! .

كان الأب على حق . وابنه على باطل . فوجود البرذعة لايلزم منه أنها

لحمار فقد تكون لفرس . ولهذا كذبت هذه المقدمة ..؟ وحتى لو كانت لحمار فإن إنزالها عنه ليس سببه هو « الذبح » بل إن الأصل فى البرذعة أن تكون موضوعة ، ولاتحمل على ظهر الحمار إلا عند إرادة ركوبه .؟!

ولهذا كذبت هذه المقدمة ، كما كذبت الأولى ، وكما كذب استنتاج الطبيب المتذاكى كله ..!!

وأرجو أن تكون هذه القصة قد أوفت بالغرض الأول من ذكرها وهو التخفيف على القارىء من هذيان الهازلين .!!

أما الغرض الثانى . فإن مقدمات واضعى الرواية الهزلية كلها فاسدة مثلما فسدت مقدمات ذلك الطبيب النابغة ؟! ولو كان شيء من مقدمات واضعى الرواية الهزلية صحيحاً لرجا أبوهم النجابة فيهم ؟!

أما ومقدماتهم كلها فاسدة ؛ فإن انتظار النجابة فيهم محال .. محال ..؟!

إنهم يطلبون المستحيل ، ولو كان هذا الميدان مما يجوز أن يحرز أحد فيه نصراً . لكان غيرهم « أشطر » وعلى المواجهة أقدر .

إن الذى يبتغى الصيد فى « عرين » الأسد يقدم نفسه صيداً للأسد نفسه فيكون براقش أخرى قد جنت على نفسها ، وعلى أهلها ،[٤] وتلك عقبى الحمق فى كل زمان .

إن الذى يدعيه هؤلاء الحمقى لايوجد من « يؤمن به » ولاهم أنفسهم ، وماسبيله إلا سبيل المكابرة والمعاندة ، وكان من الميسور أن نضرب صفحاً عن

---

٤ ـــ مثل عربى قديم وبراقش اسم « كلبة » اختبأ أهلها وهى معهم من وجه خصومهم . فلما أحست بهم براقش عوت عليهم فعلم خصومهم بمكان اختبائهم وانقضوا عليهم فقيل فى المثل : على نفسها جنت براقش . كما قيل : وعلى أهلها براقش تجنى . وكلاهما صائب ؛ لأن براقش أخذت كما أخذ أهلها بيد خصومهم .

هذا « الهراء » .

فهو مقضى عليه قضاء من ينكر الشمس فى واضحة النهار ، ولكن لأن القوم أكثروا من ذكر هذه « الفريات » فى كل كتاباتهم المعاصرة ، التى يصدرونها ضد الإسلام آثرنا أن نضع فى « حلوقهم » حجراً ، غير عابئين بأن تصبح الأحجار أغلى من الياقوت والمسك على حد قول الشاعر :

لو كل كلب عوى ألقمتــه حجــراً لكان أغلى من الياقوت والمسك .

وقد يكون الشاعر معذوراً فى إعراضه عن « كلابه » ؛ لأنه سيحتاج إلى كتل هائلة من « الحجارة » يتبعها غلو فى أثمانها .؟!

أما نحن فلن نحتاج إلا إلى « حجر » واحد ، فلن يكون « لفقده » تأثير فى سوق العرض والطلب تغلو به « الأسعار » ، وكافيك من « خصم » أنه يتوارى خلف ضعفه ، ولايظهر إلا فى الظلام ، إن كان فى الظلام ظهور لمختف .!!

الفرية الأولى

ونعود لتصوير هذه الفرية التى يقولون فيها :

إن القرآن كتاب فى نهاية البلاغة والفصاحة فهو من نوادر الأعمال الإنسانية وتأليف كتاب فى نهاية البلاغة والفصاحة لايعد معجزة . فالقرآن ــ بناء على هذا ــ ليس معجزاً ..؟!

هذا تصوير أمين لما قالوه فى هذه الفرية . وكان من الميسور جداً أن نرد عليهم دعواهم هذه بكلمة واحدة فنقول لهم :

هيا ياقوم فأتونا بكلام فى درجة القرآن لتقيموا الدليل على صحة دعواكم واعتبروا هذه الدعوى دعوى « معلقة » إلى أن تأتوا بكلام مماثل للقرآن فى نهاية البلاغة والفصاحة ، ومادام القرآن من نوادر الأعمال الإنسانية فأنتم من

فصيلة « الإنسان » فأتوا بعمل نادر مثله . ونحن فى الانتظار يانوابغ العصر ..؟!

كان يمكن فى باب البحث والمناظرة أن نكتفى بهذا ونرد على القوم دعواهم من أقصر طريق .

ولكن جلال الحق الذى نتشرف بالحديث عنه ، هو الذى حبب إلينا أو قل أوجب علينا أن نخطو مع هذه « الدعوى » من بداية الطريق حتى نصل إلى نهايته ، إذ ليست هذه الفرية وليدة اليوم ، بل عاصرت نزول القرآن الحكيم نفسه ، فخر مدعوها صرعى بين يدى الحق كأنهم أعجاز نخل خاوية . فما ترى لهم من باقية .؟!

القرآن ــ نفسه ــ يواجه الفرية

كان القرآن العظيم ــ ومايزال ولن يزال ــ المعجزة الكبرى على صحة الرسالة ؛ لأن القوم الذين بعث فيهم واختير منهم كان مشهوداً لهم بروعة البيان وفصاحة اللسان وامتلاك نواصى القول والبراعة فيه . هذا كان أظهر خصائصهم ولم تحظ أمة من الأمم بمثل ماكان لهم فى مجالات البيان وإحكام العبارة والتأنق فيما يقولون .

وقد جرت سنة الله أن يؤيد رسله بما شاع بين أقوامهم . ويأتيهم بما يحسون بوجه الإعجاز فيه ، ولايستطيعون محاكاته والإتيان بمثله . وعملا بهذه السنة الحكيمة أيد الله رسوله محمداً (ﷺ) بما أدهش وأعجز من البيان الأرفع الأمنع .

فضاق المشركون ذرعاً بهذا الفتح العظيم ، فقد أدركوا مواضع الروعة والإعجاز فيه . وأحسوا بالضعف يملك عليهم أقطار أنفسهم أمامه فهو السهل الواضح والصعب الممتنع العزيز المنال .

كان همهم نفى الرسالة عن محمد (ﷺ) كما يحاول ببغاوات العصر . ولكن هذا القرآن كان أكبر شاهد على أنه ليس مثلهم : مجرد متكلم

فصيح . فما عساهم أن يقولوا فيه وقد أعيتهم الحيل وقصرت بهم الهمم ..؟!

لم يكن أمامهم ــ أولا ــ إلا أن يدعوا أنهم فى طاقتهم الإتيان بمثله ، وقد حكى القرآن الأمين موقفهم هذا فقال :

﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا : قد سمعنا . لو نشاء لقلنا مثل هذا؟! إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ .(٥)

وهذا القول الذى حكاه عنهم القرآن الأمين يتضمن أصل الفريتين اللتين ذكرهما واضعو الرواية الهزلية .

فقول أسلافهم فى العقيدة : « **لو نشاء لقلنا مثل هذا** » تضمن الفرية الأولى التى يقولون فيها : إن القرآن من نوادر الأعمال الإنسانية وتأليف كتاب فى نهاية البلاغة والفصاحة لا يعد معجزة ؟!

وقولهم : « **إن هذا إلا أساطير الأولين** » تضمن الفرية الثانية التى ادعوا فيها أن القرآن مقتبس من التوراة .

ويتضح من هذا أن واضعى الرواية الهزلية مقلدون أو مجرد ببغاوات تحكى ماتسمع ولو لم تفقه لما تسمع معنى ؟!

والتواطؤ على هاتين الفريتين بين قدماء الكافرين ومحدثيهم يفيد أن منكرى الرسالة لم يكن لديهم شيء ذو بال يواجهون به القرآن العظيم إلا هاتان المقولتان بيد أن الفرية الأولى وهى الطمع فى الإتيان بمثل القرآن لم تكن رائجة على ألسنة القدماء حيث لم يحكها عنهم القرآن إلا مرة واحدة .

أما الفرية الثانية فقد رددوها كثيراً كلما وُوجِهُوا بالقرآن . وذلك على النحو الآتى :

﴿ ومنهم من يستمعُ إليكَ ، وجعلنا على قُلوبهم أكنةً أن يفقهوهُ ، وفى آذانهم

٥ ــ الأنفال (٣١) .

وقراً ، وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها . حتى إذا جاءوك يُجادلونكَ يقول الذين كفروا إنْ هذا إلا أساطيرُ الأولين ﴾ [٦].

﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا : أساطير الأولين ﴾ [٧].

﴿ لقد وُعِدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ [٨].

﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرةً وأصيلا ﴾ [٩].

﴿ لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ [١٠].

﴿ ... فيقول ماهذا إلا أساطير الأولين ﴾ [١١]

﴿ إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾ [١٢].

﴿ إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾ [١٣].

ماالسر وراء هذا التفاوت ؟!

هذه تسع آيات حكى فيها القرآن وصف المنكرين له بأنه أساطير الأولين وموضع واحد حكى فيه قولهم ﴿ لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴾ فما السر وراء هذا التفاوت ..؟!

إن أخف المقولتين مؤنة على النفس هى أكثرهما ذكراً على اللسان . فوصف المنكرين للقرآن بأنه أساطير الأولين لم يكن يكلفهم أكثر من النطق بهذه الفرية . ولذا فقد رَدَّدُوها كثيراً فى مواجهتهم للقرآن .

٦ ــ الأنعام (٢٥) .
٧ ــ النحل (٢٤) .
٨ ــ المؤمنون (٨٣) .
٩ ــ الفرقان (٢٥) .
١٠ ــ النمل (٦٨) .
١١ ــ الأحقاف (١٧) .
١٢ ــ القلم (١٥) .
١٣ ــ المطففين (١٣) .

أما دعواهم الإتيان بمثله فكانت تكلفهم ماهو فوق طاقاتهم جميعاً ، وهو الإتيان بمثله فعلا ، ولأنهم قد أحسوا بضعفهم أمام هذا الادعاء فإنهم لم يكرروا القول به . ففي التكرار تحميل لهم بما ليس فى قدرتهم ، وبما فيه إدانة لهم . إذا هم لم يأتوا بمثله ، وماهم بفاعلين . ولهذا كله لم تساعدهم أنفسهم على تكرارها وإذاعتها أمام الخصوم .

القرآن : يتحدى .. ويفحم .

واجه القرآن ـــ فى إباء وعزة وشمم ـــ هذه الفرى ، ولم يطالب القوم بأكثر ماادعوه هم لأنفسهم ، ولابأكثر مما وصفوا به القرآن نفسه .

فما دام القرآن غير وحى ، ومادام هو أساطير الأولين اكتتبها محمد (ﷺ) ، فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . ومحمد فرد ، وهم جماعة ، فما عليهم إلا أن يقيموا دليلاً على صدقهم باتهام القرآن ، ومن أنزل عليه القرآن . فعرض عليهم هذا المطلب :

﴿ أم يقولون تقَّوله ؟ بل لايؤمنون . فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ .[14]

فى هذه الآية صَوَّر القرآن الأمين موقفهم فى مواجهة الدعوة حيث قالو إن محمداً (عليه السلام) ـــ قد افترى القرآن وادعى أنه من عند الله .

ثم طالبهم فى الآية الثانية بأن يأتوا بكلام مثل القرآن فى علو منزلته ، أى كلام غير مقيد بطول أو قصر . كثر أم قل .

فمحمد ـــ عليه السلام ـــ بشر مثلهم ، وعربى مثلهم . فإذا كان هو ـــ بحق ـــ صاحب هذا الكلام فليحاكوه فيه إن كانوا صادقين فى دعواهم أن القرآن كلام محمد وكفى . القرآن فى هذه المواجهة يثيرهم ويحرك كل مشاعرهم ليأتوا بكلام مثل القرآن وجعل هذا الإتيان شرطا فى صدقهم . فإن لم

---

١٤ ـــ الطور (٣٣ ـــ ٣٤) وتقوله تفعُّل من القول أما اختلقه من تلقاء نفسه .

يأتوا فما هم بصادقين ..؟!

إن بواعث الخصوم على المحاكاة ــ هنا ــ لابد أن تكون قد بلغت درجة « الفوران » ولكنهم لم يقدموا على المحاكاة والإتيان بمثل القرآن . فما هو السبب ؟!

أهو زهدهم فى المحاكاة مع القدرة عليها ..؟!

أم هو رغبتهم عن الصدق مع شدة افتقارهم إليه ..؟!

إنهم لو كانت المحاكاة فى مقدرتهم ، وأتوا ــ فعلا ــ بمثل القرآن لقضوا فى تلك الجولة على الرسالة والرسول ..؟! ولكنهم لم يفعلوا مع قيام كل الدواعى الشعورية والخصومية على تلك المحاكاة المدعاة .

وليس لهذا « التقاعس والقصور » أى تفسير مقبول إلا عجزهم الفعلى عن المحاكاة ؛ لأن « المُحَاكَى » فوق طاقة البشر والجن .

لقد كانت الفرصة أمامهم سانحة للانتصار ، فلم يستفيدوا منها ، مثلهم مثل من يحمل سلاحاً خربا أمام خصم يحمل سلاحاً ماضياً ويهم بقتله . ثم يمنحه فرصة المبادرة بالدفاع عن نفسه باستعمال سلاحه . فكيف تفسر استسلام من يحمل السلاح الخرب ، وهو يدعى أن سلاحه ماض ، إذا كان لم يقدم على استعماله فى وجه خصم جاد كل الجد فى قتله .

إن النفس البشرية فى ساعة الحرج والتعرض لهلاك محقق تلتمس كل وسيلة لدرء الخطر ولاتستسلم له إلا عند الإحساس بالعجز التام عن مقاومته أيترك الإنسان نفسه للغرق ولديه وسيلة إنقاذ ؟! أيستسلم أحد للموت وبيده مايدفع عنه شره ؟! .. كلا .. ثم كلا ..

لقد تحدى القرآن خصومه ، واستحثهم على الدفاع عن أنفسهم ، ولكنهم وجموا أمام ذلك التحدى وهم أحوج مايكونون إلى الدفاع عنها .. إنهم عاجزون وكفى .

الخطوة الثانية فى المواجهة :

انتهت الخطوة الأولى بدون أية أهداف يحرزها الخصم المدعى لصالحه فخطابهم القرآن خطوة أخرى فى المواجهة . وتتضح هذه الخطوة فى الآيات الثلاث الآتية :

﴿ فلعلك تارك بعض مايوحى إليك ، وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معهُ ملك إنما أنت نذير ، والله على كل شيء وكيل . أم يقولون افتراه ؟ قل فأتوا بعشر سورٍ مثلهِ مفترياتٍ وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أُنزِلَ بعلمِ الله وأن لا إله إلا هو . فهل أنتم مسلمون ﴾ .[١٥]

فى الخطوة الأولى كان القدر المطلوب الإتيان به مطلقا ، يصدق على القليل والكثير . فكانت الفرصة أمام الخصم أقرب إلى الفلاح — من حيث الظاهر — ؛ لأنهم لم يكونوا مطالبين بقدر معين . ولكنهم فشلوا ..؟! .

أما فى هذه الخطوة فإن القدر المطلوب قد حدد بعشر سور . فهو من حيث العدد محدد ، ولكن هل المثلية مراد منها السور الطوال أم السور القصار أم المتوسطات بين الطول والقصر ، لم ينص القرآن على هذا فأصبح المجال محتملا للمثلية من الأنواع الثلاثة .. وعلى هذا فإننا نقول فى اطمئنان : إن القدر المطلوب — هنا — محدد من جهة ، ومطلق من جهة أخرى .

ثلاث إضافات جديدة :

بيد أننا نلحظ فى هذه الخطوة ثلاث إضافات جديدة لم ترد فى الخطوة الأولى ، وهى كالآتى :

الإضافة الأولى : سابقة على آية التحدى الآية رقم (١٢) .

والإضافة الثانية : وردت فى آية التحدى نفسها . الآية رقم (١٣) .

---

١٥ — هود (١٢ — ١٤) .

أما الإضافة الثالثة: فهي لاحقة لآية التحدى . الآية رقم (١٤) .

الإضافة الأولى :

في هذه الإضافة يبين الله ــ سبحانه ــ عناد منكرى الرسالة لصاحب الدعوة (ﷺ) . متظاهرين أمامه بعدم اعترافهم بالقرآن دليلا على صدق الدعوى ، ومقترحين عليه أن يأتي بواحدة من اثنتين لكى يصدقوه :

إما أن ينزل عليه كنز من السماء .

وإما أن يجىء معه ملك من الملائكة ، ويفهم من سياق الآية أن الرسول (عليه السلام) كان شديد الرغبة فى إسلامهم ، واداً أن يستجاب لهم بما اقترحوه . وقد أهمه هذا الأمر وضاق به صدره . ولم يكن الرسول وحده يواجه هذه الأزمة ، بل كان معه المسلمون الأولون ، وسنذكر بعد قليل دليلنا على ذلك .

ومحمد ــ ﷺ ــ بشر ، وللبشرية مشاعرها وطاقاتها . وما لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله . ومن بيده الآيات قال لرسوله الراغب فى هداية قومه : ﴿ إنما أنت نذير ﴾ ولاتتعدى مهمتك الإنذار إلى صنع الآيات . ووكيلك ووكيل كل شىء هو الله . فاصدع بما تؤمر وأعرض عنهم فكل شىء عندنا بقدر .

الإضافة الثانية :

أما الإضافة الثانية الواردة فى آية التحدى نفسها ، فإن الله استعداهم بأن يدعوا مايشاءون معهم ــ غير الله ــ ليظاهرهم ويعينهم على المطلوب منهم ، وهو الإتيان بعشر سور مفتريات ، تضاهى بلاغة القرآن وخصائص نظمه ، وكيفيات تراكيبه ، وصحة معانيه وشرفها . هكذا قال لهم :

﴿ وادعوا من استطعتم من دون الله ﴾ إنساً أو ملائكة أو جناً..؟! دَعُوا الله واستعينوا بمن شئتم من العقلاء ولو كان المدعو كل البشر وكل الملائكة وكل

الجن .

فالكلام المراد محاكاته هو كلام الله ، ولن يستطيع أن يأتى بمثل كلام الله إلا الله نفسه ، ومادام الله لن يكون معهم فلن يستطيع إنس ولاملائكة ولاجن أن يأتوا بمثل كلامه . فمهمة القوم مع معاونيهم مهمة فاشلة — قطعاً — مهما أخلصوا لها وبذلوا من أجلها .

الله فى هذه الخطوة لايتحدى منكرى الرسالة وحدهم ، وإنما يتحدى الوجود كله بشرائحه العاقلة الثلاث : الإنس والملائكة والجن ..؟!

إن عنف التحدى — هنا — قد بلغ أقصى مدى . فهل أفلح منكرو الرسالة فى مهمتهم ؟! كلا .. وألف كلا .. إنما كان مصيرهم الخيبة والتعاسة ..! .

والسبب : هو عجزهم المطلق عما ادعوه لأنفسهم وتحداهم الله به ..!

الإضافة الثالثة :

آيات التحدى فى القرآن يترتب عليها أمران ، أحدهما عدمى ، والثانى وجودى .

فالأمر العدمى هو صدق منكرى الرسالة فى دعواهم لو استطاعوا فعلا الإتيان بمثل القرآن . وهم لم يأتوا ؛ فهم غير صادقين .

أما الأمر الثانى الوجودى . فهو صدق الرسول فى دعواه الرسالة والوحى إليه .

إذا تقرر هذا نقول : إن الخطوة الأولى التى جاءت فى سورة « الطور » لم يذكر فيها إلا الأمر العدمى : ﴿ فليأتوا بحديث مثله **إن كانوا صادقين** ﴾ أما الأمر الوجودى فلم يذكر فيها .

وإنما ذكر فى الخطوة الثانية ، وهو ماوصفناه بالإضافة الجديدة الثالثة . وقد تضمنت هذه الإضافة الآية الحكيمة الآتية :

﴿ فإن لم يستجيبوا لكُم فاعلموا أنما أُنزل بعلمِ الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم

مسلمون ﴾ .

هذا هو المقصود الأهم من آيات التحدى ، وهو الإيقان بأن القرآن العظيم إنما هو كلام الله أنزله على رسوله ، وليس هو كلام أحد سواه ؟!

فعدم الإتيان بمثل القرآن تكذيب لدعوى منكرى الرسالة . وكذب دعوى منكرى الرسالة تصديق بالرسالة نفسها . فالأمر الوجودى مرتب على الأمر العدمى وهما معاً مترتبان على آيات التحدى وإن لم يصرح بالوجودى فى بعضها .

وقد عدل القرآن فى هذه الآية عن مخاطبة الرسول وحده كما جاء فى الآيتين المتقدمتين (١٢ ــ ١٣) وجاء الخطاب فى صيغة الجمع : ﴿ فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا .... فهل أنتم مسلمون ﴾ .

وهذا هو الدليل الذى كنا قد وعدنا به على أن الرسول (عليه السلام) لم يكن هو وحده يواجه الأزمة التى افتعلها أمامه منكرو الرسالة بإعراضهم عن القرآن دليلاً على صدق الرسالة ، واقتراحهم آيات « مادية » كإنزال الكنز عليه ، أو مجيء الملك معه .

ولكن الله لم يلتفت إلى « عبثهم » ففى القرآن ماليس فى سواه من الخوارق المادية . ثم ذكرلرسوله والمؤمنين معه بأن المعيار الوحيد الذى ينبغى أن يواجهوا به خصوم الدعوة هو القرآن . فليحاكوه إن استطاعوا فإن لم يستجيبوا فليعلموا ــ يقينا ــ أن القرآن نزل بعلم الله وحده ، وأن الله واحد ليس له شريك . ثم يسلموا على ذلك .

الخطوة الثالثة فى المواجهة :

فى هذه الخطوة يميل القرآن إلى التيسير فى القدر المطلوب الإتيان به من مثل القرآن . فبعد أن كان القدر غير معين فى الخطوة الأولى ، وبعد أن حدد بعشر سور فى الخطوة الثانية ، أصبح سورة واحدة فى الخطوة الثالثة

والقوم يستوون فى العجز أمام المقادير الثلاثة ، وليس لهذا التيسير ــ فيما أرى ــ إلا تسجيل ضعفهم أمام أى قدر طلب منهم الإتيان به .
وقد سجل هذه الخطوة الآيتان الحكيمتان :

﴿ وماكان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل الكتاب . لاريب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه ﴾ ؟! .

﴿ قل فأتوا بسورةٍ مثلِهِ وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ .(١٦)

صدرت آية التحدى ــ هنا ــ بنفى ماادعاه منكرو الرسالة ، وإثبات أن القرآن تصديق أمين لما فى علم الله ، وتفصيل لحقيقة الكتب التى أوحى الله بها إلى الأنبياء السابقين . فهو لاريب فيه من رب العالمين ..

وهذا التمهيد لم يأت من فراغ فقد ثبت من الخطوة الأولى ــ إجمالا ــ ومن الخطوة الثانية ــ تفصيلا ــ أن القرآن ليس له مصدر سوى الله سبحانه وتعالى .

وليس معنى « أن يفترى من دون الله » أنه يفترى من عند الله . وإنما المراد أن القرآن إذا لم يكن الله منزله فمحال أن يؤتى به مفترى من عند أحد . بمعنى أن الإتيان به من عند غير الله محال . فإذا جاء من عند الله فهو صدق قطعا وليس افتراء .

أما آية التحدى فى هذه الخطوة فوزانها وزان آية التحدى فى الخطوة الثانية مع الفرق المشار إليه من أن القدر المطلوب الإتيان به فى الثانية هو عشر سور وفى هذه سورة واحدة .

الخطوة الرابعة فى المواجهة :

أما الخطوة الرابعة فليست فيها إثارة ولاطلب محاكاة ، وإنما هى تيئيس

---

١٦ ــ يونس (٣٧ ــ ٣٨) .

وتقنيط للذين تحداهم القرآن أن يأتوا بمثله ، وفيها يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ قل لإن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لايأتون بمثله ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظهيراً ﴾ .(١٧)

فهذه الآية استجماع لعناصر المقصود من الخطوات الثلاث المتقدمة . تفيد بشكل قاطع حاسم أن محاكاة القرآن ليست فى الإمكان ولو تظاهر عليها إنس الكون وجنه . وعجزهم عن الإتيان بمثله تصديق برسالة محمد (ﷺ) سواء أذعن لهذه الحقيقة المعاندون أو لم يذعنوا . فإن أذعنوا فقد أفلحوا ، وإن لم يذعنوا فقد قامت الحجة عليهم .

الخطوة الخامسة فى المواجهة :

بدأت قضية التحدى بمكة المكرمة قبل الهجرة بآية الطور . ثم يونس وهود واختتمت بآية الإسراء .

فلما هاجر (عليه السلام) إلى المدينة المنورة اقتضى المنهج الإلهى الحكيم أن يفتح بابها مرة أخرى ليثبت عجز خصوم الدعوة فى المدينة ، كما أثبت عجز خصوم الدعوة فى مكة . وحتى لايقال إن عجز المجتمع المكى ليس حجة على عجز المجتمع المدنى ، وفى المدينة كان يعيش اليهود ، فلو أن القرآن تحداهم لاستطاعوا أن يأتوا بمثله ؛ لأنهم أهل كتاب ؟!

أما أهل مكة فكانوا أميين لايقرأون ولايكتبون .؟!
من أجل دفع هذا ــ والله أعلم ــ عاد القرآن إلى فتح باب التحدى . فجاء قوله تعالى :

﴿ وإن كُنتم فى ريبٍ مما نزلنا على عبدنا فأْتوا بسورةٍ من مثلِهِ ، وادعوا شهداءَكُم من دونِ الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ــ ولن تفعلوا ــ فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾ .(١٨)

---

١٧ ــ الإسراء (٨٨) .

١٨ ــ البقرة (٢٣ ــ ٢٤) .

إن طريق التصديق والإيمان الذى بسطه القرآن فى آيات التحدى واضح ويسير إن كان المطلوب هو معرفة الحق بصدق .

رجل قام من بينهم وقال إنى رسول الله إليكم . فما هو طريق معرفة صدقه من كذبه ؟ لم يكلفهم الله أكثر مما يطيقون . فدونهم القرآن الذى يتلوه عليهم . هو وحده محك التجربة .

فإن صدقوه ولم تتطلع عقولهم إلى دليل آخر سواه ، فبالصواب أخذوا ، ولهم فضل السبق إلى الخيرات .

وإن ارتابوا فالمطلوب منهم أن يأتوا بكلام مثل القرآن ، وقد علموا صفته وعلو منزلته ، فإن استطاعوا — ولن يستطيعوا — فهم محقون . وإن لم يكن فى مقدورهم الإتيان بمثله فليعلموا أن « الرجل » على حق ، وهو رسول الله بصدق وهذه هى العلامة قد تحققت .

وإن أعرضوا ، والحال أنهم قد عجزوا عن المحاكاة ، فذلك هو الضلال بعد الهدى . وكل نفس بما كسبت رهينة .

وفى هذه الخطوة « الختامية » لم يرتب القرآن على عجزهم عن المحاكاة صدق الرسول — ﷺ — فى دعواه الرسالة ؛ لأن تلك الدعوى قد صدقت منذ أمدٍ بعيد .

وإنما الذى رتبه عليه هو أن ينقذ القوم أنفسهم من هلاك محقق إذا أصروا على كفرهم وعنادهم :

﴿ فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾ .

وبهذا فقد أخلص القرآن فى النصح ومهد لهم الطريق لمعرفة الحق من الباطل فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فعليها . وماربك بظلام للعبيد .

موقف منكرى الدعوة بعد عجزهم عن المحاكاة

هذا هو القرآن قد تحدى أرباب البيان . وتحدى معهم قوى الكون كله ــ غير الله ــ تحداهم فى الحاضر وفى المستقبل ، ومع عنف الدواعى على المحاكاة ، وإثارة الخصم لهم ، وتدرجه معهم فى القدر المطلوب الإتيان بمثله ، وفسحة الزمن الذى تحداهم فيه ، ومع رغبتهم العارمة فى تحقيق نصر لهم ، مع هذا كله لم يأتوا بمثل القرآن ، بل أحسوا بالضعف يقطع لديهم كل أمل فى الفوز . ومن رام منهم تلك المحاكاة جاء بكلام غث مهزول بعضه منتحل ، وبعضه مختلق . ومعانيه ساقطة سخيفة سخف قائله . ولهذا فإنه لم يثبت قط مع أن الكون كله كان يصغى لوقائع قصة التحدى لم يثبت قط أن منكرى الدعوة جاءوا الرسول ــ عليه السلام ــ وعارضوه بكلام مثل القرآن . ولو أنهم توصلوا إلى سطر واحد اطمأنوا إليه لملأوا الدنيا صخبا بأنهم جاءوا بمثل القرآن . وهذا مالم يثبت قط . فدل على عجزهم المطلق وعلى صدق الرسالة والرسول . وزهدوا هم فى شأن المحاكاة . وبحثوا عن وسيلة أخرى ، يناهضون بها الرسالة والرسول . فما هى تلك الوسيلة . ؟ وهلى أغنت عنهم فتيلا . ؟!

ونتيجة لهذا المصير المؤلم اتخذوا من الدعوة وصاحبها مواقف أخرى أبرزها مايأتى :

١ ــ افتعال المصالحة معه ..؟!

٢ ــ دعوته إلى تبديل القرآن ..؟!

٣ ــ اتخاذ قرار بمقاطعة القرآن ..؟!

٤ ــ إيذاؤه هو ومن أسلم معه .

٥ ــ مقاطعة أهله بنى هاشم .

٦ ــ الاستعانة بأهل الكتاب عليه لإحراجه .

٧ ــ الهم بقتله ، والتخلص منه .

ونقدم كلمة موجزة عن كل موقف من هذه المواقف السبعة فيما يأتى :

١ ــ افتعال المصالحة معه ..؟!

هذا الموقف له صورتان :

إحداهما : أنهم لما يئسوا من الانتصار عليه سعوا للمصالحة معه فجاءه فريق من عتاة قريش وقالوا : نعبد إلهك سنة ، وتعبد آلهتنا سنة أو تعظم آلهتنا ونصدقك ..؟!

فلم يكن عند رسول الله (ﷺ) إلا صدهم وإعلان عقيدة التوحيد فى وجوههم فنزل قوله تعالى : ﴿ قل ياأيها الكافرون . لاأعبدُ ماتعبدون ، ولا أنتم عابدون ماأعبد . ولا أنا عابد ماعبدتم . ولا أنتم عابدون ماأعبد . لكم دينكُم ولِىَ دين ﴾

والصورة الثانية : إيفاد رجل منهم « الوليد بن المغيرة » للتفاوض معه على أن يعطوه من المال أو السلطان مايشاء ، أو يعالجوه إن كان به « جنون » ويكف عن دعوته .

فيُسمِع الرسول مندوب قريش آيات من القرآن فتأخذ الرهبة بتلابيب الرجل ويناشد الرسول بأن يكف عن القراءة حين سمع قوله تعالى ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقةِ عادٍ وثمود ﴾ ثم ينصرف المندوب فيعود إلى قومه وكله ثناء على القرآن حتى قال قومه : لقد صبأ الوليد[١٩] ..؟!

على أن قريشا لم تيأس فما فتئت تراجع عم النبى أبا طالب ، ليكف محمد عن تقريعهم ، وسب آلهتهم ، وتسفيه عقولهم . حتى رق لهم أبو طالب يوما ، فقال للنبى (عليه السلام) :

ياابن أخى هون علىّ وعلى نفسك ولاتحملنى من الأمر مالا أطيق ؟!

فما كان من صاحب الدعوة إلا أن قال :

---

١٩ ــ صبأ : خرج عن دينه وأسلم .

« والله ياعماه لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ماتركته ، حتى يظهره الله ، أو أهلك دونه » .

قلب شجاع ، وهمة عالية تفتت الجبال ، وتذيب الصخور ..؟!

٢ ــ دعوته لتبديل القرآن ..؟!

وقف القرآن قمة شامخة أمام القوم فلم يستطيعوا أن يحاكوه فيثبتوا صدقهم . ولما يئسوا سعوا إليه ، وطلبوا منه أن يأتى بقرآن غير الذى أعجزهم . أو يبدل هذا القرآن بما يناسب أهواءهم . وقد سجل القرآن هذه المحاولة كما سجل الرد عليها فيما يأتى :

﴿ وإذا تتلى عليهم آياتُنا بيناتٍ قال الذينَ لايرجُون لقاءنا ائتِ بقرانٍ غير هذا أو بدلهُ ؟!

قل مايكونُ لى أن أبدلَهُ من تلقاءِ نفسى إن أتبعُ إلا مايُوحىَ إلىّ إنى أخافُ إن عصيت ربى عذابَ يوم عظيم . قل لو شاءَ الله مَا تَلَوْتُهُ عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثتُ فيكُم عُمُرا من قبلِهِ أفلا تعقلون ﴾ .

هذا هو تصوير الموقف والرد عليه . إن المقترح بنوعيه : الإتيان بقرآن جديد ، أو تعديل القرآن . إن هذا المقترح مرفوض مثل كل المقترحات التى تقدم بها منكرو الدعوة .

القوم طلبوا : إما الإتيان بقرآن غير هذا . وإما تعديل هذا القرآن وتبديله .

فجاء الرد برفض الطلب الثانى : تبديل القرآن ، ولم يصرح بالرد على الطلب الأول وهو رفع هذا القرآن كلية . ووضع قرآن آخر بدله ..؟!

والواقع أن رفض الطلب الثانى ــ التبديل ــ يتضمن رفض الطلب الأول قطعاً فما دام هو قد رفض مجرد التعديل فى القرآن فرفضه لرفع القرآن كله أدخل فى باب الرفض ؛ لأن الضن بالجزء يقتضى أن يكون الضن بالكل أولى وأهم .

وقد تضمن رد القرآن أن الرفض المذكور له ثلاثة أسباب :

الأول : أن صاحب الدعوة ــ ﷺ ــ متبع لامبتدع .

الثانى : أنه يخاف إن عصى ربه عذاب يوم عظيم .

الثالث : أن القرآن ليس كلامه هو ، بل كلام الله ، ولايستطيع أحد أن يبدل عملاً ليس من صنعه ولا هو فى طاقته .

وقد أمر الله رسوله أن ينبه منكرى الدعوة إلى حقيقة جديرة بالملاحظة والاعتبار ليقطع عليهم كل جهات الاعتذار ، ويقيم كل حجج الإنذار . فهم لم يزالوا يرون أو يروجون أن القرآن كلام محمد (ﷺ) .. وليس هو بكلامه والدليل :

أن محمداً لبث فى قومه عمراً قبل أن ينزل عليه القرآن ــ أربعين سنة ــ وقد عرفوا كلامه والصفة التى كان عليها . ولم يعهد ــ قبلا ــ أن قال لهم كلاما هو فى طبقة القرآن . وإنما كلامه كلام بشر وإن فاقهم فصاحة وبلاغة وسداداً .

فكيف ينسبون إليه القرآن ولم يعهد له مثله حين لم يكن رسولاً . وحتى كلامه بعد الرسالة لم يرق إلى درجة القرآن .

إن العقل ليقطع بأن القرآن ليس من كلام محمد ــ ﷺ ــ للدلائل السابقة . ولو كان عند منكرى الدعوة عقل يُنْتَفَعُ به لأيقنوا أن محمداً (عليه السلام) ليس مصدراً للقرآن ، وإنما هو مجرد مبلغ أمين لوحى نزل عليه من ربه فبلغه كما علمه وحفظه .

٣ ــ اتخاذ قرار بمقاطعة القرآن

لقد يئس منكرو الدعوة من استجابة الرسول (عليه السلام) لمقترحاتهم ، كما يئسوا من محاكاة القرآن . فبدأوا على الفور فى اتخاذ مواقف أكثر عنفا مما تقدم . وكان من أول هذه المواقف اتخاذ قرار بمقاطعة القرآن ومحاولة التشويش عليه والطعن فيه . وقد سجل القرآن الكريم ــ حكاية عنهم ــ هذا الموقف فى وضوح فقال :

﴿ وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآنِ والْغَوْا فيه لعلكم

تغلبون ﴾ .[٢٠]

هذا القرار كان بداية لمرحلة جديدة خاضها منكرو الدعوة بكل باطلهم عساهم أن يفتوا فى عضد النبى وصحبه ، وأن يقفوا خطر الدعوة عليهم وعلى أعرافهم ، وتقاليدهم ، وعقائدهم . وكانت جهودهم التالية لهذه المواقف أصدق تعبير عن ضيقهم بالدعوة وصاحبها ومن اتبعه من المؤمنين ، بدأت هذه المرحلة بإيقاع الأذى على الرسول وصحبه ، واختتمت فى مكة المكرمة بالتآمر عليه لقتله والخلاص منه ، ولكنهم كانوا واهمين . ولكن هذا هو الذى فعلوه .

٤ ــ إيقاع الأذى بالنبى وصحبه

لقد آذوه بالقول وبالفعل معاً . بدأوا يشوشون عليه بالقول فوصفوه بأنه شاعر ، وساحر ، وكاهن ، ومجنون ، وطالب سلطان ورياسة وآذوه بالفعل فكانوا يزرعون الشوك فى طريقه ، ويلقون عليه القاذورات وهو ساجد .

وآذوا أصحابه بالقول فهم الأراذل والصابئون ، وآذوهم بالفعل فضربوهم وعذبوهم واضطهدوهم مثلما حدث لبلال ولآل ياسر وغيرهم ، وأخذوا يتعقبونهم فى كل مكان حتى اضطروا إلى الهجرة إلى الحبشة مرتين .

كما تخصص فريق منهم فى الاستهزاء بالنبى وصحبه أينما وجدوهم . إنها حرب ساخنة وباردة فى وقت واحد ، ولكن النبى وصحبه صبروا صبراً جميلا . وزادهم الأذى إيمانا وقوة . وكفى الله رسوله المستهزئين وقطع دابرهم وجعلهم مثلا للآخرين .[٢١]

٥ ــ مقاطعة بنى هاشم

من أكثر المواقف عنتا ولجاجة أن مشركى مكة لم يروا بداً من قتل رسول الله (ﷺ) . ولما ظهرت هذه النية أسرع أبو طالب عم النبى (عليه السلام) بجمع بنى هاشم حول محمد حتى لايقتلوه . فأصبح احتمال القتل

٢٠ ــ فصلت (٢٦) .

٢١ ــ راجع كتاب سيرة ابن هشام أو السيرة الحلبية أو دلائل النبوة للبيهقى لتعرف ماوقع بالنبى وصحبه من أذى ، وقوة صبرهم عليه وكيف كانت نهاية المستهزئين برسول الله الكريم .

بعيداً .

فما كان منهم إلا أن كتبوا صحيفة ووضعوها عند أحد كبارهم وقد وضعوا فى هذه الصحيفة بنوداً لمقاطعة بنى هاشم آل النبى وحاميه فلا يجالسونهم ، ولايحادثونهم ، ولايبيعون لهم ، ولايشترون منهم ، ولايقبلون منهم صلحاً أبداً إلا إذا أسلموا لهم محمداً ليقتلوه . ثم عاهدوا أنفسهم على الوفاء بما جاء فى هذه الصحيفة .

فهى بمصطلح العصر حصار اقتصادى واجتماعى . وقد منى بنو هاشم بمتاعب ومشقات لاحَدَّ لها من جراء هذه المقاطعة ، التى دامت ثلاث سنين . وتعرضوا للجوع والآلام فلم يجدوا شيئا يقتاتونه حتى بلغ بهم الجهد مداه . ومع هذا فإنهم آثروا أن يموتوا جوعاً ويبقى محمد (ﷺ) مُعَافى سليما لاتمتد إليه يد بسوء وإلا قطعت تلك اليد . كانت قريش جادة فى « تطويق » بنى هاشم ، وكان بنوهاشم جادين فى حماية محمد (ﷺ) . وكانت تلك مرة المذاق على بنى هاشم ، ولكن الله حارب قريشا بعضها ببعض ، فقام نفر من شباب قريش ولدتهم نساء من بنى هاشم ، بنقض الصحيفة ، والتعاطف مع « أخوالهم » فانجابت الغمة وجاء الفرج ، وخرجت قريش خاسرة من تلك « الجولة » كما خسرت فى نظيرات لها من قبل .

٦ ـ الاستعانة بأهل الكتاب عليه لإحراجه

لم يبعث الله فى قريش رسولاً قبل محمد (ﷺ) ، فلم تكن ترث كتابا نبويا ولا صلة لهم برسول إلا بقايا من رسالة إبراهيم (عليه السلام) تطاول بها القدم ولما وجدت قريش أن محمداً رجلاً قَوِىَّ الحجة ، مفحم البيان ، لجأت إلى يهود المدينة تسألهم فى شأنه ؛ لاعتقادهم أن اليهود أهل التوراة فلديهم من المعارف الدينية قدر كبير .

ولم تكن فى لجوئها إلى اليهود طالبة هدى ، وإنما لجأوا إليهم عساهم يلقنونهم من المعلومات مايحرجون به محمداً (ﷺ) .

قال ابن إسحق بسنده عن ابن عباس : « بعثت قريش النضر بن الحارث ،

وعقبة بن أبى معيط . إلى أحبار اليهود بالمدينة فقالوا لهم : اسألوهم عن محمد وصفوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ماليس عندنا من علم الأنبياء .

فخرجا حتى قدما المدينة فسألوا أحْبار اليهود عن رسول الله (ﷺ) ووصفوا لهم أمره وبعض قوله ، وقالا : إنكم أصحاب التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا .؟ .

فقالت لهما أحبار اليهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل . وإن لم يفعل فالرجل متقول (كذاب) فروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ماكان من أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب .

وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ماكان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ماهو ؟!

فإن أخبركم عن ذلك فاتبعوه فإنه نبى . وإن هو لم يخبركم فهو رجل متقول ، فاصنعوا فى أمره مابدا لكم .

فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش فقالا : يامعشر قريش قد جئناكم بفصل مابيننا وبين محمد . قد أمرنا أحبار اليهود أن نسأله عن أمور . ثم أخبرا قريشا بما حدث .

فجاءوا إلى رسول الله (ﷺ) وسألوه عما أخبرهم به أحبار اليهود .

فقال لهم رسول الله (ﷺ) . نعم أخبركم . وفى هذا نزلت سورة الكهف فأخبرتهم عن أهل الكهف ــ الفتية الذين ذهبوا فى الدهر الأول ــ وعن ذى القرنين ــ الرجل الطواف الذى بلغ مشارق الأرض ومغاربها ــ أخبرهم عن ذلك بالتفصيل .

أما الروح فقد أمر الله رسوله (ﷺ) أن يقول لهم فى شأنها :

﴿ ... الروحُ من أمرِ ربى ، وماأُتيتم من العلمِ الا قليلاً ﴾ .[٢٢]

هذه واقعة واحدة مما كان منكرو الدعوة يستعينون باليهود فيها لإحراج صاحب الدعوة (ﷺ) .

ولكن هل نجح منكرو الدعوة فى هذا الموقف .. لا .. لم ينجحوا بل خسروا هذه الجولة كما خسروا كل جولة سواها . فلا بد إذن من البحث عن وسيلة أخرى يكون فيها القضاء على محمد ودعوته . هكذا فكروا ، وهكذا قدروا . فماذا صنعوا .. ؟!

٧ ــ التآمر عليه لقتله والتخلص منه ..؟

اللجوء إلى القتل آخر مايفكر فيه خصم تجاه خصمه ، وهو نتيجة لعاملين خطيرين يدفعان القاتل إلى القتل .

أحدهما : أن القاتل أو الذى يفكر فى القتل قد فقد كل الوسائل للتغلب على خصمه ، ولم يعد لديه أمل فى الفوز عليه بأية حال من الأحوال .

والثانى : أن استمرار الخصم حيا ــ المراد قتله ــ فيه خطورة بالغة على وجود خصمه المتربص به .

وهذان العاملان أحس بهما منكرو الرسالة تجاه صاحب الدعوة (ﷺ) فقد جربوا معه كل وسيلة للانتصار عليه فلم يفلحوا ، وكانوا يترددون من هاوية إلى هاوية فأيسوا من الفوز عليه بالوسائل المتقدمة ، بينما كانت الدعوة وصاحبها والسابقون إليها يزدادون قوة إلى قوتهم ، وإيمانا إلى إيمانهم ، ويحرزون النصر تلو النصر .

وهكذا أصبحت الدعوة خطراً محققا على أعدائها . فلا بد من وضع حدٍ لذلك الخطر فاجتمعت رءوس الكفر فى دار ندواهم ، يفكرون فيما ينبغى

---

٢٢ ــ الإسراء آية ٨٥ .

عليهم أن يصنعوه قبل أن يمنوا بالضربة القاضية .

وعلى كثرة الآراء التى طرحت فإنهم لم يختاروا غير وسيلة القتل : قتل محمد ، ظانين أن ذلك متاح لهم ، وأنه بعد قتله سيخلو لهم وجه الأرض ، ويصبحون قوما آمنين ولكن قتل محمد ماتزال أمامه عقبات ، فقد فكروا فيه منذ عهد بعيد ، ولكن جمع أبى طالب عم النبى لبنى هاشم حول النبى (عليه السلام) جعل قريشا تعدل عن القتل وتلجأ إلى مقاطعة بنى هاشم ـــ كما تقدم ـــ حتى تلجئهم « الفاقة » إلى تسليمهم محمداً لقريش ليقتلوه . بيد أن مناعة بنى هاشم خيبت آمال قريش ، ولم تُجْدِ مقاطعتهم نفعا لهم إلى أن أزالها الله عنهم ، فخسرت قريش ، وفاز بنو هاشم وسلم محمد (عليه السلام) من كيد الكائدين .

عدلت قريش فى المرة الأولى عن القتل ؛ لأن أملها فى تحقيق الانتصار عن طريق وسائل أخرى كان قائما .

أما فى هذه المرة فإنها لم تعدل عن فكرة القتل ؛ لأنها قد استنفدت كل الوسائل فلم تفلح .

فاتجه تفكيرها إلى وضع حل للتغلب على غضبة بنى هاشم إذا قتلت قريش رجلهم فهداهم شيطانهم إلى أن يشترك فى قتل محمد (عليه السلام) مجموعة من أقوياء الشباب يمثلون كل قبائل قريش (أربعون شابا) فيضربونه ضربة رجل واحد ليتفرق دمه فى القبائل كلها ، فلا يقوى بنو هاشم على مواجهة قريش كلها .

وحددوا لذلك موعداً فاجتمع الشباب حول منزل محمد (عليه السلام) ، وجاءه الأمر بالهجرة إلى المدينة ومعه أبو بكر صاحبه وهاد يهديهما الطريق . ويحمل الرسول حفنة من التراب ويذريها فى وجوه « القتلة » قائلا : شاهت الوجوه . فسلب الله أبصارهم ووعيهم ، ومر موكب رسول الإسلام فى أمان ..

وشعرت قريش بخيبة الأمل الكبرى حين لم تجد محمداً فى بيته ورصدت الجوائز لمن يأتى به حيا أو ميتا . وخرج محبو المال يتعقبون محمداً (عليه السلام) ، ولكن يد القدرة حمته وحفظته حتى وصل ركب الدعوة إلى المدينة المنورة ، التى كان قد فتح الله له قلوب رجالها ونسائها وصبيانها قبل أن يفتح له دورها وأوديتها .

وتحقق وعد الله لرسوله : ﴿ والله يَعْصِمُكَ من الناس ﴾ وهناك فى المدينة اكتست الدعوة ثوبا جديداً ، وأصيبت قريش بدوار فى رءوسها فقد كانت تخشى من خروج محمد حيا حتى لاتلتف حوله قبائل العرب ، وحينئذ لن يستطيع أن يقف فى وجهه أحد . وفعلا وقع ما تخوفته قريش وكان أمر الله مفعولاً ؟!

هذا مجمل ماحدث منهم بمكة المكرمة ، ونسأل الآن سؤالا قد أتت مناسبته :

أى الوسائل كانت أجدى على القوم وأقل مؤنة ؟

أن يأتوا بكلام مماثل للقرآن قد اشترط خصمهم على نفسه أنهم إذا جاءوا به كانوا صادقين فى نفى الرسالة عن محمد (ﷺ) وكانوا صادقين فى أن القرآن غير معجز ؟

أم أن يخوضوا تلك التجارب التى كلفتهم كثيراً من القهر والألم النفسى لشعورهم بخيبة مسعاهم عقب كل تجربة قاموا بها ، كما كلفتهم قتل كثير من رؤسائهم وأبطالهم فيما حدث بينهم وبين النبى وصحبه من معارك ووقائع أشابت الصغير وأذهلت الكبير ؟

وأى الوسيلتين كانت أقصر زمنا من الأخرى ، أمحاكاة القرآن التى لم تكن لتكلفهم أكثر من اجتماع فصحائهم وبلغائهم لتقديم النموذج الذى يتفقون عليه ليحجوا به محمداً وصحبه ؟

أم تلك المواقف التى امتدت إلى أكثر من عشرين سنة ولم يتحقق لهم

نصر فى واحد منها ؟

أى تفسير يصلح لمواقف منكرى الدعوة حتى اختاروا الصعب المخزى على السهل الذى لم يكلفهم شيئا أكثر من استعمال قرائحهم ؟!

إن التفسير الوحيد لهذا هو أن منكرى الدعوة جميعاً عجزوا عجزا محققا عن الإتيان بمثل القرآن ، لكونه فوق طاقة البشر جميعاً . ولو كان فى طاقتهم الإتيان بمثله لتقدموا بمثله ، وانتصروا ، وحققوا لأنفسهم مايريدون ..؟!

أفبعد هذه الحقائق يقال : إن القرآن من نوادر الأعمال الإنسانية وتأليف كتاب فى نهاية الفصاحة والبلاغة لايعد معجزة ؟!!!

إن الذين قالوا هذا « الهراء » قد سلكوا مسلك أسلافهم الأقدمين حذوك النعل بالنعل ..؟!

أولئك ادعوا أنهم لوشاءوا لقالوا مثله ، ولكنهم لم يقولوا وراحوا يلهثون وراء وسائل بديلة لم تُجْدِهم نفعاً .

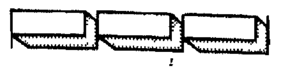
وهؤلاء قالوا : إن تأليف كتاب فى نهاية الفصاحة والبلاغة لايعد معجزة . حسنا ..

فهيا أرونا جهودكم فى هذا المجال . لقد تحدى القرآن « عصر القمة » فى البيان فعجز أهل ذلك العصر عن الإتيان بمثله .

فتعالوا أنتم ، وأجمعوا كيدكم ، واستعينوا بمن شئتم من خلق الله وقدموا لنا مايثبت صحة دعواكم وأتوا بمالم تأت به الأوائل يانوابغ الإنسانية ! ولكنكم كنتم مثل الببغاوات ترددون ماقاله أسلافكم ، وبدل أن تقيموا الدليل — عمليا — رحتم تطعنون فى الإسلام كتابا ورسولاً وشريعة ومنهجاً . تماما كما فعل أسلافكم :

﴿ إن الذين يلحدون فى آياتنا لايخفون علينا . أفمن يُلقى فى النار خير أم من

يأتى آمنا يوم القيامة . اعملوا ماشئتم إنه بما تعملون بصير ﴾[٢٣]



٢٣ ــ فصلت (٤٠) .

الفصل السادس

دعوى : القرآن مقتبس من التوراة :

هذه الفرية دأب المبشرون المعاصرون على ذكرها كثيراً فى كتاباتهم عن الإسلام ، ويقابل هذا قلة من تصدى لها من المفكرين الإسلاميين ، وبعض من تصدى لها اكتفى بنفيها فى بضعة أسطر ، مع أن الذى ينبغى سلوكه فى رد هذه الفرية أن تعالج على ضوء منهج علمى محدد ؛ لأن مجرد نفيها غير كافٍ ولاواف بالمقصود .

ومما مَنَّ الله به علينا أن عالجناها فى كتاب « مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه » [1] على ضوء ذلك المنهج ، وواجهنا من ادعى تلك الدعوى مواجهة علمية صريحة ردت عليه مزاعمه بطريقة لاتقبل الجدل .

وعلى ضوء ماذكرناه هناك نناقش هنا صوراً أخرى ممااداعاه القوم والوجه الحق فيه .

سبب القول بهذه الفرية :

ليس للقوم حجة فيما قالوا سوى شبهة تلقفوها ، ومع علمهم بضعفها فإنهم بنوا من « حبتها » قبة ؛ لأن القوم لايبحثون الحق ليهتدوا به وإنما همهم كله محاربة الإسلام والقضاء عليه حسداً من عند أنفسهم وبغيا بينهم بعد ماجاءهم العلم والهدى . وافتراض حسن النية فيما كتبوا مستحيل ؛ لأن البغضاء بدت من كل كلمة تفوهوا بها فيما كتبوا .

والشبهة التى تمسك بها القوم وورود مواضع بينها تشابه فى كل من التوارة

---

١ ـــ صدر عن دار الأنصار (١٩٨٠) بالقاهرة انظر (١٤٥) ومابعدها ومن الذين عنوا بهذه الدراسة مالك بن نبى فى كتابه « الظاهرة القرآنية » والمرحوم محمد عبد الله دراز فى كتابه « مدخل للدراسات القرآنية » .

والقرآن الكريم . ومن أبرزها الجانب القصصى . وبعض المواضع التشريعية تمسكوا بهذا وقالوا : إن القرآن مقتبس من التوراة ، وبعضهم يضيف إلى هذا أن القرآن اقتبس مواضع أخرى من « الأناجيل » وروج لهذه الفكرة البابا شنودة المصرى ، وبعض رجال الدين القبط بمصر ، وقد رددنا عليهم بما يقطع دابر هذه الفرية فى الكتاب المتقدم ذكره .

كيف يتحقق الاقتباس عموما

الاقتباس عملية فكرية لها ثلاثة أركان :

١ ـــ الأول الشخص المقتبَس منه .

٢ ـــ الثانى الشخص المقتَبِس (اسم فاعل) .

٣ ـــ المادة المقتَبَسَة نفسها (اسم مفعول) .

والشخص المُقتَبَس منه سابق إلى الفكرة ، التى هى موضوع الاقتباس ضرورة أما المادة المقُتَبَسَة فلها طريقتان عند الشخص المقتبس ، إحداهما : أن يأخذ المقتبس الفكرة بلفظها ومعناها كلها أو بعضها .

والثانية : أن يأخذها بمعناها كلها أو بعضها كذلك ويعبر عنها بكلام من عنده .

والمقتبس فى عملية الاقتباس أسير المقتبس منه ـــ قطعا ـــ ودائر فى فلكه إذ لاطريق له إلى معرفة مااقتبس إلا ماذكره المقتبس منه . فهو أصل ، والمقتبس فرع لامحالة .

وعلى هذا فإن المقتبس لابد له ، وهو يزاول عملية الاقتباس ، لابد له من موقفين لاثالث لهما :

أحدهما : أن يأخذ الفكرة كلها بلفظها ومعناها أو بمعناها فقط .

والثانى : أن يأخذ جزء الفكرة باللفظ والمعنى أو بالمعنى فقط .

ويمتنع على المقتبس أن يزيد في الفكرة المقتبسة أية زيادة غير موجودة في الأصل ؛ لأننا قلنا : إن المقتبس لاطريق له لمعرفة مااقتبس إلا مارود عند المقتبس منه ، فكيف يزيد على الفكرة والحال أنه لاصلة له بمصادرها الأولى إلا عن طريق المقتبس منه .

إذا جرى الاقتباس على هذا النهج صدقت دعوى من يقول إن فلانا اقتبس منى كذا .

أما إذا تشابه ماكتبه اثنان ، أحدهما سابق والثانى لاحق ، واختلف ماكتبه الثانى عما كتبه الأول مثل :

١ ــ أن تكون الفكرة عند الثانى أبسط وأحكم ووجدنا فيها مالم نجده عند الأول .

٢ ــ أو أن يصحح الثانى أخطاء وردت عند الأول ، أو يعرض الوقائع عرضا يختلف عن سابقه .

في هذه الحال لاتصدق دعوى من يقول إن فلانا قد اقتبس منى كذا .

ورد هذه الدعوى مقبول من المدعى عليه ، لأن المقتبس (اتهاما) لما لم يدر فى فلك المقتبس منه (فرضا) بل زاد عليه وخالفه فيما ذكر من وقائع فإن معنى ذلك أن الثانى تخطى ماكتبه الأول حتى وصل إلى مصدر الوقائع نفسها واستقى منها مااستقى . فهو إذن ليس مقتبسا وإنما مؤسس حقائق تلقاها من مصدرها الأصيل ولم ينقلها عن ناقل أو وسيط .

وسوف نطبق هذه الأسس التى تحكم عملية الاقتباس على ماادعاه القوم هنا وننظر :

هل القرآن عندما اقتبس ــ كما يدعون ــ من التوراة كان خاضعاً لشرطى عملية الاقتباس وهما : نقل الفكرة كلها ، أو الاقتصار على نقل جزء منها فيكون ــ بذلك ــ دائراً فى فلك التوراة ، وتصدق حينئذ دعوى القوم بأن القرآن (معظمه) مقتبس من التوراة ؟

أم أن القرآن لم يقف عند حدود ماذكرته التوراة فى مواضع التشابه بينهما . بل :

١ ــ عرض الوقائع عرضاً يختلف عن عرض التوراة لها .

٢ ــ أضاف جديداً لم تعرفه التوراة فى المواضع المشتركة بينهما .

٣ ــ صحح أخطاء « خطيرة » وردت فى التوراة فى مواضع متعددة .

٤ ــ انفرد بذكر « مادة » خاصة به ليس لها مصدر سواه .

٥ ــ فى حالة اختلافه مع التوراة حول واقعة يكون الصحيح هو ماذكره القرآن . والباطل ماجاء فى التوراة بشهادة العقل والعلم إذا كان الاحتمال الأول هو الواقع فالقرآن مقتبس من التوراة ..؟!

أما إذا كان الواقع هو الاحتمال الثانى فدعوى الاقتباس باطلة ويكون للقرآن فى هذه الحالة سلطانه الخاص به فى استقاء الحقائق ، وعرضها فلا اقتباس لامن توراة ولا من إنجيل .

لاأظن أن القارىء يختلف معنا فى هذه الأسس التى قدمناها لصحة الاتهام بالاقتباس عموما .

وماعلينا بعد ذلك إلا أن نستعرض بعض صور التشابه بين التوراة والقرآن ، ونطبق عليها تلك الأسس المتقدمة تاركين الحرية التامة للقارىء سواء كان مسلما أو غير مسلم فى الحكم على ماسوف تسفر عنه المقارنة أنحن على صواب فى نفى الاقتباس عن القرآن ؟!

أم أن خصومنا على صواب فى تلك الدعوى ؟!

والمسألة ــ بعد ذلك ــ ليست مسألة اختلاف فى الرأى يصبح فيها كل فريق موصوفا بالسلامة ، وأنه على الحق أو شعبة من حق .

وإنما المسألة مسألة مصير أبدى من ورائه عقيدة صحيحة توجب النجاة لصاحبها يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

أو عقيدة فاسدة تحل قومها دار البوار يوم يقدم الله إلى ماعملوا من عمل فيجعله هباء منثورا .

١ ـــ الصورة الأولى من التشابه بين التوراة والقرآن لقطة من قصة يوسف (عليه السلام) مع امرأة العزيز

تبدأ هذه اللقطة من بدء مراودة امرأة عزيز مصر ليوسف (عليه السلام) ليفعل بها الفحشاء وتنتهى بقرار وضع يوسف فى السجن . واللقطة كما جاءت فى المصدرين هى :

أولا : نصوصها فى التوراة :[٢]

نصوص التوراة

« وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينها إلى يوسف وقالت : اضطجع معى ، فأبى وقال لامرأة سيده هو ذا سيدى لايعرف معى مافى البيت وكل ماله قد دفعه إلى يدى ، ليس هو فى هذا البيت أعظم منى . ولم يمسك عنى شيئا غيرك لأنك امرأته . فكيف أصنع هذا الشر العظيم ، وأخطىء إلى الله ، وكان إذ كلمت يوسف يوما فيوما أنه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها .. ؟!

ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك فى البيت فأمسكته بثوبه قائلة اضطجع معى فترك ثوبه فى يدها وخرج إلى خارج ، وكان لما رأت أنه ترك ثوبه فى يدها ، وهرب إلى خارج أنها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة :

إنظروا قد جاء إلينا برجل عبرانى ليداعبنا دخل إلىّ ليضطجع معى فصرخت بصوت عظيم ، وكان لما سمع أنى رفعت صوتى وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبى وهرب وخرج إلى خارج . فوضعت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلى بيته فكلمته بمثل هذا الكلام قائلة دخل إلى العبد العبرانى الذى جئت به إلينا

---

٢ ـــ سفر التكوين الإصحاح (٣٩) الفقرات (٧ ـــ ١٩) .

ليداعبنى وكان لما رفعت صوتى وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبى وهرب إلى خارج فكان لما سمع سيده كلام امرأته الذى كلمته به قائلة بحسب هذا الكلام صنع بى عبدك أن غضبه حمى ..

فأخذ يوسفَ سيدُه ووضعه فى بيت السجن المكان الذى كان أسرى الملك محبوسين فيه » .

نصوص القرآن الأمين

﴿ وراودَتْهُ التى هوَ فى بيتها عن نفسه وغلّقتِ الأبوابَ وقالتْ هيت لك ؟! قال : معاذ الله إنهُ ربى أحسنَ مثواى إنهُ لايُفلحُ الظالمون .
ولقد هَمَّتْ به وَهَمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرفَ عنهُ السوءَ والفحشاءَ إنه من عبادنا المخلَصين . واستبقا الباب ، وقدت قميصه من دُبرٍ ، وألفيا سيدها لدى الباب قالت : ماجزاءُ من أراد بأهلكَ سوءًا إلا أن يُسجن ، أو عذابٌ أليم قال هى راودتنى عن نفسى ، وشهد شاهدٌ من أهلها إن كان قميصُهُ قُدَّ من قُبلٍ فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قُد من دُبرٍ فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قميصَهُ قد من دُبرٍ قال : إنه من كيدكُنَّ إن كيدكن عظيم . يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين ..
....(٣)

ثم بدا لهم من بعد مارأوا الآيات لَيَسْجُنُنَّهُ حتى حين ﴾ .(٤)

تلك هى نصوص الواقعة فى المصدرين :

التوراة التى يزعم واضعو الرواية الهزلية أنها مصدر للقرآن ..؟!

والقرآن الأمين الذى يزعمون أنه مقتبس من تلك التوراة ..؟!

وأدعوا القارىء أن يقرأ النصين مرات قراءة متأنية فاحصة . وأن يجتهد

---

٣ ــ حذفنا النص القرآنى الخاص بحديث النسوة إذ لامقابل له فى التوراة .
٤ ــ يوسف (٢٣ ــ ٢٩) ثم آية (٣٥) .

بنفسه فى التعرف على الفروق فى المصدرين قبل أن يسترسل معنا فيما نستخلصه من تلك الفروق . ثم يكمل مايراه من نقص لدينا أو لديه فقد يدرك هو مالم ندركه ، وقد ندرك مالم يدركه ورب قارىء أوعى من كاتب ..

الفروق كما نراها

التوراة	القرآن الأمين
١ ـــ **التوراة** : المراودة حدثت مراراً ونصح يوسف لامرأة سيده كان قبل المرة الأخيرة .	١ ـــ **القرآن** : المراودة حدثت مرة واحدة اقترنت بعزم المرأة على يوسف لينفذ رغبتها .
٢ ـــ تخلو التوراة من الإشارة إلى غلق الأبواب وتقول إن يوسف ترك ثوبه بجانبها وهرب وانتظرت هى قدوم زوجها وقصت عليه القصة بعد أن أعلمت بها أهل بيتها .	٢ ـــ يشير إلى غلق الأبواب وأن يوسف هم بالخروج فَقَدَّتْ ثوبه من الخلف وحين وصلا إلى الباب فوجئا بالعزيز يدخل عليهما فبادرت المرأة بالشكوى فى الحال .
٣ ـــ لم يكن يوسف موجوداً حين دخل العزيز ولم يدافع يوسف عن نفسه لدى العزيز .	٣ ـــ يوسف كان موجوداً حين قدم العزيز ، وقد دافع عن نفسه بعد وشاية المرأة ، وقال هى راودتنى عن نفسى .
٤ ـــ تخلو من حديث الشاهد وتقول إن العزيز حمى غضبه على يوسف بعد سماع المرأة .	٤ ـــ يذكر تفصيلا شهادة الشاهد كما يذكر اقتناع العزيز بتلك الشهادة ولومه لامرأته وتذكيرها بخطئها . وتثبيت يوسف على العفة والطهارة .

٥ ــ تقول إن العزيز فى الحال أمر بوضع يوسف فى السجن . ولم يعرض أمره على رجال حاشيته

٥ ــ يشير إلى أن القرار بسجن يوسف كان بعد مداولة بين العزيز وحاشيته .

٦ ــ تخلو من حديث النسوة اللاتى لُمْنَ امرأة العزيز على مراودتها فتاها عن نفسه ، وهى فجوة هائلة فى نص التوراة .

٦ ــ يذكر حديث النسوة بالتفصيل كما يذكر موقف امرأة العزيز منهن ودعوتها إياهن ملتمسة أعذارها لديهن ومصرة على أن ينفذ رغبتها .

٧ ــ يذكر إيحاء المرأة للعزيز بسجن يوسف أو تعذيبه عذابا أليما ، وأن العزيز اكتفى بوضعه فى السجن ولم يعذبه والسجن كان أحد اقتراحى المرأة .

٧ ــ يخلو من إيحاء امرأة العزيز له بسجن يوسف ، أو يعذبه عذاباً أليماً وتنسب الفكرة إلى العزيز نفسه .

هذه سبعة فروق بارزة بين مايورده القرآن الأمين ، وماذكرته التوراة .

والنظر الفاحص فى المصدرين يرينا أنهما لم يتفقا إلا فى « أصل » الواقعة من حيث هى واقعة وكفى ، ويختلفان بعد هذا فى كل شيء . على أن القرآن قام هنا بعملين جليلى الشأن :

أولهما : أنه أورد جديداً لم تعرفه التوراة ومن أبرز هذا الجديد

(١) حديث النسوة وموقف المرأة منهن .

(٢) شهادة الشاهد الذى هو من أهل امرأة العزيز .

ثانيهما : تصحيح أخطاء وقعت فيها التوراة ومن أبرزها :

(١) لم يترك يوسف ثوبه لدى المرأة بل كان لابسا إياه ولكن قطع من الخلف ؟!

(٢) غياب يوسف حين حضر العزيز وإسقاطها دفاعه عن نفسه .. ؟!

اعتراض وجوابه :

قد يقول قائل : لماذا تفترض أن الخطأ هو مافى التوراة ، وأن الصواب هو مافى القرآن . أليس ذلك تحيزاً منك للقرآن ؛ لأنه كتاب المسلمين وأنت مسلم ، ولماذا لم تفترض العكس ، وإذا لم تفترض أنت العكس فقد يقول به غيرك ، وماتراه أنت لايصادر مايراه الآخرون . هذا الاعتراض وارد فى مجال البحث . وإذن فلابد من إيضاح .

والجواب :

لم نتحيز للقرآن لأنه قرآن . ولنا فى هذا الحكم داعيان :

الأول : لم يرد فى القرآن ــ قط ــ ماهو خلاف الحق ؛ لأنه لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وقد ثبتت هذه الحقيقة فى مجالات كل البحوث التى أجريت على « مفاهيم » القرآن العظيم فى كل العصور .

وهذا الداعى وحده كافٍ فى تأييد ماذهبنا إليه .

الثانى : وهو منتزع من الواقعة نفسها موضوع المقارنة وإليك البيان : كل من التوراة والقرآن متفقان على « عفة » يوسف وإعراضه عن الفحشاء . ثم اختلفا بعد ذلك :

فالتوراة تقول إن يوسف ترك ثوبه كله لدى المرأة وهرب والقرآن يقول إنه لم يترك الثوب بل أمسكته المرأة من الخلف ولما لم يتوقف يوسف ــ عليه السلام ــ اقتطعت قطعة منه وبقيت ظاهرة فى ثوبه .

فأى الروايتين أليق بعفة يوسف المتفق عليها بين المصدرين؟!
أن يترك ثوبه كله؟! أم أن يُخرق ثوبه من الخلف ؟!

إذا سلمنا برواية التوراة فيوسف ليس « عفيفا » والمرأة على حق فى دعواها ..؟!

لأن يوسف لايخلع ثوبه هكذا ـــ سليما ـــ إلا إذا كان هو « الراغب » وهى الآبية ..؟!

ولايقال إن المرأة هى التى أخلعته ثوبه ؛ لأن يوسف رجل ، وهى امرأة . فكيف تتغلب عليه وتخلع ثوبه بكل سهولة ثم لما يمتنع تحتفظ هى بالثوب كدليل مادى على جنايته المشينة؟!

وهل خرج يوسف « عريانا » وترك ثوبه لدى غريمته ..؟!

والخلاصة أن رواية التوراة فيها إدانة صريحة ليوسف وهذا يتنافي مع العفة التى وافقت التوراة فيها القرآن الأمين .

أما رواية القرآن فهى إدانة صريحة لامرأة العزيز ، وبراءة كاملة ليوسف (عليه السلام) .

لقد دعته المرأة إلى نفسها ففر منها . فأدركته وأمسكته من الخلف وهو مايزال فاراً هاربا من وجهها فتعرض ثوبه لعمليتى جذب عنيفتين إحداهما إلى الخلف ـــ بفعل المرأة . والثانية إلى الأمام بحركة يوسف فانقطع ثوبه من الخلف .

وهذا يتفق تماما مع العفة المشهود بها ليوسف فى المصدرين ولهذا قلنا : إن القرآن صحح هذا الخطأ الوارد فى التوراة .

ولهذا نقول دائما :

إذا اختلف القرآن مع أى مصدر آخر فالحق فى القرآن ، والباطل فى غيره وإن ورمت أنوف الحاقدين ..؟!

... فهل القرآن مقتبس من التوراة ؟!

ذاك هو حقيقة الواقع . فهل تنطبق على القرآن أسس الاقتباس أم هو ذو سلطان خاص به فيما يقول ويقرر .؟

المقتبس لابد من أن ينقل الفكرة كلها أو بعضها . وها نحن قد رأينا القرآن يتجاوز هذه الأسس :

فيأتي بجديد لم يذكر فيما سواه ، ويصحح خطأً وقع فيه ماسواه ..؟ فليس الاختلاف فيها اختلاف حَبْك وصياغة ، وإنما هو اختلاف يشمل الأصول والفروع . هذا بالإضافة إلى إحكام البناء وعفة الألفاظ وشرف المعانى .(٥)

إن الذى روته التوراة ــ هنا ــ لايصلح ولن يصلح أن يكون أساساً للذى ذكره القرآن . وإنما أساس القرآن هو الوحى الصادق الأمين . ذلك هو مصدر القرآن « الوضيء » وسيظل ذلك هو مصدره تتساقط بين يديه دعاوى الباطل ومفتريات المفترين فى كل عصر ومصر .

الصورة الثانية من صور التشابه بين التوراة والقرآن

قصة هابيل وقابيل ابنى آدم

نصوص التوراة :

« حدث من بعد أيام أن قابين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب ، وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه ، ومن سمانها ، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قابين وقربانه لم ينظر . فاغتاظ قابين جداً وسقط وجهه . فقال الرب لقابين لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك . إن أحسنت أفلا رفع . وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها ، وأنت تسود عليها . وكلم قابين هابيل أخاه . وحدث إذ كانا فى الحقل أن قابين قام على هابيل أخيه وقتله . فقال الرب لقابين أين هابيل أخوك فقال لاأعلم أحارس أنا لأخى ؟ فقال ماذا فعلت ؟ صوت دم أخيك صارخ إلى من الأرض . فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك متى عملت الأرض لاتعود تعطيك قوتها .

---

٥ ــ تأمل عبارة التوراة « اضطجع معى » تجدها مبتذلة فاضحة تكاد تجسم معناها تجسيما . ثم تأمل عبارة القرآن ﴿ راودته التى هو فى بيتها عن نفسه ﴾ تجدها كناية لطيفة شريفة بعيدة عن التبذل والإسفاف . والألفاظ أوعية المعانى والمعانى ظلال الألفاظ..؟!

تائها وهاربا تكون فى الأرض فقال قابين للرب : ذنبى أعظم من أن يحتمل إنك قد طردتنى اليوم على وجه الأرض ، ومن وجهك أختفى وأكون تائها وهاربا فى الأرض فيكون كل من وجدنى يقتلنى فقال له الرب : لذلك كل من قتل قابين فسبعة أضعاف ينتقم منه . وجعل الرب لقابين علامة لكى لايقتله كل من وجده . فخرج قابين من لدن الرب وسكن فى أرض نود شرقى عدن » .[٦]

نصوص القرآن الأمين

﴿ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبلُ اللهُ من المتقين . لئن بسطت إلىَّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسطٍ يدى إليكَ لأقتلك . إنى أخافُ اللهَ ربَّ العالمين . إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحابِ النار وذلك جزاء الظالمين ، فطوعت له نفسهُ قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين . فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض لِيُرِيَهُ كيف يوارى سوءة أخيه . قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارىَ سوءة أخى فأصبح من النادمين من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا . ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً . ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون ﴾ .[٧]

الفروق بين المصدرين :

اتفق المصدران حول نقطتين اثنتين لاثالث لهما واختلفا فيما عداهما . اتفقا فى :

مسألة القربان . وفى قتل أحد الأخوين للآخر . أما فى ماعدا هاتين النقطتين فإن ماورد فى القرآن يختلف تماما عما ورد فى التوراة ، وذلك على النحو الآتى :

---

٦ ــ سفر التكوين (٤ ــ ٣ ــ ١٦) .
٧ ــ المائدة (٢٧ ــ ٣٢) .

التوراة	القرآن الأمين
١ ـــ تسمى أحد الأخوين بقابين وهو « القاتل » والثاني « هابيل » ، كما تصف القربانين وتحدد نوعهما .	١ ـــ القرآن لايسميهما ويكتفى ببنوتهما لآدم كما اكتفى بذكر القربانين ولم يحددهما .
٢ ـــ التوراة تروى حواراً بين قابين والرب بعد قتله أخاه ، وتعلن غضب الرب علي قابين وطرده من وجه الرب إلى أرض بعيدة..؟!	٢ ـــ القرآن لايذكر حواراً حدث بين القاتل وبين الله ، ولايذكر أن القاتل طرده الله من وجهه إلى أرض بعيدة ، إذ ليس على الله بعيد .
٣ ـــ التوراة تخلو من هذا ولامقابل فيها له	٣ ـــ يذكر الحديث الذى دار بين ابنى آدم ويفصل القول عما صدر من القتيل قبل قتله وتهديده لأخيه بأنه سيكون من أصحاب النار إذا قتله ظلما ..؟!
٤ ـــ لامقابل فى التوراة لهذه الرواية ولم تبين مصير جثة القتيل ؟!	٤ ـــ القرآن يذكر مسألة الغراب ، الذى بعثه الله ليرى القاتل كيف يتصرف فى جثة أخيه ، ويوارى عورته ؟
٥ ـــ التوراة تنسب الندم إلى « قابين » القاتل لما هدده الله بحرمانه من خيرات الأرض ، ولاتجعله من الإحساس بشناعة ذنبه .	٥ ـــ القرآن يصرح بندم « القاتل » بعد دفنه أخيه وإدراكه فداحة جريمته !
٦ ـــ لاهدف لذكر القصة فى التوراة إلا مجرد التأريخ . فهى معلومات دهنية خالية من روح التربية والتوجيه .	٦ ـــ القرآن يجعل من هذه القصة هدفا تربويا ويبنى شريعة القصاص العادل عليها . ويلوم بنى إسرائيل على إفسادهم فى الأرض بعد مجىء رسل الله إليهم ؟!

أضف إلى هذه ماتحتوى عليه التوراة من سوء مخاطبة « قابين » الرب ، فنرى في العبارة التي فوق الخط : أحارس أنا لأخى « فظاظة لو صدرت من إنسان لأبيه لعد عاقا جافا فظا غليظا فكيف تصدر من « مربوب » إلى « ربه » وخالقه .. ؟!

ولكن هكذا تنهج التوراة فلا هى تعرف « قدر الرب » ولا من تنقل عنه حواراً فيها مع الرب .

ولعلك تذكر مامَرَّ مِنْ أن موسى أمر ربه بأن يرجع عن غضبه على بنى إسرائيل ، بل تهديده إياه ــ سبحانه ــ بالاستقالة من النبوة إذا هو لم يستجب لأمره .

والواقع أن ماقَصَّهُ علينا القرآن ، وهو الحق ، من أمر ابنى آدم مختلف تماما عما ورد فى التوراة فى هذا الشأن .

فكيف يقال : إن القرآن اقتبس هذه الأحداث من التوراة وصاغها فى قالب البلاغة العربية .؟!

إن الاختلاف ليس اختلاف صياغة ، بل هو اختلاف أصيل كما قد رأيت من جدول الفروق المتقدم .

والحاكم هنا هو العقل فإذا قيل إن هذه القصة مقتبسة من التوراة قال العقل :

° فمن أين أتى القرآن بكلام الشقيق الذى قتل مع أخيه ، وهو غير موجود فى نص التوراة التى يُدعى أنها مصدر القرآن ؟!

° ومن أين أتى القرآن بقصة الغراب الذى جاء لُيرى القاتل كيف يوارى سوءة أخيه وهى غير واردة فى التوراة المُدَّعَى أصالتها ؟!

° ولماذا أهمل القرآن الحوار الذى تورده التوراة بين « الرب » وقابين القاتل وهذا الحوار هو هيكل القصة كلها فى التوراة ؟!

إن فاقد الشيء لايعطيه أبداً ، وهذا هو حكم العقل . والحقائق الواردة فى القرآن غير موجودة فى التوراة ــ قطعا ــ فكيف تعطى التوراة شيئاً هى لم تعرف عنه شيئاً قط ..؟!

لا .. إن القرآن له مصدره الخاص به الذى استمد منه الوقائع على وجهها الصحيح ، ومجرد التشابه بينه وبين التوراة فى « أصل الواقعة » لايؤثر فى استقلال القرآن أبداً

الصورة الثالثة من التشابه بين التوراة والقرآن
مقارنة بين بعض التشريعات
المحرمات من النساء

قَارَنَّا فيما سبق بين بعض المسائل التاريخية التى وردت فى كل من التوراة والقرآن الأمين . وأثبتنا بأقطع الأدلة أن القرآن له سلطانه الخاص به فيما يقول ويقرر ، ورددنا دعوى أن القرآن مقتبس من التوراة . وبَيَّنَّا حكم العقل فى هذه الدعوى كما أقمنا من الواقع « المحكى » أدلة على ذلك .

ونريد ــ هنا ــ أن نقارن بين بعض المسائل التشريعية فى المصدرين ؛ لأن القوم يقولون إن المسائل والأحكام التشريعية التى فى القرآن لامصدر لها سوى الاقتباس من التوراة . وهذه فرية أخرى حلا لواضعى الرواية الهزلية ، ومعهم بعض المبشرين أن يروجوا لها زوراً وباطلا .

وقد اخترنا نص المحرمات من النساء فى التوراة لنقابله بنص المحرمات من النساء فى القرآن الحكيم ، ليكون مصير هذه الفرية مصير ماتقدم من دعاوى جوفاء ، تهاوت جميعا عندما وُوجهت بالحق .

النص فى المصدرين

فى التوراة

عورة أبيك وعورة أمك لاتكشف إنها أمك لاتكشف عورتها . عورة

امرأة أبيك لاتكشف . إنها عورة أبيك . عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة فى البيت ، أو المولودة خارجا لاتكشف عورتها . عورة ابنة ابنك أو ابنة بنتك لاتكشف عورتها إنها عورتك . عورة بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك لاتكشف عورتها إنها أختك . عورة أخت أبيك لاتكشف إنها قريبة أبيك . عورة أخت أمك لاتكشف إنها قريبة أمك عورة أخى أبيك لاتكشف ، إلى امرأته لاتقرب إنها عمتك . عورة كنتك لاتكشف . إنها امرأة ابنك لاتكشف عورتها .

عورة امرأة أخيك لاتكشف إنها عورة أخيك . عورة امرأة ، وبنتها لاتكشف ، ولاتأخذ ابنة ابنتها أو ابنة بنتها لتكشف عورتها إنهما قريبتاها . إنه رذيلة . ولاتأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها معها فى حياتها .(٨)

فى القرآن الحكيم :

﴿ ولاتنكحوا مانكحَ آباؤُكم من النساء إلا ماقد سلف . إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا . حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم ، وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ ، وبنات الأخت . وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم . وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن . فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم . وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف . إن الله كان غفوراً رحيما . والمحصنات من النساء ..... ﴾.(٩)

هذان هما النصان فى المصدرين . نص التوراة ، ونص القرآن الحكيم . فما هى أهم الفروق بينهما ياترى .؟!

وقبل إجراء المقارنة فسوف نفترض صحة النص التوراتى وخلوه من التحريف إذ لامانع أن يكون هذا النص ــ فعلا ــ مترجماً عن نص أصلى

---

٨ ــ سفر اللاويين (١٨ ــ ٧ ــ ١٨) .
٩ ــ النساء (٢٢ ــ ٢٤) .

تشريعى خلا مترجمه من إرادة تحريفه .

والمهم هو أن نعرف هل يمكن أن يكون نص التوراة هذا أصلا اقتبس منه القرآن الحكيم فكرة المحرمات من النساء . علما بأن النص التوراتى قابل إلى حد كبير لإجراء دراسات نقدية عليه ، ولكن هذا لايعنينا هنا .

الفروق بين المصدرين

التوراة

١ ــ لاتقيم شأنا للنسب من جهة الرضاعة
٢ ــ تحرم نكاح امرأة العم وتدعوها عمة
٣ ــ تحرم نكاح امرأة الأخ لأخيه
٤ ــ لاتذكر حرمة النساء المتزوجات من رجال آخرين زواجهم قائم
٥ ــ تجعل التحريم ــ غالبا ــ القرابة من جهة غير الزوج مثل قرابة الأب ــ الأم ــ العم وهكذا

القرآن الأمين

١ ــ يحرم من الرضاعة مايحرم من النسب .
٢ ــ لايحرم نكاح امرأة العم ولايدعوها عمة
٣ ــ لايحرم نكاح امرأة الأخ لأخيه .
٤ ــ يحرم نكاح المتزوجات ــ فعلا ــ من آخرين زواجا قائما ويطلق عليهن وصف المحصنات من النساء
٥ ــ يجعل التحريم لقرابة الزوج ممن حرمت عليه . أو قرابة زوجته أحيانا .

هذه الفروق الواضحة لاتؤهل النص التوراتى لأن يكون أصلاً للنص القرآنى ، علميا ، وعقليا ، فللنص القرآنى سلطانه الخاص ومصدره المتميز عما ورد فى التوراة . وإلا لما كان بين النصين فروق من هذا النوع المذكور .؟!

وقفة مع ماتقدم :

نكتفى بما تقدم من التوراة وإن كانت التوراة مصدراً ثَرّاً لمثل هذه المقارنات ، ولو أرخينا عنان القلم لما وقفنا عند حد قريب ولتضاعف هذا الحجم مئات المرات . ومع هذا فما من مقارنة تجرى بين التوراة وبين القرآن إلا وهى دليل جديد على نفى أن يكون القرآن مقتبسا من كتاب سابق عليه ، فالقرآن وحى أمين حفظ كلمات الله كما أنزلت على خاتم النبيين (ﷺ) وقد رأينا فى المقارنات الثلاث المتقدمة أن القرآن فوق مايأتى به من جديد ليس معروفا فى سواه ـــ أنه يصحح أخطاء وقعت فيما سواه ـــ وهذا هو معنى « الهيمنة » التى خَصَّ الله بها القرآن فى قوله تعالى :

﴿ مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ﴾[10]

فالأمور التى لم يلحقها تحريف فى التوراة جاء القرآن مصدقا لها أو هو مصدق لكل من التوراة والإنجيل بالصفة التى أنزلهما الله عليها قبل التحريف والتبديل .

أما الأمور التى حرفوها ، وتعقبهم القرآن فقصها قصا صحيحا أمينا ، وصحح ماألحقوه بهما من أخطاء ، فذلك هو سلطان « الهيمنة » المشهود للقرآن بها من منزل الكتاب على رسله .

فالقرآن هو كلمة الله « الأخيرة » المعقبة على كل ماسواها ، وليس وراءها معقب يتلوها ؛ لأن الوجود الإنسانى ليس فى حاجة مع وجود القرآن إلى غير القرآن .

كما أن الكون ليس فى حاجة مع الشمس إلى شمس أخرى تمده بالضوء والطاقة بعد وفاء الشمس بهما .

وتتميما للصورة ، وقطعا لأوهام واضعى الرواية الهزلية ومشايعيهم من

---

١٠ ـــ المائدة آية ٤٨ .

المبشرين نجرى مقارنة أخرى بين موضوع من موضوعات الأناجيل بما يقابله من القرآن المهيمن ، الحكيم على نفس النهج الذى سلكناه فى المقارنات السابقة مع اختلاف يسير فى ذلك المنهج ؛ لأن النصوص هنا قد تختلف عما تقدم .

وذلك لأن نص الإنجيل الذى سندرسه يقابله من القرآن نصان كل منهما فى سورة مما يصعب معه وضع النص الإنجيلى فى جدول مقابلا بالنصين القرآنيين . ولهذا فإننا سنهمل نظام الجدول هنا ونكتفى بعرض النصوص ثم الموازنة بينها والموضوع الذى سنخضعه للمقارنة ـــ هنا ـــ هو بشارة زكريا (عليه السلام) بابنه يحيى (عليه السلام) . وذلك على النحو الآتى :

الصورة الرابعة : من الإنجيل والقرآن
بشارة زكريا بيحيى (عليهما السلام)

النص الإنجيلى :

« لم يكن لهما ـــ يعنى زكريا وامرأته ـــ ولد . إذ كانت اليصابات ـــ يعنى امرأة زكريا ـــ عاقراً . وكان كلاهما متقدمين فى أيامهما فبينما هو يكهن فى نوبة غرفته أمام الله ، حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر ، وكان كل جمهور الشعب يصلى خارجا وقت البخور . فظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور . فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف . فقال له الملاك : لاتخف يازكريا ؛ لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات ستلد لك ولداً وتسميه يوحنا ، ويكون لك فرح وابتهاج . وكثيرون سيفخرون بولادته ؛ لأنه يكون عظيما أمام الرب . وخمراً ومسكراً لايشرب ، ومن بطن أمه يمتلىء بروح القدس ويرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلٰهههم ، ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء . والعصاة إلى فكر الأبرار ، لكى يهىء للرب شعبا مستعدا . فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا لأنى أنا شيخ وامرأتى متقدمة فى أيامها ..؟!

فأجاب الملاك وقال : أنا جبرائيل الواقف قدام الله . وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا . وها أنت تكون صامتا ولاتقدر أن تتكلم إلى اليوم الذى يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامى الذى سيتم فى وقته . وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه فى الهيكل . فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه قد رأى رؤيا فى الهيكل . فكان يومىء إليهم . وبقى صامتا .. »[11].

النصوص القرآنية :

(١) آل عمران :

﴿ هنالِكَ دعا زكريا ربَّهُ قال ربِ هب لى من لدُنك ذريةً طيبةً إنك سميعُ الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يُبشرك بيحيى مصدقاً بكلمةٍ من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين . قال رب أنى يكون لى غلامٌ ، وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر ، قال كذلِكَ اللهُ يفعلُ مايشاء . قال رب اجعل لى آية . قال آيتك ألا تُكلم الناسَ ثلاثةَ أيام إلا رمزاً . واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والإبكار ﴾[12].

(٢) مريم :

﴿ ذكرُ رحمةِ ربكَ عبدهُ زكريا . إذ نادى ربَهُ نداءً خفيا . قال رب إنى وهن العظمُ منى واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقيا . وإنى خِفْتُ الموالِيَ من ورائى ، وكانت امرأتى عاقراً ، فهب لى من لدنك وليا . يرثُنى ويَرثُ من آل يعقوب ، واجعلْهُ رب رضيا . يازكريا : إنا نُبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قَبلُ سميا . قال رب أنى يكون لى غلامٌ ، وكانت امرأتى عاقراً ، وقد بلغت من الكبر عتيا ، قال كذلِكَ قال ربُك هو علىَّ هين وقد خلقتُكَ من قبلُ ولم تكُ شيئا . قال رب اجعل لى آية . قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سَوِياً . فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن

---

١١ ـــ إنجيل لوقا (٧ ـــ ٢٢) الإصحاح الأول .

١٢ ـــ آيات (٣٨ ـــ ٤١) آل عمران . وراجع قبله آيات (٣٥ ـــ ٣٧) للأهمية .

سبحوا بكرة وعشيا . يايحيى خذ الكتاب بقوةٍ وآتيناه الحُكْم صَبِيًّا . وحَنَاناً من لَدُنا وزكاةً وكان تقيا . وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصيا . وسلامٌ عليه يومَ وُلِدَ ويومَ يموتُ ويوم يبعث حيا ﴾ (١٣)

ذلك هو نص الإنجيل . وذان هما نصا القرآن الأمين . والقضية التى نناقشها هنا دعوى « الحاقدين » أن القرآن مقتبس من الأناجيل كما ادعوا قبلا أنه مقتبس من التوراة ..؟!

وندعوا القارىء أن يراجع النص الإنجيلى مرات . وأن يتلو النصوص القرآنية مرات ، ويسأل نفسه هذا السؤال :

هل من الممكن علميا وعقليا أن يكون النص الإنجيلى مصدراً لما ورد فى القرآن الأمين ؟!

إن المقارنة بين هذه النصوص تسفر عن انفراد النصوص القرآنية بدقائق لاوجود لها فى النص الإنجيلى . ومن أبرز تلك الدقائق مايلى :

أولا فى آل عمران :

(أ) تقدم على قصة البشارة فى آل عمران قصة نذر امرأة عمران مافى بطنها لله محرراً . وهذا لم يرد فى النص الإنجيلى ؟

(ب) الإخبار بأنها ولدت أنثى « مريم » وكانت ترجو المولود ذكرا وهذا لم يأت فى النص الإنجيلى . ؟!

(جـ) كفالة زكريا للمولودة — مريم — ووجوده رزقها عندها دون أن يعرف مصدره وسؤاله إياها عن مصدره . وهذا بدوره لم يرد فى النص الإنجيلى .؟!

(د) القرآن يربط بين قصة الدعاء بمولود لزكريا وبين قصة مولودة امرأة

١٣ — آيات (٢ — ١٥) مريم .

عمران . وهذا لا وجود له فى النص الإنجيلى ؟!

(هـ) دعاء زكريا منصوص عليه فى القرآن وليس له ذكر فى النص الإنجيلى ؟!

ثانيا فى مريم :

(و) مارتبه زكريا على هبة الله له وليا ، وهو أن يرثه ويرث من آل يعقوب . ولم يرد هذا فى النص الإنجيلى ..؟!

(ز) السبب الذى حمل زكريا على دعاء ربه وهو خوفه الموالى من ورائه والنص الإنجيلى يخلو من هذا ..؟!

(ح) كون زكريا أوحى لقومه بأن يسبحوا بكرة وعشيا . ولا وجود لهذا فى النص الإنجيلى .؟!

(ط) الثناء على المولود ــ يحيى ــ من أنه بار بوالديه عليه سلام الله يوم ولادته ويوم موته ويوم بعثه حيا . ورد فى القرآن ولامقابل له فى النص الإنجيلى .

هذا كله جديد خاص بالقرآن لاذكر له فى سواه . وهذا يعنى أن القرآن قد صور الواقعة المقصوصة تصويراً أمينا كاملا .

وهذه هى المهمة الأولى التى تعقب بها القرآن المهيمن ماورد فى الإنجيل المذكور .

وبقيت مهمة جليلة ثانية قام بها القرآن المهيمن نحو النص الإنجيلى ، كما قام بمثلها نحو النصوص التوراتية المتقدمة . وتلك المهمة هى :

تصحيح الأخطاء التى وردت فى النص الإنجيلى . ومن ذلك :

(أ) النص الإنجيلى يجعل الصمت الذى قام بزكريا عقوبة له من الملاك .

فصحح القرآن هذه الواقعة ، وجعل الصمت استجابة لدعاء زكريا ربه . وقد حرص على هذا النصان القرآنيان معاً . ففى آل عمران ﴿ قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ﴾

وفى مريم : ﴿ قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ﴾

فالصمت كان تكريما لزكريا (عليه السلام) من الله ، وليس عقوبة من الملاك ، وقد انساق بعض مفسرى القرآن الكريم وراء هذا التخريف الإنجيلى فقال إن الصمت كان عقوبة لزكريا ، ولكن من الله لا من الملاك .. ؟!

وها نحن نرفض هذا كله سواء كان القائل به مسلما أو غير مسلم ؛ لأننا نرفض الباطل مهما كان مصدره .

وكفانا حجة على نفى هذا التخريف أن النصوص القرآنية لم تذكره ولاعبرة بقول تعارضه طبيعة النصوص فى منطوقها ومفهومها .. ؟!

فما هو الذنب الذى ارتكبه زكريا حتى يعاقب من الله أو حتى من الملاك ؟!

هل إقراره بكبر سنه وعقر امرأته هو الذنب ؟!

لقد وقع هذا من إبراهيم (عليه السلام) حين بشر بإسحق ، ووقع من سارة حين بشرت به فلم يعاقب الله منهما أحداً .

وقد وقع هذا من « مريم » حين بُشِّرَتْ بحملها بعيسى ولم يعاقبها الله عليه . فما السر فى ترك إبراهيم وسارة ومريم بلا عقوبة وإنزالها بزكريا وحده مع أن الذى صدر منه صدر مثله تماما من غيره ..؟!

أفى المسألة محاباة ..؟!
كلا .. فالله لايحابى أحداً .

إن أكبر دليل على نفى هذا القول هو خلو النصوص القرآنية منه ، وليس هذا تعصبا منا للقرآن . وإنما هو الحق ، والمسلك الكريم اللائق بمنزلة الرسل عند ربهم .

إن الصمت الذى حل بزكريا كان بالنسبة لتكليم الناس ، ومع هذا فقد ظل لسانه يلج بحمد الله وتسبيحه فى العشى والإبكار كما نص القرآن الأمين .

(ب) النص الإنجيلى يحدد مدة الصمت بخروج زكريا من الهيكل إلى يوم أن ولد يحيى .

وهذا خطأ ثان صححه القرآن المهيمن فجعل مدته ثلاثة أيام بلياليهن بعد الخروج من المحراب .

(جـ) النص الإنجيلى يجعل البشارة على لسان ملاك واحد ، بينما النصان القرآنيان يجعلانها على لسان جمع من الملائكة :

﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب .. ﴾ آل عمران
﴿ يازكريا إنا نبشرك بغلام ... ﴾ مريم

وهذا خطأ ثالث وقع فيه النص الإنجيلى فصححه القرآن الأمين .

(د) النص الإنجيلى يجعل التسمية بـ « يحيى » يوحنا من اختيار زكريا بيد أن الملاك قد تنبأ بها .

وهذا خطأ رابع صححه القرآن الأمين فجعل التسمية من وحى الله إلى زكريا : ﴿ اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ﴾ مريم

(هـ) النص الإنجيلى يقول : إن زكريا حين جاءه الملاك « وقع عليه خوف واضطراب » .

وقد خلا النص القرآنى من هذا.. فدل خلوه منه على أنه لم يقع ؟!

ودليلنا على ذلك أن القرآن الحكيم عَوَّدَنَا فى قَصِّهِ للوقائع المناظرة لهذه الواقعة أن يسجلها إذا حدثت ولايهملها ، بدليل أنه قد نص عليها فى واقعة السحرة مع موسى (عليه السلام) فقال :

﴿ فأوجس فى نفسه خيفة موسى ﴾ طه (٦٧) .

وقال فى شأنه كذلك عند انقلاب العصى حية لأول مرة :

﴿ فلما رآها تهتز كأنها جَانٌ وَلَّى مُدبِراً ولم يُعَقِّبْ ﴾ القصص (٣١)
وحكاها عن إبراهيم (عليه السلام) حين جاءته الملائكة تبشره بغلام فقال حكاية عن إبراهيم لضيوفه :

﴿ إنا منكم وجلون ﴾ الحجر (٥٢)

وحكاها عن مريم حين جاءه الملك :

﴿ قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ﴾ مريم (١٨)

وحِرْصُ القرآن على ذكر هذا الانفعال (الخوف) (إذا حدث) يدل على أن خلوه منه بالنسبة لزكريا دليل على أنه لم يقع منه خوف قط ، وهذا « الخلو » يعتبر تصحيحا لما ورد فى الإنجيل من نسبة حدث صدر من زكريا هو فى الواقع لم يصدر منه .

فهذه خمسة أخطاء قام بتصحيحها القرآن الأمين نحو نصوص الإنجيل المذكورة هنا فى المقارنة . وبهذا نقول :

إن القرآن أدى هنا فى تعقبه للنص الإنجيلى مهمتين جليلتين :

الأولى : تصوير الواقعة المقصوصة تصويراً أمينا كاملا .

الثانية : تصحيح الأخطاء الواردة فى النص الإنجيلى المقارن .

وقفة أخيرة مع دعوى الاقتباس :

موضوع الدعوى ــ كما يروج لها المبشرون ــ أن القرآن اقتبس من الكتاب المقدس (؟!) كل قَصَصِهِ التاريخى .

والواقعة : التى هى موضوع دعوى الاقتباس ــ هنا ــ هى **حادثة تاريخية دينية** محددة ببشارة زكريا (عليه السلام) بيحيى عبد الله ورسوله .

ووثائق تسجيلها هما : **الإنجيل ، ثم القرآن الأمين .**

وصلة الإنجيل بالواقعة المقصوصة أنه سجلها ــ فرضا ــ بعد زمن وقوعها بقليل ؛ لأن عيسى كان معاصراً ليحيى (عليهما السلام) وصلة القرآن الأمين بها أنه سجلها بعد حدوثها بزمن طويل « حوالى سبعمائة سنة » .

وقرب الإنجيل من وقوع الحادثة المقصوصة ، وبُعد القرآن الزمنى عنها يقتضى ــ إذا سلمنا جدلاً بدعوى الاقتباس المطروحة ــ أن يأتى الاقتباس على إحدى صورتين :

أولاهما : أن يقتبس القرآن جزءاً مما ورد من القصة الكلية فى الإنجيل . وتظل القصة فيه ناقصة عما هى عليه فى المصدر المقتبس منه (الإنجيل) على حسب زعمهم .

والأخرى : أن يقتبس القرآن القصة كلها كما هى فى الإنجيل بلا نقص ولا زيادة ، سواء أخذها بألفاظها أو صاغها فى أسلوب جديد (البلاغة العربية كما يدعون) ، بشرط أن يتقيد بالمعانى الواردة فى المصدر المقتبس منه ؛ لأن الفرض قائم (حتى الآن) على أن القرآن لم يكن له مصدر يستقى منه الواقعة غير الإنجيل المقتبس منه (؟!) .

ومحظور على القرآن ــ عملا بهذه القيود التى تكتنف قضية الاقتباس للوقائع التاريخية من مصدرها الأوحد ــ محظور على القرآن أن يأتى بجديد أو يضيف إلى الواقعة ماليس فى مصدرها الأوحد .؟!

فماذا صنع القرآن إذن ؟

هل اقتبس من الإنجيل جزء الواقعة ؟ أو الواقعة كلها ؟!
دائراً فى فلك الإنجيل دورة ناقصة أو دورة كاملة ؟!

لو كان القرآن قد فعل هذا : اقتبس جزء الواقعة أو الواقعة كلها ، وَ لَوْ مع صياغة جديدة لم تغير من المعنى شيئا ؛ لكان لدعوى الاقتباس هذه مايؤيدها من

الواقع القرآنى نفسه ؟!

ولما تردد فى تصديقها أحد .

ولكننا قد رأينا القرآن لم يفعل شيئا مما تقدم . لم يقتبس جزء الواقعة ، ولا الواقعة كلها .

وإنما صورها تصويراً أميناً رائعاً . سجل كل حقائقها ، والتقط ـــ بعدساته ـــ كل دقائقها . وعرضها عرضاً جديدا نقيا صافيا ، وربط بينها وبين وقائع كانت كالسبب الموحد لها فى بناء محكم وعرض أمين .

ولم يقف القرآن عند هذا الحد .. بل قام بإضافة الكثير جداً من الجديد الذى لم يعرفه الإنجيل . وصحح كثيراً من الأخطاء التى وردت فيه بفعل التحريف والتزوير . إما بالنص وإما بالسكوت . وهذا لايتأتى من مقتبس ليس له مصدر سوى مااقتبس منه ..؟!

وإنما يتأتى ممن له مصدره ووسائله وسلطانه المتفوق ، بحيث يتخطى كل الحواجز ، ويسجل الواقعة من « مسرحها » كما رآها هو ، وعقلها هو ، وسجلها هو . وكان هذا هو القرآن .

إن المصدر الوحيد للقرآن هو الوحى الصادق الأمين .. وليس ماسجله الأحبار والكهان ، والفريسيون ، والكتبة فى توراة أو أناجيل ، ولو كان القرآن مقتبسا من الإنجيل ـــ مثلا ـــ فى هذه الواقعة ؛ لفاحت فيه رائحة البخور الإنجيلى . والمبشرون يدركون ـــ هنا ـــ معنى مانقول .

إن « مقاصد القرآن وتوجيهاته وكل محتوياته » ليس فى التوراة ولا فى الإنجيل منها شىء يذكر . وفاقد الشىء لايعطيه . هذا هو حكم العقل والعلم ، ومن لم يخضع لموازين الحق من عقل وعلم ونقل فقد ظلم نفسه وأوردها موارد الضياع والهلكة وماله من الله من عاصم .. وويل للذين ظلموا من النار



الفصل السابع
شواهد من القرآن على إعجازه المستمر :

رددنا على القوم – فيما تقدم – دعواهم بأن القرآن ليس معجزا ؛ لأنه من نوادر الأعمال الإنسانية ؟! وتأليف كتاب فى نهاية الفصاحة والبلاغة لايعد معجزة ؟! كما رددنا عليهم دعواهم أن القرآن مقتبس من التوراة ، ومن الأناجيل .. وسلكنا فى الرد منهجاً علميا موضوعياً لايملك الخصم – نفسه – مخالفتنا فيه . وماعلينا إلا أن نقول الحق ونعلنه . فلسنا مأمورين ، ولاهو من سلطتنا أن نلوى أعناق خصومنا ليؤمنوا بما نؤمن :

﴿ فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً ﴾[1]

وكنا فى الرد عليهم مدافعين رادين لاعتداء وقع منهم ، على أننا لن نكتفى – هنا – بصدهم إلى ماوراء الحدود الفاصلة . فأملى علينا واجب الدفاع أن نقيم فى وجوههم بعضا مما نملك من الموانع المحكمة . ويعلم الله أننا نملك من تلك « الموانع » الكثير لهذا آثرنا أن نذكر صوراً من « إعجاز » القرآن المستمر فى كل عصر[2]، والذى أكسبه التقدم العلمى جلاءً وقوة فى العقول والأذهان ، ومازال الحقيقة العلمية تأتى فى اتساق عجيب مع ماأشار إليه القرآن منذ أربعة عشر قرنا ، حتى أقر بهذا الإعجاز مفكرون وعلماء من غير المسلمين ، وأظهروا دهشتهم الفائقة لمحتويات القرآن ونصبوا من أنفسهم أنصاراً له يردون على من يقول من إخوتهم فى العقيدة بأن القرآن ليس معجزا ، أو هو مقتبس من التوراة والأناجيل . بأن هذا الزعم باطل ومردود ويجزمون بأن القرآن ليس له مصدر سوى « الله » ولايوجد كتاب سماوى توراة أو أناجيل يضارع القرآن فى صحة روايته ، وسلامة معانيه . وسموها على كل نقد علمى أو غير علمى حتى قال بعضهم : إن التوراة والأناجيل لاتستطيع أن تصمد أمام

---

١ ـــ الكهف (٣٠) .

٢ ـــ لن نستطيع أن نتحدث عن الإعجاز البيانى الأدبى ـــ هنا ـــ لضيق المقام وهو المقصود بالتحدى .

النقد العلمى بلا خسارة ؟! أما القرآن فلا يخشى عليه من ذلك شيء ..؟! ومعلوم أن استقصاء القول حول هذه الحقائق غير مستطاع هنا ، ولذلك فإننا نلفت نظر القارىء إلى أننا سنكتفى بإيراد النص القرآنى الدال مع كلمة وجيزة تربط بين النص وبين الحقيقة العلمية التى تؤكد مغزى النص الحكيم ، وذلك على النحو الآتى :

١ – حقائق عن الكون :

أصبح من البدائه المسلمة لدى العلماء عن دراستهم للحقائق الكونية الاتفاق على « المفاهيم » الآتية :

١ – التسليم بوجود ست مراحل لخلق الكون .

٢ – تداخل مراحل خلق السموات مع مراحل خلق الأرض .

٣ – خلق الكون من مادة أولية كانت كتلة متماسكة انفصلت فيما بعد.

٤ – تعدد السموات والكواكب التى تشبه الأرض .

٥ – وجود مخلوقات وسيطة بين السموات والأرض .[٣]

هذه المسلمات لم يخل القرآن العظيم من الإشارة إليها جميعا ، وفى مواضع متعددة منه . وإليك البيان مؤيداً بالحجة والبرهان :

ففى جانب الحقيقة الأولى (ست مراحل لخلق الكون) جاءت النصوص الآتية :

﴿ إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ﴾[٤]

﴿ إنّ ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ﴾[٥]

﴿ وهو الذى خلق السمواتِ والارضَ فى ستة أيام ﴾[٦]

---

٣ ــ دراسة الكتب المقدسة (١٦٦) .

٤ ــ الأعراف (٥٤) .

٥ ــ يونس (٣) .

٦ ــ هود (٧) .

﴿ الذى خلق السموات والارضَ وما بينهما فى ستة أيام ﴾ [٧]
﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ﴾ [٨]
﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ﴾ [٩]
﴿ هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ﴾ [١٠]

فهذه سبعة نصوص يؤكد فيها القرآن العظيم خلق الكون فى ستة أيام والعلماء يطلقون على « الأيام الستة » المراحل الست . واختلاف التسمية لايغير من الحقيقة شيئا . والذى حملهم على هذه التسمية « مراحل » ترجيحهم أن يكون اليوم الواحد المشار إليه فى هذه الآيات مختلفا عن اليوم الفلكى المعروف الآن (نهار كامل + ليلة كاملة) ؛ لأن هذه الأيام المذكورة كانت قبل خلق الليل والنهار . فهى إلى المراحل أقرب .

ومما ينبغى الالتفات إليه أن ثلاث آيات وهى آيات الفرقان ، والسجدة ، وسورة « ق » – قد تضمنت الإشارة إلى الحقيقة الخامسة ، التى هى : وجود مخلوقات وسيطة بين السموات والأرض ، إذ عطف فيها على خلق السموات والأرض قوله تعالى : « وما بينهما » وهذا وحده كاف بدلالة القرآن على ذلك « الوسيط » الذى سَلَّمَ العلم الحديث بوجوده [١١] .

أما الحقيقة الثانية ، وهى تداخل مراحل الخلق فقد أشير إليها بقوله تعالى :

﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرضَ فى يومين ، وتجعلون له أنداداً . ذلك ربُّ العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواءً للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً . ذلك تقدير

٧ ــ الفرقان (٥٩) .
٨ ــ السجدة (٤) .
٩ ــ ق (٣٨) .
١٠ ــ الحديد (٤) .
١١ ــ ومنه ﴿ له مافى السموات ومافى الأرض ومابينهما وماتحت الثرى ﴾ طه (٦) .

العزيز العليم ﴾[١٢]

إن أمر التداخل – هنا – ظاهر . فالأيام المذكورة فى الآيات الكريمة ثمانية ، مع أن النصوص المتقدمة كلها تحصرها فى ستة أيام . وفى الواقع أن الآيات الثلاث الأخيرة لم ترفع عدة الأيام الستة إلى ثمانية كما يظن بعض الطاعنين . فليس اليومان المذكوران فى خلق الأرض غير اليومين المذكورين فى قضاء الله السموات سبعاً فيكون المجموع أربعة ، تضاف إلى الأربعة المذكورة فى الآية رقم (١٠) من نفس المجموعة فيصبح المجموع ثمانية أيام بدل ستة أيام . وقد أشار القرآن الحكيم إلى دفع هذا الوهم فذكر خلق الأرض مرة أخرى مع خلق السموات[١٣] :

﴿ فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها ﴾ فدل ذلك –والعلم لله وحده ــ على أن السموات والأرض خلقتا فى يومين لاأربعة أيام ، وهذا هو معنى تداخل المراحل المشار إليه عند العلماء المعاصرين .

وفى جانب الحقيقة الثالثة ، وهى خلق الكون من مادة أولية متماسكة جاء قوله تعالى :

﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حَيٍّ أفلا يُؤمِنُون ﴾ – الانبياء (٣٠)
الرتق : الضم والاتصال .
والفتق : التفريق والانفصال .

إن التعبير بالرتق والفتق فى هذا النص الحكيم لهو إشارة مجملة عميقة المغزى بالنسبة للدراسات المتأخرة على نزول النص ، والتى تؤكد هذه الحقيقة

---

١٢ ــ فصلت (٩ ــ ١٢) .

١٣ ــ بعض المفسرين يرى أن « فى أربعة أيام سواء » ملحوظ فيه اليومان السابقان فى قوله تعالى : ﴿ خلق الأرض فى يومين ﴾ أى وقدر فيها أقواتها فى يومين آخرين فالمجموع أربعة . راجع تفسير أبى السعود (جـ ٥ ص ٥٠٣) .

بوضوح تام ، أدت إليه جميع الفروض العلمية المعاصرة . سواء ماكان منها متعلقا بمراحل الخلق الأولى ، وما اتصل بعلوم الفلك ونظام المجموعة الشمسية ، والكواكب المحيطة بها ممايتعذر إيجازه هنا . ولكن شهرته وتعدد مراجعه فيهما لكل ذى طموح غناء . فليراجعه فى مظانه من كتابات العلماء المتخصصين فى تلك العلوم . ففيها تتعانق« مفاهيم » العلوم مع إشارات القرآن الحكيم بما يقطع كل ريب ، ويدفع كل مطعن.

أما الحقيقة الرابعة وهى تعدد السموات والكواكب .ففى القرآن العظيم آيات كثيرة تقررها ، ومن ذلك :

﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً . ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ، وهو بكل شيء عليم ﴾[١٤]

﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين ﴾[١٥]

﴿ الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ﴾[١٦]

﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نوراً ، وجعل الشمس سراجا ﴾[١٧]

﴿ وبنينا فوقكم سبعاً شداداً ﴾[١٨]

ومن الإشارات الفلكية مواضع متعددة ، يدعو فيها القرآن للتأمل والتفكر ، وكثيراً مايسميها آيات معجزات دالة على وحدة الصانع وقدرته ، ولو لم تكن تلك « الظواهر » آيات علمية معقدة التكوين لما استحقت أن يلفت القرآن إليها الأنظار . ومن ذلك :

---

١٤ ــ البقرة (٢٩) .

١٥ ــ المؤمنون (١٧) .

١٦ ــ الملك (٣) .

١٧ ــ نوح (١٥ ــ ١٦) .

١٨ ــ النبأ (١٢) .

﴿ تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل ..﴾[١٩]

﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾[٢٠]

﴿ خلق السموات بغير عمد ترونها ﴾[٢١]

﴿ ويُمسِكُ السماءَ أن تقع على الأرض إلا بإذنه ﴾[٢٢]

﴿ الشمسُ والقمرُ بحسبان ﴾[٢٣]

﴿ وجعل الليل سكنا والشمسَ والقمرَ حسبانا ﴾[٢٤]

﴿ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ﴾[٢٥]

﴿ والقمر قدرناهُ منازل حتى عاد كالعُرجُون القديم ﴾[٢٦]

﴿ هو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البَرِّ والبَحْرِ قد فَصَّلنا الآيات لقوم يعلمون ﴾[٢٧]

﴿ هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمرَ نوراً ، وقدرهُ منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾[٢٨]

هذه حقائق يعلمها العامة باتساقها وآثارها ، ولاينكرون شيئا ممايقرره القرآن فى شأنها .

ويعلمها الخاصة بدقائقها وأسرارها . ولهذا فإنها تقرن بتفصيل الآيات وتقدير العزيز العليم ، ويتوجه الخطاب بها إلى الذين يعلمون ، وإلى الذين

---

١٩ ــ آل عمران (٢٧) .
٢٠ ــ النحل (١٢) .
٢١ ــ لقمان (١٠) .
٢٢ ــ الحج (٦٥) .
٢٣ ــ الرحمن (٥) .
٢٤ ــ الأنعام (٩٦) .
٢٥ ــ إبراهيم (٣٣) .
٢٦ ــ يس (٣٩) .
٢٧ ــ الأنعام (٩٧) .
٢٨ ــ يونس (٥) .

يعقلون .

فإن العلم حين يقف على أسرار تلك الظواهر جملة أو تفصيلا يعطى للعقل رصيدا هائلاً من الحقائق المذهلة ، التى وجدت قبل وجود الإنسان نفسه .[29] والإنسان هو النوع الوحيد الذى يمكن أن يدعو هذه الحقائق إليه ؛ لأنه أرقى مخلوقات الله . فإذا كانت تلك الحقائق « المعقدة » قد وجدت قبل وجود الإنسان فهو إذن لاصلة له بها إلا اكتشافها فمن الذى صنعها ؟!
أليس هو خالق الكائنات ، مفصل الآيات لقوم عقلاء عالمين . ؟!

حقائق فيما بين السماء والأرض :

إذا تجاوزنا طبقات الكون العلوية بما فيها من أسرار ودقائق لفت القرآن النظر إليها مرات ، وحث الفكر على « الإجالة » فيها ، باعتبارها آيات معجزات فإن بين يدينا من الآيات الجارية فى طبقاته « الدنيا » القريبة منا مايعادل ذلك جلالاً وحكمة .

وقد لفت أنظارنا إليها القرآن ، وتحدث عنها حديث العالم الذى لايخطىء ، والموجه الذى يُقنع العقل ويُمتع العاطفة . فخذ إليك - مثلا - قوله تعالى :
﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها . وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾[30]

اقرأ هذه الآية الحكيمة ، واسأل نفسك عن أى شيء تتحدث ، وكيف تحدثت ؟

---

٢٩ ـ يقدر علماء الكونيات أن الإنسان وحد على سطح الأرض فى مرحلة التكوين الرابعة فهو مسبوق بوجود النظم الكونية . هيأ الله له « البيت » ثم أوجده فيه ..؟! .
٣٠ ـ البقرة (١٦٤) .

إنها تتحدث عن حركة الحياة بدقائق أسرارها وجلائلها . وكل الظواهر التى تحدثت عنها من صنع الله ، وما الإنسان إلا مجرد منتفع بوسائله القريبة ، التى لم « تصنع » الظاهرة ، وإنما تصرفت فى أمر موجود فعلا من قبل خالق الكائنات .

ومع هذا فقد اشتمل حديثها على كلمات هى مفتاح السر فى كل أولئك فتأمل مثلا :

اختلاف الليل والنهار . ـــــــــــــــــــــــــــ فلك

الفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس . ـــــــــــــــــ ملاحة

.... فأحيابه الأرض بعد موتها . ـــــــــــــــــــــــ أحياء

وبث فيها من كل دابة . ـــــــــــــــــــــــــ النمو والتكاثر

تصريف الرياح والسحاب . ـــــــــــــــــ الحكمةوالتدبير

المسخر بين السماء والأرض . ـــــــــــــــ القدرة والإعجاز

أليست هذه نظم كونية . وحقائق علمية وقوانين طبيعية تجرى ولم تتوقف وتتكرر بتكرر دورات الحياة !

ومؤدى هذا المشهد أن القرآن يقول فى نهاية العرض : ﴿ لآيات لقوم يعقلون ﴾ والعقلاء لاتلفت عقولهم إلا إلى كل ما هو مذهل من الحقائق والأسرار . وأن العقلاء الذين تستثيرهم هذه الحقائق مختلفون لكل منهم فرع خاص . من فلكى إلى ملاحى ، إلى عالم أحياء ، إلى رياضيين إلى غير هؤلاء من كل ذى خبرة وعلم .

حقائق فى الأرض نفسها :

وها نحن اقتربنا إلى مسرح الحياة نفسها التى نعيشها . فمثلما كانت آفاق الكون العليا والوسطى والدنيا مواطن آيات عظام مثلها القرآن العظيم أمام الفكر والنظر فإن فى الأرض ، كوكبنا الذى منه ولدنا ، وعليه عشنا ، وفيه نعود ، آيات أخرى عظيمة يحثنا القرآن على الالتفات إليها ، والتدبر فيها ، فهى

صورة حية من قدرة الله وعلمه الواسع .

وفى القرآن آية لاتزيد كلماتها على ثلاث كلمات ، أجملت ذلك كله ، وهى قوله تعالى :

﴿ وفى الأرض آيات للموقنين ﴾ (٣١)

ثم تتابعت الآيات التى تفصل ذلك الإجمال الحكيم من اعتبارات متنوعة متعددة :

فمن الدعوة إلى التأمل فى شكلها وهيئتها فى قوله تعالى :

﴿ وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ (٣٢) ثم ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ (٣٣)

إلى اختلاف طبائعها :

﴿ وفى الأرض قطع متجاورات ، وجنات من أعناب ، وزرع ، ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ (٣٤)

إلى حركتها وتفاعلها مع الماء :

﴿ ... وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ (٣٥)

اهتزت : تحركت فعلا متفاعلة مع الماء .

وربت : زادت باختلاط عنصر الماء بها .

هاتان عمليتان دقيقتا الملحظ لاتقعان تحت النظر المجرد ، وكان المفسرون القدماء يرون فى اهتزت وربت معنى مجازيا ، بيد أن العلم أثبت أنهما اهتزاز وزيادة حقيقيان .

---

٣١ ــ الذاريات (٢٠) .

٣٢ ــ الغاشية (٢٠) .

٣٣ ــ النازعات (٣٠) .

٣٤ ــ الرعد (٤) .

٣٥ ــ الحج (٥) .

ثم يلفت القرآن النظر إلى هذه الحقائق :

﴿ وهو الذى مدَّ الأرضَ ، وجعل فيها رواسى وأنهاراً ، ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ، يغشى الليلَ النهارَ ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾[٣٦]

فكان القرآن أول من لفت مدارك العلماء لوظيفة الجبال من أنها أثقال لتثبيت الأرض ، وحفظها من الاضطرابات .

وقد صرح القرآن بهذا المعنى فى وضوح فقال :

﴿ وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم .. ﴾[٣٧]

﴿ وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم .. ﴾[٣٨]

﴿ وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم .. ﴾[٣٩]

تميد : تميل وتضطرب .

إن الحقيقة الكبرى التى يضعها القرآن للناس عن الأرض ، أنها مستودع لمقومات الحياة :

﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى ، وأنبتنا فيها من كل شىء موزون . وجعلنا لكم فيها معايش ، ومن لستم له برازقين . وإن من شىء إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلابقدر معلوم »[٤٠]

ولهذا فهو يدعوها مرة فرشا ويهيىء فيها أسباب الاستقرار :

﴿ الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ، فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾[٤١]

---

٣٦ ـــ الرعد (٣) .

٣٧ ـــ النحل (١٥) .

٣٨ ـــ الأنبياء (٣١) .

٣٩ ـــ لقمان (١٠) .

٤٠ ـــ الحجر (١٩ ـــ ٢٠) .

٤١ ـــ البقرة (٢٢) .

ويدعوها – مرة ثانية – مهداً مع تهيئة أسباب الاستقرار كذلك :

﴿ الذى جعل لكم الأرض مهداً ، وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء . فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى . كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى ﴾[42]

ثم هى – بعد – قرار فيه كل مقوماته :

﴿ أم من جعل الأرض قراراً ، وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى ، وجعل بين البحرين حاجزا ؟ أإله مع الله ؟! بل أكثرهم لايعلمون ﴾[43]

هذه كلها حقائق علمية مثيرة يقررها القرآن فلم يقف فى وجهها ناقد ولن يقف

حقائق عن الماء :

يجمل القرآن الحكيم أهمية الماء فى فاصلة آيه لم تزد كلماتها على خمس كلمات ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حى ﴾

فهذه قاعدة « عمومية » تتناول أفراد الأحياء الثلاثة : الإنسان – الحيوان – النبات . وهو العالم المحسوس لنا . وإطلاق قاعدة عامة كلية ، مثل هذه القاعدة لايقررها إلا من له علم محيط بحقائق جميع الأحياء مستقر لكل أحوالها . عالم بأن شيئا واحداً من « الأشياء الخاضعة للقاعدة » لايشذ عنها ، وذلك شرط أكيد لاطراد هذه القاعدة كما يفهم من صياغتها .

وهكذا يقرر القرآن – فى ثقة – هذه القاعدة ، لأن مُنَزِّلَهُ هو الخبير العليم الذى لايعزب عنه شيء فى الأرض ولا فى السماء .

وبعد هذا الإجماع الجامع يستعرض القرآن حقائق أخرى عن الماء هى الحاكمة لوجوده على أى كيفية كان . ومن ذلك قوله تعالى :

---

٤٢ _ طه (٥٣ _ ٥٤) .

٤٣ _ النمل (٦١) .

﴿ وهو الذى يُرسل الرياح بُشراً بين يَدَىْ رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثِقَالا ، سُقناه لبلدٍ ميتٍ ، فأنزلنا به الماء ، فأخرجنا به من كل الثمرات ، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾ (٤٤)

وهنا يجدر أن نلفت النظر إلى بعض الملاحظات وهى :

١ - بعد تبخير المياه من المحيطات والبحور وتصاعد البخار إلى الأفق القريب من الأرض يتكاثف البخار فيصبح سحابا ثقيلا .

٢ - يسخر الله « الرياح » لتقوم بعمليتين نحو ذلك السحاب وهما :

أ - حمل السحاب .

ب - سوقه إلى حيث يريد الله سبحانه .

وسوق الرياح للسحاب كما أشار القرآن يكون إلى « بلد ميت » فإذا وصلت إليه السحب أنزل الله فيها الغيث . وأخرج به من كل الثمرات .

هذا القانون هو الحاكم لظاهرة السحب ، فكم قد شاهدنا ونشاهد سحبا تسير فوق رءوسنا ، ونسمع رعداً ونرى برقا ولاينزل غيث ، وقد ينزل أحيانا . ولكنه لايؤثر فى كمية السحب المرئية . فإلى أين تسير تلك السحب ؟! وأين تضع كل ما تحمل .. حكمة الله وحدها هى المتصرفة . فهناك البلد الميت الذى يسير إليه الموكب « المائى » هادئاً حينا ، وصاخبا أحيانا أخرى .

إن عملية التكوين والتوزيع والتخزين لاتتصرف فيها أرادة الإنسان ، ولاتسيطر عليها قدرته . فذلك من اختصاص إرادة أخرى ، وقدرة أخرى ، تزول أمامها كل الإرادات والقدرات .

فهل فى مقدرة البشر تغيير هذا القانون ، أو حتى تعديله ؟! كلا .. ثم

---

٤٤ ـــ الأعراف (٥٧) .

كلا ، ويتبع هذه المرحلة تصريفان يُعتبران جزءين مهمين من القانون الحاكم لهذه الظاهرة وهما :

أ – أن الله ينزل الماء بقدر .

ب – كيفية تخزينه وتهيئته للانتفاع به بعد إنزاله .

فعن الملاحظة الأولى نجد نوعين من الآيات يشيران إليها :

النوع الأول عام فى الماء وفي غيره ، ومنه قوله تعالى :

﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائِنُهُ ومانُنزِلُهُ إلا بقَدرٍ معلوم ﴾ (٤٥)

وقوله تعالى :

﴿ ... قد جعل الله لكل شيء قدراً ﴾ (٤٦)

والنوع الثانى خاص بالماء ومنه قوله تعالى :

﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر ، فأسكناه فى الأرض ، وإنا على ذهاب به لقادرون ﴾ (٤٧)

وقوله تعالى :

﴿ والذى نَزَّل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة مَيْتاً ، كذلك تخرجون ﴾ (٤٨)

وأما الثانية فلها بيناتها من القرآن الحكيم . ومنها آية « المؤمنون » المذكورة حيث جاء فيها : ﴿ فأسْكَنَّاه فى الأرض ﴾ يعنى خزَّناه فيها للحاجة إليه .

وتأتى آية أخرى فتزيد المسألة وضوحا وهى قوله تعالى :

﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فسلكه ينابيع فى الأرض ، ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه . ثم يهيج فتراه مصفراً ، ثم يجعله حطاماً . إن فى ذلك

---

٤٥ ــ الحجر (٢١) .

٤٦ ــ الطلاق (٣) .

٤٧ ــ المؤمنون (١٨) .

٤٨ ــ الزخرف (١١) .

لذكرى لأولى الألباب ﴾[٤٩]

فالله وحده هو المتصرف فى هذا كله . وهذا التصرف هو الذى يحكم هذه الظواهر كلها وحديث القرآن الحكيم عنها ماهو إلا تصوير أمين للواقع . والمتأمل لايرى فيما يقوله القرآن إلا اتساقا عجيبا لحقائق علمية لم تدرك على وجه التفصيل إلا فى عصر الازدهار العلمى ودراسة الظواهر الكونية .

والآية الآتية تتحدث عن سلطان الله المطلق فى هذا المجال مع إشارة دقيقة لتكوين السحب وتكاثفها وما يقترن بها – أحيانا – من ظواهر جانبية . فاستمع بقلبك إلى هذا البيان الرائع :

﴿ ألم تر أن الله يزجى سحابا ، ثم يؤلف بينه ، ثم يجعله ركاما ، فترى الودق يخرج من خلاله ، ويُنزِّل من السماءِ من جبال فيها من بَرَدٍ فيصيبُ به من يشاءُ ، ويصرفه عن من يشاءُ ، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ﴾.[٥٠]

أية هيئة علمية – غير الله – تستطيع أن تصور هذا البيان العلمى الحكيم الأمين ، الذى استقصى جوانب الحقيقة « المعروضة » بكل دقائقها وأسرارها ، وأية هيئة علمية اطلعت فى القرن السابع الميلادى – عصر نزول القرآن الكريم – على جبال فى السماء فيها من برد هى مصدر المياه النازلة على الأرض ..؟! إنه العلى الحكيم وحده ؟!

ونفس الحقائق المذكورة تعرضها علينا آية أخرى هى قوله تعالى : ﴿ االلهُ الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً ، فيبسُطُهُ فى السماء كيف يشاء ،ويجعله كِسَفا ، فترى الودق يخرج من خلاله ، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ﴾.[٥١]

---

٤٩ ــ الزمر (٢١) .

٥٠ ــ النور (٤٣) .

٥١ ــ الروم (٤٨) .

عمل آخر للرياح فى السحاب

عملية« التكاثر والتوالد » تتوقف على « التقاء عنصرى الذكورة والأنوثة » بين كل كائنين حيين على كيفيات تختلف من نوع إلى نوع . وهذا الالتقاء بين نوعى الإنسان والحيوان يتم بالتباشر ، ولكنه فى كثير من أنواع « النباتات » يتم بطريقة لاحيلة فيها للإنسان ، فطلع ذكر النخل يأخذه الإنسان ليضع قدرا منه فى « أكمام » إناث النخل فتتم عملية الإثمار فى حالة جيدة ، وإلا شاص التمر وأصابه الضمور .

ومن رحمة الله بالإنسان أن جعل الريح تقوم بعمليات شديدة التعقيد بالغة الدقه فى عملية « اللقاح » فيما يصعب على الإنسان ، بل يستحيل أن يقوم به .

فإذا تصورنا حقلا من النبات فيه بلايين « الأشجار » التى لايميز الإنسان بين ذكورها وإناثها فضلا عن كثرتها الفائقة . فكيف يكون حال الإنسان لو كان هو المكلف بعملية نقل طلع الذكور إلى الإناث لحقل من نباتات « القمح » مثلا . وإلا بارت زراعاته . فماذا يفعل الإنسان الضعيف أمام هذه المهمة ، من رحمة الله بالإنسان أن جعل هذه المهمة ليست موكولة إليه . فأنابت القدرة الإلهية « الرياح » لتؤدى هذه المهمة الشاقة جداً بدلا عن الإنسان المستفيد .

فبأمر من الله وتوجيهه تحمل « الرياح » طلع ذكور النبات حيث « يكون » لتقوم بتوزيعه على إناثه فيؤتى أكله بأذن ربه .. متى وكيف !؟ الله وحده يعلم . كل مانعلمه – نحن البشر – أنها عملية تتم خارج حدود طاقتنا ، وبعيدة كل البعد عن مشاهداتنا القاصرة .

هذه الحقيقة العلمية الدقيقة يشير إليها القرآن الحكيم فى قوله تعالى :

﴿ وأرسلنا الرياح لواقح . فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه ، وما أنتم له

بخازنين ﴾[٥٢]

وليس لدى العلماء ريب فى هذه « المعلومة » المذهلة . فهى موضع إجماع بينهم
ولكن عطف قوله تعالى ﴿ فأنزلنا من السماء ماء ..﴾ على المقطع الأول من الآية ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ جعلهم يفكرون فى مجال آخر غير مجال النبات ، تقوم فيه الرياح بعملية اللقاح . فهم لايستبعدون أن يكون للرياح دور فى تلقيح السحاب الذى لايمطر فتجعله يمطر .. ؟! ونحن نقول : إن هذا الاحتمال لايقوم فى وجهه مانع . والسياق يقتضيه . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء .. وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون .

التقدم العلمى .. وإشارات القرآن :

لقد خطا العلم خلال القرنين الأخيرين الميلاديين خطوات لم يسبق لها مثيل فى شتى المجالات ، ولم يظهر للآن مكتشف علمى يتنافر مع دلالات القرآن الحكيم .
وموقف العلوم الحديثة من دلالات القرآن – كما اطلعنا على ذلك فى تقريرات علمائها المعاصرين – يتخذ ثلاث سمات :

الأولى : التوافق التام بين المعارف الحديثة ودلالات القرآن الحكيم . وهذه السمة هى الغالبة .

الثانية : تصحيح دلالات القرآن لأخطاء كانت شائعة عن بعض الظواهر العلمية .

الثالثة : وقوف العلم الحديث من بعض دلالات القرآن موقف العاجز عن الوصول إلى فهم الحقيقة العلمية التى يشير إليها القرآن الحكيم . وأمل العلماء فى هذا « الفرع » كبير فى أن يصل العلم البشرى فى عصر ما مقبل إلى فهم

---

٥٢ ـــ الحجر (٢٢) .

الحقيقة القرآنية إذا ما توافرت بعض الظروف اللازمة لذلك الفهم .

فمماوقع التطابق فيه تاما مسألة انفصال السموات والأرض بعد أن كانتا كتلة واحدة .
ومسألة تكوين السحاب وصلة الرياح به ، ومراحل خلق الكون الست ، وتداخل بعض المراحل فى بعض ..إلخ

ومما صححت فيه الدلالات القرآنية أخطاء كانت شائعة من عهد أرسطو إلى عصر النهضة (١٤٠٠ ــ ١٦٠٠ م) أن العيون المائية تستمد ماءها من « بحيرات » جوفية فى أعماق الأرض .

فجاء القرآن وصحح هذا الخطأ وأشار إلى أن « العيون المائية » تستمد تموينها المائى من مياه الأمطار حيث جاء فيه قوله تعالى : ﴿ فسلكه ينابيع فى الأرض ﴾

قارن علماء « الهيدرولوجيا » المعاصرون بين مقولة أرسطو وبين دلالة القرآن فتبين لهم خطأ ماقاله ارسطو وتابعه عليه العلماء إلى فترة متاخرة وتبت صحة مأأشار إليه القرآن .
هذا ، ومن الأخطاء التى تبدو منافسة لحقيقة علمية أشار إليها القرآن ، مايقوله بعض الناس الآن :

كيف يعزو القرآن إنزال المطر إلى الله وحده وقد توصلت التكنولوجيا الحديثة إلى إنزال المطر بواسطة إطلاق الصواريخ ..؟!
وقد فند العلماء المتخصصون هذا الزعم وأثبتوا بطلانه فى الوقت الذى ظلت فيه « الإشارة القرآنية » تسمو فوق كل انتقاص .

فكتب الأستاذ – م – أ – فاسى مهندس عام الأرصاد الجوية الوطنية فى مقال له أسماه « الهواطل » بدائرة معارف أونيقرساليس مايلى :
« لن يمكن أبداً إسقاط المطر من سحابة لاتحتوى على سمات السحابة ، القابلة

للهطول . أو من سحابة لم تصل إلى درجة مناسبة من النضج وبالتالى فإن الإنسان لايستطيع إلا أن يعجل بعملية الهطول مستعينا بالوسائل الملائمة » (٥٣)

إن هذا المثال الذى يعطيه المهندس فاسي وثيق الصلة جداً بموقف طفل يقف تحت شجرة « مثمرة » ينتظر أن تسقط عليه واحدة من ثمارها .. وحين تبطىء فإنه يأخد « حجراً » ويقذف به « الثمار » فيصيب بعضها فيسقط على الأرض .

فكما لايقال إن الطفل « صنع الثمر » الساقط عليه لايقال إن الإنسان قد صنع المطر الذى أسقطه بواسطة الصواريخ . فالمسألة فى الحالتين إنما هى استعجال الانتفاع بشيء موجود - قبلا - نحن لم نوجده .

والطفل لم يكن فى وسعه إسقاط ثمرة من شجرة لاثمار بها ، وكذلك الإنسان ليس فى وسعه إسقاط أمطار من سماء « صافية » لاسحب فيها أومن سحابة ليس من طبيعتها الإمطار .

وهكذا تجد دلالات القرآن الحكيم إذا ماقورن بها غيرها ، أنها هى دائما الصادقة ؛ لأن القرآن تنزيل من حكيم حميد .

وكل الآيات التى تقدمت إنما هى أحكام علمية موضوعها الكون ذلك المخلوق الهائل العظيم . فهل كان أحد من البشر فى عصر نزول القرآن ، أو قبله ، أو بعده إلى زمن قريب يستطيع أن يتحدث حديث الصادق الواثق عن تلك « الظواهر » فى تلك العصور ؛ ثم تصدق « تقريراته » ويستمر صدقها أمام كل التجارب والعمليات ! إن المفهوم البشرى لعاجز كل العجز عن الوصول إلى استلهام تلك الحقائق ، وهو إلى الآن مايزال عاجزاً عن إدراك الكثير منها . فهل كان فى مقدور محمد - عليه السلام - معزولاً عن « الوحى » أن يقرر تلك الحقائق منذ ذلك الزمن ؟! إن التسليم بهذا الفرض يقتضى أن نقول :

---

٥٣ ـــ دراسة الكتب المقدسة (٢٠٣) .

إنه كان قد جمع بين عدة تخصصات علمية شديدة الدقة والتعقيد ، وانفرد هو ـــ وحده ـــ بعلم تلك الأسرار . على أن التاريخ الإنسانى لم يتح الفرصة لأحد قبله ولا لأحد بعده إلى الآن أن يجمع بين تلك « التخصصات » فذاك شيء خارق لكل النواميس .

إن الحقيقة التى لانختلف فيها الآن أن الازدهار العلمى يقتضى أن يكرس الإنسان ولو كان عبقريا خارق الذكاء كل جهوده لدراسة « فرع » دقيق من علم عام ، لاأن يجمع بين علمين عامين أو ثلاثة . تلك هى طبيعة التطور العلمى فكيف كان محمد (ﷺ) « عالما » محيطا بتلك العلوم التى تعجز قدراته البشرية عن تحصيلها ، ودرسها ، وفحصها ، ثم إصدار أحكام عنها . هذا لم يكن فى طوع إنسان ولن يكون إلى الأبد .

وعلى الذين ادعوا أن القرآن ليس « معجزاً » أن يأتونا مما لديهم من توراة أو أناجيل بما يضارع هذه « الإعجازات العلمية القرآنية » فى كثرتها وصدقها . وسموها دائما عن كل نقد أو انتقاص . إن الذين أدانوا التوراة فى أخطائها « العلمية » كما أدانوا الأناجيل على قلة ما جاء فيها من أمور العلم هم الذين أشادوا بفضل القرآن ، وشهدوا له بصحة كل ما أشار إليه من دلالات علمية . وهم غير متهمين فيما قالوا ؛ لأنهم ليسوا بمسلمين حتى يقال : إنهم تعصبوا لكتاب أنزل على رسولهم . ولكنهم « نصارى » لم يملكوا إلا الإعلان عن حق قد قامت لديهم عشرات الأدلة من النقل والعقل والعلم على صحته ومناصرته إن التطور العلمى فى كل المجالات لم يثبت حتى الآن أية منافرة بين حقيقة علمية أدركت على سبيل « اليقين » ، وبين إشارة قرآنية إليها . بل أثبت ذلك التطور التوافق التام بين حقائق العلوم اليقينية وإشارات القرآن إليها .

بينما اشتد الخصام على قدم وساق بين العلم وبين ما تفوهت به التوراة أو أومأت إليه الأناجيل . وهذا « التفاوت » ضرورى بين مصدرين لعبت بهما أهواء البشر (التوراة والإنجيل) ، وبين مصدر صان « أمانة الوحى » كما أنزلها عالم الغيب والشهادة . ولايسعنا فى هذا المجال إلا أن نواجه خصومنا ،

وبخاصة أولئك الذين يزعمون أن القرآن من نوادر الأعمال البشرية وأن تأليف كتاب فى نهاية الفصاحة والبلاغة ـــ مثل القرآن ـــ لايعد معجزة ؟ لايسعنا إلا أن نواجه هؤلاء جميعا بهذا المقترح :

أن يأتوا بكل مالديهم من نصوص يدعونها مقدسة ، وأن نأتى نحن بما لدينا من نصوص يدعون أنها من « نوادر » الأعمال الإنسانية .

ثم نقارن بين مصادرهم ومصادرنا فى المجالات الآتية .

١ – العقيدة فى الله .

٢ – العقيدة فى الملائكة .

٣ – العقيدة فى الرسل .

٤ – العقيدة فى الكتب المنزلة .

٥ – مناهج طرق الدعوة (الترغيب والترهيب) عندهم وعندنا .

٦ – العقيدة فى الحياة الآخرة .

٧ – حقيقة الإنسان ووظيفته في الحياة عندهم وعندنا .

٨ – حقوق الإنسان وواجباته فى الحياة عندهم وعندنا .

٩ – نظم التشريع فى :

العقائد – العبادات – المعاملات – الأخلاق والسلوك . عندهم وعندنا .

١٠ – موقف العقل من مصادرهم ومن مصادرنا .

١١ – موقف الحقائق العلمية فى كل المجالات من مصادرهم ومن مصادرنا .

١٢ – موقف الفطرة الإنسانية « السليمة » مما يقررونه هم ، ومما نقرره نحن ، وهذه هى أمهات الحقائق التى تهم الإنسان فى الحياة من الأديان .

فتعالوا ننفذ هذا المقترح بَنْداً بَنْداً ، وفكرة فكرة ، وليكن هذا على مرأى ومسمع من العالم كله **يهوديه ومسيحييه ومسلميه بل وملحديه ووثنييه** .

فإن حججتمونا بما لديكم سلمنا لكم على مرأى ومسمع من العالم كله ..؟!

وإذا حججناكم تسلمون لنا على مرأى ومسمع من العالم كله .

ونحن من جانبنا مستعدون لتنفيذ هذا المقترح غير خائفين فطالما تمنينا أن تواجهونا ونواجهكم ليميز الله الحق من الباطل فإذا كنتم – فعلا – مناصرى حق فتعالوا وكفى تهجماً على الإسلام فى الظلام وإن لم تفعلوا فسنظل – نحن – نحمل سلاح الدفاع إلى أن يقضى الله فى الأمر ﴿ قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا . ولايتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ آل عمران (٦٤)





الفصل الثامن

دعوى : خلو الكتب السابقة من البشارة برسول الإسلام

أرجو أن يكون القارىء على ذكر من أن واضعى الرواية الهزلية بعد دفاعهم عن « باطلهم » صوبوا سهامهم نحو الإسلام ، وتوهموا أنهم من الممكن أن يصيبوه فى « مقتل » من أخطر المقاتل ، فسولت لهم أنفسهم أنهم إذا استطاعوا أن ينفوا « الرسالة» عن « رسول الإسلام » وَلَوْ جدلا فإن الإسلام كله سينهار على رءوس المسلمين .

ولذلك زعموا أن محمداً – ﷺ – ليس برسول . وبنوا هذا الزعم على أربع شعب هى – كما تقدم :

١ – أن العهد والنبوة والكتاب محصورة فى نسل إسحق لا إسماعيل .؟!

٢ – أن محمداً – ﷺ – لم يأت بمعجزات .؟!

٣ – أن القرآن من نوادر الأعمال الإنسانية ، فليس هو معجزاً .؟!

٤ – أن الكتب السابقة – التوراة وملحقاتها + الأناجيل – خلت من البشارة برسول الإسلام ؟!

والقارىء على علم أننا فرغنا من الرد على الشعب الثلاث الأولى ، وبيَّنَّا بأدلة متعددة أن ما ادعوه فيها : باطل .. باطل .. باطل .

وبقى علينا أن نواجه الشعبة الرابعة التى زعموا فيها أن الكتب السابقة خلت من البشارة برسول الإسلام .

ولكن قبل أن نواجهها مواجهة مباشرة أريد أن أقدم كلمة موجزة بين يدى هذه المواجهة ، رأيت أن تقديمها من أوجب الواجبات فى هذا المجال .

وجود « البشارات » وعدمها سواء ..؟

أحل : إن وجود البشارات وعدمها فى الكتب المشار إليها آنفا سواء وجودها مثل عدمها ، وعدمها مثل وجودها . فرسالة رسول الإسلام (ﷺ) ليست فى حاجة إلى دليل يقام عليها من خارجها ، بحيث إذا لم يوجد ذلك الدليل « الخارجى » بطلت - لاسمح الله - تلك الرسالة فهى رسالة دليلها فيها ، ووجود البشارات بها فى كتب متقدمة - زمنا - عليها لايضيف إليها جديداً ، وعدم وجود تلك البشارات لاينال منها شيئا قط .

فهى حقيقة قائمة بذاتها لها سلطانها الغنى عما سواها . ودليلها قائم خالد صالح للفحص فى كل زمان ومكان ، باق بقاء رسالته أبد الدهر أشرق ولم يغب ، ظهر ولم يختف ، قوى ولم يضعف . علا ولم يهبط إنه دليل صدق الأنبياء كلهم . فكل الأنبياء مضوا ولم يبق من أدلة صدقهم إلا ما جاء فى هذا الدليل « القرآن العظيم » حيث شهد لهم بالصدق والوفاء وأنهم رسل الله المكرمون .

فلا يظنن أهل الكتابين ، ولا غيرهم ، أننا حين نتحدث عن بشارات الكتب السابقة برسول الإسلام إنما نتلمس أدلة نحن فى حاجة إليها لإثبات صدق رسول الإسلام فى دعواه الرسالة . فرسول الإسلام ليس فى حاجة إلى « تلك البشارات » حتى ولو سلم لنا الخصوم بوجودها فله من أدلة الصدق مالم يحظ به رسول غيره .

ولايظنون - كذلك - أننا نحاول بالحديث عنها إغراءهم بالدخول فى الإسلام . مادامت كتبهم قد بشرت برسوله - ﷺ - لأن عداء أهل الكتاب للإسلام ليس سببه ضعف الأدلة على صحته . فهذا غير وارد ، وإنما عداؤهم له أسباب أخرى هم يعرفونها ونحن نعرفها ..؟!

فليس ذاك ولا هذا هو سبب حديثنا عن « البشارات » وإنما السبب الوحيد هو أن نشرك معنا القارىء فى حقيقة مهمة وهى أن أهل الكتابين - يهوداً

ونصارى – حين يهاجمون رسول الإسلام ، ويدعون أنه « منتحل رسالة » وليس هو برسولٍ إنهم حين يقفون هذا الموقف ، فإنما هم « يفترون » افتراءً بيناً ولم تصدر منهم كلمة واحدة تتصف بالصدق فى كل مايقولون ، وهذا أمر ظاهر مما تقدم فى الشعب الثلاث ، التى واجهناها ومصير « الشعبة الرابعة » هذه هومصيرُ نظائرها كما سنرى وسنشطر الحديث فيها إلى شطرين هما :

١ – بشاراته (ﷺ) فى التوراة .
٢ – بشاراته (ﷺ) فى الإنجيل .

وللأسباب التى قدمناها هنا ، فإننا لن نطيل فى هذا الفرع فهدفنا منه إثبات أن القوم لم يكونوا ولن يكونوا صادقين (أبداً) لا فى عدائهم للإسلام ، ولافى عدائهم لرسول الإسلام كما لم يكونوا ولن يكونوا صادقين (أبداً) فى دفاعهم عن الباطل الذى تبنوه . وهذا قد ثبت فى الماضى بالكثير ، فلنكتف فى إثباته فى الآتى بالقليل . والله من وراء القصد .

أولا : البشارات فى التوراة

تعددت البشارات برسول الإسلام فى التوراة وملحقاتها ، ولكن اليهود أزالوا عنها كل معنى صريح ، وصيروها نصوصاً احتمالية تسمح لهم بصرفها عنه –ﷺ – ومع هذا فقد بقيت بعد تعديلها وتحريفها قوية الدلالة على معناها « الأصلى » من حملها على رسول الإسلام – ﷺ – لأن حملها على غيره متعذر أو متعسر أو محال .

فهى أشبه ماتكون برسالة مغلقة مُحى « عنوانها » ولكن صاحب الرسالة قادر – بعد فضها – أن يثبت اختصاصها به ؛ لأن الكلام « الداخلى » الذى فيها يقطع بأنها « له » دون سواه ؛ لما فيه من « قرائن » وبينات واضحة . ونعرض – فيما يلى – بعضا منها :

– ١ –

« وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته .

فقال :

« جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من ساعير ، وتلألأمن جبل فاران »[1]

فى هذا النص إشارة إلى ثلاث نبوات :

الأولى : نبوة موسى (عليه السلام) التى تلقاها على جبل سيناء

الثانية : نبوة عيسى (عليه السلام) وساعيرهى قرية مجاورة لبيت المقدس ، حيث تلقى عيس (عليه السلام) أمر رسالته

الثالثة : نبوة محمد (ﷺ) وجبل فاران هو المكان الذى تلقى فيه - عليه السلام - أول مانزل عليه من الوحى وفاران هى مكة المكرمة مولد ومنشأ ومبعث محمد (ﷺ) .

وهذه العبارة - مرة أخرى - تضمنت خبراً وبشارتين :

فالخبر هو تذكير موسى بفضل الله عليهم حيث أرسله إليهم رسولاً .

والبشارتان :

أولاهما خاصة بعيسى (عليه السلام) . **والثانية** خاصة بمحمد (ﷺ) .

وموقف اليهود منها النفى : فلا الأولى بشارة بعيسى بن مريم ولا الثانية بشارة برسول الإسلام .

أما موقف النصارى فإن النفى - عندهم - خاص ببشارة رسول الإسلام . ولهم فى ذلك مغالطات عجيبة ، حيث قالوا إن « فاران » هى «إيلات » وليست مكة . وأجمع على هذا « الباطل » واضعو كتاب : قاموس الكتاب المقدس . وهدفهم منه واضح إذ لو سلموا بأن « فاران » هى مكة المكرمة ،للزمهم إما التصديق برسالة رسول الإسلام ، وهذا عنده قطع الرقاب أسهل عليهم من الإذعان له ..؟!

أو يلزمهم مخالفة كتابهم المقدس ، وهم على استعداد أن يخالفوه فى كل شيء إلا فى هذا الموضع .

---

١ ـــ سفر التثنية : الإصحاح (٣٣) الفقرات (١ ـــ ٢) .

وليس هذا بغريب على قوم سطوا على نصوصهم المقدسة ، فحرفوها لفظا ، أيكون من الصعب عليهم ان يحرفوها « معنى » ؟!

إن تحريف المعانى – مع بقاء النص أيسر عندهم من تحريف النص ، وبخاصة بعد امتلاك « خصومهم » نسخا من كتبهم المقدسة ، ويعلم الله لو كان التاريخ قد عاد إلى الوراء لما ترددوا لحظة فى حذف كلمة « فاران » أو حذف العبارة كلها الواردة فيها . ولكن قد فات الأوان .

ولم يقتصر ورود ذكر « فاران » على هذا الموضع من كتب العهد القديم ، فقد ورد فى قصة إسماعيل (عليه السلام) مع أمه هاجر حيث تقول التوراة إن إبراهيم (عليه السلام) استجاب لسارة بعد ولادة هاجر ابنها إسماعيل وطردها هي وابنها فنزلت وسكنت فى « برية فاران »[٢] على أنه يلزم من دعوى واضعى قاموس الكتاب المقدس من تفسيرهم فاران بإيلات أن الكذب باعترافهم وارد فى التوراة . لأنه لم يبعث نبى من « إيلات » حتى تكون البشارة صادقة . ومستحيل أن يكون هو عيسى (عليه السلام) ؛ لأن العبارة تتحدث عن بدء الرسالات وعيسى تلقى الإنجيل بساعير وليس بإيلات .

فليست « فاران » إلا « مكة المكرمة » وباعتراف الكثير منهم ، وجبل فاران هو جبل « النور » الذى به غار حراء ، الذى تلقى فيه رسول الإسلام (ﷺ) بدء الوحى .

وهجرة إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة المكرمة «فاران » أشهر من الشمس .

وترتيب الأحداث الثلاثة فى العبارة المذكورة :

جاء من سيناء

وأشرق من ساعير

وتلألأ من فاران . هذا الترتيب الزمنى دليل ثالث على أن « تلألأ من جبل

---

٢ ـــ سفر التكوين (٢١ ـــ ٢١) .

فاران » تبشير قطعى برسول الإسلام (ﷺ) .

وفى بعض « النسخ » كانت العبارة : « واستعلن من جبل فاران » بدل « تلألأ »

وأياً كان اللفظ فإن « تلألأ » و « استعلن » أقوى دلالة من « جاء » و « أشرق » وقوة الدلالة هنا ترجع إلى « المدلولات » الثلاثة . فالإشراق جزء من مفهوم «المجىء » وهكذا كانت رسالة عيسى بالنسبة لرسالة موسى (عليهما السلام) .

أما تلألأ واستعلن فهذا هو واقع الإسلام ، رسولاً ورسالة ، وأمة ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

هذه المغالطة (فاران = إيلات) لها مثيل حيث تزعم التوراة أن هاجر أم إسماعيل عندما أجهدها العطش هى وابنها إسماعيل بعد أن طردا من وجه « سارة » طلبت الماء فلم تجده إلا بعد لقيا ملاك « الرب » فى المكان المعروف الآن « ببئر سبع » ؟! وأنها سميت بذلك لذلك ..؟!

وكما كذَّبت « فاران » دعوى « إيلات » كذَّبت « زمزم الطهور » دعوى « بئر سبع » ؟!

وستظل فاران – مكة المكرمة – وزمزم الطهور « عملاقين » تتحطم على صخورهما كل مزاعم الحقد والهوى .

– ٢ –

ويجىء نص آخر فى التوراة لامحمل له إلا البشارة برسول الإسلام (ﷺ) مهما غالط المغالطون . وهو قول الله لموسى حسب ماتروى التوراة :

« أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ماأوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذى لايسمع لكلامى الذى

يتكلم به باسمى أنا أطالبه » (٣)

حدث هذا حسب روايات التوراة وعداً من الله لموسى في آخر عهده فى الرسالة ، وكان يهمه أمر بنى إسرائيل من بعده ، فأعلمه الله – حسب هذه الروايه التوراتية – أنه سيبعث فيهم رسولا مثل موسى (عليه السلام) .

ولقوة دلالة النص على نبوة محمد (ﷺ) فقد وقف أهل الكتابين – اليهود والنصارى – موقفين مختلفين هدفهما واحد ، وهو أن النص ليس بشارة برسول الإسلام .

أما اليهود فلهم فيه رأيان :

الأول . أن العبارة نفسها ليست خبراً بل هى نفى ، ويقدرون قبل الفعل « أقيم » همزة استفهام يكون الاستفهام معها « إنكارياً » وتقدير النص عندهم هكذا « أأقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك .. ؟! » ويكون المعنى عليه : كيف أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم ؟! أى لا أفعل هذا .

بطلان هذا الرأى :

وهذا الرأى باطل .. باطل . ولن نذهب فى بيان بطلانه إلى أكثر من كلام التوراة نفسها . وذلك ؛ لأنه لو كان النص كما ذكروا بهمزة استفهام إنكارى محذوفة هى فى قوة المذكور لكان الكلام نفياً فعلا .. ولو كان الكلام نفيا لما صح أن يعطف عليه قوله بعد ذلك :

« ويكون أن الإنسان الذى لايسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه » ؟! فهذا المقطع إثبات قطعاً فهو مرتب على إقامة النبى الذى وعد به المقطع الذى قبله . فدل هذا« العطف » على أن المقطع السابق وعد خبرى ثابت لانفى . ويترتب على ذلك بطلان القول الذاهب إلى تقدير الاستفهام ..؟!

---

٣ ــ سفر التثنية : الإصحاح (١٨) الفقرات (١٨ ــ ١٩) .

الثانى : وقد أحس اليهود ببطلان القول بالاستفهام فاحتاطوا للأمر وقالوا : لامانع أن يكون النص خبراً ووعداً مثبتاً ، ولكنه ليس المقصود به عيسى بن مريم ولامحمد بن عبد الله رسول الإسلام (صلى الله عليهما وسلم) .
بل المراد به نبى من أنبياء إسرائيل يوشع بن نون فتى موسى ، أو صموئيل ..؟!

موقف النصارى :

أما النصارى فيحملون البشارة فى النص على عيسى (عليه السلام) وينفون أن يكون المراد بها رسول الإسلام (ﷺ) ، وقد علمنا قبلا أن اليهود ينفون أن تكون لعيسى (عليه السلام) .

وللنصارى مغالطات عجيبة في ذلك إذ يقولون أن النبى الموعود به ليس من بنى إسماعيل بل من بنى إسرائيل . ومحمد إسماعيلى فكيف يرسل الله إلى بنى إسرائيل رجلاً ليس منهم .؟! كما قالوا إن موسى أتى بمعجزات ومحمد لم يأت بمعجزات فكيف يكون مثله . وقد رددنا على هذه الفرية فيما تقدم .

الحق الذى لاجدال فيه :

والواقع أن كل ما ذهب إليه اليهود والنصارى باطل . باطل . ولن نذهب فى بيان بطلانه إلى أبعد من دلالة النص المتنازع عليه نفسه . أما الحق الذى لاجدال فيه فإن هذا النص ليس له محمل مقبول إلا البشارة برسول الإسلام (ﷺ) وإليكم البيان :

إن النص المتنازع عليه يقيد البشارة بالنبى الموعود به فيه بشرطين :
أحدهما : أنه من وسط إخوة بنى إسرائيل .
وثانيهما : أنه مثل موسى (عليه السلام) صاحب شريعة وجهاد لأعداء الله
وهذان الشرطان لاوجود لهما لا فى يوشع بن نون ، ولا فى صموئيل كما يدعى اليهود فى أحد قوليهم .
ولا في عيسى (عليه السلام) كما يدعى النصارى .

أما انتفاء **الشرط الأول** فلأن يوشع وصموئيل وعيسى من بنى إسرائيل

وليس من وسط إخوة بنى إسرائيل . ولو كان المراد واحداً منهم لقال فى الوعد : أقيم لهم نبياً منهم ..؟! هذا هو منهج الوحى فى مثل هذه الأمور كما قال فى شأن النبى (عليه السلام) :

﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم ...﴾ (٤) وكما جاء على لسان إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) .

﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم ﴾ (٥)

وأما انتفاء **الشرط الثانى** ، فلأن : لاصموئيل ولايوشع ولا عيسى بن مريم كان مثل « موسى » (عليه السلام) .

فموسى كان صاحب شريعة ، ويوشع وصموئيل وعيسى وجميع الرسل الذين جاءوا بعد موسى (عليه السلام) من بنى إسرائيل لم يكن واحداً منهم صاحب شريعة ، وإنما كانوا على شريعة موسى (عليه السلام) . وحتى عيسى ماجاء بشريعة ولكن جاء متمماً ومعدلاً لشريعة موسى ، فشريعة موسى هى الأصل . إن عيسى كان مذكراً لبنى إسرائيل ومجدداً الدعوة إلى الله على هدى من شريعة موسى (عليه السلام) .!! فالمثلية بين هؤلاء - وهى أحد شرطى البشارة - وبين موسى (عليه السلام) لا وجود لها .؟!

الشرطان متحققان فى رسول الإسلام (ﷺ)

وبنفس القوة والوضوح اللذين انتفى الشرطان بهما عمن ذكروا من الأنبياء ثبت ذانك الشرطان لمحمد بن عبد الله (ﷺ) :

فهو من نسل إسماعيل ، وإسماعيل أخو إسحق ، الذى هو أبو يعقوب المسمى إسرائيل . فهو من وسط إخوة بنى إسرائيل - بنو عمومتهم - وليس من إسرائيل نفسه . وبهذا تحقق الشرط الأول من شرطى البشارة .

---

٤ ـ الجمعة (٢) .

٥ ـ البقرة (١٢٩) .

ومحمد - عليه السلام - صاحب شريعة جليلة الشأن لها سلطانها الخاص بها - جمعت فأوعت - مثلما كان موسى - أكبر رسل بنى إسرائيل - صاحب شريعة مستقلة كانت لها منزلتها التى لم تضارع فيما قبل من بدء عهد الرسالات إلى مبعث عيسى (عليه السلام) .

وبهذا يتحقق الشرط الثانى من شرطى البشارة وهو « المثليه » بين موسى ومحمد (عليهما صلوات الله وسلامه) ، فعلى القارىء أن يتأمل ثم يحكم .

- ٣ -

فى المزامير المنسوبه إلى داود (عليه السلام) وردت كثير من العبارات التى لايصح حمل معناها إلا على رسول الإسلام . ومن ذلك قول داود كما تروى التوراة :

- أ -

« أنت أبرع جمالاً من بنى البشر . انسكبت النعمة على شفتيك ، لذلك باركك الله إلى الأبد . تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك . وبجلالك اقتحم . اركب من أجل الحق والدعة .. بتلك المسنونة فى قلب أعداء الملك - يعنى الله - شعوب تحتك يسقطون .... من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك » (٦)

- ب -

اسمعى يابنيت وأميلى أذنك ، وانسى شعبك وبيت أبيك ، فيشتهى الملك الملك حسنك ؛ لأنه هو سيدك فاسجدى له . وبنت صور أغنى الشعوب ترضى وجهك بهدية . كلها مجد ابنة الملك فى خدرها . منسوجة بذهب ملابسها مطرزة ، تحضر إلى الملك فى إثرها عذارى صاحباتها مقدمات إليك يحضرن بفرح وابتهاج يدخلن إلى قصر الملك . عوضا عن آبائك يكون بنوك

٦ ــ المزمور (٤٥) الفقرات (٢ ــ ١٧) مع الحذف اليسير .

نقيمهــم رؤساء فى كل الأرض أذكــر اسمك فى كل دور فدور من أجـــل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد »

وقفة مع هذا الكلام

فى المقطع الأول(أ) لاتنطبق الأوصاف التى ذكرها داود إلا على رسول الإسلام (ﷺ) . فهو الذى قاتل بسيفه فى سبيل الله وسقطت أمامه شعوب عظيمة كالفرس والروم .

وهو الممسوح بالبركة أكثر من رفقائه الأنبياء ؛ لأنه خاتم النبيين ، ورسالته عامة خالدة ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[٧]
ولم يترك رسول هدى وبيانا مثلما ترك رسول الإسلام فى القرآن الحكيم ، وفى أحاديثه وتوجيهاته ، التى بلغت مئات الآلاف ، وتعددت المصادر التى سجلتها ، وفيها من روائع البيان ، وصفاء الألفاظ ، وشرف المعانى ماليس فى غيرها .

أما المقطع الثانى (ب) فهو أوصاف للكعبة الشريفة . فهى التى تترضاها الأمم بالهدايا . وهى ذات الملابس المنسوجة بالذهب والمطرزة ، وهى التى يذكر اسمها فى كل دور فدور وتأتيها قوافل « الحجيج » رجالا ونساء من كل مكان فيدخل الجميع فى « قصر الملك » ويحمدها الناس إلى الأبد ؛ لأن الرسالة المرتبطة بها رسالة :

عامة : لكل شعوب الأرض الإنس والجن . بل والملائكة . وفى مواسم الحج يأتيها القاصدون من جميع بقاع الأرض مسلمين ، ورعايا مسلمين من بلاد ليست مسلمة .

خالدة : لم ينته العمل بها بوفاة رسولها ، كما هو الحال فيما تقدم . وإنما هى دين الله إلى الأبد الأبيد .

---

٧ ـــ الأنبياء آية : ١٠٧ .

وأشعيا وسفره من أطول أسفار العهد القديم مليء بالإشارات الواضحة التى تبشر برسول الإسلام (ﷺ) ، ولولا المنهج الذى أخذنا به هنا وهو عدم التطويل لذكرنا من ذلك الكثير ؛ ولذا فإننا نكتفى بهذا المقطع لدلالته القوية على ما نقول :

« قومى استنيرى ؛ لأنه قد جاء نورك ، ومجد الرب أشرق عليك .. لأنه ها هى الظلمة تغطى الأرض والظلام الدامس الأمم . أما عليك فيشرق الرب ، ومجده عليك يرى . فتسير الأمم فى نورك ، والملوك فى ضياء إشراقك .

ارفعى عينيك حواليك وانظرى . قد اجتمعوا كلهم جاءوا إليك . يأتى بنوك من بعيد ، وتحمل بناتك على الأيدى ، حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع ؛ لأنه تحول إليك ثروة البحر ، ويأتى إليك غنى الأمم تغطيك كثرة الجمال بكران مديان ، وعيفة كلها تأتى من شبا . تحمل ذهبا ولبانا ،وتبشر بتسابيح الرب . كل غنم قيدار تجتمع إليك . كباش نبايوت تخدمك تصعد مقبولة على **مذبحى** ، وأزين بيت جمالى .

من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها . إن الجزائر تنتظرنى وسفن ترشيش فى الأول لتأتى من بعيد ، وفضتهم وذهبهم معهم لاسم الرب إلهك ......[٨]

وبنو الغريب يبنون أسوارك ، وملوكهم يخدمونك .. وتفتح أبوابك دائما نهاراً وليلاً لاتغلق ، ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم ....[٩] »

دلالة هذه النصوص :

بلا أدنى ريب فإن هذا الكلام المنسوب إلى أشعيا وصف لمكة المكرمة

٨ ـــ مكان النقط هنا كلام لم نذكره هو « قدوس إسرائيل لأنه محدك » ؟! وهذا مقطع مضاف بكل تأكيد والهدف منه صرف الكلام عن معناه الظاهر !!

٩ ـــ سفر اشعياء الإصحاح (٦٠) الفقرات (٤ ـــ ١٢) مع حذف يسير .

وكعبتها الشامخة .

فالمقطع الأول إنما هو حديث عن موسم الحج المبارك فيه يجتمع بنوها حولها من كل مكان وفيه لمحة قوية جداً إلى نحر الهدى صبيحة العيد . ألم يشر النص إلى غنم قيدار ، وقيدار هو ولد إسماعيل (عليه السلام) الذى تشعبت منه قبائل العرب . ثم ألم ينص على المذبح الذى تنحر عليه الذبائح .

كما أشار النص ثلاث إشارات تعد من أوضح الأدلة على أن المراد بهذا النص مكة المكرمة . وتلك الإشارات هى طرق حضور الحجاج إليها . ففى القديم كانت وسائل النقل : ركوب الجمال . ثم السفن . أما فى العصر الحديث فقد جدت وسيلة النقل الجوى « الطائرات » وبشارة أشعيا تضمنت هذه الوسائل الثلاث على النحو الآتى :

١ – الجمال ، قال فيها : تغطيك كثرة الجمال . ؟!

٢ – السفن ، قال فيها : وسفن ترشيش تأتى ببنيك من بعيد .؟!

٣ – النقل الجوى ، وفيه يقول : من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها .؟!!

أليس هذا أوضح من الشمس فى كبد السماء .

على أن النص مليء بعد ذلك بالدقائق والأسرار ، ومنها أن مكة مفتوحة الأبواب ليلاً ونهاراً لكل قادم فى حج أو عمرة ..؟!

ومنها أن خيرات الأمم تجبى إليها من كل مكان ، والقرآن يقرر هذا المعنى فى قول الله تعالى :

﴿ أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء ﴾ (١٠)

ومنها أن بنى الغريب (يعنى غير العرب) يبنون أسوارها . وكم من الأيدى العاملة الآن ، وذوى الخبرات يعملون فيها ويشيدون قلاعها فوق الأرض وتحت الأرض .

---

١٠ ـــ القصص (٥٧)

ومنها أنه مامن عاصمة من عواصم العالم إلا دخلت فى محنة من أهلها أو من غير أهلها إلا هذه « العاصمة المقدسة » فظلت بمأمن من غارات الغائرين وكيد الكائدين ، ومثلها المدينة المنورة .

ومنها كثرة الثروات التى مَنَّ الله بها عليها . أليس البترول من ثروات البحر العظمى التى تفجرت أرض الحجاز وشبه الجزيرة منه عيونا دفاقة بمعدل لم تصل إليه أمة من الأمم . أضف إلى ذلك سبائك الذهب والفضة .

والحديث عن مكة المكرمة حديث عن رسول الإسلام ؛ لأن مجدها لم يأت إلا على يدى بعثته (ﷺ) .

هذه الحقائق لا تقبل الجدل . ومع هذا فإن أهل الكتاب (وخاصة اليهود) يحملون هذه الأوصاف على مدينة « صهيون » ولهذا فإنهم عمدوا إلى النص وعدلوه ليصلح لهذا الزعم .

ولكننا نضع الأمر بين يدى المنصفين من كل ملة . أهذه الأوصاف يمكن أن تطلق على مدينة « صهيون » .

لقد خرب « بيت الرب » فى القدس مراراً وتعرض لأعمال شنيعة على كل العصور . أما الكعبة الشريفة والمسجد الحرام فلم يصل أحد إليهما بسوء ثم أين ثروات البحر والبر التى تجبى إلى تلك المدينة وأهلها (إلى الآن) يعيشون عالة على صدقات الأمم .

وأين هى المواكب التى تأتى إليها براً وبحراً وجَوّاً ، وهل أبوابها مفتوحة ليلاً ونهاراً ، وأين هم بنوها الذين اجتمعوا حولها . وما صلة غنم قيدار وكباش مدين بها . وأين هو التسبيح الذى يشق عنان السماء منها ..وأين .. وأين .. ؟!

إن هذه المغالطات لاتثبت أمام قوة الحق ، ونحن يكفينا أن نقيم هذه الأدلة من كتبهم على صدق الدعوى ، ولايهمنا أن يذعن القوم لما نقول . فحسبك من خصمك أن تثبت باطل مايدعيه أمام الحق الذى تدافع عنه .

والفاصل بيننا – فى النهاية – هوالله الذى لايبدل القول لديه .

– ٥ –

وتنسب التوراة إلى نبى يدعى « حبقوق » من أنبياء العهد القديم ، وله سفر صغير قوامه ثلاثة إصحاحات . تنسب إليه التوارة نصوصاً كان يصلى بها . تضمنها الإصحاح الثالث من سفره . وهذا الإصحاح يكاد يكون كله بشارة برسول الإسلام (ﷺ) . وإليكم مقاطع منه :

« الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبل فاران – سلاه – جلاله غطى السموات . والأرض امتلأت من تسبيحه ، وكان لمعان كالنور له من يده شعاع ، وهناك استتار قدرته .

قدامه ذهب الوبأ . وعند رجليه خرجت الحمى . وقف وقاس الأرض نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية ، وخسفت آكام القوم . مسالك الأزل له ....

يسحط دست الأمم ، خرجت لخلاص شعبك ... سحقت رأس بيت الشرير معريا الأساس حتى العنق ... سلكت البحر بخيلك ...[11]

دلالات هذه الإشارات :

لايستطيع عاقل عالم بتاريخ الرسالات ومعانى التراكيب أن يصرف هذه النصوص على غير البشارة برسول الإسلام (ﷺ) . فالجهتان المذكورتان فى مطلع هذا المقطع وهما : تيمان : يعنى اليمن ، وجبل فاران : يعنى جبل النور الذى بمكة المكرمة التى هى فاران . هاتان الجهتان عربيتان . وهما رمز لشبه الجزيرة العربية التى كانت مسرحاً أوليا لرسالة محمد (ﷺ) .

فليس المراد إذن نبياً من بنى إسرائيل ؛ لأنه معلوم أن رسل نبى إسرائيل كانت تأتى من جهة الشام شمالاً . لا من جهة بلاد العرب . وهذه البشارة أتت

---

١١ ـــ حبقوق (٣ ـــ ٣ ـــ ١٥) مع الحذف .

مؤكدة للبشارة المماثلة ، التى تقدم ذكرها من سفر التثنية ، وقد ذكرت أن الله : تلألأ أو استعلن من جبل فاران .

بيد أن بشارة التثنية شملت الإخبار بمقدم موسى (عليه السلام) والتبشير بعيسى وبمحمد (صلى الله عليهما وسلم) .

أما بشارة حبقوق فهى خاصة برسول الإسلام (ﷺ) .

ولو لم يكن فى كلام حبقوق إلا هذا « التحديد » لكان ذلك كافيا فى اختصاص بشارته برسول الإسلام (ﷺ) .

ومع هذا فقد اشتمل كلام حبقوق على دلائل أخرى ذات مغزى :

منها :الإشارة إلى كثرة التسبيح حتى امتلأت منه الأرض ..؟!

و منها : دكه (عليه السلام) لعروش الظلم والطغيان وقهر الممالك الجائرة .

ومنها : أن خيل جيوشه ركبت البحر ، وهذا لم يحدث إلا فى ظل رسالة الإسلام .

على أن كلام حبقوق مليء بالرمز والإشارات مما يفيدنا فى هذا المجال ولكننا نتجاوزها لأمرين :

أحدهما : أن فى الإشارات الصريحة غناء عنها .

والثانى : عدم التطويل – هنا – كما اتفقنا .

وبدهى أن هذه المواضع قد لعبت بها أيدى الكهان على مدى العصور ، وكان هدفهم « تعويم » دلالات النصوص ، خشية أن يتمسك بها خصومهم فى العقيدة ، فيوقعوهم فى ورطة لا خلاص منها .

وقد أشرنا من قبل إلى أن الثقات من العلماء المسلمين مثل ابن تيمية ، وابن القيم وغيرهما ، وهم من علماء القرن السابع والقرن الثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) قد نقلوا نصوصا فيها قد صرحت التوارة فى أسفار أنبيائها المتأخرين مثل أشعيا وأرميا ودانيال وحبقوق وداود باسم أحمد مرة ومحمد مرة أخرى مما يدل على أن التوراة قد خضعت لعمليات تحريف وتعديل إلى فترة متأخرة جداً من مبعث عيسى ومحمد صلى الله عليهما

وسلم أى منذ سبعة قرون تقريبا .

ولكننا أهملنا تلك النصوص المصرح فيها بالاسم واكتفينا بالواقع النصى الحالى للتوراة ، وها نحن قد أبَنَّا أن تلك النصوص مثل رسالة مغلقة مُحِيَ مِنْ عليها عنوانها واسم صاحبها ، وقد أقمنا عشرات الأدلة من محتويات الرسالة الداخلية - بعد فضها - ونسبناها إلى « صاحبها » بلا أدنى نزاع مقبول . ولهذا نُوَدِّعُ العهد القديم . ونتجه إلى العهد الجديد . ففيه لنا الشيء الكثير .

بشاراته (ﷺ) في العهد الجديد

أسفار العهد الجديد (الأناجيل والرسائل) حافلة بالنصوص التى يتعين أن تكون « بشارات » برسول الإسلام (ﷺ) .

تلك البشارات تعلن أحيانا فى صورة الوعد بملكوت الله أو ملكوت السموات . وأحيانا أخرى بالروح القدس . ومرات باسم المعزى أو الفارقليط ، وهى كلمة يونانية سيأتى فيما بعد معناها ، تلك هى صورة البشارات فى الأناجيل فى صيغها المعروفة الآن .

ففى إنجيل متى وردت هذه العبارة مسندة إلى يحيى (عليه السلام) المسمى فى الأناجيل : يوحنا المعمدان . وفيها يقول :
« توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات » [١٢]

فمن هو ملكوت السموات الذى بشر به يحيى ؟! هل هو عيسى (عليه السلام) - كما يقول النصارى ..؟!

هذا احتمال .. ولكن مَتَّى نفسه يدفعه حيث روى عن عيسى (عليه السلام) نفس العبارة : « توبوا ؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات »[١٣] فلو كان المراد بملكوت السموات - هذه - عيسى عليه السلام لما وردت

---

١٢ ـ الإصحاح (٣) الفقرة (٢) .

١٣ ـ الإصحاح (٤) الفقرة (١٧) .

هذه « البشارة » على لسان عيسى ؛ إذ كيف يبشر بنفسه ، وهو قائم موجود ، والبشارة لاتكون إلا بشيء محبوب سيأتى ، كما أن الإنذار – قسيمه – لايكون إلا بشيء « مكروه » قد يقع . فكلاهما : التبشير والإنذار – أمران مستقبلان .

إن ورود هذه العبارة عن عيسى نفسه تخصيص لذلك العموم المستفاد من عبارة يحيى (عليهما السلام) . فدل ذلك على أن المراد بملكوت السموات رسول آخر غير عيسى . ولم يأت بعد عيسى – باعتراف الجميع – رسول غير رسول الإسلام (ﷺ) .

فدل ذلك على أنه هو المراد بملكوت السموات فى عبارة عيسى (عليه السلام) – قولاً واحداً – وباحتمال أرجح فى عبارة يحيى ، إذ لامانع – عندنا – أن يكون يحيى (عليه السلام) قد بشر بها بعيسى (عليه السلام) .

أما بشارة عيسى فلا موضع لها إلا الحمل – القطعى – على رسول الإسلام (ﷺ) .

– ٢ –

وفى صيغة الصلاة التى علمها المسيح لتلاميذه – كما يروى مَتَّى نفسه – بشارة أخرى بنبى الإسلام . وهذا هو نص مَتَّى فى هذا « فصلوا أنتم هكذا : أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك »[١٤]

وَوَردت هذه الصيغة فى إنجيل لوقا هكذا :

« متى صليتم فقولوا : أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك ..»[١٥]

ويذكر لوقا أن المسيح جمع تلاميذه ، وعلمهم كيف يقهرون الشياطين ،وَيَشْفُون الأمراض ثم قال :

« وأرسلهم ليكرزوا – أى يبشروا – بملكوت الله »[١٦]

---

١٤ ـــ الإصحاح (٦) الفقرة (٩ ـــ ١٠) .

١٥ ـــ الإصحاح (١١) الفقرة (٢) .

١٦ ـــ الإصحاح (٩) الفقرة (٢) .

أما مرقس فيسند هذه البشارة إلى المسيح نفسه إذ يقول : « جاء يسوع إلى الجبل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول : قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله »(١٧)

فهؤلاء ثلاثة من واضعي الأناجيل يتفقون على أن يحيى وعيسى (عليهما السلام) قد بشرا بملكوت الله الذى اقترب . فمن المراد بملكوت الله إذا لم يكن هو رسول الإسلام (ﷺ) .

إن الحقد والمهارة – هنا – ليستا كافيتين فى طمس هذه الحقائق ..؟!
وأكاد أجزم بأن عبارة المسيح ، قد كمل الزمان لاتعنى سوى انتهاء عصر الرسالات الموقوته وإقبال الرسالة الخالدة ..!

– ٣ –

أما يوحنا صاحب رابع الأناجيل . فإنه يذكر هذه البشارات فى مواضع متعددة من إنجيله . ومن ذلك مايرون عن المسيح (عليه السلام) « الذى لايحبنى لايحفظ كلامى ، والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للأب الذى أرسلنى . بهذا كلمتكم وأنا عندكم . وأما المعزى (اسم فاعل من الفعل المضعف العين عزى)(١٨) الروح القدس ، الذى سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بما قلته لكم »(١٩)

كما يروى يوحنا قول المسيح الآتى مع تلاميذه :

« إنه خير لكم أن أنطلق . إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم . ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية ، وعلى بر ، وعلى دينونة »(٢٠)

---

١٧ ــ الإصحاح (١) الفقرة (١٤ ــ ١٥) .
١٨ ــ هذا إيضاح وليس من النص .
١٩ ــ الإصحاح (١٤) الفقرات (٢٤ ــ ٢٦) .
٢٠ ــ الإصحاح (١٦) الفقرتان (٧ ــ ٨) .

ويروى كذلك قول المسيح لتلاميذه :

« وأما إذا جاء ذاك روح الحق ، فهويرشدكم إلى جميع الحق ؛ لأنه لايتكلم من نفسه . بل كل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية » ..؟![21]

فمن هو المعزى أو روح القدس أو روح الحق الذى بشر به المسيح (عليه السلام) حسب مايروى يوحنا ..؟!

إن المسيح يقول :

إن ذلك المُعَزِّى أو الروح لا يأتى إلا بعد ذهاب المسيح ، والمسيح – نفسه – يُقِرُّ بأن ذلك المُعَزِّى أو الروح أَجَلُّ منه شأنا ، وأعم نفعا وأبقى أثرا ، ولذلك قال لتلاميذه : خير لكم أن أنطلق . إن لم أنطلق لا يأتيكم المُعَزِّى .

وكلمة « خير » أفعل تفضيل بمعنى أكثر خيرا لكم ذهابى ليأتيكم المعزى ولوكان « المُعَزِّى » مساويا للمسيح فى الدرجة لكانا مستويين فى الخيرية ولما ساغ للمسيح أن يقول خير لكم أن أنطلق . ومن باب أولى لو كان « المُعَزِّى »أقل فضلا من المسيح . فعبارة المسيح دليل قاطع على أنه بشر بمن هو أفضل منه ، لا مساوٍ له ولا أقل .

ثم يصف المسيح ذلك المُعَزِّى أو الروح بأوصاف ليست موجودة فى المسيح نفسه (عليه السلام) . ومن تلك الأوصاف :

أ – أنه يعلم الناس كل شيء . وهذا معناه شمول رسالته لكل مقومات الإصلاح فى الدنيا والدين . وذلك هو الإسلام .

ب – أنه يبكت العالم على خطية . والشاهد هنا كلمة « العالم » وهذا معناه شمول الإسلام لكل أجناس البشر ، عربا وعجما ، فى كل زمان ومكان . ولم توصف شريعة بهذين الوصفين إلا الإسلام .

جـ – إنه يخبر بأمور آتية ، ويذكر بما مضى . وقد تحقق هذا فى رسالة محمد (ﷺ) .

---

٢١ – الإصحاح (١٦) الفقرة (١٣) .

فأخبر بأمور آتية لم يخبر بها من سبقه أو أخبروا ولكن ليس على وجه التفصيل والتأكيد الذى كان على يديه (ﷺ) فكم فى القرآن من أمور أخبر بها قبل أن تقع فوقعت كما أخبر ، وكم فيه من الإخبار بما سيكون فى الحياة الآخرة من أوصاف الجنة ، والنار ، والبعث ، وعلامات الساعة ، وتخاصم أهل النار ، وحوار أصحاب الجنة مع « رجال الأعراف » ، وندم من باعوا دينهم بدنياهم . إلخ ..إلخ

وذكر بما مضى من أحوال الأمم ، وقيام الحضارات ثم سقوطها وأحوال المرسلين وما بلغوا به أقوامهم والشهادة لهم بالصدق والأمانة و الإخلاص والوفاء ، ومسلك بعض الأقوام من رسلهم والصراع الذى دار بين المحقين وأهل الباطل ، وعاقبة بعض المكذبين .. إلخ .. إلخ

ثم استوعبت رسالته الحياة كلها فأرست قواعد الاعتقاد الصحيح وسنت طرق العبادة المثمرة ، ووضعت أصول التشريع فى كل ماهو متعلق بالحياة عاجلها وآجلها ، ووضحت العلاقة السليمة بين المخلوق والخالق ، وبين الناس بعضهم بعضا . وحررت العقول ، وطهرت القلوب ورسمت طريق الهدى لكل نفس ولكل جماعة ولكل أمة . أي أنها أرشدت إلى كل شيء . وعلمت كل شيء مما يحتاج تعلمه إلى وحى وتوقيف ..!
ذلك هو الإسلام ، ولا شيء غير الإسلام .

وشهدت – فيما شهدت – للمسيح (عليه السلام) بأنه رسول كريم أمين أدى رسالته وبشر وأنذر بنى إسرائيل . وأنه عبده ورسوله ﴿ ذلك عيسى ابن مُريم قول الحق الذى فيه يمترون ﴾

وشهادة رسول الإسلام لعيسى (عليه السلام) منصوص عليها فى بشارات عيسى نفسه به (ﷺ) . فاسمع إلى يوحنا وهو يروى عن المسيح (عليه السلام) قوله الآتى .

« ومتى جاء المُعَزِّى الذى سأرسله « أنا » إليكم من الأب روح الحق

من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى .. وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء »(٢٢)

روح القدس هذا ، أو المُعَزِّى ، أو روح الحق لايمكن أن يكون عيسى ؛ لأن عيسى لم يبشر بنفسه ، وهو كان موجوداً ساعة قال هذا ولايمكن أن يكون المراد به نبياً بعد عيسى غير محمد (ﷺ) لأننا متفقون على أن عيسى لم يأت بعده نبى قبل رسول الإسلام (ﷺ) .

فتعين أن يكون روح القدس ، أو المُعَزِّى ، أو روح الحق تبشيرا بمحمد (ﷺ) إذ فيه تجتمع تلك الأوصاف ، كما يتحقق فيه معنى « الأفضلية » إذ هو خاتم النبيين ، الذى جاء بشريعة خالدة عامة . وعلى هذا حملنا قبلا قول عيسى : خير لكم أن أنطلق . إن لم أنطلق لا يأتيكم المُعَزِّى » وهذا إقرار من عيسى بأن المبشر به أفضل من المُبَشِّر وكفى بذلك شواهد .

— ٤ —

أما البشارة باسم « الفارقليط » فقد خلت منها الترجمات العربية المعاصرة للكتاب المقدس . ومعلوم أن الكتاب المقدس خضع لترجمات وطبعات متعددة ؛ لدرجة أن الترجمات العربية لتختلف من نسخة إلى أخرى اختلافا بيناً .

وتحت يدى – الآن ـــ نسختان من الطبعات العربية كلتاهما خاليتان من كلمة الفارقليط ، وموضوع مكانها كلمة المعزى .

بيد أننى وجدت أن ابن القيم ، وابن تيمية ، كلا منهما قد نقل عن نسخ خطية كانت معاصرة لهما نصوصا فيها التصريح باسم « الفارقليط » كما أن الشيخ رحمت الله الهندى (رحمه الله) نقل فى كتابه « إظهار الحق » نصوصا عن ترجمات عربية ترجع إلى أعوام : ١٨٢١ – ١٨٣١ – ١٨٤٤ م وتمت فى

٢٢ ـــ الإصحاح (١٥) فقرتا (٢٦ ـــ ٢٧) .

لندن .

وبمراجعة يسيرة أدركت أن الطبعات العربية التى تنشر عندنا فى البلاد العربية ، أو البلاد الإسلامية فيها كثير من الاحتياط والحذر لدى مترجميها وطابعيها . بينما هى ترسل على سجيتها فى البلاد التى لاينتشر فيها الإسلام أو الطبعات القديمة أو النسخ الخطية من الكتاب المقدس ومن مظاهر ذلك الاحتياط حذف كلمة « الفارقليط » ووضع كلمة « المعزى » موضعها . فما هو السر وراء التصرف غير الأمين من أمناء الكتاب المقدس ؟!

معنى « الفارقليط » هو السبب :

إن السبب الوحيد وراء هذا التصرف هو معنى كلمة « الفارقليط » نفسها فهى كلمة يونانية معناها واحد مما يأتى :
الحامد – الحماد – المحمود – الأحمد .
أومعناها كل ما تقدم . فمعنى « فارقليط » يدور حول الحمد وجميع مشتقاته المشار إليها .
وكل واحد منها يصح إطلاقه على رسول الإسلام (ﷺ) فهو الحامد والحمّاد والمحمود والأحمد ، والمحمد .

لهذا حذف النصارى من ترجماتهم وطبعاتهم الحديثة كلمة « الفارقليط » ووضعوا مكانها « المعزى » ؛ لأنهم لو لم يفعلوا ذلك لما استطاعوا تحريف معنى الكلمة مع وجودها فى أناجيلهم . ولآلزمهم – خصومهم – صراحة بواحد من اثنين :

١ – إما أن يسلموا بورود البشارة برسول الإسلام بوصفه أو اسمه الصريح . وهذه ورطة بالنسبة لهم .

٢ – وإما أن يسلموا بأنهم يؤمنون ببعض كتابهم ، ويكفرون ببعض وهذه ورطة أخرى ليس من السهل مواجهتها .
فكان اللجوء إلى حذف هذه الكلمة أيسر الطرق للتغلب على المشكلات التى تثيرها .

وفى الواقع ، فإنهم أضافوا بحذفها مشكلة جديدة ضد موقفهم من الدفاع عن سلامة الكتاب المقدس من التحريف . لأنهم لم يعد عليهم من حذفها سوى قيامهم بالتلاعب الهوائى فى نصوصهم المقدسة فراراً من قوة دلالتها على مايكرهون . ونحن لانقر لهم بذلك الحذف ما دامت النسخ « الأصلية » وكثير من الطبعات التى تمت فى بلاد أخرى ـــ كلندن ـــ ما تزال تحتفظ بالكلمة كما هى « الفارقليط » .

ففى الطبعات ـــ اللندنية – المتقدم ذكرها ورد النص هكذا : « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى . وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليط آخر ، ليثبت معكم إلى الأبد »

« الفارقليط روح القدس الذى يرسله الآب باسمى هو يعلمكم كل شيء ، وهو يذكركم كل ما قلته لكم »(٢٣)

ومقارنة هذين النصين بالنص المقابل لهما الذى نقلناه آنفا عن إنجيل يوحنا من الطبعات العربية الحديثة تريك أن الطبعات الحديثة حذفت كلمة « الفارقليط » ووضعت مكانها كلمة « المعزى » كما تريك أن الطبعات الحديثة حذفت جملة : « ليثبت معكم إلى الأبد » والسبب فى التحريف الأول معروف ، وقد قدمنا ذكره . أما السبب فى التحريف الثانى فلأن « ليثبت معكم إلى الأبد » نص على خلود الإسلام وهذا مايريد النصارى طمسه . لذلك حذفوا مايدل عليه .. ؟!

إنقاذ مايمكن إنقاذه ..؟!

على أنهم عادوا واعترفوا بأن كلمة « المعزى » التى فى الطبعات الحديثة للكتاب المقدس أصلها مترجمة عن كلمة يونانية لفظا ومعنى وهى « باراكليتس » ومعناها المعزى ، وليست « فارقليط » أو « بارقليط » التى

---

٢٣ ـــ انظر كتاب « إظهار الحق » ص ٥٢٨ للشيخ رحمت الله الهندى تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا . نشر دار التراث .

معناها الحماد والحامد .... والتى يتمسك بها المسلمون ..؟!

وكأن القوم – هنا – يحاولون إنقاذ ما يمكن إنقاذه فجعلوا كلمة « باراكليتس » في مواجهة « بارقليط » أو « فارقليط » وهذه المحاولات مردودة وذلك لسببين :

أولهما : ليس نحن – المسلمين – الذى قاموا بالطبعات القديمة التى فيها « الفارقليط » وإنما طبعها رفقاء لكم فى الدين لهم فى النصرانية عراقة . فعملهم حجة على الطبعات الحديثة وهم غير متهمين فى عملهم هذا .

وثانيهما : لوكانت الكلمة « هى : الباراكليتس » فلماذا خلت منها الطبعات القديمة والنسخ المخطوطة ؟!

بل ولماذا خلت منها حتى طبعاتكم الحديثة ..؟!

وأياكان المدار : فارقليط ، أو باراكليتس ، أو المعزى ، أو الروح القدس ، فنحن لا نعول على الكلمة نفسها بقدر ما نعول على الأوصاف التى أجريت عليها . فإن نازعتمونا فى أصل الكلمات فلن يُقْبل منكم أن تنازعونا فى الأوصاف التى قد أجريت عليها . مثل يعلمكم كل شيء – يمكث معكم إلى الأبد . فهذه الأوصاف هى لرسول الإسلام (ﷺ) ومهما اجتهدتم فى صرفها عنه فلن تنصرف . وموقفكم هذا أشبه مايكون بموقف من يعبث فى الظلام ، فلما أشرق ضوء الشمس غاظه . فجمع طرفى ثوبه وحاول أن يحجب بهما الضوء فلم ينحجب وما ناله من عمله هذا إلا افتضاح نفسه من التعرى ..؟!

ونعود فنذكر القارىء بأن هذه البشارات أشبه ما تكون برسائل مغلقة مُحِيَ اسم صاحبها .. ولكنه استطاع بعد فضها أن يثبت أنها له بما احتوت عليه من الدلائل الداخلية مما هو له ولم يشركه فيه أحد سواه .

وها نحن قد فضضنا هذه البشارات وأثبتنا بكل دليل أنها لرسول الإسلام ولم ترد فى حق أحد سواه .

كما نذكر بأن هذه البشارات – مع ما أصابها من تحريف – هى من

بقايا الحق الذى روى عن المسيح ؛ لأننا لم نقل إن كل مافى الأناجيل مزور ، بل قد اختلط الحق فيها بالباطل . واستبد الباطل بخطوط العرض والطول فيها « لحمتها وسداها » وبما لدينا من مقاييس نستطيع أن نفرق بين ما فيها مِنْ حق ، وما فيها مِنْ باطل . ومع هذا كله فليس رسول الإسلام فى حاجة إلى مثل تلك البشارات . فله دلائل صدقه الخاصة به . وما ذكرناه إلا لإثبات أن القوم فى عدائهم لرسول الإسلام . مغالطون متجنون وليس لديهم ذرة من حق أو صدق ..؟!

(آخـــر الكــلام)

اعتراف بالرسالة .. ولكن بشرط ..؟!

ولأهل الكتاب – يهوداً ونصارى ، والنصارى بوجه خاص – موقف آخر من رسول الإسلام (ﷺ) ، ومن الإسلام نفسه فقد حملتهم قوة دلائل الصدق التى صاحبت دعوته ، وما تزال على الاعتراف بأنه – فعلا – رسول من عندالله .. ولكنهم قد أحاطوا هذا الاعتراف بشرط غريب جداً ، وهو أنه رسول للعرب فقط وليس لكل الناس ، والإسلام على هذا الفهم الغريب . دين للعرب فقط وليس لكل الناس ..؟!

وما حملهم على هذا « الحجر » إلا الحفاظ على مراكزهم الكهنوتية واستمرار كنائسهم وأسرارها والتلاعب بضمائر أتباعهم والتحكم حتى فى مصائرهم الأبدية ..؟!

ولهم فى ذلك « شبهة » وحيدة يحلو لهم ترادادها وهى : محمد –ﷺ– عربى الجنس واللسان ، فكيف يرسله الله إلى أمم وأجناس غير عربية .. وكيف يكلف الله الناس برسالة لايعرفون لغتها ولاعهد لهم بالتحدث معها . وكيف يستطيعون أن يفهموا القرآن ، وتوجيهات رسول الإسلام ، وهما باللغة العربية .؟!

هذه هى « شبهتهم » الوحيدة . ولكى لا نطيل فإننا نرد عليها من طريقين ليس لهما ثالث . فيهما إقناع أيما إقناع :

الأول : وهو مستمد من واقع القوم أنفسهم . فهم يدعون تبعا لما

قال « بولس » أن عيسى (عليه السلام) مرسل لخلاص العالم كله . وأنه أمر حوارييه أن يكرزوا كل العالم برسالة الخلاص ، وفى أيامنا هذه كثرت المنشورات التى تقول : المسيح مخلص العالم . وهنا نسأل القوم سؤالاً :

أية لغه كانت لغة المسيح وحوارييه (عليه السلام) ؟! هل هى العبرانية أم اليونانية ؟! وأيا كان الجواب فإن المسيح كان يتكلم لغة واحدة . وأوحى إليه الإنجيل بلغة واحدة .. فعلى أى أساس إذن قلتم : إنه منقذ لكل العالم .؟! هل كل العالم كان وما يزال يعرف لغة المسيح ؟! أم أن العالم أيام المسيح كان يتكلم بعدة لغات .. والآن يتكلم بعشرات الآلاف من اللغات ..؟! فإن كنتم قد ادعيتم أن المسيح هو منقذ كل العالم مع تسليمكم بأنه كان يتكلم بلغة واحدة فلماذا تنكرون على رسول الإسلام أن يكون مرسلاً لكل العالم .؟! وما الفرق بين رسول الإسلام والمسيح (عليهما السلام) حتى تحظروا عليه ما استبحتموه للمسيح ؟! أهذا عدل .. أهذا إنصاف !! لا والذى فطر السموات والأرض . ليس بعادل ولا منصف من يكيل بمكيال إذا اشترى .. ويكيل بمكيال آخر إذا باع .. وهو أنتم . النور عندكم مرة ظلام .. والظلام عندكم مرة أخرى نور .. ؟!

فمادمتم قد أقررتم ذلك في حق المسيح ، فيلزمكم أن تقروا به فى حق رسول الإسلام ، وليس لكم – بأية حال – أن تحاجُّونا بأمر هو حجة عليكم فى نفس الوقت .

فإذا فكرتم – يوما – فى التنازل عن دعوى عالمية المسيح ، لكى تحرجونا ، ولو جدلاً – فمع بُعْد هذا الاحتمال فإننا لن نحرج إن فعلتم . ولن نتنازل عن مبدأ عالمية الإسلام ، والسبب ظاهر وهو أننا لم نصنع نحن « عقيدتنا » فى الإسلام وفى رسول الإسلام وإنما تلقيناها عن الوحى الصادق الأمين . فتقبلناها بكل رضى وسرور ، وقامت مئات الأدلة على صدقها وثباتها . فلسنا نحن مثلكم فى صنعكم « عقيدتكم » والعقائد لا تصنع وإنما تُتلقى عن الخبر الصادق عن الله رب العالمين . وكلا أمريكم أنتم فيه مدينون إن تمسكتم بعالمية المسيح فأنتم مدينون ..؟!

وإن تنازلتم عن عالمية المسيح فأنتم مدينون ..؟!

الثاني :وهو مستمد من طبيعة الإسلام . ومن تاريخه الطويل الحافل بكل عجيب .

نعم : إن محمداً (ﷺ) عربى اللسان ، والجنس ، والقرآن العظيم الذى جاء به عربى اللسان ، عالمى التوجيه والتشريع والسلطان . ووحدة اللغة فى الإسلام مثل وحدة العقيدة فيه . ولم يحل دون انتشار الإسلام بين الأمم والشعوب غير العربية أن لغة رسالته عربية ورسوله عربى ورواده الأوائل عرب . هذه الاعتبارات لم تحل دون نشر الإسلام لجميع شعوب الأرض باختلاف لغاتها وعقائدها وأجناسها . وكان سلوك الدعوة إلى الإسلام حكيما ، وهذه أبرز ملامحه .

أولاً :أن صاحب الدعوة (ﷺ) أرسل رسله يحملون رسائله وكتبه إلى كل رؤساء القبائل وملوك الأمم والشعوب ، وقد بدأت هذه الطريقة بعد وقوع صلح الحديبية ، وكل حامل رسالة أو كتاب إلى رئيس أو ملك كان على علم بلغة من هم مبعوث إليهم .

فقد أرسل النبى (عليه السلام) إلى هرقل دحية بن خليفة الكلبى .
وأرسل إلى المقوقس عظيم القبط بمصر حاطب بن أبى بلتعة .
وأرسل إلى كسرى عبد الله بن حذافة السهمى .
وأرسل إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى شجاع بن ذهب الأسدى .
وكان هؤلاء الرسل عالمين بلغات من أرسلوا إليهم .
كما كان (ﷺ) يحتفظ بمترجمين يترجمون له ما يرد من رسائل لغتها ليست العربية .

ثانيا : أن الملوك والرؤساء كان لديهم مترجمون ــ كذلك ــ يترجمون لهم مايرد من رسول الإسلام ، آو يقومون بالترجمة من العربية إلى غيرها ، ومن غير العربية إلى العربية فى حالة ما إذا كان « المرسل » وفدا يحمل رسائل شفوية للتبليغ .

ثالثا : أن اليهود وكثيرا من النصارى كانوا يعرفون اللسان العربى ، ومن النصارى من هم عرب خلص كنصارى نجران ، كما أن العجم من الفرس والروم كان من بينهم عرب يعايشونهم ويقيمون بينهم .

رابعا : كان صاحب الدعوة (ﷺ) يحض أصحابه على تعلم لغات الأمم ومما يروى عنه – عليه السلام – قوله : من تعلم لغة قوم أمن غوائلهم .

خامسا : لما اجتازت الدعوة مرحلة الدعوة بالرسالة والكتاب ، والوفد ، والبعث ، ودخلت فى مرحلة الفتح المسلح كان الجنود المسلمين ينشرون اللغة العربية كما ينشرون الإسلام نفسه . وما من أرض حل بها الإسلام إلا وقد حلت بها اللغة العربية تعضده ، وتؤازره فى انسجام عجيب ، فقضت اللغة العربية على لغات الأمم والشعوب وحلت هى محلها . قضت على القبطية فى مصر ، وعلى الفارسية فى الشام ، وعلى البربرية فى شمال غرب أفريقيا كما قضت على السريانية وغيرها من اللغات ، وأصبحت هى لغة الحياة والإدارة والكتابة والنشر والتأليف .

سادساً : قام العرب المسلمون بترجمة ما دعت إليه المصلحة من تراث الأمم المفتوحة ، ففتحوا نوافذ الفكر ، والثقافة ، والمعرفة لمن لايعرف غير العربية من العرب المسلمين .

كما ترجموا من الفكر الإسلامى ما يصلح ضرورة لغير العرب من المسلمين فنقلوه من العربية إلى غير العربية وفاءً بحق الدعوة والتبليغ .

سابعاً : أقبل غير العرب من الذين دخلوا الإسلام على تعلم العربية وتركوا لغاتهم الأصلية وأصبحوا عربى اللسان واللغة . ومن هؤلاء أعلام لايحصون كان لهم فضل عظيم فى إنماء الفكر الإسلامى منهم اللغويون ، والنحويون ، والبيانيون ، والفقهاء ، والأصوليون ، والمفسرون ، والمحدثون ، والمتكلمون ، والفلاسفة ، والمناطقة ، والرياضيون ، والأطباء ، والفلكيون ، بل والشعراء والأدباء والرحالة والجغرافيون ، وغيرهم ، وغيرهم . إن كل مجال من مجالات

النشاط العلمي فى الإسلام نبغ فيه كثير من غير العرب بعد تعلمهم اللغة العربية التى كانوا فيها مثل أنجب وأحذق وأمهر أبنائها . ولو رحنا نحصى هؤلاء لضاق بنا السهل والوعر ، فلتكن الإشارة إليهم نائبا عن ذلك التفصيل غير المستطاع .

إن وحدة اللغة فى الإسلام لم تحل دون نشر الإسلام ، فلم يمض طويل من الزمن حتى بلغت الدعوة مشارق الأرض ومغاربها .

وصلت إلى الهند والصين فى أقصى الشرق ، وإلى شواطىء المحيط الأطلسى فى أقصى الغرب وإلى بلاد النوبة جنوبا . وإلى جبال البرانس جنوبى فرنسا شمالاً . وتوطدت فى قلب الكون :

الحجاز واليمن والشام والفرس وبلاد مابين النهرين وماوراء النهرين ومصر وجنوب الوادى ، وتركت اللغة العربية الواحدة آثارها فى كل قطر أشرقت فية شمس الإسلام ، وحتى ما فارقه الإسلام – كأسبانيا – ما تزال حضارة الإسلام وآثار العربية تغزو كل بيت فيها . وكما استوعب الإسلام مناهج الإصلاح فى كل مجالات الحياة الإنسانية استوعبت شقيقته الكبرى « اللغة العربية » كل أنماط التعبير ووسعت بسلطانها كل وسائل التسجيل والتدوين .. وامتلكت ناصية البيان الرائع الجميل ، فهى لغة علم ، ولغة فن ومشاعر ، ووجدان . وقانون وسلام وحرب ، ودين ودنيا .

إن ألف مليون مسلم ينتشرون فى ربوع الأرض الآن لم يعجز الكثير منهم من غير العرب عن حفظ كتاب الله « القرآن العظيم » ويتلونه كما أنزل بلسان عربى فصيح . فإذا عاد إلى حديثه اليومى لجأ إلى لغة أمه وأبيه وبيئته .

ومسلم غير عربى استطاع أن يحفظ أو يقرأ القرآن بلغته العربية الفصحى لهو قادر – لو أدى المسلمون العرب واجبهم نحو لغة التنزيل – أن يقرأ بها كتب الحديث ، والفقه ، والتشريع ، والنحو ، والصرف ، والبلاغة ، والأدب ، وسائر العلوم والفنون .

ولكنه ذنب العرب المسلمين لاذنب اللغة . فهى مطواعة لمن يريد أن يتقنها إن وجد معلما مخلصا . والأمل كبير – الآن – فى أن يلتقى كل

المسلمين على لغة واحدة ، كما التقوا على عقيدة واحدة .

إن رسول الإسلام (ﷺ) عالمى الدعوة وإن كان عربى اللسان والجنس .

وإن الإسلام الحنيف عالمى التوجيه والسلطان وإن كانت لغة تنزيله عربية ورسوله عربيا ، ورواده الأوئل عربا .

فليس لكم أيها – الحاقدون – دليل واحد صحيح لا فى دفاعكم عن كتابكم المقدس ، وعقائدكم المستقاة منه .

ولا فى هجومكم على الإسلام رسولاً وكتابا وشريعة . وهاأنتم قد علمتم كيف يواجه أصحاب الحق أهل الباطل . فإن انتهيتم فما لنا عليكم من سلطان – والله يفصل بيننا – وإن عدتم عدنا غير خائفين ولا وجلين حتى يجىء الحق ، ويزهق الباطل﴿ إن الباطل كان زهوقا ﴾

البلد الطيب الأمين : مكة ، المكرمة

فى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م — المعابدة : حى الفيصلية

عبد العظيم بن إبراهيم المطعنى
الأنصارى



الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥
موجز الموضوعات	١٥

القسم الأول

التوراة بين التحريف والتبديل

الفصل الأول : دعوى سلامة التوراة من التحريف	٣٣
الفصل الثانى : ادعاء وحدة النصوص فى العهد القديم	٨٣
الفصل الثالث : النبوات والتنبؤ	١١٧
الفصل الرابع : نصوص مقدسة ودلالات وضيعة	١٥٥
الفصل الخامس : تصور التوراة عن الله والملائكة والرسل	١٦٩
الفصل السادس : الإنسان فى التوراة	٢٢١
الفصل السابع : التوراة بين الماضى والحاضر	٢٥١

القسم الثانى

الإنجيــل

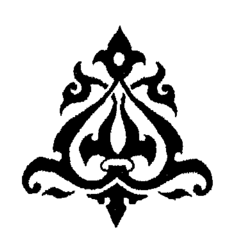
الفصل الأول : دعوى سلامة الأناجيل من التحريف	٢٧٣
الفصل الثانى : بولس هو المسئول	٢٨٥
الفصل الثالث : بين يدى وضع الأناجيل	٣٢٣
الفصل الرابع : الواقع النصى للأناجيل	٣٤٥
الفصل الخامس : صور أخرى من التناقض	٣٥٧
الفصل السادس : دعوى تأليه المسيح	٣٧٥

الموضوع	الصفحة
الفصل السابع : موقف الأناجيل من دعوى التأليه	٣٩٩
الفصل الثامن : نشأة الفكرة وتطورها	٤١١

القسم الثالث

الإسـلام

تمهيد : طبيعة البحث فى هذا القسم	٤٢٩
الفصل الأول : دعوى ذات أربع شعب	٤٣٣
الفصل الثانى : دعوى حصر النبوة فى نسل اسحق	٤٣٧
الفصل الثالث : بطلان أكاذيبهم والتدليل عليه	٤٤٩
الفصل الرابع : صور من معجزات رسول الإسلام	٤٨٥
الفصل الخامس : دعوى القرآن غير معجز	٥٠٩
الفصل السادس : دعوى القرآن مقتبس من التوراة	٥٣٩
الفصل السابع : شواهد من اعجاز القرآن المستمر	٥٦٧
الفصل الثامن : دعوى نفى البشارة برسول الإسلام	٥٨٩
الفصل التاسع : آخر الكلام	٦١٤





رقم الإيداع بدار الكتب ٧٠٤٠ / ٨٦

الترقيم الدولى ٦ ـ ٩٧ ـ ١٤٢٠ ـ ٩٧٧ .

مطابع الوفاء ـ المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب ٢٣٠

تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN







